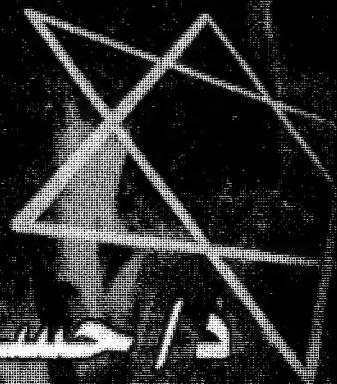
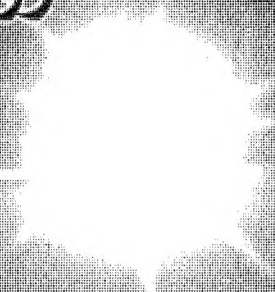


بداية ونهاية

دولة إسرائيل

رؤية تاريخية ودينية



د / حسن عوض

بداية ونهاية
دولة إسرائيل
رؤية تاريخية ودينية

د. حسن عوض

الطبعة الثانية

(2002)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ
وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِمُ
الْعَظِيمِ

اهداء

إلى كل باحثٍ عن الحقيقة في
مسألة بني إسرائيل ليطمئن
قلبه .

د/ حسن عوض

بنها في 2001/9/1

ت 013/ 24 3679

شكر واجب

الحمد لله ذي الفضل والمّنة أولاً وأخيراً الذي
وفّقني وأعانني حتى يخرج كتابي هذا إلى النور .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر
الواجب للأستاذ / عبد العزيز موافى (الناقد والشاعر
المعروف) .

والدكتور / سعيد شوقي (كلية الآداب جامعة
المنوفية) على ما قدمه لي من مراجع هامة أفادتني
كثيراً في دراستي هذه .

د/ حسن محوض

تقديم الطبعة (1)

حين شرعت فى كتابة هذا الكتاب كان فى نيتى تسطيره فى حدود مائة صفحة على الأكثر ولكن ما إن بدأت بتناول الموضوع وجدتنى مدفوعا ومسوقا لأن أتناول الموضوع بكافة جوانبه ولكى يفهم القارئ ما يحدث ويجرى على الساحة الآن عليه أولاً أن يرجع للماضى السحيق حيث النشأة والتواجد والأصول الأولى للشعب الإسرائيلى المعنى بدراستنا هذه . وخامرنى خاطر أن أتحدث بإيجاز عن ذلك التاريخ القديم على أن استفيض بالتوسع فى الحديث إذا ما تناولت الحاضر ولكننى وجدت أنه من الأصوب أن تكون الإستفاضة فى الحديث والبحث من نصيب الماضى لأنه لو عرفت الماضى حق المعرفة تيسر معرفة الحاضر .

وبدأت فى تجميع المراجع ليشمل موضوع البحث والدراسة كافة جوانب الماضى فوجدتها تروبو وتزيد على المائة من المراجع الهامة التى اختلفت بالموضوع . وفكرت فى أن أتعرض لكل هذه المراجع ولكننى - مرة أخرى - تخيرت منها الأشمل والأعم والأهم وواجهتني إشكالية أخرى فى كيفية التعرض لهذه المراجع هل اكتفى بأن أشير إليها ثم أعرضها بأسلوبى أنا ولكننى تراجعت سريعا عن ذلك لسبب هام وجوهري وهو أن تناول الموضوع بأسلوبى قد يفهم على أنه وجهة نظرى الخاصة كما أنه قد يقول قائل أننى أفرض

بصمتي وأفكارى على العمل الذى أتناوله بالعرض ومن ثم فإننى - إذا ما حدث ذلك - إما أغفلت - عن عمد وقصد - رؤية المؤلف أو أننى لم أفهم ما قصده المؤلف جيداً أو أننى قد حرّفت المعنى وأخذته إلى الوجهة التى أريدها.

ولذا فقد أثرت أن أعرض ما جاء فى أى من تلك المراجع بإسلوب كاتبه دون تدخل منى إطلاقاً إيماناً وأمانه حتى تتشكل أمام القارئ رؤى مختلفة ووجهات نظر عديدة كلها تصبّ فى هدف واحد وهو تناول موضوع بنى إسرائيل بكافة جوانبه التاريخية والدينية والإنسانية والاجتماعية ... والى الخ . ومن مجموع تلك الرؤى يصبح القارئ على دراية كاملة وشاملة .

ولا يغيب عن فطنة القارئ أن تاريخ بنى إسرائيل لم ينشأ منعزلاً عن باقى تواريخ الشعوب المعاصرة له . بل تأثر ذلك التاريخ - إلى حد كبير - بشعوب كثيرة أهمها الشعب المصرى القديم - والحديث - حيث كانت الهيمنة المصرية تشمل ممالك ودول الشام بالإضافة لغيرها من الأمم ولقرون طويلة وبالمثل مع باقى الأمم القديمة والمعاصرة كان التأثير واضحاً لذلك الشعب بمن حوله وبمن احتضنه داخل حدود دولته فى شتى النواحي الحياتية والثقافية وغيرها . أما من ناحية العرض الدينى خصوصاً من وجهة النظر الإسلامية فقد ارتأيت أن أتحدث بإسلوبى مشيراً إلى المراجع المختلفة

(القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث وسير الأنبياء) كما تقتضيه الأمانة العلمية والأدبية .

وبعد تلك العروض المختلفة ستكون هناك وقفات - فى فصول أخرى - مع التسمية والمؤامرة وغيرها ثم وجهة نظرى الشخصية فى الموضوع كله بشتى نواحيه وجوانبه لنصل إلى الرؤية الشاملة لذلك الشعب الذى أثار الكثير من الجدل والقلق قديماً وحديثاً تلك الرؤية الموضوعية بدون تجاوز أو تضليل أو افتراء .

وبعد - عزيزى القارئ - أرجو أن تتفهم جيداً لماذا بعض العروض - خصوصاً التاريخية والثقافية والسوسيولوجية - التى تناولت ذلك الشعب رغم أن عناوين تلك المراجع قد يوحى بعدم أهميتها بخصوص الموضوع الذى نتناوله . فلكى (نتعرف) جيداً على شخص ما يجب أن نلمّ بحياته الإجتماعية والثقافية وحياة من حوله فى محيط أسرته وأصدقائه حتى يكون التحليل دقيقاً و(المعرفة) صادقة والرؤية أمينة.

أرجو - عزيزى القارئ - أن تغفر لى إن أخطأت فى اجتهادى وتدعو لى إن أصبت.

وشكراً

د/ حسن محوض

بنها فى 2001/2/1م

تقديم الطبعة الثانية

بعد صدور الطبعة الأولى من دراستي هذه في 1/2/2001م أبلغني بعض القراء ببعض الملاحظات التي أفنعتني بوجاهتها مما أوجب علىّ إما إضافة إيضاح منى لما أبداه القراء فى طبعة جديدة وإما إعادة صياغة الأجزاء التي بدت غامضة أو مبهمة على بعض القراء . ولم تطل حيرتي كثيراً حيث وجدت أنه من الأفضل أن أعيد صياغة الجزء التاريخي (الفصل الثاني) على وجه الخصوص بطريقة أكثر سلاسة وأوضح تبياناً خصوصاً وأنتني كنت قد عرضت هذا الفصل تبعاً لما كانت تقع عليه يدي تبعاً من المراجع دون اعتبار لما تحتويه تلك المراجع من مادة دينية أو تاريخية. ولذا جاء ترتيب عرض تلك المراجع بطريقة بدت وكأنها قطع من الموزاييك رُتبت ووضعت بغير نظام ودون هارمونية من حيث المادة العلمية التي تحتوى عليها . وكان عذري فى ذلك أن تلك المراجع لم أحصل عليها فى آن واحد وإنما تم ذلك بطريقة قدرية لا دخل لى فيها . حيث استعرت بعضاً منها فى أوقات مختلفة حسبما جاد به الأصدقاء مشكورين وحسبما عثرت على الباقي منها سواءً بالشراء فى أوقات متفاوتة - حسب توافرها - أو بالبحث فى سראيب ودهاليز مكتبتي الخاصة غير المرتبة لعدم وجود الوقت لدى لترتيبها من ناحية وللعبت بها مراراً من ناحية أخرى .

ولأنني كنت فى عجلة من أمري لخروج هذه الدراسة فى أسرع وقت ممكن لم أراع - مضطراً وآسفاً - تصنيف وترتيب المراجع بالصورة والكيفية التي سيجدها القارئ فى هذه الطبعة (الثانية) حيث راعيت ذلك جيداً

بالإضافة إلى إعادة تبويب الفصل الثاني من الطبعة الأولى ليصبح فصليين بدأتهما بالرؤية الدينية / التاريخية . ثم الرؤية التاريخية / الدينية وفي كل منهما ما يخص تلك الرؤية دون تكرار للسرد - كما حدث في الطبعة الأولى - مع الأخذ في الاعتبار التوثيق والإحكام بهوامش لكل فصل - والفصول الأخرى أيضا - في آخر الفصل فيها تفصيلات تهتم القارئ المتخصص والباحث الجاد وفي ذات الوقت لا تشغل فكر القارئ العادي الذي لا يهتمه التوثيق ولا يهتمه معرفة المصدر بقدر ما تهتمه المعلومة والفكرة والرأي . إضافة إلى أنني راعيت عدم تكرار المعلومات أو سرد أفكار غير صحيحة في سياق عرض المراجع - أي مرجع - حتى لا يلتبس الأمر على القارئ فيظن أن ذلك صواباً. وهو ما نبهني إليه بعض القراء بعد صدور الطبعة الأولى خصوصاً وأني آليت على نفسي - وقتها - ألا أتدخل في أسلوب عرض المرجع - أي مرجع - وأيضاً تركت الأمر لفطنة القارئ لاستتباط الصواب من الخطأ وأشرت لبعض الأفكار الخاطئة في موضعها ولكن يبدو أن ذلك لم يكن جلياً بالصورة التي كنت أرومها وأتوقعها فحدث اللبس الشديد وحدث اللوم من بعض القراء على ذلك .

من أجل ذلك وجدت لزاماً عليّ أن أعيد صياغة هذا الجزء من دراستي بطريقة لا تحتمل الشك أو الالتباس وعلى منوال الرسائل العلمية ونهج الدراسات الأكاديمية وخصوصاً أن هذا الجزء يشكل أكثر من نصف الدراسة في الطبعة الأولى وكان هو المدخل لبقية الدراسة . أعدت الصياغة وأيضاً السرد والأفكار ليس في هذا الجزء وحده وإنما في كل الدراسة مع إضافة ما يلزم وحذف ما انتفى الغرض منه سواءً للتكرار أو الوضوح في الشروح. وإعادة الصياغة استوجبته أيضاً وجود عدة مراجع إضافية خصوصاً

المراجع الدينية ولوجود قضايا طُرحت على الساحة بعد صدور الطبعة الأولى كنت طرفاً فيها . أولها مقالة للكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود (سأنشر صورة ضوئية منها فى جزء الملاحق آخر الكتاب) بعنوان (إسرائيل طاعون العصر ودولة الارهاب) وهى منشورة فى الصفحة الثالثة عشرة من (جريدة الأهرام) المصرية الصادرة فى يوم السبت الموافق 23 يونيو عام 2001 م . وأيضاً نشرت لى مقالة فى جريدة (السياسى المصرى) فى عددها الصادر يوم الأحد الموافق 24 يونيو عام 2001 م . فى صفحتها الخامسة وأيضاً بعد لقاء ثقافى تليفزيونى معى فى قناة النيل الثقافية الفضائية (برنامج قمر النيل على الهواء) أذيع على الهواء مباشرة فى مساء يوم السبت الموافق 7 يوليو عام 2001 م . وأيضاً بعد عدة ندوات ثقافية ودينية فى منتديات ثقافية ومراكز إسلامية فى عدة مدن بجمهورية مصر العربية طُرح فيها العديد من الاستفسارات والأفكار والحوارات والتي وجدت نفسى بعدها فى حاجة إلى إضافة ما استجد من قضايا كنت أحسب أن الغالبية من الناس تعرفها وتعرف دقائقها غير أنني وجدت تشويشاً والتباساً وخطأً لدى الكثير من الناس .

لكل تلك الأمور وجدتني مدفوعاً لإخراج هذه الطبعة الثانية مع مراعاة - من جانبي - التدقيق الشديد فى تصويب الأخطاء المطبعية التي وردت فى الطبعة الأولى والتي حدث بسببها بعض الالتباس خصوصاً ما مس منها بعض كلمات من آي الذكر الحكيم فى مواضع مختلفة دون قصد منى بالقطع نتيجة لكثافة المجهود الذي قد بذلته أثناء إخراج الطبعة الأولى. منها على سبيل المثال كلمة (إذْ) وردت (إذا) وكلمة (إنه) وردت (إن) وكلمة (قال) وردت (قل) كما سقطت سهواً دون عمد بعض الحروف والكلمات فى قليل

جداً من آيات القرآن الكريم التي استشهدت بها في دراستي وقد فوجئت بتلك الأخطاء بعد طباعة الكتاب فحزنت كثيراً لذلك. وإنني إذ آلمني وأهمّني ما حدث أعتذر عن ذلك بشدة وأرجو أن يلتبس لي القراء العذر فيما حدث لكثافة المجهود وإجهاد البصر ومشقة العمل الذي أدبته وحدي من الألف إلى الياء أي منذ الحصول على المراجع والمصادر المختلفة حتى الطباعة - بنفسى - مروراً بالعرض العلمي التاريخي والديني والمراجعة وعمل المونتاج الفني لأصول الكتاب .. الخ .

وإنني إذ أحمد الله كثيراً على تمام ذلك العمل في الطبعة الأولى وأيضاً في هذه الطبعة (الثانية) بعون الله وحده فإنني لا أجد ملجأ من الله إلا إليه طالباً العفو من الله الغفور الرحيم على ما حدث من أخطاء مطبعية لم أدركها في وقتها في بعض الكلمات من بعض آيات القرآن الكريم الذي اتخذته حكماً عدلاً في دراستي هذه عسى الله أن يتقبل منى هذا العمل ابتغاء وجه الكريم وابتغاء مرضاته جل شأنه في إعلاء كلمة الحق والصدق والدين فهو وحده جل علاه العليم بما في الصدور . اللهم إليك أنبت . وعليك - سبحانه - توكلت وإليك وحدك المرجع والمصير . اللهم فتقبل . اللهم فاشهد .

د . حسن عوض

عضو اتحاد كتاب مصر

بنها في 19/1/2001

الفصل الأول

رؤية دينية / تاريخية

مَهَيِّدٌ

لنتناول المسألة الإسرائيلية / اليهودية / الصهيونية هناك طريقان أساسيان هما الدين والتاريخ . لأن التاريخ الإسرائيلي شديد الارتباط بالجانب الديني حيث تقوم الفكرة الصهيونية (السياسية) على التاريخ التوراتي (الديني) لتأصيل وترسيخ المفاهيم اليهودية انطلاقاً من نصوص العهد القديم الذي يرسم الخطى ويوجه دفعة المتلقي إلى الوجهة التي أرادها كاتبوا تلك النصوص سواء كان ذلك مطابقاً للتاريخ وموافقاً له أو منحياً للثوابت التي باح بها التاريخ وأثبتها لغير صالح النص التوراتي (المحرّف والمختلق) .

والباحث المنصف الجاد ليس له إلا أن ينحّي النص التوراتي جانباً قبل أن يشرع في تناول الموضوع من كل جوانبه ليضمن السلامة لنتائجه وفيما يتوصل إليه لأسباب كثيرة سنتناولها في دراستنا هذه . أما إذا وضع الباحث النص التوراتي ليقوده إلى النتائج فإن كثيراً من تلك النتائج سيشوبها القصور إن لم يكن التضليل في أغلب الأحيان . وإضفاء صفة القداسة على التاريخ الملفّق وإلباسه ثوبا فضفاضاً ليشمل كل الطموحات اليهودية أمر غير علمي ولا موضوعي .

والطرح الديني / التاريخي أو التاريخي / الديني أيهما أولى بالبداية . لا يشكل معضلة فكرية اللهم إلا وضع النقاط فوق الحروف وإضاعة الطريق لاستجلاء المعالم واستنارة المسالك كي لا يضيع الجهد فيما لا طائل منه .

والعثرات - أية عثرات - إذا ما نحيناها في البدء نضمن سلامة المسير
وقلة المخاطر والمزالق . وتأصيل المنهج وتأطير النهج وإزاحة العثرات منذ
البدء أمر ضروري وهام للتوصل إلى نتائج يوثق بها ولا يشوبها الاعتوار .
ولذا فقد آثرت البدء بالطرح الديني / التاريخي حتى تتجلي ظلمات الميل
والزيغ والحَيَدة عن الحق بعد ترسيخ المفاهيم وتأصيلها وتوثيقها بما هو أجدر
وما هو أحق .



مفهوم الدين و الشريعة

خلق الله الإنسان واستخلفه فى الأرض . ليعمرها بعدما سخر الله له كل شىء ليعينه على ذلك . فوفر له الهواء والماء والغذاء والكساء . وأعطاه العقل ليميز الأشياء . ويبتكر ما يعينه على الحياة والرقى والتطور . وأرسل له الرسل كل فترة من الزمان ليعيدوا له الاتزان فى سعيه وحياته. وليهدوه إلى طريق الرشاد والخير كلما أغواه الشيطان وأضله . وليعلم الإنسان أن عليه واجبا هاما يلزمه طيلة حياته على الأرض. مطلوب منه حسن الأداء لتكون عاقبته حسنة وليرض عنه خالقه :

***وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون *** ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (1).

وتعاقب الرسل كان لتصحيح مسيرة الإنسان كلما حاد عن الطريق . طريق شكر الله وحده على نعمائه . طريق إفراد الله بالعبادة لكونه - سبحانه- الأحق بذلك . دوننا عن باقي المخلوقات وتفرداً له وحده دون شريك . وكلن من رحمته جل شأنه أن ابتعث الرسل من الناس وأرسلهم بالدين الحق والشريعة التي تنظم حياتهم وتصلح أحوالهم فى الدنيا والآخرة:

*** وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (2)**

ومن رحمته أيضا - جل شأنه - أن بعث فى كل أمة رسلا على مدار الزمان :

* ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (3)
وهؤلاء الرسل هم سفراء من الله إلى البشر بالبشارة والنذر حتى لا
تكون هناك حجة من الناس يوم الحساب :
* رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان
الله عزيزاً حكيماً. (4)

ولم يترك الله - سبحانه - خلقه يهيمون فى الأرض على غير هدىّ يتعبدون
المخلوقات الأخرى فيلتمسون عندهم الأمن والرزق من دون الله . ومن هنا
كانت الحاجة المستمرة لابتعاث رسل الله لخلقهم أجمعين . فكانت الرسالات
والكتب المنزلة من قبل الله لتصحيح مسار البشرية كلما انحرفت عن جادة
الصواب وعبدت المخلوقات من دون الخالق اتباعاً لغواية وضلال الشيطان
عدو الإنسان الدائم والملازم له طيلة حياته . وكل هذه الرسالات - السماوية -
يبلغها أنبياء الله ورسله لأقوامهم لترسيم وترسيخ شريعة الله وأوامره ونواهيه
بما فيه خير الإنسان وصلاحه فى الدنيا والآخرة . والديانات والرسالات
السماوية ليست تأريخاً للشعوب أو القبائل بقدر ما هى منهاج حياة ونبراس هداية
وعظة وعبرة لغيرها من الأمم . ولإقناع الناس بصدق النبوة أو الرسالة تكون
هناك الحاجة الماسة إلى إظهار المعجزات والآيات من قبل الخالق للدلالة على
أن الأمر من عند الله لا من عند غيره . فنرى على مسيرة البشرية معجزات
للرسل والأنبياء تنتهى بانتهاء النبوة أو الرسالة وتظل عالقة - المعجزات - فى
الأذهان تتناقلها الأجيال حتى تنسى بمضى العهد وطول الأمد . فتأتى رسالة
أو نبوة أخرى لتعيد تأكيد ماسبق وتذكر الناس بحق الله عليهم من إفراده
بالعبودية وتنزيهه عن الشريك والند . وهكذا تستمر مسيرة البشرية على مر
الزمان وعند غياب الوازع والوعى الدينى واتباع الهوى تتحرف المسيرة ليتخذ
كل إنسان معبوداً له من دون الله . ويتبع - حينئذ - هواه وما يمليه عليه عقله

ورغباته ليتمثل له معبوداً ويبتدع له شعيرة وطقوساً يظن فيها الرشاد وينتظر من معبوده - الوثن - القبول والنجاح والفلاح فيما يسعى إليه ويبتغيه بظنه. وتنشأ تبعاً لذلك الأساطير والخرافات والشعائر الباطلة .

فالأساطير فى حقيقتها بدأت كفكرة يشيعها الخوف من المجهول والتماس المدد والعون والتأييد انقاءً للشُرور وجلباً للخيرات. وبتعدد الحاجة تعددت المعبودات والآلهة وتعددت شعائر استرضائها والتزلف إليها واستجلابها وقت الحاجة إليها. فالشعيرة ربما لا تتصل بعقيدة صارمة بل أسطورة كما يظهر ذلك جلياً فى اليونان القديمة . إلا أن الأساطير المتعلقة ببعض المقدسات والطقوس الفردية مجرد جزء من المؤسسة الدينية مع ملاحظة أن العابد . كان مخيراً بين عدة تفسيرات للشيء نفسه ولم يكن الإيمان بسلسلة من الأساطير أمراً إلزامياً باعتباره جزءاً من الدين ولا كان يفترض أن يكتسب المرء بإيمانه مكانة دينية ما أو يحظى بعطف الآلهة . وعليه فالأساطير فى كل الحالات كانت تستقى من الشعيرة لا العكس . فالشعيرة الدينية ثابتة وإلزامية أما الأسطورة فمتغيرة ومتروكة لاختيار العابد . ومن المسلّم به أن الأسطورة ليست تفسيراً لأصل الشعيرة الدينية بالنسبة لمن لا يؤمن بأنها رواية لبعض الأحداث الحقيقية . وعليه فعند دراسة الديانات القديمة ينبغى علينا أن نبدأ لا بالأسطورة بل بالشعيرة الدينية والعرف الموروث . وكذلك لا ينبغى أن نبدأ بالتساؤل عما ورد عن الآلهة بل عن ماهية المؤسسات الدينية العاملة وكيفية صوغها لحياة أتباعها (5).

ففى المجتمعات القبلية أو القومية فى العالم القديم لم يكن هناك فارق بين الدين والحياة اليومية . فكان كل فعل من الأفعال الاجتماعية يتضمن إشارة إلى الآلهة والبشر على السواء إذ لم يكن الكيان الاجتماعي يتألف من البشر وحدهم

بل من الآلهة والبشر معا . إلا أن الديانة التقليدية العادية التى اعتنقها الناس فى اليونان وروما على السواء لم تخرج عن الطابع البدائي بدرجة كبيرة . وكان التفكك النهائي للديانة القديمة فى البلاد ذات الحضارة الإغريقية والإيطالية قد جاء أولا على يد الفلاسفة ثم الديانة المسيحية . أما فى المجتمعات الحرة القديمة فى الأراضي السامية الشمالية فقد كان تأثير الدين والمجتمع المدني على السواء . فلم يعد مجتمع الدين الواحد يتطابق مع الدولة . واستمر الترابط القديم بين الحياتين المدنية والدينية ولكن بصورة مختلفة . ولما كانت المجتمعات السامية القديمة تتسم بصغر الحجم والتباعد بسبب الضغائن المستمرة فيما بينها لذا كان لابد من عودة الخصوصية الإقليمية التى ميزت المجتمع السياسي إلى الظهور من جديد فى مجال بناء الدين على مبدأ التضامن بين الآلهة وأتباعهم . فأعداء الإله وأعداء شعبه سواء . ومادامت آلهة المجتمعات السامية على اختلافها كانت تشارك على هذا النحو فى العداوات الموروثة لدى أتباعهم كان من المستحيل على الفرد أن يغير ديانته دون تغيير قوميته كما لم يكن من الممكن لمجتمع بأكمله أن يغير ديانته دون أن يذوب فى جنس شعب آخر .

وكان الاندماج الاجتماعي بين مجتمعين يؤدي إلى اندماج ديني مواز . وكان هذا يحدث بطريقتين :

1- إلهان يندمجان ليصبحا إلهاً واحداً . (جمعت غالبية بنى إسرائيل بين يَهُوَه فى ديانتهم المحلية وبعُليم إله المرتفعات عند الكنعانيين . ونقلوا عنهم طقوس المزارات المقدسة فى عبادته دون أن يروا فى ذلك ما ينم عن تراجع ولائهم ليَهُوَه عن ذى قبل) .

2- اندماج أتباع الآلهة فى دولة موحدة فتندمج الآلهة على اختلافها .
(كان تميز الآلهة أكبر من أن يفقدها تفردهما واستقلاليتها) (6) .

وفى العالم المصري القديم لا يستطيع المرء أن يلم إماماً كافياً بأسماء الآلهة المصرية القديمة التى جمعها عالم المصريات الفرنسي (بيريه) فيما أسماه مجمع (بانثيون) الآلهة المصرية (على غرار البانثيون اليوناني) إذ أن عدد هذه الآلهة يربو على الألفين . ولا يهولن القارئ هذا الرقم الضخم فترسب فى وجدانه تلك الفكرة الفجة بأن الديانة المصرية لم تكن أكثر من ديانة بدائية ذلك لأن الكثيرين من علماء المصريات - بعد دراسة مستفيضة للنصوص الدينية التى تحت أيدينا - قد أعلنوا بوضوح أن الديانة المصرية قد تخلصت منذ زمن مبكر - قبل أى شعب آخر - من طابعها البدائي ومضت قُدماً نحو التوحيد الإلهي ووصلت إلى أرقى التصورات العقلية فيما يتعلق بطبيعة الإله الخالق وعلاقته بالمخلوقات والثواب والعقاب وما بعد الموت . وهو الميراث الذي أخذه العبرانيون والإغريق وصدروه بإسمهم . بإسم الدين أو الفلسفة . وإذا كانت الديانة المصرية قد ظلت تحتفظ حتى عصر متأخر بأسماء الآلهة المحلية فإن هذه الآلهة كان دورها يقتصر على الدور الذى يلعبه الآن القديسون والأولياء والشفيعون فى عصرنا الراهن دون أن يمس ذلك وحدانية الله أو سمو الأخلاقي للدين (7) .

وكان من أهم الآلهة المصرية القديمة :

1- أوزيريس (أوزير) :

وهو إله الموتى . وهو أحد (سادس) أعضاء التاسوع الإلهي فى أون [تمو ، شو ، تفنوت ، سب ، نوت ، أوزيريس ، إيزيس ، ست ، نفتيس]

وقد جُسد (أوزيريس) فى طبيعة الحياة الأبدية وسرعان ما أضيفت عليه

صفات (رع) و (أتوم) وغيرهما من الآلهة . وصار فى النهاية إلهاً للموتى وللأحياء أيضاً وسيداً للأبدية ورئيساً لمحكمة الآلهة فى العالم الآخر . وكتجسيد للموت والبعث كان يروق للمصري أن يتوحد به بعد موته لدرجة أنه لا يخاطب بإسمه بعد الموت إلا مقترناً باسم أوزيريس ، وثالوث (أوزيريس - إيزيس - حورس) وهو ما يسمى بالثالوث الأوزيرى كانت تُصنع له التماثيل الصغيرة الدقيقة التى يحملها المصري معه أينما ذهب . وهذا الثالوث قد تجاوز حدود مصر إلى بلاد الإغريق والرومان وحتى الهند شرقاً وفرنسا غرباً . وظلت طقوس العبادة تمارس حتى ظهور المسيحية بأكثر من أربعة قرون .

2- إيزيس (إزيت) :

وهى زوجة (أوزيريس) الوفية وأم (حورس) وابنة (سب) و(نوت) . ووردت أوصافها فى مختلف النصوص على أنها الإلهة العظيمة والأم المقدسة . وفى عصر متأخر سميت أم الآلهة وكانت تمثل غالباً على هيئة امرأة ترضع طفلاً (حورس) وكانت البقرة حيوانها المقدس وقد تحولت من إلهة محلية (فى الدلتا) إلى إلهة عالمية غزت العالم القديم .

3-حورس (حرو ، حرور) :

وهو الإله الشمسي البالغ القدم ويمثل على هيئة صقر وهو أول كائن عبده المصريون . أما حورس بن إيزيس فيمثل دائماً على هيئة طفل وإصبعه فى فمه .

4-ست (ساتى ، سوتخ) :

وهو فى الأسطورة الأوزيرية يمثل إله الشر الذى يجب محاربته أو مداهنته وتجنب شره . وهو معبود الهكسوس.

5- نفتيس (نبت - هات ، نبت حت):

وهى ابنة (سب) و (نوت) شقيقة أوزيريس وإيزيس وشقيقة وزوجه (ست) .

6- أنوبيس (إنبو) :

سيد الجبانة ورسول (أوزيريس) وحامي المومياء . ونراه حارساً وضابطاً للميزان فى النقوش ويصوّر على هيئة إنسان برأس أبى آوى (الثعلب) .

7- تحوتى (تحوت، توت) :

وهو إله الحكمة وهو الذى نطق بالكلمات التى أوجدت العالم وقام بتنفيذها الإلهان (بتاح) و (خنيمو) . وفى اللاهوت القديم اعتبر خالق نفسه والإله العظيم للأرض والسماء والبحر والهواء . وينسب إليه الإغريق كل ما يتعلق بالسحر أو الهرمزية (نسبة إلى نظيره اليوناني هرمز) . وهذه القدرة السحرية تفسر حرص المتوفى على شفاعته لأنه القادر على حمايته من القوى الشريرة التى تعترضه وهو الذى يمنح المتوفى ملايين السنوات من الخلود . وفى الحياة الأخروية يلعب دور القاضي ويظهر غالباً فى صورة إنسان برأس طائر أبى منجل (أبيس) محاطاً بتاج أو قرص يحتضنه قرنان قابضاً على علامة الحياة (الأنخ) فى يده اليمنى وفى يده اليسرى رمز السيادة . وأحياناً يمسك بالمحبرة ورمز الهلال البيضاءوى . وكثيراً ما يظهر فى صورة قرد ممسكاً بأدوات الكتابة .

8- ماعت :

وتشمل معان متعددة مثل الحق والعدل والصدق والحقيقة والاستقامة والجوهر وما لا يقبل التبدل أو التغير .. الخ .

وماعت ابنة (رع) وزوجة (تحوت) وتُجسّد على هيئة سيدة جالسة تحمل على رأسها ريشة العدل والحق .

وتظهر فى صورتين (فى المحاكمة) إحداهما تجسد القانون الوضعى والأخرى تمثل القانون الإلهي أو الإنسانى أو الأخلاقى .

9-حتحور (حت - حرو ، حت - حرت) :

إلهة الحب والجمال والسعادة . تصورها المصريون على هيئة بقرة كان (حورس) إله الشمس يشرق ويغرب بين كفليها . واعتبرها الإغريق مثلية للإلهة (أفروديت) . وكانت على صورة لبؤة متوحشة تلتهم لحم أعدائها . وقد وجد المصريون أن طبيعتها الجميلة الوداعة لا تتعارض مع صورتها المخيفة تلك التى تشبه الإلهة (سخمت) . فالحب يجمع بين النقيضين معا .

وتنقسم الديانات إلى :

1- ديانات روحية : وهى تلك التى يبحث بها الله الرسل . (ديانات سامية) مثل الديانة المسيحية واليهودية. وفكرة الأبوة الإلهية فيها مُنبَتة عن الأساس المادي للأبوة الطبيعية (البنوة لله مسألة تشريف ومِنَّة) .

2- ديانات مادية : وهى تلك الديانات الوثنية التى تكون فيها أبوة الإله أبوة مادية (عند اليونان) (ديانات آرية) . وللدلالة على الفارق الجوهرى بين المفهومين الآرى والسامى فيما يتعلق بالطبيعة الإلهية يقال أن الأساطير الآرية التى تتصرف الآلهة فيها كالإنسان ويختلطون بهم بل ويشتركون معهم فى حياة واحدة لا مكان لها فى الديانة السامية . إلا أن هذه الفرضية لا أساس لها . وباستثناء الأدب المسمارى البابلى فليست هناك

كتابات قديمة عن الوثنية السامية . غير أن الساميين لم يكن لديهم شعور ملحمي أسطوري مقارنة بنظيره عند اليونان (الإغريق) إلا أن العبقرية السامية كان يشوبها القصور فى مجال الإبداع المنظم والمثابر (الشعر العربى القديم ليس له صلة كبيرة بالدين وليست هناك أساطير كثيرة فى أشعار الجزيرة العربية الوثنية) .

وفى واحدة من الآثار القليلة من الأساطير القديمة تم زرعها ضمن النقوش العبرية دون تغيير نقرأ عن أبناء الآلهة ممن اتخذوا زوجات من بنات البشر وأصبحوا آباءً لأبطال العصور الغابرة (إزدوبار فى الأساطير البابلية وهو من لم تأنف الإلهة عشتار من أن تمنحه نفسها) .

والشعوب السامية القديمة تزعم انتسابها لجد واحد وتنتشر فى ديانتهم القومية فكرة فحواها أن الإله وأتباعه ينتمون لأصل واحد وهو ما يُعدّ دليلاً قوياً على أن أسس ديانة الساميين قد وضعت قبل بدء التاريخ المكتوب بحقب بعيدة فى عصور سحيقة كانت القرابة فيها هى النمط الوحيد المعترف به للعلاقة الودية بين أفراد بنى البشر ثم بينهم وبين كيان غيبى ما . ويلاحظ فى مختلف أركان المنطقة السامية أن هناك آلهة كانت فى الأصل إناثاً ثم غيروا جنسهم وتحولوا إلى آلهة ذكور (عشتار تحولت إلى عشتَر) .

ويلاحظ أيضاً أن القبائل الرعوية البدائية التى كانت قطعانها تتكون من أبقار وثيران كانت تعتبر أن البقرة والثور من الكائنات المقدسة التى لم تكن لتؤكل أو لتذبح أو لتقتل فى أقدم العصور إلا كقرايين .

ولا يمكن الزعم بأن الدين القديم كقوة اجتماعية وسياسية قد فشل فى أداء مهمته فى المراحل الأولى من تطور المجتمع السامى إلا أن صلتَه بنظام

الأسرة والعشيرة التقليدية الموروثة كانت أوثق من أن يحتفظ بحيويته الكاملة مع انهيار النظام الاجتماعي . وحين تغيرت حدود الشعوب (بالهجرة القبلية أو بالترحيل الجماعي كما فى سياسة الآشوريين الغزاة) كان من الطبيعي بالنسبة للقادمين الجدد أن يسعوا إلى الانضمام إلى المعابد التى يُعبد فيها إله البلاد المحلى وكان يفلحون فى ذلك بتقديم أنفسهم بإعتبارهم رعايا له (لم يكن رعايا الإله يفتقون بالضرورة من أتباعه القدامى موقف التبعية السياسية) إلا أن العلاقة بين أتباع الإله الجدد والإله لم تعد كما كانت فى النظام القومي القديم بل فقدت قدراً من ثباتها واستقلاليتها(بالخضوع من جانب الأتباع والسخاء من جانب الإله) . وعندما كانت العلاقة بين الإنسان والإله تزداد تباعداً بدأ البشر يزدادون خوفاً من الإله ويبدون مزيداً من المذلة فى تعبدهم له فى حين أن مشاعر الإخلاص كانت تنمو باضطراب نتيجة للاعتقاد بأن رضا الإله وعطفه كان مئة منه لا حقاً مكتسباً . (نجد فكرة تبعية بنى إسرائيل للرب وإقامتهم فى أرض لاحقاً لهم فيها معتمدين على سخائه اعتماداً مطلقاً كما ورد ذلك فى التوراة) أى التقوى المشوبة بالجبن و التى ميزت اليهودية فى حقبة ما بعد السبي البابلى عن بنى إسرائيل القديمة. كان الرعايا الجدد يتم قبولهم على أساس حسن سلوكهم⁽⁸⁾ . وكانت روح الشرعية فى اليهودية ترتبط بالجدية الأخلاقية الحقة أما عند الساميين الوثنيين فنجد نفس روح الشرعية ونفس الشك الخفى تجاه موقف الإنسان من الإله الذى يحتاج إلى حمايته فى حين أن الفكرة عما يرضى الإله لم تكن قد ارتفعت لنفس المستوى الأخلاقي بعد .

وكانت الفكرة العبرية عن الملكية الإلهية (تبعية الفرد للإله) باعتبار الرب إلهاً يحب شعبه تتوقف على ناموس الحق المطلق . واندمجت المفاهيم

عند بنى إسرائيل وحدهم فى ديانة الإله القومي السائدة بينهم .

ومن المعلوم أن كل الأفعال الدينية القديمة لها تجسيد مادى . وهو أمر لم يُترك لاختيار العابد بل تحكمه قواعد محددة . فهي لاتمارس إلا فى أماكن محددة وفى أوقات محددة وبأدوات مادية محددة وفقا لآليات محددة⁽⁹⁾. أى أن البشر لا يستطيعون إقامة حوار مع الآلهة إلا من خلال أشياء مادية محددة.

وفى الأساطير البابلية نجد أن الإنسان والحيوان خُلقا من طين ممزوج بدم إله كما أن قصص انحدار الإنسان من نسل الآلهة عند اليونان تقف جنباً إلى جنب مع الأساطير القديمة التي تحكى عن نشأة الإنسان من الشجر أو الصخور أو عن أجناس من البشر وُلِدوا من أم شجرة وأب إله . ولنفس هذه المرحلة من مراحل التطور الفكرى تنتمى حكايات مسخ البشر فى صورة حيوانات (أساطير الجزيرة العربية وأساطير المسخ عند ساميى الشمال التى وصلت إلينا فى أشكالها الإغريقية) وأيضاً فى الفن التشكلى يتضح الولع بالوحوش الخرافية التى يكون نصفها بشرياً ونصفها الآخر حيوانياً (فى كلدانيا وبابل وفينيقيا) .

ولعل تأثير هذه الأفكار على الأنساق الدينية المبكرة أمر يمكن تناوله فى نقطتين :

- 1- إن نطاق الغيبىات شاسع لدرجة أن الدين القديم يحاول أن يتعامل مع كل مظاهره (السحر وقراءة الغيب) .

2- لم تكن للآلهة سمات تميزها بوضوح من حيث طبيعتها عن أنساق الكائنات الشيطانية الأدنى أو حتى عن المحسوسات التي كان يُعتقد أن لها صفات شيطانية وتكمن سمتهم المميزة في علاقتهم بالإنسان (أتباعهم) .

ويمكن النظر في العلاقات المحلية بالآلهة من ناحيتين :

أ- كانت قوة نشاط الآلهة ونطاق سيطرتها يُعتقد أنه محدود ببعض القيود المحلية .

ب- كان من المعتقد أن الآلهة تتخذ من المعابد سكناً ومقاماً لها.

وهذان المفهومان لا ينفصلان حيث كان نطاق السلطة والنفوذ الإلهيين يحيط بالمعبد مقر الإله (كنعان أرض الرب يَهُوه وشعب بنى إسرائيل شعب الرب يَهُوه)⁽¹⁰⁾

وأن الإله لا يُعبد خارج أرضه (تُعتبر البلاد الأجنبية في لغة العهد القديم أرضاً نجسه)⁽¹¹⁾.

وكان يُعتقد في عقيدة القدماء أن الآلهة الوثنية لم تكن قادرة على كل شيء بل يُعتقد أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً إلا في وجود كهنتها وأن نطاق سيادتها ونفوذها الدائم ينحصر في مقرها .

وفي أقدم أشعار العبرانيين حين يَحْلُقُ الرب فوق أرضه - في العاصفة - فإنه لا ينطلق من السماء بل من جبل الطور وكان إيجاد أقداس جديدة وإنشاء هياكل جديدة ومعابد لا يتم إلا في المكان الذي قدّم الإله دليلاً قاطعاً على وجوده فيه (بالتجلي لأتباعه) . وكان التجلي في الأسفار الأولى من التوراة

يؤخذ دائما على أنه مبرر قوى لتقديم القرابين فى نفس المكان . فنجد
(شاول) بنى مذبحاً فى موقع انتصاره على الفلسطينيين⁽¹²⁾ . وأيضاً يقدم
(جدعون ومنوح) قربانا فى المكان الذى تلقيا فيه رسالة من الرب⁽¹³⁾ .

والرب فى ديانة العبرانيين ليس قريبا فى كل مكان وزمان - كما
يشيرون - وليس شرطاً أن تكون التجليات حديثة بل يفترض أنها حدثت من
قبل ومن المفترض أن يتجلى الرب عندها مرة أخرى . فحين يرى يعقوب
(إسرائيل) فى المنام تجليا إلهيا فى (بيت إيل) يستنتج أن الرب حاضرا
هناك وأن المكان هو (بيت الرب وبوابة السماء) ولذا فقد ظل (بيت إيل)
يُعدّ أحد الأقداس الكبرى حتى السبى البابلى (ومثلها بيت شكيم وبيرسبع)
وكانت تلك الأماكن تُعدّ وثنية فى نظر الأنبياء (لأن الرب قريب يجيب
دعوات البشر فى كل مكان والرب يعبد فى كل مكان) .

وللشياطين - كما للآلهة - أقداس خاصة . وهى أماكن لها رهبتها
وخطرها عند الأتباع . والجن غرباء وبالتالي فهم أعداء (وفقا لقانون
الصحراء والبدواة) فى حين أن الإله فى نظر أتباعه الذين يترددون على
قدسه قوة معروفة وصديقة .

وانتصار الآلهة على الشياطين كانتصار الإنسان على الوحوش لابد وقد
حدث بصورة تدريجية ولم يستقر إلا فى المرحلة الزراعية حيث أصبح إله
الجماعة هو نفسه سيد الأرض وواهب كل ما بها من طيبات وخيرات .
وببلوغ هذه المرحلة فإن الشياطين والأرواح الخبيثة إما طردت إلى الخرائب
والأماكن المهجورة أو تراجعت مكانتها لتصبح كائنات تابعة لا يحسب لها
حساب إلا فى الغيبات الفردية الخاصة دون أن تكون لها صلة بالديانة العامة

(وهذا هو الرأى الذى شاع بين العبرانيين القدماء والذى ساد أيضا - بالطبع بين جيرانهم الكنعانيين) . والفارق بين ماهو (مقدس) وما هو (عادى) من أهم النقاط فى الدين القديم .

وقداسة الآلهة تعبير يصعب حصره فى معنى محدد بمعزل عن قدسية بيئته المادية المحيطة به وتتجلى فى الحرمة التى تُضَفَى على الأشخاص والمواضع والأشياء والأوقات التى يتم التواصل بين الآلهة والبشر من خلالها (ممارسة الكهانة أو الطقوس أو الصلوات) .

وكانت القرابين فى الديانة القديمة وسيلة من وسائل الدعاء والتضرع وكان العابد حين يقدم قربانه يتطلع إلى دليل ملموس ينم عن إجابة دعائه (كأن يغوص القربان فى أعماق الآبار وعيون المياه المقدسة أو المحرمة إذا ما حاز القبول أما إذا طفا على السطح فلا قبول للدعاء والطلب) . والطقوس الدينية العامة عند الساميين - فى الدين القديم - يتم التعبير عنها وممارستها لبيان مدى الثقة فى العناية الإلهية التى تخص الجماعة فى مهامها وأهدافها العامة . (يلتقى أعضاء الجماعة لتناول الطعام والشراب - مثلا - على مائدة إلههم فيتجدد إحساسهم أنه معهم) . وطبقا لذلك فإن الجماعة حين تتحد فى كيان واحد مع نفسها (أخوة العقيدة والدين) وفى كيان واحد مع إلهها فإن لها أن تفعل ما تشاء مع كل من هم خارجها طبقا لما تنص عليه تلك الديانة. فأصدقاءها أصدقاء الإله وأعداؤها هم أعداء الإله . وفى العهد القديم نجد أن المائدة المشتركة كانت تُعد لإبرام التحالفات (التحالف كان ملزماً غير قابل للنقض) .

والقرايين - فى الأصل - يلتهمها الأتباع وشيئاً فشيئاً توقف التهام بعض أجزاء القرايين العادية وكل لحم القرايين غير العادية (قرايين التكفير) . وما كان يلتهم كان يُحرق وبمرور الزمن أصبح يُحرق على المذبح ويعتبر منحة للإله. وكان الهدف العام للطقس (القريان) هو الحفاظ على رباط القدسية المادية التى تحفظ وحدة الجماعة الدينية (القرايين العادية) .

وهناك نوع من (القرايين المقدسة) تُقدم فى عدد من المناسبات دون وجود إحساس بالخطيئة (مثل استهلال الحملة العسكرية بتقدمة قربان يُحرق وكان الغرض منه مباركة المحاربين) (قديش ملحمة) وهو ما كان يُعد من أشد القرايين قدسية فى إسرائيل القديمة .

والقرايين التكفيرية السنوية التى كان يُحتفى بها بطقوس استثنائية ينبغى إرجاع أصلها الأول إلى إحساس متنام بالخطيئة أو الخوف من غضب الإله (مثل عيد الفصح العبرانى فى شهر نيسان / أبريل فى الربيع وعيد الغفران الكبير) . وقرايين التكفير الخاصة (الفردية) التى يقدمها الفرد عن خطاياها تعد طقساً دينياً حديثاً نسبياً.



اليهودية دين ودينا

كشف (جاك أوستراك) الطبيب الفرنسي (1684 - 1766م) عن وجود اسمين مختلفين للإله في سفر الخروج : إلهوهم ، يَهْوَه .

واكتشف (أوستراك) أن الأجزاء التي تستخدم اسم (إلهوهم) تزوى رواية مختلفة عن تلك التي تستخدم اسم (يَهْوَه) . وأنه قد أُستخدم اسم (إيل) في سفر التكوين أكثر من اسم (يَهْوَه) ومنه جاءت تسميات إسرائيل وإسماعيل . والمعروف أن الإلهوهم (الآلهة) هو جمع للإسم (إيل) أى الإله السامي .

والتوراة إسم يُطلق مجازاً على أسفار العهد القديم لكنه فى الحقيقة يختص بالأسفار الخمسة الأولى وهى :

التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية (تثنية الاشتراع) .

وكلمة (سِفْر) معناها كتاب وجمعها أسفار وأُصطلح على إطلاق الاسم على جزء مستقل من أجزاء العهد القديم . وهذا الجزء يُجمع تحت عنوان يحمل دلالة حدث هام مثل التكوين (خلق السماوات والأرض) أو الخروج (خروج بنى إسرائيل مع موسى من مصر) أو يسمى على (إسم قبيلة أو سبط يهودى) مثل اللاويين . أو (شخص) مثل أيوب وعوبديا وإرميا أو إسم غير محدد مثل المزامير والجامعة وأخبار الأيام والملوك ... الخ .

كذلك (العهد القديم) أطلق على هذا الجزء من (الكتاب المقدس) تمييزاً له عن العهد الجديد (الإنجيل) كتاب المسيحيين المقدس .

والنص العبراني الذي بين أيدينا اليوم يضم تسع وثلاثون سِفراً تُقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

التوراة - الأنبياء - الكتب .

وهذه الأقسام الثلاثة تسمى بالعبرية تناخ أو تنخ Tankh

(الاسم مشتق من الحروف الأولى للكلمات العبرية (توراة نبيئيم - كتوبيم) كذلك يسمى هذا الجزء المعتمد عند اليهود باسم (المقرأ) أى النص المقروء و (المصورة) أو المصورات نسبة إلى العلماء المصورين الذين بحثوا فى الحروف الصوتية للغة العبرية . والنص النهائى (للتوراة الماصورية) انتهى وضعه فى القرن الثامن الميلادي وهو يختلف اختلافا طفيفا عن الترجمة اليونانية التى ترجمها حوالي سبعين شخصا فسمى (النص السبعينى) وقد وضع هذا النص خلال القرن الثالث ق . م . وبشيء من التفصيل فإن الأسفار الخمسة الأولى هي :

1- التكوين : وتبدأ بحكاية خلق الكون فتسرد سلالة الإنسان منذ

آدم مروراً بقصص نوح والطوفان وسيرة إبراهيم (عليه السلام) من وجهة نظر يهودية ثم سيرة ذريته مع التركيز على إسحاق ويعقوب (الذى يسمى فيما بعد بإسرائيل) وهجرة يعقوب وراء ابنه يوسف إلى مصر .

2- **الخروج :** ويقص محنة بنى إسرائيل فى مصر إلى أن بُعث فيهم موسى فيقودهم للخروج من مصر إلى برية سيناء حيث يتيهون فيها أربعين عاما إلى أن يدخلوا الأرض المقدسة بقيادة يشوع بن نون فتى موسى (الصلوات) وقائد جيوشه.

3- **اللاويين :** ويركز على الشرائع الكهنوتية ويرسخ مكانا خاصا للكهنة فى شعب إسرائيل .

4- **العدد :** وينظم بنى إسرائيل ويحصيهم حسب إرادة الإله ثم يسرد جانباً من سيرة موسى (الصلوات) وتذمرات بنى إسرائيل عليه .

5- **تثنية الاشتراع (التثنية) :** وفيه يتم إعادة نص الشريعة التى وردت فى سفر اللاويين بصيغة أخرى فيجنىح بشكل غير مباشر لإقرار الحكم الملكوتى فى إسرائيل . وقد دون هذا السفر فى القرن الثامن ق. م ويقال أن التشريعات التى وردت مأخوذة عن أمم أخرى (الشوميريين والأكاديين والمصريين) كما سنرى فيما بعد.

ويتألف قسم الأنبياء من أسفار يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى وأخبار الأيام الأول والثانى وإشعيا وإرميا وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجاي وزكريا وملاخى على الترتيب . ويتضمن هذا القسم (الأنبياء) باقى تاريخ العبريين بعد موت موسى (الصلوات) وحتى السبى البابلى فيسرد تاريخ استيلاء العبرانيين على بعض أراضى فلسطين وحروبهم مع جيرانهم من سكانها الأصليين ثم يروى أحداث حكم القضاة الدينيين للشعب حتى تبلغ مملكة إسرائيل أقصى مجدها على عهد النبيين داوود وسليمان (الصلوات) . ومن بعد

سليمان تنفصل المملكة إلى مملكتين على عهد ابنه رجب عام . ثم تمضى الإصحاحات تروى ما قام بين المملكتين من حروب ومناوشات. تشي بالانفصال الاجتماعي والكرامية السياسية إلى أن تنهض مملكة آشور فى العراق فتستولي على مملكة الشمال (إسرائيل أو السامرة) وتسبى سكانها (الأسر ثم النفي) ثم تخلف مملكة آشور مملكة بابل وتكرر الفعل مع مملكة الجنوب (يهوذا) فتقضى على آخر كيان سياسى لليهود فى فلسطين وحتى عصرنا الحالى (القرن العشرين) .

ويقسم البعض أسفار الأنبياء تلك إلى أسفار الأنبياء الأول والأنبياء الآخر الذين كثر ظهورهم مع الأنبياء الأخيرة لإسرائيل فى فلسطين (أيام الكيان السياسى للمملكة) حيث بلغت آثام وشرور بنى إسرائيل مداها . واستتبع اضطراب أحوالهم الدينية اضطراب فى أحوالهم السياسية والاجتماعية إلى أن انتهى أمرهم جميعا إلى السبى فى مدن العراق على يد آشور وبابل .

أما أسفار الكتب الأخرى فتحوى كلمات الحكمة . مثل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد ومراثى إرميا والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا ويغلب على تلك الأسفار (الأخيرة) الطابع الأدبى شعراً ونثراً وتروى قصص وحكم تواترت عبر الأجيال أو ارتبطت بحوادث اجتماعية وسياسية ودينية .

وهناك تورا سامرية وأخرى عبرية . فالتوراة العبرية تحتوى على أسفار مقبولة من اليهود العبرانيين (الجنوبيين) ويطلق عليها الأسفار القانونية الأولى . وهى أسفار مقبولة من كل الطوائف المسيحية . أما الأسفار القانونية الثانية فهى أقل حظا فى القبول وتسمى (الأبوكريفيا) أى

(المخفية) وهو الاسم الذي أطلق عليها من طائفة البروتستانت المسيحية التي رفضت هذه الأسفار باعتبارها مدسوسة على التوراة ولا ترقى إلى مستوى الوحي الإلهي. وتضم موضوعات غير ذات أهمية أو خرافات لم يقبلها اليهود ولا أصحاب التيار الإصلاحى المسيحى (البروتستانت) معتمدين فى رفضهم أن (يوسفوس) المؤرخ والمؤلف اليهودي الشهير لم يذكرها ولم يستشهد بها بعض الآباء الأوائل للكنيسة . وهكذا اعتمدوا على مؤرخ عار من القدااسة لتقرير قضية إلهية هامة وهى ألوهية نصوص مقدسة . ويقال أن هناك أسفار أخرى نفقها اليهود والهراطقة ورفضتها كل الكنائس المسيحية مثل أسفار عزرا (الثالث والرابع) وأسفار المكابيين (الثالث والرابع والخامس) وغيرها . ومن المعروف أن (التوراة السامرية) تلك التى تُنسب لليهود الذين سكنوا مملكة إسرائيل (فى الشمال) واتخذوا مدينة شكيم (نابلس) عاصمة لهم واعتقدوا فى قدسية (جبل جرزيم) .

أما (التوراة العبرانية) فتلك التى تُنسب لليهود الذين سكنوا مملكة يهوذا (فى الجنوب) واتخذوا مدينة أورشلیم (القدس) عاصمة لهم واعتقدوا فى قدسية (جبل صهيون) . وكلاهما قد أقام لنفسه معبداً للإله (هيكلا) فوق الجبل المقدس (جرزيم وصهيون) (14)

ويزعم (السامريون) أنهم هم البقية الباقية على اليهودية الصحيحة وأن الجبل الذى يقدسونه (جرزيم) هو المكان الذى بنى عليه أباهم الأعلى يعقوب (عليه السلام) معبده المكرس للرب . ويرفض السامريون الأنبياء الذين أتوا فى إسرائيل بعد موسى (عليه السلام) ويرفضون الأسفار اليهودية المقدسة الأخرى (ماعدا الأسفار الخمسة الأولى) .

أى أنهم يرفضون المِشْنا والتلمود والمِدرَاش والتي يعتبرونها من أعمال الكفر . ومن هذا الافتراض تُعتبر التوراة السامرية لم تُكتب أو تُجمع أثناء السبى البابلى بل حدثت قبل هذا التاريخ بسنين طويلة .

إن العداء بين يهود مملكتى الشمال والجنوب لا يمكن تجاهله بل تحكى التوراة العبرانية فصوله وهى تؤرخ لمملكة يهوذا . ولذلك فليس مستغربا أن تصف التوراة العبرانية صراحة وفى أكثر من موضع مملكة الشمال (إسرائيل) بأنها مؤسسة على الكفر ورفض الدين التوحيدي والأكثر رفضا وتكيفا للأنبياء وبالتالي فالسامريون (فى نظر العبرانيين) لا يتم الاعتراف بهم كيهود ولا بتوراتهم (التوراة السامرية) بعد السبى الآشوري وصاروا (جوييم) أى غرباء .

أما السامريون (وهم الآن قلة تعد بالمئات) فينسبون أنفسهم إلى (هارون) أخى موسى (ﷺ) ويعيشون فى عزلة عن باقى اليهود من كل الطوائف . والسامريون - فى توراتهم - لا يجسدون صورة الإله بل كل موضع فى التوراة يكون فيه تجسيد يستبدلونه بكلمة ملاك الرب أو ملاك الله (فمثلا إذا كانت التوراة العبرانية تقول ظهر الرب لإبرام تقول التوراة السامرية : وتجلى ملاك الرب لإبرام .. وهكذا) .

على أن علماء الغرب الذين اضطلعوا ببحث ودراسة الكتاب المقدس يتعاملون دائما مع التوراة العبرانية على أنها النص الوحيد المعتمد . وحتى زمن السبى البابلى كان اليهود شبه متفقين على الأسفار الخمسة الأولى من التوراة . وفى السبى لم يحدث اختلاط كبير بين أهل يهوذا (الجنوب)

المَسْبُوبين حديثاً وأهل إسرائيل (الشمال) الذين تم سَبْيهم قبل ذلك بسنين كثيرة (135 عاما) . ومازال هذا الشقاق قائم حتى إبان العودة من السَّبْي (أيام حكم كورش الملك الفارسي) ومن ذلك نفهم أن عَزْرًا * (كاتب التوراة فى السَّبْي) أثناء السَّبْي كانت له وجهة نظر فى التوراة فأعاد صياغة الأسفار الخمسة الأولى منها وأضاف لها ما أضاف فقبل العبرانيون منه ذلك بينما رفض ذلك السامريون واحتفظوا بنسختهم التى حوت الأسفار الخمسة الأولى قبل تدخل عَزْرًا فيها . وعلى هذا فإن التوراة العبرانية هى توراة الأغلبية اليهودية والتى يؤمن بها العالم المسيحى ويسمىها العهد القديم .

وعن توراة موسى (الكَتِّيبُ) يقول (عاطف عبد الغنى) فى كتابه (أساطير التوراة) (15) أنها ربما اقتصررت على الوصايا العشر التى نقشت على لوحى حجر احتواها (تابوت العهد) (16) ونصوص الشريعة التى تخدم قضيتى التوحيد والإيمان . أما (عَزْرًا) صاحب التوراة العبرانية فى صورتها الأخيرة فهو رجل صاحب أيديولوجية سياسية دينية كان جل هدفها أن تجمع شتات بنى إسرائيل من النفى فى بلاد العراق . تجمعهم نفسياً قبل أن تجمعهم عددياً وتقتنعهم بالعودة إلى فلسطين - أرض الميعاد - ولذا فقد شرع عَزْرًا يجمع (أو بالأصح يكتب) للمسيبين تاريخاً مقدساً يربطهم بأول الزمان وآخره فيبرز فيه المواعيد المقدسة بين الإله وإسرائيل . وفى هذا التاريخ اختلط اللاهوت بالسياسة والحكمة بالأسطورة وفلسفات المدنيات التى تأثرت بها اليهود فى تاريخهم . (وجد هوبر (17) أن التوراة لم تُكتب بواسطة موسى وأن

(*) أثبت البحث العلمى أن الشطر الأكبر من العهد القديم قد تم تدوينه فيما بين عَزْرًا (421 ق.م) والفتح الرومانى (63 ق.م) والأدلة كثيرة منها نصوص التوراة الحالية نفسها .

سفر يشوع لم يصدر من قلم يشوع وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة كتب زمن السبى أو بعد العودة إلى فلسطين).

ومفهوم النبوة في إسرائيل أصبح فيه اختلاط بين النبوة الموهوبة من الإله والتنبؤ الجُرْفة أو الصُنعة التي هي من عمل الشيطان تستجلب عن طريق السحر والعرافة (الكهانة) فجعلت استحضر روح الرب واستجلبها يأتى بالعزف المقدس (ميراث طقسى موروث من المعابد المصرية القديمة) . وجعلت صموئيل (مثلاً) يعين ويعزل الملوك ويمسح الأنبياء في إسرائيل ويرضى ويسخط ويمسك السيف بيده فيقطع به رقبة أسير أعزل . وجعلت (أيضاً) ناثان يحاكم النبي داود (عليه السلام) رغم أننا لا نجد في سيرتى صموئيل وناثان ما يؤهلهما لهذا التكريم والاصطفاء . ومن المفاهيم المغلوطة التي تقررها التوراة في مسألة النبوة أن جعلتها للنساء (مريم أخت هارون وموسى - دبورة قاضية إسرائيل زوجة فيدوت - خلدة امرأة شلوم) .

وعن مفهوم التبرير يقول (عاطف عبد الغنى)⁽¹⁸⁾ أن الكتابة (كتابة التوراة) حاولوا دائماً إعطاء سند إلهي لأكثر الحوادث الوارد ذكرها في التوراة لإضفاء صفة الشرعية عليها ودعم صدقها حتى ولو كانت تجافى العقل والمنطق مادامت هي إرادة السماء . فمثلاً بررت التوراة الموقف العدائي لبنى إسرائيل من الكنعانيين إلى سبب قديم جداً يعود إلى عهد نوح (عليه السلام) فتحكى رواية التوراة أن (حام) أحد أبناء نوح (الثلاثة) قد كشف عورة أبيه . فلما عرف نوح الخبر لعن ذرية حام في (كنعان) ابنه ونسله وحكم عليه أن يكون عبداً لأخويه (سام ويافت) . وأيضا في قصة زنا ابنتى لوط (عليه السلام) بأبيهما - بهتانا - مايبرر حرب بنى إسرائيل ضد نسل العمونيين والمؤابيين . وأيضا جعلت التوراة سببا لانقسام مملكة بنى إسرائيل بعد

سليمان (عليه السلام) إلى مملكتين متناحرتين بأن وصمت سليمان - زوراً - بالشرك وأنه :

*لم يكن قلبه كاملاً مع الرب كقلب داود أبيه (19).

وكان (عزرا) يبحث عن مبرر قوى لإقناع أكثر اليهود بالعودة إلى فلسطين فلم يجد خيراً من الدين يؤثر به على الوجدان فيثير العاطفة نحو أرض الميعاد ويحيي فيهم وعود الرب التي قطعها لهم علامة ودليلاً على رضائه عن شعبه وإبنه البكر إسرائيل .

والتوراة الموجودة بين أيدينا الآن مليئة بالأرقام والأعداد وفيها مبالغات كثيرة مثل الحديث عن تعداد شعب إسرائيل الذي خرج من مصر كان أكثر من مليون (عند دخولهم مع يعقوب (عليه السلام) وأخوه يوسف (عليه السلام) كان عددهم في حدود السبعين) رغم أن المدة التي مكثوها في مصر حوالي أربعة قرون (قدرتها التوراة 430 عاماً وقدرها الباحثون بحوالي 230 عاماً) هذا بخلاف التناقض الحادث في أعمار الأنبياء .

وعن الأمراض المقدسة Crten ورد مرض البرص وكأنه قمة انتقام الرب من العبد ويُعدّ دليلاً على النجاسة . وهناك أيضاً برص الملابس والأقمشة التي تعرض على الكاهن ليقرر إصابتها من عدمه وكذا برص البيوت (المباني) وللطهارة من مرض البرص طقوس شكلية غريبة تنتهي بتقديم ذبيحتي خطية ومحرقة مع تقدمة (20).

وفي سفر العدد نجد شريعة نجاسة المرأة بعد الولادة تفرّق في النجاسة (النفاس) حسب نوع المولود . فإذا كان ذكراً فالمرأة تكون نجسة سبعة أيام

ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . أما إذا كان المولود أنثى فالمدة ترتفع إلى الضعف .

وعن الدراما التوراتية Crnevy⁽²¹⁾ يقول عاطف عبد الغنى فى كتابه أساطير التوراة أن نظرية الدراما التى أسس لها أرسطو تفترض أن التراجيديا بدأت بالقصة الخرافية البسيطة (الأسطورة أو الأحداث) ويحدث فيها تغيير للأحداث بتسلسل حتمى ومنطقى ومحتمل لا يتغير تغييراً فجائياً . ولا بد للتراجيديا أن تحتوى على ستة أجزاء أهمها القصة ثم الطباع أو سمات الشخصية المميزة أو العواطف (المحاكاة) ثم يأتى النظم (السرد) فى المرتبة الثالثة وهو إما أن يكون نثراً أو شعراً .

والتراجيديا ليست محاكاة للأشخاص ولكن محاكاة للأفعال . للسعادة أو الشقاء . على أننا يجب أن نضع فى الاعتبار أن الخير المطلق هو الهدف الحقيقى للحياة . وبالقيااس على القصص التوراتية نجد أن الأحداث تتغير فجأة بلا مقدمات أو تبريرات بل نجد المبالغات ولا منطقية الأحداث (مثل قصة بلعام فى سفر العدد وقصة أستير فى الأسفار القانونية الأولى والثانية وسفر أستير) .

وقصة أستير تعتبر نموذجاً لتحول الأسطورة القومية إلى أسطورة دينية ويتضح فيها التأثير بحضارة بابل (أسماء أبطال القصة جميعهم ذات أصول بابلية أو علامية حيث أستير مشتق من عشتار إلهة البابليين ومردوخاى من مردوخ الإله البابلى وهامان اسم الإله العيلامى همان) . وقصة يهوديت فى السفر المسمى بإسمها⁽²²⁾ وتروى أحداث السفر كيف أوقعت يهوديت قائد العدو الآشورى فى حبائلها بجمالها الأخاذ وأسكرته ثم ذبحته فتحولت إلى

قديسة وبذلك يبرر الكتاب المقدس (العهد القديم سفرًا يهوديت وأستير تحديدًا) مشروعية استخدام فتنة المرأة وجمالها كوسيلة مشروعة لكسب المغنم وقتل الأعداء . ويضفى على ذلك الفعل هالة من التبجيل تنقل الفاتنات اليهوديات إلى مصاف القديسات .

مما تقدم نتبين أن تراجيديا التوراة تغلب عليها روح الأسطورة الشعبية فى بداياتها ثم الأسطورة القومية بعد ذلك ثم التقديس والتبجيل مؤخرًا . أما شخصيات الأنبياء والرسل (أحيانًا يمنحونها لمن لا يستحقها) فهي عرضة للاستهزاء بها ونزع القداسة عنها .

وعلى الرغم أن النص التوراتى كان يصرح دائما بأن روح الله تشمل هذه الشخصيات فإن نفس النص سلبهم العصمة التى يسبغها الإله على المصطفين من عباده . إن صفات التأليف البشرى وهناته تسيطر على الحكايات الدرامية التوراتية . فالغرض الدائم فيها هو إظهار التدخل الإلهى لصالح الشعب المختار فى أكثر المواقف تأزما .

وهذه لا يمكن أن تصنف على أنها معجزات إلهية لأنها مواقف متعسفة وتظهر فى بعض الأحيان عجز الإله - حاشا لله أن يكون كذلك - كما ورد فى قصة بلعام وقصة قتل أبطار المصريين التى وردت فى سفر الخروج . ولغة الخطاب فى بعض النصوص فيها الكثير من المجادلة واللجاجة وسوء الأدب مع الذات الإلهية العلية كما جاء مثلا فى سفر الخروج:

*فقال موسى للرب استمع أيها السيد⁽²³⁾

وأيضاً عندما صار ع يعقوب (ٱلنَّبِيّ) الرب كما جاء فى سفر التكوين⁽²⁴⁾ وهزمه - حاشا لله - وطلب منه الرب أن يطلق سراحه - كذا - وغير ذلك الكثير . بالاضافة إلى القصص الجنسية الصريحة فى نشيد الإنشاد . وسفر إرميا وسفر حزقيا⁽²⁵⁾ . وفى إصحاحات المزامير نجد خلط التوراة للأزمنة واضحا .

وقد اشتهر (عَزْرَا) بين كتبة اليهود وكهنتهم بأنه كاتب ماهر فى شريعة موسى . واشتهر فيما بعد الأسر البابلى بجمعه للتوراة العبرانية وضم إليها سفرأ سماه على اسمه (سفر عَزْرَا) .

ويلاحظ أن هذا السفر متقدم فى ترتيب أسفار التوراة رغم تأخره فى الزمن المدون به (تاريخ الأحداث التى يسردها) على كثير من الأسفار التى جاءت بعده . وعَزْرَا فى سفره المشار إليه أصبغ على دعوة الهجرة من بابل إلى فلسطين صبغة دينية حتى أنه جعلها إرادة إلهية وربط المسألة كلها بوصية من الوصايا العشر (وصية السبت) فى تخريجه عجيبة تفتق عنها ذهنه فقال :

*حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت فى كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة⁽²⁶⁾ .

حيث اعتبر عَزْرَا أن مكوث اليهود فى السبى بعيداً عن فلسطين حوالى سبعين سنة هى فترة زمنية جعلها الإله لتستوفى أرض فلسطين سبوتها (جمع سبت) . وفى هذا يتحدث عَزْرَا عن يهود مملكة (يهوذا) ويغفل يهود مملكة (إسرائيل) الذين كانوا قد تم سببهم قبل ذلك بحوالى 133 سنة . وكانت وجهة نظر عَزْرَا فى ملوك آشور وبابل أنهم مجرد أدوات منفذة لإرادة الله . وهم

فى هجومهم على مملكتى إسرائيل ويهوذا لم يكونوا أشراراً وإنما هم أداة تأديب من الرب للشعب الذى نقض العهد .

وعلى الرغم أن العودة من بابل إلى فلسطين ارتبطت بشخصيات أخرى - غير عزرا - مثل نحميا و زر بابل ويشوع بن يوصادق وغيرهم من قادة يهود العودة إلا أن عزرا نال شهرته وتميزه لأنه كان بمثابة المنظر الأيديولوجي أو المفكر الكهنوتي الأعظم لليهود العبرانيين . وقد جمع (عزرا) كل ما اعتقد فى قدسيته وأعاد ترتيبه وتنقيحه من وجهة نظره الشخصية . بحيث استخلص من تاريخ الخلق تاريخاً لبنى إسرائيل منذ نوح (عليه السلام) وحتى السبى البابلى وهو التاريخ الذى ربطه بحبل الوعد الإلهى لبنى إسرائيل فى الأرض المقدسة . وهو الوعد الذى تم تدعيمه بالأسطورة الدينية والتكرار (تكرار الوعد من الإله كل حقبة من الزمن).

أما الأسطورة فكان قوامها فكرتين أساسيتين هما :

1-العنصرية : بمعنى تفضيل الإله للشعب الإسرائيلى على كافة أجناس البشر . ويدخل ضمنها(النقاء السلالى) الذى ادعاه اليهود دوماً فقالوا إنهم خالصون من نسل إسرائيل . وإسرائيل خالص من نسل سام بن نوح (حقيقة دعوته أنها دعوة سياسية وليست دينية كما ادعى وفضحته التوراة نفسها عندما أعلن إيليا النبى بقبول من يدخل اليهودية فى شعب الله) .

2-جلد الذات : حيث قال وأكد أن الشعب أخطأ - ومعهم الأنبياء والرسل - بارتكابهم الكبائر التى استوجبت عقاب الله لهم :

*منذ أيام آبائنا ونحن فى إثم عظيم⁽²⁷⁾

وظهرت فى نصوص التوراة إمارات الخلاص بتمجيد القوة والبطل الأسطورى أو المسيح المخلص (المسيح) ولما يئس اليهود من بعث هذا (المسيح) بين ظهرانيهم جعلوا (قورش) الملك الفارسى الوثنى هو نفسه المسيح المنتظر وجعلوه يتصل بالرب مثل الأنبياء والمرسلين :

*هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمماً وأحقاء ملوك . أحلّ لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق⁽²⁸⁾.

ومن الغريب أن الزمن الذى عاش فيه قورش وسمح للمسيبيين بالعودة إلى فلسطين يجيء بعد هذا الزمن بحوالى مائتين وعشرين عاماً . وبينما وجد (عزرا) سببا إلهياً لمذلة بنى إسرائيل فى بابل فإنه لم يجد هذا السبب فى تجربة بنى إسرائيل فى مصر . ولذلك قبلت المبالغة الأسطورية فى الضربات التى حلت بشعب مصر حتى جعل الله يتدخل كثيراً فيزيد قلب فرعون قساوة على بنى إسرائيل ليزيد هو ضرباته على مصر . ورغم ذلك وردت شذرات فى التوراة تشي بأن بنى إسرائيل لم يلاقوا من مصر كل هذا التعنت المذكور فى توراتهم . (شعب مصر هو الذى أكرم وفادتهم واستضافتهم فى منطقة جاسان بالشرقية أجود وأخصب أراضي وادى النيل فى فترة قدومهم الأول مع يعقوب (عليه السلام) وهو الشعب الذى أعطاهم ذهبه عند خروجهم مع موسى) :

*وانزعوا الآلهة الذين عبدتهم آبائكم فى عبّر النهر وفى مصر وأعبدوا الرب.⁽²⁹⁾

ومن النص نفهم أن بنى إسرائيل زاغوا فى مصر وعبدوا آلهة المصريين وآلهة أخرى جاءت معهم عبر النهر . وبسبب هذا بعث الله فيهم موسى (عليه السلام) يدعوهم إلى التوحيد والعودة لعبادة إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف (عليه السلام) . بل ودعاهم إلى الخروج هرباً من فرعون ورجاله ليثبت الرسالة فى المقام الأول وليس للهرب من الاضطهاد كما تحاول التوراة أن توهمنا .

ويشير (عاطف عبد الغنى) إلى أنه فى السنة الثانية من حكم الامبراطور الفارسى (دار يوس) نشطت الدعوة بين يهود السبى فى العراق إلى إعادة بناء بيت الرب فى أورشليم . وكالعادة جعلوها دعوة إلهية مدعمة بنبوءات إثنين من الأنبياء هما (حجى) و (زكريا) .

ويرى ريتشارد كروسمان ⁽³⁰⁾ وإيمانويل فلايكوفسكى ⁽³¹⁾ أن لليهود دورة خاصة فى التاريخ يتعاقب فيها الخروج والدولة والكوارث كما تتعاقب الخطيئة البشرية والقربان اليهودى باعتبارهم شعب الله . وكل هذه التصورات والمفاهيم يجرى تغذيتها وتعزيزها بالتوراة حتى لا يقال أن شعب الله المختار يبحث عن مسوغات أخرى خارج كتابه المقدس . وإلى جانب التلمود وكتاب السبى البابلى (العهد القديم) تصطف المساهمات الألمانية العرقية بجوهرها كما هو الحال عند نيتشه وجوميلوفكس وجوبينو ولينتز أو بإسقاطاتها المختارة والملفقة كما هو الحال بالنسبة لأعمال هيجل وكانط . ويقرر (سبينوزا) ⁽³²⁾ أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تجمع فى مجموع واحد غير أن يداً واحدة تظهر فى كل الأسفار من أولها لآخرها وهذه اليد

الواحدة^(*) هي التي رتبت ودمجت وجعلت تلك الأسفار مترابطة في سلسلة واحدة وحدث ذلك بعد كتابة كل الأسفار المقدسة.

ويقول موفق محادين⁽³³⁾ في نقده للصهيونية الروحية والمرجعية المقدسة (التوراة) التي يستند إليها اليهود اليوم لتحقيق مآربهم :

إن أكبر تزويرات التوراة إثارة - من حيث أهميتها وحساسيتها - هي التزويرات التي طالت علاقة موسى (عليه السلام) بالتوراة . فقد بات معلوماً أن نسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى هو افتراض إيماني يُنسب تأليفها إلى النبي موسى (عليه السلام) حتى صار ذلك الافتراض عقيدة يهودية منذ عهد فيلون السكندري ويوسفوس (المؤرخ) في القرن الأول قبل الميلاد اللذان عاصرا المسيح وأعلنا أن موسى هو مؤلف التوراة . وهي العقيدة التي ظلت تأخذ بها الكنيسة إلى زمن قريب ولا تزال سائدة في كثير من الكنائس .

وفي ذلك يؤكد (توماس هوبز) من أن تدوين التوراة تم بعد مسوت موسى بزمان طويل (حوالى سبعة قرون) . وما جاء في الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدس الصادر عام 1960م أنه :

مامن عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة أو أنه أشرف على وضع النص . لأن ذلك النص قد كتبه عديدون بعده . لذلك يجب القول أن ازدياداً تدريجياً قد حدث وسببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية .

(*) تلك اليد هي يد (عزرا) الذي أعاد كتابة الأسفار التوراتية في السبى البابلي .

ومن اليهود أنفسهم الذين كتبوا ضد يوسفوس (داكوستا) ⁽³⁴⁾ فى كتابه اختيار التقاليد الفريسية ومقارنتها بالشرعية المكتوبة . وفيه اعتبر الشفهية اليهودية بدعة فريسية.

و (سبنيوزا) ⁽³⁵⁾ الذى انتهى إلى إنكار أى احتمال يمكن بموجبه نسبة التوراة إلى موسى . وقدم على ذلك شواهد عديدة وقدم قرائن تشير إلى أن كُتِبَ العهد القديم بدءاً من سِفْر التكوين وحتى سِفْر الملوك الثانى قد كتبها (عَزْرَا) الذى عاش فى القرن الخامس ق . م ومنها :

(1) أن مقدمة سِفْر التثنية (وهى الواردة بصيغة المتكلم للايحاء بأن كاتبها هو موسى (عليه السلام) لم يكن من الممكن أن يكتبها موسى حيث أن المقطوع به أن موسى (عليه السلام) لم يعبر نهر الأردن أبدا :

*ذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل وقال لهم أنا اليوم ابن مائة وعشرين سنة . لا أستطيع الخروج والدخول بعد . والرب قد قال لى لا تعبر هذا الأردن ⁽³⁶⁾.

*وكلم الرب موسى قائلاً اصعد إلى جبل عباريم . هذا جبل بنو الذى فى أرض مؤاب الذى قبالة أريحا . وانظر إلى أرض كنعان التى أنا أعطيتها لبني إسرائيل مُلْكًا . فإنك تنظر الأرض من قبالتها (من خارجها) ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التى أنا أعطيتها لبني إسرائيل ⁽³⁷⁾.

*وصعد موسى وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيتها . قد أريتكم إياها بعينيك ولكنك إلى هنا لا تعبر .

(2) إن سفر التثنية يرد فيه القول :

* وكتب موسى هذه الشريعة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت العهد ولجميع شيوخ بنى إسرائيل (38) .
وهو كلام لا سبيل لنسبته لموسى (عليه السلام) فهو قول كاتب آخر يروى ما فعل موسى وما قال .

(3) ورد فى سفر التكوين القول أن ابراهيم (إبراهيم) (عليه السلام) دعى اسم الموضع الذى أمره الرب أن يقدم ابنه اسحاق فيه ضحية للرب (يَهُوَه يراه) بحيث بات الموضع يدعى اليوم جبل (يَهُوَه سوف يرى) وهذه التسمية لذلك المكان لم تطلق عليه إلا بعد بناء الهيكل فى عصر سليمان (عليه السلام) (960-62 ق.م) ولم يكن اختياره فى عصر موسى (عليه السلام) . وسفر الخروج تأتى النصوص التى تتحدث عن موسى (عليه السلام) :

* وتكلم الرب مع موسى وجها لوجه (39) .

* فحمى غضب موسى (40)

* فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض مؤاب حسب قول الرب (41)

* ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه (42)

(4) فى التوراة كثير من أسماء الأماكن والمواضع الجغرافية يستحيل علم موسى بها لأنها فى عمق أرض فلسطين وموسى مات ولم تطأ قدمه أرض فلسطين . ومعظم هذه التسميات حدثت بعد موسى بثلاثة أو أربعة قرون . مثل (دان) (43) وكذا مجموعة القرى المعروفة باسم (يائير) (44) وهى القرى التى لم تظهر إلى الوجود إلا فى عصر القضاة (45) بعد موسى بقرون .

(5) فى قصة يوسف يوجد خطأ تاريخى هائل حيث يطلق على فلسطين اسم أرض العبريين وليس أرض الكنعانيين⁽⁴⁶⁾ .

(6) وردت عبارة فى سفر التكوين والعدد :

* قبل أن يملك ملك من أبناء إسرائيل⁽⁴⁷⁾

وهى جملة لا يكتبها إلا شخص عاصر العهد الملكى لإسرائيل وعرف بقيام المملكة بعد موسى بأربعة قرون .

(7) المرات الثلاث التى تعرضت فيها التوراة لتزويرات كبيرة هى عندما أعد الكهنة والملك يوشع (يوشيا) سفر الشريعة حوالى عام 600 ق.م . وعندما أعد الكهنة من مدرسة حزقيال وإشعيا الثانى ما عُرف (بالقانون الكهنوتى) . وعندما أعد عزرا ونحميا التوراة نفسها أثناء الأسر البابلى (تشير دائرة المعارف البريطانية أن عزرا هو الذى نشر الشريعة اليهودية اعتماداً على التوراة نفسها) .

ومن كل ماسبق لا يخفى على أحد أن التوراة لا يمكن الأخذ بها تاريخياً . فهى ليست تاريخاً موثقاً به للأسباب المذكورة ولأسباب أخرى سبق ذكرها ولأسباب يسوقها المفكر السورى والباحث فى الميثولوجيا وتاريخ الأديان (فراس السواح)⁽⁴⁸⁾ حيث يقول :

من خلال دراسة الوثائق التاريخية لثقافات الشرق القديم ودراسة أحدث نتائج التنقيب الأثرى فى فلسطين نجد أن التقاليد التوراتية قد خلقت (إسرائيلاً) خاصة بها لا علاقة لها بإسرائيل التاريخية وأن جل البحث التاريخي الذى تم حتى وقت قريب فى مسألة أصول إسرائيل وتاريخها قد انصب

على أخبولة لا تمتلك من الوجود الواقعي إلا أقله . وأن ما بدا لنا حتى الآن من اتصال الإسرائيلي باليهودي هو ابتداء توراتي استكمل المحررون التوراتيون من خلاله أخبولتهم الأدبية الرامية إلى ابتكار أصول لليهودية المحدثه فى فلسطين خلال العصر الفارسي والعصر الهلنستي . وإسرائيل الثالثة فى فلسطين (حاليا) لا علاقة لها بإسرائيل التوراتية أو إسرائيل التاريخية . ويسوق (فراس السواح) بعض البراهين والأدلة على استنتاجاته فيقول⁽⁴⁹⁾:

1- إن النقد النصي والتاريخي والأركيولوجي لروايات الآباء والخروج قد أوصلنا إلى القول بكل ثقة علمية إلى أن جميع الوقائع تنفى نفيا قاطعا وجود كيان إثني اسمه (كل إسرائيل) خلال أية فترة من عصر البرونز الوسيط أو عصر البرونز الأخير وصولا إلى عصر الحديد الأول حوالي 1200 ق.م.^(*)

2- إن الشواهد الأركيولوجية من الفترة الانتقالية من عصر البرونز الأخير إلى عصر الحديد تنفى نفيا قاطعا رواية سفر يشوع عن الاقتحام العسكري لأرض كنعان .

3- إن نتائج المسح الأركيولوجي الشامل لمنطقة الهضاب المركزية ولمنطقة مرتفعات يهوذا فى المستويات الأثرية العائدة لعصر الحديد الأول تنفى نفيا قاطعا ظهور مجموعة إثنية واحدة فى كل المنطقتين خلال الفترة المفترضة لعصر القضاة والاستقرار فى الأرض . فالقرى التى ظهرت بشكل بطيء فى الهضاب المركزية خلال عصر الحديد الأول كانت قرى كنعانية من أصل زراعى محلى مرتبطة ثقافيا بعصر البرونز الأخير ولا علاقة لها

(*) عصر البرونز (3500 - 800 ق.م) . عصر الحديد (1200 - 300 ق.م)

بالقبائل الرعوية التوراتية . وقد سبق استيطان منطقة الهضاب المركزية الاستيطان فى منطقة يهوذا بحوالى قرنين من الزمان . الأمر الذى ينفى وجود قاعدة مشتركة بين المنطقتين كما ينفى قيام إثنى يشتمل على (كل إسرائيل) خلال عصر القضاة التى تغطى بالكامل فترة الحديد الأول.

4- لم يتوفر خلال القرن العاشر قبل الميلاد الأساس السكانى والاقتصادي اللازم لقيام مملكة قوية فى الهضاب المركزية أو مرتفعات يهوذا (فى الجنوب) ناهيك عن قيام مملكة موحدة متسعة الأرجاء بسطت سلطانها على كامل أراضى فلسطين . فإضافة إلى الفقر المدقع لقرى الهضاب المركزية المبعثرة فإن يهوذا كانت خالية من السكان . وأورشليم كانت بلدة متواضعة وغير صالحة لأن تكون عاصمة للمملكة المذكورة فى التوراة.

5- لا يوجد ذكر لكيان سياسى اسمه إسرائيل فى جميع وثائق الشرق القديم قبل أواسط القرن التاسع قبل الميلاد (أى بعد أكثر من قرن على تشكيل مملكة إسرائيل التوراتية) عندما بدأ اسم إسرائيل يظهر فى السجلات العسكرية الآشورية وللدلالة حصراً على مملكة السامرة (فى الشمال) التى تشكلت تاريخياً حوالى 880 ق.م . وكذلك الأمر فى مملكة يهوذا (فى الجنوب) التى لم يرد ذكرها فى السجلات الآشورية إلا نحو نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وعندما بدأت مملكة إسرائيل بالأفول .

6- لا يوجد فى وثائق الشرق القديم ذكر لكيان سياسى اسمه إسرائيل بعد دمار مملكة السامرة (شمالاً) على يد الآشوريين عام 721 ق.م وسبى أهلها الذين لم يرجعوا إلى أوطانهم قط . أما المقاطعة الآشورية التى قامت فى الهضاب المركزية بعد سبى الإسرائيليين واحلال أقوام جديدة محلهم فقد

دُعيت بمقاطعة السامرة واستمرت تُدعى بهذا الاسم خلال العصر الفارسي والهلينستي والروماني . وفيما يتعلق بمنطقة يهوذا فقد أطلق عليها مقاطعة اليهودية بعد عودة المسيبين إليها من بابل واستمر هذا الاسم قائما حتى العصر الروماني.

7- لا يوجد أثر للمعتقد الديني التوراتي في منطقة إسرائيل ويهوذا وفي بقية أنحاء فلسطين خلال الفترة السابقة على السبى البابلي . والديانة التي سادت هنا هي ديانة كنعانية تقليدية (آلهة البانثيون الكنعاني) .

والوثائق التي عثر عليها في جزيرة فيلة (بأسوان) والتي ترجع إلى الفترة من 495 - 394 ق.م وهي الفترة التي شهدت إعادة سكن أورشليم وبناء الهيكل الثاني (هيكل زربابل) وهذه الوثائق مكتوبة باللغة الآرامية وهي تضم وثائق تجارية وعقود زواج ومراسلات بين رئيس الجالية اليهودية في فيلة المدعو (جيدانة) أو جيدانيه وعدد من الشخصيات السياسية في فلسطين (في اليهودية والسامرة وكهنة أورشليم) يستعلم منهم عن بعض القضايا الطقسية والسنن الدينية .

والاستنتاج المنطقي الذي يطرح نفسه هو أن ديانة (يَهُوه) في فلسطين لم تكن حتى ذلك الوقت المتأخر قد اكتسبت الشكل التوراتي بعد . وأنها مازالت في طور التشكيل على أيدي كهنة أورشليم بعد العودة من المنفى .

وفي تقييمه للأسفار المدعوه بالتاريخية يقول فراس السواح (50):

إنها سلسلة من المرويات الشعبية ذات الأصول المختلفة جُمعت إلى بعضها في نسيج واحد وهي الحكمة وتاريخ زمني مفروض عليها من خارجها .

أما الزمرة الثانية من أسفار التوراة (أسفار الأنبياء) فليست إلا مجموعة من أقوال ومأثورات حكموية قديمة تختصر ألف عام تقريبا من التقاليد النبوية في فلسطين والمناطق المجاورة لها .

وقد قام المحررون التوراتيون بجمع هذه المادة الغنية القديمة فرتبوها وصنفوها ووضعوها على لسان شخصيات نبوية متميزة قد يكون بعضها من أصل تاريخي ثم جعلت هذه المادة تدور حول فكرة أساسية في جميع الأسفار (أسفار الأنبياء) وهى أن دمار إسرائيل ويهوذا كان بمثابة عقاب إلهي على خطايا الجماهير والحكام وتجاهلهم عبادة الإله الحق وأن الرحمة الإلهية سوف تلحق بالتوابين العائدين من السبى البابلى إلى حظيرة الرب .

والمصادر الكتابية التى يدعى المحررون فى بعض المواضع الاستناد إليها فإننا غير متأكدين من وجودها أصلا ولا من الطريقة التى عمد المحررون إلى الإفادة منها وذلك مثل سفر باشر وسفر موسى وغيرها .

والنص التوراتى لم يتعرض - مثلا - لإسم الفرعون المصرى المعنى فى سفر الخروج وإنما تعرض للشعوب والقبائل المجاورة للمناطق الهضبية التى قامت على أراضيها - فيما بعد - دولتى إسرائيل ويهوذا وذلك مثل مؤاب وأدوم وعمون فى الشرق وفلسطين فى الغرب . وغالبا ماوردت أسماء هذه الشعوب فى سياق زمنى يتضمن مفارقة تاريخية واضحة فمالك شرقى الأردن التى قهرها موسى فى آخر مراحل ملحمة الخروج لم تكن موجودة فى ذلك الوقت على ما بينه المَسَح الأركيولوجى للمنطقة . ومنطقة الساحل الفلسطينى الجنوبى التى يدعوها سفر الخروج بأرض الفلسطينيين لم تكن قد استقبلت زمن الخروج أية موجة من موجات شعوب البحر Sea people من

فلسطين وغيرهم . ومن بين جميع الممالك الفينيقية على الساحل السوري لم يرد ذكر أيا منها إلا صيدون . أما بقية الممالك من أو جاريث إلى صور فغائبة تماما . ومثلها تلك الممالك الكبرى التي ازدهرت من حول أولئك الإسرائيليين المفترضين عبر عصورهم فبابل حمورابي في بلاد النهرين ومارى على الفرات الأوسط وحلب (يمخاض) وألا لآخ في الشمال السوري وقطنة وقادش في سوريا الوسطى غائبة عن سير عصر الآباء الذين كانوا يرتحلون بين الفرات وفلسطين وكأنما يتحركون على مسرح خال تماما إلا من القبائل الرحل وآبار المياه في الواحات . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالممالك الحيثية الجديدة في الشمال السوري والممالك الأرامية الجديدة على نهري الخابور والفرات وفي المناطق الغربية التي ازدهرت منذ مطلع عصر الحديد فجميعها غائب عن عصر يشوع وعصر القضاة . وكذلك مصر التي كانت تسيطر عليها في ذلك الوقت وعلى وادى يزرعيل وعدد من النقاط الاستراتيجية الأخرى . وفي عصر المملكة الموحدة لا يرد ذكر لآشور التي كان نفوذها قد تجاوز الفرات ووصل إلى مناطق الساحل ولا الممالك الأرامية القوية التي كانت تقارع آشور على الفرات وفي الشمال السوري . وبدلاً من هذه الممالك التي تجملها أخبار الملك داود تحت عنوان (آرام التي عبر النهر) فإن محرر سفر الملوك الأول يبتكر ممالك لم يرد لها ذكر في التاريخ ولم تقم الدلائل الأركيولوجية على وجودها وذلك مثل آرام صوبة ومعكة وبيت رحوب وجيشور وغيرها . وبالمقابل فإن جميع السجلات الكتابية للحضارات القديمة لم تورد خبراً واحداً يدعم الرواية التوراتية من عصر الآباء إلى قيام أسرة الملك (عمري) وبناء مدينة السامرة في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد .

ومن نفس المنطلق يبين (توماس ل. طومسون)⁽⁵¹⁾ فى كتابه الهام (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى) أنه اعتمد فى البداية فى كتابة تاريخ إسرائيل على المعطيات التوراتية لكن تراكم المعطيات الأركيولوجية والتزايد الكبير فى الاكتشافات الهامة فى الشرق الأدنى القديم إضافة إلى البحث النقدى المتراكم أدى إلى تحول العنصر التاريخى فى الدراسات التوراتية . فقد أكد الكثير من المؤرخين عدم تاريخية بعض الحقب مثل حقبة الآباء - الغزوة - القضاة . وشككوا بتاريخية بعض الرموز الأساسية مفضياً ذلك إلى التخلّى عن الافتراضات المسبقة التى فرضها التفسير التوراتى حيث أن التاريخ يقوم على الأبحاث وهو يتعلق بالطبيعة وليس بما وراء الطبيعة . وعليه فلا يمكن استخلاص تاريخ إسرائيل القديم من التوراة . كما أن أساس التقييم النقدى يبقى منفصلاً عن التوراة فى تاريخ نقوش وحفريات أقاليم فلسطين .

وهناك ثلاث نظريات ومناهج عالجت تاريخ إسرائيل :

(1) مدرسة تاريخ الأديان (ويلهاوزن) :

وتشير هذه الفرضية إلى أن تشكيل الأسفار الخمسة الأولى من التوراة (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية) تم من خلال أربعة مصادر مستقلة فى الأصل :

- أ- اليهوهية : مع الملكية الموحدة يهوذا وسلالة داود (1050 - 953 ق.م) .
- ب- الإلهومية : مع الملكية المنقسمة ودولة إسرائيل (953 - 722 ق.م)
- ج- التثنية : مع إصلاحات يوشيا (648 - 608 ق.م)
- د- الكهنوتية : مع مراحل النفى البابلى ومابعده .

والعنصر الأساسى لفرضية ويلهاوزن تفترض أن هذه المصادر الأربعة للأسفار الخمسة الأولى يجب فرضها على أنها وثائق أدبية تم تأليفها وقت كتابتها . ولذا فهي كمواضع مؤلفة تعكس فهم ومعرفة مؤلفيها وعالمهم .. وبذا لا يمكن أن نحصل منها على أى شىء تاريخى يعتمد عليه عن المراحل السابقة لتاريخ إسرائيل .

أما (ماير) زميل (ويلهاوزن) فقد رأى أن التراث الذى استمدت منه المصادر الوثائقية كان فى الأصل مرويات شفوية ومجموعة من القصص التى تألفت من الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم . فلم ينظر إلى مؤلفي المصادر اليهووية والإيلوهيمية على أنهم كتّاب ومؤرخون لماضى إسرائيل بل جامعون ومحررون لأساطير وحكايات شعبية مختلفة متعددة الأصول والتواريخ .

(2) الاتجاه التوفيقي المحافظ :

وهذا الاتجاه عند (آلت) و (أولبرايت) وغيرهم أعطى للمرويات التوراتية قيمة تاريخية . وبذل (أولبرايت) Albright جهده للتوفيق بين المكتشفات الأثرية والمرويات التوراتية ورفض النظرة التطورية لأصول الديانة الاسرائيلية مؤكداً على أصول التوحيد الإسرائيلى فى التعاليم الموسوية وعلى أن ماترويه التوراة عن إسرائيل موحدة وغزوها لفلسطين قد تأيد بما نعرفه عن تدمير المدن الكنعانية فى العهد البرونزى المتأخر على يد الإسرائيليين البدو .

واعتبر (آلت) Alt أن أهم مفتاح لفهم أصول إسرائيل هو تمايزها وعدم توافقها مع المجتمع الكنعانى السابق لها .

ويقول طومسون Tomas L. Thompson⁽⁵²⁾ إن الدراسين لم يعودوا يجدون براهين أركيولوجية ظاهرة على غزو إسرائيل للمدن الكنعانية . وفشل الحفريات الكبرى فى مواقع عاى وأريحا أضعف بالتأكد حجج أولبرايت . وأن محاولة التوفيق بين البيّنات التوراتية وغير التوراتية كإثبات لتاريخانية إسرائيل القديمة سرعان مادخلت مرحلة الانهيار التى مازالت متواصلة حتى اليوم .

(3) تفكيك التاريخ التوراتى :

بيّنت (هـ . فريس) H.Friis (عام 1968م) أن المرويات التوراتية التى حددت تشكيل الدولة أو الملكية الموحدة تحت حكم داود كانت من انتاج فترة السبى البابلى . كما حددت أصول التوحيد اليهودى فى تلك الفترة أيضا . ورأت أن الروايات التى تقول بأن أصل إسرائيل من مصر مجرد أساطير وأن قصص سفر الملوك الثانى بكاملها قد كُفّت لتشرح أسباب السبى إلى بابل ويجب أن تكون قد كُتبت بعد السبى بفترة من الوقت .

ويشير طومسون إلى أن عملية المراجعة التاريخية النقدية لفهمنا للأسفار الخمسة الأولى التى مازالت مستمرة حتى يومنا هذا عمقت اتجاه تفكيك التاريخ التوراتى وأطلقت تحديا أساسيا لافتراضات عديدة تمسكت بها الاتجاهات الرامية إلى اثبات تاريخ إسرائيل على أساس التوراة .

ويوجز طومسون تحليله ووصفه للتوراة فيقول :

إن المرويات التوراتية ماهى إلا شظايا ذكريات مكتوبة أو شفوية ، سلاسل من القصص ، أعمال أدبية معقدة ، سجلات إدارية ، أغاني ، حِكَم نبوية ، كلمات مأثورة عن فلاسفة ، قوائم وحكايات اعتبرت ذات معنى

ضمن كل مترابط ومتراكم . جمع ونظم انتقائيا وفسر باعتباره ماضيا
مبعثرا⁽⁵³⁾ .

والجدير بالذكر أن (توماس ل. طومسون) هذا قد فقد وظيفته كأستاذ
علم الآثار في جامعة ميلووكي بضغط من أوساط اليهود بعد تأليفه هذا الكتاب
ونشره⁽⁵⁴⁾ .

ويعرض طومسون ثلاث بدائل أخرى كلاسيكية موروثة عن الجيل
السابق كنماذج لنشوء إسرائيل : غزو - استيطان - ثورة . وفي الفصل الرابع
⁽⁵⁵⁾ من كتابه الهام وتحت عنوان (منطلقات جديدة نحو تاريخ مستقل
لإسرائيل) يعرض تلك الفرضيات والنماذج وهي :

(1) مراجعة أنثروبولوجية لفرضية آلت عن الاستيطان :

لكتابة تاريخ مستقل لإسرائيل القديمة يجب الأخذ في الاعتبار ثلاثة
أشكال مختلفة من البيانات المباشرة المستخلصة من المصادر الأولية لإعادة
بناء تاريخ إسرائيل القديمة :

أ- الحفريات الأركيولوجية : وتحليلها وتصنيفها وتفسير الحقائق
المستخلصة من الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان القديمة في فلسطين
المعروفة جغرافيا وإقليميا .

ب- ثروة الآثار الكتابية القديمة : المرتبطة مباشرة أو مدورة بفلسطين
القديمة : الشعب - جيرانه - اقتصاده - البنى الدينية والسياسية - نمط
الحياة والحوادث المعروفة.

ج- المرويات التوراتية : التى تعكس صراحة أوضاعنا العصر الذى تشكلت فيه والذى يرسم تصور إسرائيل التى نبحث عن أصلها . والضرورة تدعو إلى التمييز بين ما تورده القصص التوراتية كحقائق وماتورده كرواية . فمثلا هناك اختلاف كبير بين قصص الشعوب التى نعرفها من واقع حياتها السياسية مثل عمون ومؤاب وأدوم وآرام ومدينّ والفلسطينيين والمصريين والآشوريين والتى نعرفها من المرويات مثل : الحوريين والجرجاشيين والفرزيين وحتى الكنعانيين والعبرانيين . أو الأماكن المذكورة فى الروايات مثل عدن وأرام نهرين وجرار وجاسان وسدوم وعمورة وسالم وحتى حار سيناء بالمقارنة مع الأماكن المعروفة فعلا لدى المنقحين مثل القدس وجازر ومجدو وأريحا وعاي . والمصادر المتصلة بالوضع المادى فى إسرائيل القديمة وإمكانية إعادة بناء تصور لذلك الوضع ذات فائدة غير مباشرة فى مجال إعادة بناء تاريخ إسرائيل . ونؤمن مع ذلك معلومات أولية مثل جغرافية فلسطين ومعرفة تاريخ وثقافة العالم القديم . والدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية تقدم لنا نماذج لما قد تكون إسرائيل قد كانت عليه . أى مجرد نماذج وأشكال وليس مادة تاريخية . تقارب هذه النماذج هام جداً منهجيا . وينبغى أن يُبحث عن نماذج من الشرق الأوسط (لاسيما من نفس مناطق فلسطين) وإذا أمكن من الحقب القربية من وقت نشوء إسرائيل. وعلينا أن نفحص مدى ملائمة كل نموذج فى كل حالة على حدة وأخذ نقائصه بالاعتبار عند التقويم .

وكتاب ن . بى . ليمخى (ليمشى) N.P.Lemche (إسرائيل القديمة) هام جداً بالنسبة لهذا الموضوع بالذات . وكذلك دراسات (كوتى) Coate و (وايتلام) White Lam و(فنكلشتين) Finkelstein تقوم على أساس البيانات غير التوراتية (تقوم على الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان فى فلسطين) .

ويقدم (ليمشى) كبديل للتاريخ التوراتى مراجعة للتحول من العصر البرونزى المتأخر إلى العصر الحديدي فى فلسطين بالاستناد إلى المصادر الأركيولوجية . ويلاحظ بدقة أن التمييز الشائع بين ثقافة الكنعانيين والإسرائيليين لا مبرر له فى سجل الأركيولوجيا حتى الآن . وهذا قاده إلى استنتاج تاريخى يشاركه فيه عدد من الدراسين وهو أن :

إسرائيل كانت محلية فى فلسطين .

وهو لا يختلف فى ذلك عن (آلت) . ويرى (سوجين) أن قصص الملكية الموحدة تشكل علاقة تحوّل فى القصص التوراتى من أدب شعبى لا يعتمد عليه تاريخيا (قبل قصص شاول وداود) والقصص التاريخية الموثقة عن الملكية .

ويبرهن (ليمشى) بوضوح على الحاجة إلى التأكيدات والبيّنات غير التوراتية قبل أن تتمكن المرويات التوراتية من تزويدنا بالأساس الملائم لإعادة بناء تاريخ إسرائيل .

وينتقد (لوريتر) Loretz بحدة جهود المؤرخين الرامية إلى الربط بين (عابيرو) الذين نجدهم فى رسائل تل العمارنة كطبقة اجتماعية دنيا ناقمة ولاجئين تحولوا إلى قطاع طُرق ولصوص فى المناطق الجبلية والـ (عبرانيين) كعرق يشير إلى الإسرائيليين (أصله عبريم) . وينتقد لوريتر كل ذلك مبيناً الخطأ الفادح الذى تتطوى عليه تلك المحاولات لشرح أصول إسرائيل على أساس هذا الربط حيث يقول :

إنه لا توجد بَيِّنات تاريخية تربط بين رسائل تل العمارنة فى القرن الرابع عشر ق.م و (العابيرو) المذكورين فيها مع أصول إسرائيل . فلا سبب يدعونا لأن نرى هذا الموضوع اللغوى مرتبطا بأى شكل كان بتاريخ إسرائيل.

وهناك برهان آخر أورده (ليمشى) فى نقده لكتاب (جوتوالد) Gott
Wald ومفاده :

إن معظم روايات عصر السبى البابلى وما بعده كُتبت بشكل مستمر بعد قرون من نشوء البني الاجتماعية فى العصر الحديدي فى فلسطين .

(2) الزراعة فى المرتفعات الوسطى :

وكلها دراسات فى ممارسة الزراعة ومايلزمها مثل تنظيم المصاطب فى المناطق الجبلية وإزالة الغابات ، والزراعة الانسيابية والابداع فى تخزين المياه والأدوات الحديدية المستخدمة واعتماد الدورات الزراعية والتسميد وإراحة الأرض واختراع معصرة الزيت الخشبية ووسائل التخزين المبتكرة والعمل الحقلى وأنواع المحاصيل وتلفها (بسبب الآفات وخلافه) ومشاكل خصوبة الأرض .

وهذه الدراسات تعطى رؤية كافية عن المسار الاستيطانى فى المناطق الجبلية التى يُفترض وجود مستوطنات إسرائيلية بها .

(3) السوسولوجيا ونشوء المَلَكِيَّة :

وَصَفَ (هوبكنز) لنشوء المَلَكِيَّة بأنه :

معارض لأسس الحياة القروية الإسرائيلية الهادفة لتأمين الكفاية غير سديد تاريخيا وتحليليا . ويرى (هوبكنز) أيضا أن الملكية مسئولة عن حصول تغيير مزدوج فى الانتاج الزراعى . ولا برهان عنده بأن الضرائب كانت السبب الرئيسى للتغيرات الكاسحة فى زراعة المناطق الجبلية خلال فترة الانتقال إلى المَلَكِيَّة . وكذلك تأكّده أن فلاحه الكفاية كانت سمة مميزة للفلاحة فى المرتفعات التى يفترض وجود الإسرائيليين بها . وتقوم فكرة (كوتى) ، (وايتلام) White lam&Coate عن أصول إسرائيل فى أن بدايات الاستيطان فى المرتفعات والسهوب أوائل العصر الحديدي جاءت نتيجة لانهايار التجارة أواخر العصر البرونزى وأن انتعاش التجارة مجدداً فى العصر الحديدي الأول أمسك بزمام النمو التجارى الذى قاد إلى تشكيل دولة إسرائيلية تحت حكم داود وسليمان وينتقد (طومسون) Tomas L. Tompson⁽⁵⁶⁾ ذلك معترضا على تلك التفسير فيقول إن :

1-معظم السكان يسكنون الوديان والأراضى المنخفضة والمواقع الجديدة فى المرتفعات قليلة وصغيرة وهشة .

2-ليس واضحا أن هذا الاستيطان الجديد أتى نتيجة إنهاء التجارة فى أواخر العصر البرونزى بل توجد عوامل أخرى مؤثرة مثل دور الامبراطورية المصرية فى دعم التجارة ودور الدول المدينية الفسطينية والاستقرار السياسى والاقتصادى فى المرتفعات .

3-الاستيطان الجديد لم يقتصر على المرتفعات والسهوب فقد وجد أيضاً فى السهل الساحلى وجرزىل منذ أواخر العصر البرونزى وحتى العصر الحديدي .

4-استيطان المرتفعات والسهوب لم يحدث دفعة واحدة وفي وقت واحد بل تدريجياً . واعتمد كثيراً على التجارة الإقليمية .

5-لم تتوافر بيّنات على أن تلك التغيرات تُفسّر حصرًا على أنها تحوّل سكاني من الأراضي المنخفضة إلى المرتفعات والسهوب .

6-الانهيار اعترى التجارة الدولية وليس الإقليمية ولكنه قد يكون عمّق الركود الاقتصادي في العصر الحديدي الأول وشجع على الرحيل من المدن .

7-التزايد الدرامي في عدد سكان المرتفعات في أواخر العصر الحديدي الأول وأوائل العصر الحديدي الثاني بسبب علاقته بزراعة الأشجار المثمرة وإنشاء المصاطب كان يستلزم افتراض استقرار لمدة طويلة في المنطقة .

8-افتراض كوتى ووايتلام وغيرهم بوجود صراع عنيف وحروب مفتوحة بين الإسرائيليين والفلسطينيين في هذا الوقت المبكر غير محقّق ويقوم على أساس انعكاس تاريخي مشوّش لمرويات توراتية لاحقة .

(4) الأركيولوجيا وتاريخ مستقل لإسرائيل :

يخالف (فنكلشتين) Finkelstein الأركيولوجي الإسرائيلي نظرية (آلت) Alt عن البداوة الرعوية بالقول إن أصل مستوطني المرتفعات محلي .

وتشير (هـ . ويرت) H.Weippert في كتابها⁽⁵⁷⁾ إلى :

إن فهم أركيولوجيا المنطقة يستلزم الإشارة المستمرة إلى ماهو خارج حدودها وإدراك أنه لا يوجد موضوع أركيولوجى واحد فلسطينى تحديداً . فلسطين نفسها منقسمة إلى مناطق منفصلة ومتميزة . وكتاب (جى الستروم) G. Ahlestrom⁽⁵⁸⁾ يركز على موضوع الإقليمية ويتعامل معها تاريخياً (فى موضوع إسرائيل) مستقلاً عن التاريخ التوراتى . فهو يظهر بوضوح إمكانية كتابة تاريخ (علمانى) إلا إنه يعود مجدداً فيستعين بالأدبيات غير التوراتية والقصص التوراتية فى محاولات خلق توفيق متاسق بينها للتدليل على بعض القضايا فى الحقبة الملكية (سواء الملكية الموحدة تحت حكم داود وسليمان (عليه السلام) أو دولتى يهودا والسامرة المنفصلتين أو النزاعات مع الفلسطينيين وغيرهم من الجيران) .

و (هـ . ويبرت) توصى بالحذر عند تحديد الأركيولوجين الميدانيين للدمار فى حقبة (دبورة) أو (داود) أو عند تحويل المباني الإدارية والتحصينات إلى (سليمان) . وهى توجهنا إلى الاهتمام بالبيئات الأركيولوجية المترامية خلال القرن (التاسع عشر الميلادى) وأساسيات التفسير التاريخي للآثار الأركيولوجية . وتحثنا على مزيد من الاهتمام بالتسلسل الزمني والدلالات التاريخية للتوجهات الجديدة والعناية التامة بالأركيولوجيا الإقليمية على مبدأ (معاصرة ماهو متعاصر) .

ويشير (ن . بى ليمشى) Lemche فى دراسته الحديثة عن الكنعانيين مسألة ماإذا كانت القصص التوراتية تاريخية فى الواقع أم لا . ويستنتج أن :

وصف المرويات التوراتية الكنعانيين لم يشير إلى أى إثنية فى العالم الحقيقى لإسرائيل القديمة أو أى كيان تاريخى - سياسى محدد . وسمه تلك القصص والتقاليد التوراتية انعكاس لايدولوجيا الحقبة الفارسية (مماثل لفهم كينوف وجاربنى) وكونها قصص يجعل مسائل المرجعية تبتعد كثيراً عما يستطيعه التاريخ (المرويات التوراتية أقرب إلى روايات الأصول منها إلى التاريخ) .

ويشير (طومسون)⁽⁵⁹⁾ إلى أنه ينبغي أن نتخلى عن استخدام التاريخ التوراتى كمصدر صالح لكتابة التاريخ . فالسكان الأصليون فى فلسطين لم يتغيروا كثيراً منذ العصر الحجرى . وخلال الألف السادس (أى الرابع ق.م) وفلسطين أصبحت سامية (بمفهوم لغوى) . وخلال العصر البرونزى القديم أقامت نمطاً استيطانياً واقتصادياً بقى من خصائص المنطقة حتى الحقبة الآشورية على الأقل . والسمة الأهلية للسكان لم تعد موضع تساؤل الآن . وهى السمة التى تظهر بوضوح فى جذور الثقافة المادية فى العصر البرونزى القديم (والظاهرة فى الأواني والبناء وطقوس الدفن وأنماط الاستيطان) . وبذا تنهار فرضيات الغزو الخارجى . والسيناريو القديم عن الغزو البدوى كسبب للدمار المفاجئ فى مدن وقرى العصر البرونزى القديم تخلق عن مكانته للإيضاحات المناخية والايكولوجية للانهايار التدريجي لحضارة العصر البرونزى القديم .

ويلاحظ (يوركو) أن الفنانين المصريين يرسمون سكان إسرائيل بنفس الأسلوب الذى يرسمون به سكان عسقلان وجازر (فى لوحة مرنبتاح المكتشفة فى تل العمارنة) . وأن مجموعة إسرائيل التى هزمها مرنبتاح هى مجموعة محدودة تماماً ضمن سكان فلسطين تحمل الإسم الذى يرد هنا لأول

مرة . وفى مرحلة لاحقة متأخرة من تاريخ فلسطين أصبح يحمل معنىً مختلفاً إلى حد كبير .

ويعتبر (طومسون) أن (نُصْب إسرائيل) هو مجرد اسم فى بيئة تاريخية شاع فيها تغيير الأسماء الجغرافية والقبلية وتشويشها على مدى قرون . والبيّنات المستخلصة من الأركيولوجيا تقدم دليلاً ضد أى تأكيد لوجود أى بني سياسية غير إقليمية فى مرتفعات فلسطين . وبالتالي فإن وجود إسرائيل أو يهودا فى مثل هذا التاريخ المبكر لاتؤيده المعلومات المتوفرة عن فلسطين فى تلك الفترة .

ويوجز (أوديد) B.Oded عدداً من الأسباب التى جعلت الآشوريين يعمدون إلى التغيير السكانى فى البنية السكانية فى الامبراطورية لأسباب منها :

- 1- استخدام التهجير كعقاب على المقاومة أو الثورة .
- 2- القضاء على المنافسين المحتملين .
- 3- القضاء على إمكانية المقاومة والعصيان .
- 4- سياسة التوطين هدفت إلى إيجاد جماعات تعتمد عليها السلطة الآشورية ضمن الشعوب المحكومة فتبقى مخلصه لها .
- 5- التجنيد العسكرى والسيطرة على الزعماء السياسيين والنخبة .
- 6- احتكار اقتصاد الحرفيين والعمال المهرة والسخرة وتجارة عبيد محدودة .
- 7- بعض المستوطنات الجديدة أقيمت لأغراض استراتيجية وشملت عدداً من المستوطنات شبه العسكرية .
- 8- بعض السكان نُقلوا فى محاولة لإعادة بناء المدن المفتوحة واستيطان

الأراضى الخالية .

- 9- السيطرة على البدو الجامحين وتوطينهم .
 - 10- تقسيم أراضى يهودا على ملوك أشدود وعفرون وغزة التابعين لآشور لمساعدتهم فى صراعهم ضد أورشليم .
 - 11- اخضاع حزقيال وجعل أورشليم دولة تابعة لآشور .
 - 12- إيجاد الولاء ودعم السكان ضد حكامهم الذين يعارضون السياسة الآشورية والحكم الآشورى عند إعادة استيطانهم .
- وإشارة لمكانة القدس (أورشليم) يقول (طومسون)⁽⁶⁰⁾

الاستراتيجيات الاقتصادية التى سادت فى فلسطين على مدى قرون كانت تؤدى إلى اللامركزية (لا المركزية) للسلطات المحلية المركزية فى فلسطين مثل صور وحاصور ومجدو وجازر ولخيش وبئر السبع وعسقلان وغزة وتل المشاش وشكيم والقدس استندت سلطتها مبدئياً على الروابط الاقتصادية المحلية المقتصرة على مناطقها . وظهور سلطات عبر إقليمية مثل توطيد القدس لنفوذها خارج وادى عيلون وهضبة القدس ليشمل مرتفعات يهودا وبعدها شمال النقب وشيفيلة ودمج السامرة الظاهر للمرتفعات الوسطى المتنوعة وتوسيع مصالحها ونفوذها إلى المناطق الغنية زراعياً والكثيفة السكان فى جرزيل ووادى الأردن الشمالى وبالتالى حتى البحر إلى الغرب وشرق الأردن إلى الشرق . وكل ذلك يستلزم أيضاً تاريخياً لهذه التوسعات باعتبارها حالات شاذة فى تاريخ فلسطين .

والتاريخ التوراتى الذى يركز مع الفلسطينيين باعتبارها عامل توحيد وبناء أمة ويعتمد على استقامة قيادة كارزمية مثل شاول وداود يدخل فى نطاق الأدب الرائع لكنه لا يشرح شيئاً تاريخياً . وما كشفت عنه الحفريات التى

تمركزت فى المرتفعات الوسطى فى فلسطين عن الانهيار فى العصر البرونزى الأخير والانتقال إلى العصر الحيدى الأول وكذا الدراسات الجغرافية والانثروبولوجية والأركيولوجية توضح مسار تشكل الدولة إذا تجاوزنا الحدود الزمنية التى يضعها (آلت) عن ظهور دورة إقليمية فى المرتفعات الوسطى. وتوجه مصالح القدس جنوباً فى يهودا جاء نتيجة توسع وطموح تجارى وليس لهدف سياسى أو عسكرى . فالتجارة الإقليمية كانت جوهر وقاعدة اقتصادها. ومصالح القدس (جنوباً) الزراعية توسعت بعيداً فى وادى عيلون . وامتداد سلطة القدس السياسية فى يهودا جاء بعد لا قبل الاستقرار فى المرتفعات (خلال العصر الحيدى الثانى) وهو الذى استلزم إخضاع المراكز التجارية التى تنافسها . ولم تأخذ القدس ببعض مظاهر الدولة الإقليمية المسيطرة إلا فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ق.م وباشرت القدس دوراً ثانوياً على حافة العالم الآشورى ولم تأخذ طابع العاصمة الإقليمية وحجمها إلا بعد تحرك آشور ضد الجنوب (فى نهاية القرن الثامن ق.م) وتدمير لخيش .

والوضع السياسى المتغير فى فلسطين والحاجة إلى استيعاب تدفق اللاجئين ضمن سكانها حول القدس من دولة إقليمية زراعية صغيرة تشبه مؤاب وأدوم فى شرق الأردن إلى مجتمع طبقى ونخبة مسيطرة (وربما معبد يكرس دين الدولة) ودولة عازلة بين القوتين الامبرياليتين الرئيسيتين : مصر (فى الجنوب) وآشور (فى الشمال) .

وهذا التنامى فى ثروة ورخاء وهيبة نخبة القدس وانخراط القدس تدريجياً فى سياسات التجارة الدولية قادها فى النهاية إلى مواجهة مباشرة مع الجيش الآشورى مما أدى إلى تدميرها وتفكيكها من جانب البابليين . وهو الدمار الذى

أدى إلى ركود اقتصادي مدمر وانهيار المجتمع بكامله .

وفى محاولة جادة لشرح الوضع الاجتماعى لليهود خلال التاريخ كما تبينه النصوص التوراتية يقول (موفق محادين) ⁽⁶¹⁾:

إن اليهود لم يخرجوا عن وظيفتهم التاريخية غير الانتاجية للأسباب التالية :

أولاً : ظلت الوظيفة الاجتماعية اليهودية تملي على الحاخامات إعادة انتاج تفاسير العهد القديم بما يخدم هذه الوظيفة وخاصة الرموز الفلاحية . فنقرأ فى الأسفار التوراتية ⁽⁶²⁾ أن الأماكن المرتفعة وتقديسها هى طقوس وثنية لاتليق بالشعب المختار . ولعل ترميم سفر التثنية وتخليصه من الرموز والطقوس الفلاحية الوثنية أهم مؤشر مبكر على العداء اليهودي للفلاحين . (تم تأليف هذا السفر فى القرن السابع ق.م. أى بعد موسى بحوالى سبعة قرون) .

ثانياً : الانحياز لـ (هابيل) الراعى ضد قايين (قابيل) المزارع وليعقوب ضد عيسو . وظلت التوراة تربط بين الأغيار والفلاحين على إطلاقهم وتعتبرهم أدنى درجة من اليهود شعب الله المختار من الناحية البيولوجية وظلت الشعوب الفلاحية بالنسبة لليهودى تساوى (قايين) الملعون فى التوراة ومصدر كل خطيئة بما هو فلاح . وأن الخروج من مصر (قديما) ومن أوروبا الشرقية (حديثا) والتهيه فى الصحراء ثم الشرق الأوسط ليس إلا تكفيراً عن خطيئة العيش مع الشعوب الفلاحية فى مصر وأوروبا الشرقية .

ثالثاً : رغم الحديث التوراتى عن الأرض الموعودة للشعب المختار إلا أن الأرض لم تحتل سوى قيمة ثانوية جداً فى الفكر الصهيونى كما فى الواقع اليهودى نفسه (تذكر التوراة أن إبراهيم (عليه السلام) اشترى أرضاً من عفرون الحيتى ليدفن زوجته سارة مع إنه كان مقيماً فى الأرض المدعوة للشعب المختار) .

رابعاً : لا حظ (إبراهيم ليون) ⁽⁶³⁾ أن الأرض التى كانت ملكاً لليهود كانت تتشكل أساساً من عمليات مضاربة ذات طبيعة ربوية أو تجارية .

ويذكر (إسرائيل شاحاك) اليهودى أن سمات المجتمع اليهودى ظلت سمات غير فلاحية ابتداءً من القرون الوسطى وحتى القرن العشرين .

خامساً : يُعتبر الإله اليهودى (يَهُوه) إلهاً رعويّاً وليس زراعيّاً أو فلاحياً (العصا فى القصّ التوراتى عن موسى ترمز كإسقاط مقدس لوظيفتها بالنسبة لأى راعى) .

ويقول (أ . ليون) ⁽⁶⁴⁾ : لم يُشتت اليهود إطلاقاً منذ سقوط أورشليم إذ كانت الغالبية العظمى من اليهود قد تبعثرت فى أنحاء العالم قبل هذا الحدث بعدة قرون (ثلاثة أرباع اليهود كانوا يسكنون خارج فلسطين قبل سقوط القدس بمدة طويلة) .

ويرى (موفق محادين) ⁽⁶⁵⁾ أن الجيتو اليهودى (الغزلة) Ghetto من اختراع اليهود أنفسهم ولأسباب اقتصادية أضفى عليها الحاخامات طابعاً دينياً من أجل تكريس دورهم داخل هذه الطوائف . وأن ايدولوجيا الغزلة التى حاولت تسويق المشروع الصهيونى بالإعلان عن صعوبة اندماج اليهود

مع الآخرين بسبب لاسامية هؤلاء (تجلت فى مذابح دائمة ضد اليهود) ليست ايدىولوجيا رجعية فحسب بل مزعومة فى الأساس . لأن الانغلاق الداخلى (العزلة) لم يكن مقصوراً على اليهود وحدهم بل على كل المجاميع البشرية وبسبب غياب شرط الأمة الكاملة فى مراحل ما قبل الرأسمالية .

ويقول (أوسويل)⁽⁶⁶⁾ : إن اليهود عاشوا كطائفة منفصلة لأنهم مثلوا نظام (اقتصاد السوق) بين ظهراى شعوب تعيش فى نظام (اقتصاد طبيعى) .

ويقول (كانتور)⁽⁶⁷⁾ الأمريكى : إن اليهود تعرضوا للاضطهاد والمغادرة أحيانا فى نطاق الامبراطورية الرومانية فى وقت لاحق لأنهم أنكروا ألوهية القياصرة انطلاقاً من الإيمان بالإله الواحد (كما أدى ذلك أيضا إلى اضطهاد المسيحيين) .

ويشير (ليونارد تشاين)⁽⁶⁸⁾ إلى أن : اليهود قد استقروا قبل انهيار الدولة اليهودية بوقت بعيد فى مصر وبرقة (ليبيا) وسوريا ومابين النهرين (العراق) وإيطاليا واليونان . وقد كان عدد اليهود على أعتاب المسيحية 700 ألف شخص فقط فى حين كان عددهم فى الامبراطورية الرومانية وحدها زهاء أربعة ملايين .

ويضيف الباحث (أحمد عثمان)⁽⁶⁹⁾ قائلا :

ليس صحيحا أن هجرة اليهود خارج فلسطين (الشتات) جاء نتيجة لمنع الرومان لهم من دخول القدس . وليس صحيحا أن تلك الهجرة كانت جبرية مفروضة عليهم بل أن معظم الهجرات تمت قبل تدمير المعبد فى سنة 70 ميلادية (عهد الامبراطور الرومانى طيطس) وهكذا تركت غالبية اليهود

أرض فلسطين بشكل اختياري وانتشروا في آسيا الصغرى وسوريا. وتقوم
تعاليم أحبار التلمود على أساس (الجنس الطاهر) . وتلك التعاليم هي التي
أدت في النهاية إلى عزلة اليهود في بلدان العالم التي هاجروا إليها اختياريًا
ثم وقوعهم ضحية للاضطهاد بعد ذلك .

ويعترف (شاحاك) ⁽⁷⁰⁾ اليهودي بأن الإسلام عامل اليهودية بتسامح يفوق
التسامح الذي لاقته من المسيحية .

وفي ظل الامبراطورية العربية المسلمة (العثمانية) كان بإمكان اليهود
بصفقتهم رعايا للسلطان أن يسافروا من وإلى فلسطين ولكنهم فضلوا
واختاروا العيش في القسطنطينية (اسطامبول) ودمشق والقاهرة لأفنى
فلسطين . وكان من نتائج أزمة عام 1929 م (الركود الاقتصادي العالمي)
طرد اليهود من الرايخ الثالث (كانوا حوالي 500 ألف يهودي عام 1933م)
وغادروا الرايخ حوالي 226 ألف يهودي بخلاف المهاجرين من السياسيين
ومن الآريين فوصل العدد حوالي 400 ألف توجه معظمهم إلى فلسطين .

وظهرت أحزاب جديدة على غرار الفاشية والنازية في بولونيا وهنجاريا
ورومانيا تشكلت من المتقنين والخريجين الذي اعتقدوا بأن اليهود يزاحمونهم
على المهن . وطالبت تلك الأحزاب بدكتاتورية عنصرية تأخذ على عاتقها
مهمة تطهير البلاد من اليهود وقطع دابرهم . وفي هذه المناخات ولدت
الحركة الصهيونية كحركة برجوازية صغيرة وليس كحركة للبرجوازية
الكبيرة وبالتالي كان مشروعها انعزاليا وليس اندماجيا .

ويصف (هرتزل) و (ليوبينسكى) ⁽⁷¹⁾ الصهيونية فيقولان:

الصهيونية ردة فعل البرجوازية اليهودية الصغيرة .

ويقول (إبراهيم ليون) ⁽⁷²⁾ .:

إنها تلك البرجوازية المختنقة بين الاقطاعية المنهارة والرأسمالية المنحطة . وقدمت ايدولوجيا الصهيونية نفسها بشد (هيجل) إلى (كانط) وترويج الميتافيزيقا الصهيونية انطلاقا من لاسامية (الأنا) التي لا تعترف بالصهيونية كفكرة مطلقة مقدسة متعالية.

فالقضية تقابل الشيء فى ذاته (عند كانط) والصهيونية - كايديولوجية عزلة - عنوانها : نوح - المصطفى - هابيل - إبراهيم. المتحولين من جهة وامتدادهما الرمزي بعد زواج اليهود من آخرين . كدلالة سامية عرقية اطلاقية ضد التعيين الأرضي كمعادلة للاندماج . فلا تستعيد الفكرة نفسها على طريقة التركيب (الهيجلية) (نفى النفى يتوسط الواقع) أى واقع الفكرة . بل على طريقة الخلق من خطيئة الآخرين وبطريقة القفزة الحدسية (كيركغادر زائد شيلنج) مضافا إلى ذلك أن مثل هذه الاستعادة فى صورتها المماثلة للخلق الأول تعنى أن كل خلق أول هو خلق يهودى بالضرورة يتوجب عليه أن يظل نقيا بدون أن يتلوث بدماء الآخرين من خلال الاندماج . كما أن الاعتراف بالتعيين اليهودى يعنى الاعتراف بالسيرورة وقوانينها الموضوعية . ويجزى إلى القول بأن دمار مملكتى إسرائيل ويهودا وكذلك الشتات اليهودى عقاب لبنى إسرائيل أنفسهم وليس للآخرين الذين دمروا هاتين المملكتين . ويظل اليهود - ماداموا نخبة خاصة عرقيا فى عرفهم - تعبر عن الفكرة المقدسة - لديهم - التى لم يلوثها الاندماج حيث يكف اليهودى عن كونه يهوديا فى حالة الاندماج أو الذوبان مع الآخرين . وهو ما يفسر الاستعارة الصهيونية لمفهوم الخطيئة فى التوراة وفق المقابلات المفارقة التالية :

(أ) إذا كانت الخطيئة تطال كل البشر فى طوفان التوراة باستثناء نوح وقومه الأقربين فإن إسرائيل صورة مصطفة معاصرة أخرى لنوح الذى اصطفاه الله من بين البشر الخطّائين وأعاده إلى السماء بعد الطوفان وأورث أحفاده الخُص من اليهود خصائص بيولوجية مطلقة تسمو على بقية البشر .

(ب) اليهود خارج الخطيئة . فالخطيئة دنيوية واليهود شعب الله فإن العقاب والندم لا يطلان إلا غير اليهود فقط. بل وإزاء اليهود أيضا باعتبارهم وكلاء الله الذين حملوا رسالته إلى البشر .

ويقول (هرتزل) ⁽⁷³⁾: لا يستطيع اليهود أن يعيشوا بانسجام مع غير اليهود .

ويقول (بينسكر) ⁽⁷⁴⁾: إن اليهود يشكلون عمليا بيئة منعزلة عاجزة عن التمثّل مع أية أمة ولذا لا تستطيع أية أمة أن تطبق اليهود فى بيئتها .

وفكرة المجيء اليهودية ترتبط بالأسر البابلى والتهى فى سيناء ودعوة الرب لشعبه واتحاده المقدس معه من خلال إعادة بناء الهيكل وقيام (المسيح اليهودى) من نسل داود . وفى الأساطير أن التاريخ هو الذى منح الحضور الجديد لأسطورة قديمة . فليس الماضى إلا تجسيدا للمستقبل وليس المستقبل إلا استعادة للماضى تقوم على تكرار النماذج الأولى ورفض الزمان الواقعي . وحسب مآثرات الأثرتك دُمّر العالم ثلاث مرات ولا يزال بانتظار الرابعة . وبين المرة والمرة ألف عام .

وفكرة (الألفية) هذه لم تحتل حيزها فى الموروث اليهودى نفسه إلا مؤخراً وبصورة مغايرة للفكرة اليهودية نفسها . فلم يعد المخلص المنتظر ملكاً يهودياً من نسل داود بل أصبحت إسرائيل بكاملها . ولكن كمقدمة لانبعاث (المسيح المسيحي) وليس (المسيح اليهودي) .

وكان للإصلاح الكنسي البروتستانتي دوراً فى ضرب التنميط والإطاحة بحق الكنيسة فى احتكار الكتاب المقدس وتحديد الرؤية المسيحية الفكرية . فكل بروتستانتي أصبح حراً فى دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل ما . ففتح ذلك الباب للبدع فى اللاهوت المسيحي التى رأت أن اليهود شعب مميز وليس من الصحيح أنهم قتلة المسيح وكفرة وهرطقة وشعب عاق شنتهم الله فى المنافى عقاباً لهم على ما ارتكبوه من الخطايا والآثام .

وبالتزوير التاريخي تسلل إلى العقل الأوروبي ما يسمى (بالساحق التاريخي) لليهود فى فلسطين كما لم يعد المسيح اليهودي المنتظر يهودياً بل مسيحياً باعتبار أن المسيح (عيسى) قد جاء وانتهى . ونشأت فكرة أن مجيء المسيح وانبعاثه لا يتم إلا بعد قيام إسرائيل وبناء الهيكل . ولذا فالوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله وعدم مساعدة اليهود على استكمال السيطرة على فلسطين يعنى تأخير عودة المسيح (المسيحي) .

ويصل تحليل (بوروشوف)⁽⁷⁵⁾ مستنتجا أن حل المسألة اليهودية لن يأتى عن طريق النضال فى سبيل (الاستقلال الذاتى القومى الثقافى) كما كان يطلب (البوند) ولا عن طريق الاندماج والنضال إلى جانب القوى الثورية المحلية فى سبيل الثورة الاجتماعية وإنما عن طريق الهجرة المنتظمة إلى

المكان الذى يوفر لليهود إمكانية تغيير تركيبته الاجتماعية ويسمح لهم بالنفاذ إلى مرافق الإنتاج الأساسية . وعندما تغيب الأرض والطبقة يكون دور الطبقة استعادة الأرض وحل المسألة القومية كإطار للصراع الاجتماعي لاحقاً .

ويقول (سوكلوف) ⁽⁷⁶⁾: يشكل اليهود وحدة عرقية وتاريخية وثقافية هي الأساس المشترك لبعث حياة قومية كاملة فى وطن آبائهم .

وعند (مارتن بوبر) ⁽⁷⁷⁾: اليهود هم الشعب الوحيد فى العالم الذى تكون خلال الأزمنة الغابرة كأمة وكسبط دينى فى آن واحد .

وكل هذه التصورات والمفاهيم يجرى تغذيتها وتعزيزها بالتوراة حتى لا يقال أن شعب الله المختار يبحث عن مسوغات أخرى خارج كتابه المقدس.

وإلى جانب التلمود وكتاب السبى البابلى (المرويات التوراتية غير الأسفار الخمسة الأولى) تصطف المساهمات الألمانية العرقية بجوهرها كما هو الحال عند نيتشه وجومبلوفكس وجوبينو وليبينتز أو باسقاطاتها المختارة والملفقة كما هو الحال بالنسبة لأعمال هيجل وكانط ⁽⁷⁸⁾.

ويشير (د. أحمد أبو النور) فى كتابه الثانى من سلسلة (رسائل آخر الزمان) ⁽⁷⁹⁾ إلى أن المعتقدات اليهودية المقدسة تدور فى فلك كتابين أساسيين هما :

1-التوراة : مرفق بها تراث الأنبياء التالين لموسى (عليه السلام) والسابقين لعيسى (عليه السلام) .

2-التلمود : (80) وهو الكتاب الأقدس عند اليهود

ويمثل الكتابان خلاصة السيرة العقائدية والتاريخية لليهود طيلة أزمنتهم. أما (بروتوكولات حكماء صهيون) فيعتبرونها اللائحة التنفيذية لكتابهم الأقدس التلمود .

وعن التوراة يقول : إن التوراة الحقيقية التي حصل عليها موسى (عليه السلام) من ربه تعالى على ألواح الحجارة وكان موسى منفرداً في حضرة ربه تاركاً بنى إسرائيل لأخيه هارون:

*ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوهى الشهادة .
لوهى حجر مكتوبين بإصبع الله (81)

أى أن التوراة الحقيقية هى لوهى حجر بما يمكن ترجمته فى حدود 15 صفحة فلو سكب . ويتسائل (د. أحمد أبو النور) عن حجم التوراة المتداولة حالياً وهى حدود 300 لوحاً حجرىاً بوزن يتجاوز 600 كجم . وعن مدى صحة ما فى هذه النسخة والاضافات الكبيرة فيها . والقرآن يقول :

* وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء . (82)

أى أن التوراة المنزلة كانت تفصيلاً وليست إيجازاً ولفظ الجمع (الألواح) غير لفظ المثنى (لوهى حجر) ويعتقد الكاتب أن التوراة كانت مكتوبة فى حوالى 15 لوحة حجرية وزنها جميعاً فى حدود 60 كجم .

وفى نقده للتوراة المتداولة يقول : إنها خلت من موضوع البعث وحساب الآخرة . وكأى دين سماوى لامجال لإنكار البعث أو الحساب .

ويتناول بعد ذلك (التلمود) بالنقد فيقول⁽⁸³⁾:

إنه صناعة بشرية 100% وقد جاء به على سبيل المثال :

* إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها . ومن درس المشناة فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها . ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة .

ويتكون التلمود من قسمين رئيسيين هما : المشناة (المشناة) والجمارا .

و(التلمود) يحوى آراء الحاخامات اليهود على مر العصور شرحا وتفسيراً فى كافة نواحي الحياة وكذلك آراء المحاكم العليا لديهم بعدما صارت التوراة بالنسبة لهم بمثابة الرجل الهرم الذي شاخ.

و (المشناة) : هى بمثابة الأساس البنائى للتلمود كله . ويذهبون إلى أن موسى (عليه السلام) هو واضع بذرة هذا الأساس بعد تلقيه شفاهة من الله . أما (الجمارا) فهى خلاصة الشروح والنقاشات الفكرية المختلفة لأحبار اليهود وحاخاماتهم على مر العصور فى تناول المشناة تحليلاً وتفسيراً ولقد أجمعت المصادر التاريخية على أن فئة (الفريسيين) أو المعتزلين أو المنشقين هى صاحبة بدعة القانون الشفوى أو التلمود . ولأن التلمود تمتد إليه الأيادى علنا وصراحة وفى وضح النهار فقد كان له الدور الأكبر كأداة تفرغ لكل أحقاد اليهود وأحبارهم تجاه شعوب الكرة الأرضية ودياناتها باعتبار أنهم يفسرون نصوص توراثية قديمة سواء لإحكام ما يريدون إقامته وإعطائه منزلة القداسة من خلال كتاب المشناة أو من خلال إضافته لجزء الجمارا . وقد طبع التلمود فى القرن السادس عشر الميلادي .

وفى التلمود يُعتبر روح اليهودى هى جزء من روح الله (تعالى الله عن ذلك) كما أن الابن هو جزء من أبيه . وأى روح غير يهودية فهى أرواح شيطانية تقارب أو تشابه أرواح الحيوانات . وأن الجنة لن يدخلها إلا اليهود أما باقى الشعوب والأمم فمأواهم الجحيم . والمسلمون - فى نظر اليهود - لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم (يقصدون الوضوء) والمسيحيون يحركون أصابعهم (يقصدون أنهم يرشمون الصليب) ويدعون زوراً أنه :
*لاشغل الله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة .

وعن المسيح وأمه يقولون فى التلمود⁽⁸⁴⁾:

*إن يسوع الناصرى (يقصدون المسيح بن مريم) موجود فى لجان الجحيم بين الزفت والنار . وأن أمه أتت به من العسكرى (باندارا) بمباشرة الزنا وأن الكنائس النصرانية بمثابة قاذورات وأن الواعظين بها أشبه بالكلاب النابحة وأن قتل المسيحى من الأمور المأمور بها وأن على اليهودى أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى . وأن يسوع (المسيح) قد ارتدّ عن الدين اليهودى وعبد الأوثان .

وفى التلمود أيضا أن المسيح ولد غير شرعى حملت به أمه وهى حائض . وإن مريم هذه كانت تدعى (ستادا) وأنها كانت عاهرة هربت من زوجها واقتربت الزنا وفيه أيضا أن الكفار هم يسوع ومن اتبعه .
وكما نرى فهى افتراءات باطلة جملة وتفصيلا .

وعن تعامل اليهودى مع الغير - كم جاء فى التلمود - نقرأ⁽⁸⁵⁾:

* إن أموال المسيحيين مباحة لليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر .
فأول من يضع يده عليها يمتلكها .

* إن الله لا يغفر ذنبا لليهودى يرد للأمى ماله المفقود.

* يسمح بغش الأمى (أى غير اليهودى) وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش
لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودى شيئا فلا تخذعه أو تغشه .

* غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا .

* إذا وقع أحد الوثنيين (أى غير اليهود) فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر.

وعن (بروتوكولات حكماء صهيون) ⁽⁸⁶⁾ وهى المخطط التنفيذى للتلمود
لحكم العالم يورد (د. أحمد أبو النور) بعضا منها :

* إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم إنما يعمل فى غفلة من
الآخرين كقناع لأغراضنا ⁽⁸⁷⁾.

* نحن أقوىاء جدا . فعلى العالم أن يعتمد علينا ويرجع إلينا وإن الحكومات
لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا ⁽⁸⁸⁾.

* بحكمى فليحكم الملوك ⁽⁸⁹⁾

* حكمنا سيبدأ فى اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات
وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم فيصرخون هاتفين إخلعهم واعطونا حاكما
عالميا واحداً يستطيع أن يوحدنا. حاكما يستطيع أن يمنحنا السلام
والراحة ⁽⁹⁰⁾.

* ولكى نخرب صناعة الأمميين (غير اليهود) ونساعد المضاريات سنشجع
حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل وفى الوقت نفسه سنرفع أثمان

الضرورات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك . كما سننسف بمهارة أيضا أسس الانتاج ببذر الفوضى بين العمال ونشجعهم على إدمان المُسكِرات (المخدرات) وفي الوقت نفسه سنستعمل كل وسيلة ممكنة لطرده كل ذكاء أعمى من الأرض (أى كل شخص غير يهودى ذى قيمة ومهارة) (91)

*وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة ويجب أن ننتوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات . ولكننا فيما يسمى اللغة الرسمية سوف نتظاهر بعكس ذلك كي نظهر بمظهر الأمين الممثل للمسئولية(92).

*إن لنا طموحا لا يُحدّ . وشرها لا يشبع ونقمة لا ترحم . وبغضاء لا تحس . إننا مصدر إرهاب بعيد المدى (93).

*نحن جيش مشئت عن الوصول إلى أغراضنا بالطرق المستقيمة . فالمرأوة - فحسب - هى الوسيلة الصحيحة وهى الأصل فى تنظيمنا للماسونية التى لا يفهمها أولئك الخنازير الأحميين (غير اليهود) (94)

وعن (الماسونية) يقول (95):

إن اليهود فى تاريخهم الطويل ليسوا هم أهل التنفيذ لما يريدون ولكنهم أهل تخطيط المؤامرات من الألف للياء . وعلى الآخرين المختارين أن يقوموا بالتنفيذ . ومن أبرز الأيادى الصهيونية الأخطبوطية تلك المحافل الماسونية وأندية الروتارى وشهود يهوه والليونز وغيرها . وهى منظمات وتجمعات أخذت صفة الدولية والعالمية . وهم يسعون وينجحون فى استقطاب وضم

معظم نجوم المجتمعات التي يعملون داخلها لاجتماعات ومحافل هذه التنظيمات .

وتعتبر المحافل الماسونية أقدم من حركة الصهيونية العالمية الرسمية المعلنة . ولفظ الماسونية مشتق من مسمى (البنائين الأحرار) Free Mason وعملهم البنائي الوحيد هو محاولة بناء هيكل اليهود في القدس مكان المسجد الأقصى .

وعن تنظيم (شهود يَهْوَه) يقول (د. أحمد أبو النور) :

إن هذا التنظيم استعار اسم (يَهْوَه) كإسم لله تعالى ورد في العهد القديم . واعتبروا أنفسهم هم شاهده الوحيد . أو شهوده وكفروا كل مؤمنى العالم من كل الملل والديانات . وهو تنظيم دينى هدفه:

1- هدم المسجد الأقصى والصخرة وكنيسة القيامة . ولكل هدم وقته المناسب .

2- بناء الهيكل .

3- إعلان التنظيم اليهودي الصهيوني العالمي الجديد والذي بمقتضاه تكون إسرائيل الكبرى هى مملكة الله .

وعن نفس المسميات السابقة يأخذنا (د. عبد الوهاب المسيرى)⁽⁹⁶⁾ فى جولة مع دراسته فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية شارحا بقوله :

العداء لليهود والاستيطان هما وجهان اختزاليان وعنصريان لعملة واحدة فكلاهما يؤكد وحدة اليهود . وكلاهما يطالب بطرد اليهود من أوطانهم .

والنموذج الاختزالي العدائي لليهود : يتهم اليهود بأنهم يحيكون مؤامرة يهودية عالمية وردت وقائعها فى (بروتوكولات حكماء صهيون) وأيضاً فى (التلمود) . ومن أهم تجليات هذا النموذج ما يقال له (المؤامرة اليهودية الكبرى) أو (المؤامرة اليهودية العالمية) والتي تفترض أن أعضاء الجماعات اليهودية يكونون كلاً واحداً متكاملًا متجانساً . وأن لهم طبيعة واحدة . ويتسم اليهودى حسب هذا النموذج بالشر والمكر والرغبة فى التدمير والاستحواذ والسيطرة على العالم . والتاريخ اليهودي بأسره إن هو إلا تعبير عن هذا النموذج وعن هذه المؤامرة الأتلية المستمرة . واليهود - من ثم - هم المسئولون عن الشرور والمنكرات فى كل زمان ومكان . فهم على سبيل المثال الذين أراقوا دم المسيح (حسب الرواية المسيحية) . وهم الذين وضعوا السم للرسول (ﷺ) فى الشاة المشوية . وهم وراء مؤامرة عبد الله بن سبا (ثم أتباعه من بعده) للقضاء على الإسلام . وهم الذين قاموا بدس الإسرائيليات دساً على الدين الحنيف . بل ويُنسب إليهم ذبح أطفال المسلمين وإستخدام دمهم فى صنع خبز الفطير الذى يأكلونه فى عيد الفصح . وفى العصر الحديث هم وراء أشكال الانحلال المعروفة العلنية والخفية وهم وراء المحافل الماسونية التى أسسوها أداة لمؤامراتهم . وهم وراء البهائية التى تسعى لإفساد الإسلام وكل العقائد . بل وهم على اتصال بعالم الجريمة للمساعدة فى إفساد العالم . وهم الذين أدوا إلى ظهور الرأسمالية بكل بشاعتها والبلشفية بكل إرهابها والإباحية . وهم الذين أسقطوا الدولة العثمانية (من خلال يهود الدونمة) ويتحكمون فى الصحافة ووسائل الاعلام . وهم الذين ضغطوا على الامبراطورية البريطانية لتصدر (وعد بلفور) وهم الذين يحركون - الآن - اللوى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مآربهم وتنفيذ مصالحهم .

والصهيونية ليست مرتبطة بظهور الامبريالية الغربية وبهيمنتها على العالم وإنما هي مجرد تعبير عن الشر الأزلى الكامن فى النفس اليهودية ويرى هذا الفريق (التأمريون) أن اليهودى يعانى من ازدواج الولاء ويقاوم الاندماج فى الأغيار ويقع ضحية لعنفهم معه .

وعن(بروتوكولات حكماء صهيون) يقول د/ عبد الوهاب المسيرى⁽⁹⁷⁾ :

إنها وثيقة كُتبت عام 1897 م فى بازل بسويسرا (عام انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول) وتشمل أربعة وعشرين بروتوكولا (وثيقة أو اتفاقية) فى نحو مائة وعشر صفحات ونشرت عام 1905 م . ملحقا لكتاب من تأليف الروسى (سيرجى نيلوس) . وتلك الوثيقة المنشورة مزورة لأنها :

1-وثيقة روسية بالدرجة الأولى والأخيرة .

2- محاولة لبيان الخطر العالمى لليهود على لسان حكماء صهيون .

وثمة رأى يقول أن الصهاينة يقومون بالترويج لهذه البروتوكولات لأنها تخدم المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى ضرب العزلة على اليهود وتحويلهم إلى مادة خام صالحة للتهجير والتوطين فى فلسطين المحتلة . ويساهم بعض أعضاء النخب الحاكمة فى الترويج لهذه البروتوكولات لتبرير العجز العربى والتخاذل أمام العدو الصهيونى . وقد أثبتت الانتفاضة الفلسطينية مدى زيف تلك الدعاوى المذكورة فى البروتوكولات .

وعن (التلمود) يقول د. المسيرى⁽⁹⁸⁾:

إنه من أهم الكتب الدينية عند اليهود . وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية (السماعية) وهو تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) أى

(القرائية) . وهناك تلمودان :

1- التلمود الفلسطيني أو الأورشليمي (تلمود أهل الغرب) .

2- التلمود البابلي . (تلمود أهل الشرق) .

وكلا منهما مكون من المِشناه والجِماراه . والمِشناه فى كل من التلمودين لاختلاف بينهما . أما الجِماراه فاثنتان وضعت إحداهما فى فلسطين والأخرى فى العراق (بعد السبى) والتلمود البابلي هو الأكثر تداولاً وهو الكتاب القياسى عند اليهود لأن الجِماراه البابلية أكمل وأشمل من الفلسطينية .

ويضم التلمود ملاحظات مهينة ضد المسيحية كعقيدة . فيذكر التلمود أن المسيح عيسى (عليه السلام) كان يهودياً مرتدّاً كافراً . وأن تعاليمه كفرٌ بين . وأن المسيحيين كفرٌ مثله . وأن أمه حملت به سفاحاً من جندي روماني يدعى (بندارا) ويضم التلمود أجزاء عن محاكمة المسيح فى السنهردين . ويقر بأن اليهود هم الذين صلبوا المسيح . ويعتبر التلمود - لذلك - مسئولاً عن عدم اعتناق اليهود المسيحية . وإذا كانت صهيون هى الوطن الوهمي البعيد فإن التلمود أصبح هو الوطن المتنقل . وحل التلمود محل التوراة فى العصور الوسطى باعتباره كتاب اليهود المقدس الأساسى . ومن القرن السادس عشر الميلادى أخذت (قبالة الزوهار) والكتب القبالية الصوفية الأخرى تحل محل التلمود . وفى الوقت الحالى فإن الأغلبية العظمى من أعضاء الجماعات اليهودية يرفضون التلمود بل ويجهلون ماجاء فيه (كان مكتوباً بالآرامية) .

وأثر التلمود واضح على قوانين الأحوال الشخصية لليهود . والتصور التلمودى للإله يشكل نكسة للفكر التوحيدي وللرؤية التى طرحها الأنبياء فى العهد القديم . ويخلع التلمود العديد من الصفات الإنسانية واليهودية على الإله . ويتناسى التلمود الفرق بين الأخيار والأشرار من الأغيار (غير اليهود) ويطالب اليهود أن يستخدموا مقياسين أخلاقيين . واحد للتعامل مع اليهود وآخر للتعامل مع الأغيار . والتلمود لا يرحب بالمتهودين لأن اليهود وحدهم يجسدون روح الإله . وأصبح التلمود مجالا للتعويض عما يلاقونه اليهود من اضطهاد فتحول التلمود إلى صياغات لفظية يمارسون من خلالها الانتقام من أعدائهم وإظهار التفوق اليهودى ويتكون التلمود من نص وشرح وتعليق وتعليق على التعليق وإضافات شتى واستمرت عملية وضعه مئات السنين فى أزمنة وأمكنة مختلفة (من السبى البابلى حتى القرن التاسع عشر الميلادى) .

وعن (الإسرائيليات) يقول (د. المسيرى) (99):

الإسرائيليات هى مجموعة من القصص والتفسيرات لقصص وأحكام القرآن الكريم . ولما كان القرآن الكريم لم يذكر قصص الأنبياء كاملة فإن كُتَّاب الإسرائيليات يلجأون إلى ملء الثغرات - فى تفاسيرهم - بالعودة إلى كتب اليهود الدينية . ومما تتناوله الإسرائيليات عقائد مثل المسيح المخلص والمهدى المنتظر وآخر الأيام وعذاب القبر واسم الإله الأعظم . وتتسم معظم الإسرائيليات (بل كلها) بطابعها الحلولى المتطرف الذى يتناقض وبشكل حاد مع الفكر التوحيدي . وتساهل المفسرون وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها عن أهل التوراة ولا تحقيق عندهم . وكلها تفاصيل روائية لا فائدة من معرفتها . وقد دخلت الإسرائيليات إلى كتب التفاسير عن طريق اليهود الذى اعتنقوا الإسلام فى مرحلة مبكرة مثل كعب الأحرار .

ولكن بعد فترة لم يعد اليهود الذين أسلموا هم وحدهم مصدر الإسرائيليات بل كان كثير من المفسرين المسلمين يعودون بأنفسهم إلى الكتب الدينية اليهودية أو الفولكلور اليهودي لتفسير القصص القرآني. كما أن الوجدان الشعبي نسج وولّد قصصا وتفسيرات على منوال الإسرائيليات .

وعن (يهود المارانو) يقول يقول د. المسيري : (100)

إنهم اليهود المتخفين (فى أسبانيا والبرتغال) الذين تراجعوا ظاهريا عن اليهودية وادعوا اعتناق الكاثوليكية (المسيحية) حتى يتمكنوا من البقاء فى شبه جزيرة أيبيريا مع تراجع الحكم الاسلامى وبعد طرد يهود البرتغال عام 1480م ويهود أسبانيا عام 1492 ويطلق عليهم تعبير (كونفرسوس) أما المسيحيون الجدد فيسمون (كريستاوس نوفوس) .

واسم يهود المارانو العبرى هو (أنوسيم) أى المُكرَّهين أو الذين أُكْرهوا على التنصر واستمر أغلبهم فى التخفى حتى بعد أن أصبح من حق اليهود ممارسة شعائر دينهم علناً فى أسبانيا والبرتغال . وقد تأثروا بالطقوس الكاثوليكية . وهم يشبهون من بعض الوجوه ظاهرة (الموريسكيين) وهم العرب المسلمون الذين أُضطروا إلى التنصر بعد استرداد المسيحيين لأسبانيا (الأندلس) .

وعن (يهود الدونمة) يقول د. المسيري (101):

هؤلاء اعتنقوا الإسلام طواعية دون قسر . والدونمة تعنى المرتدين: وهم جماعة يهودية تركية شبتانية من اليهود المتخفين استقرت فى سالونيك وأشهرت إسلامها تشبهاً بالماشيح الدجال (شبتاي تسفى) . وكانوا يمارسون

شعائرهم اليهودية سرا . وهم عدة فرق منهم اليعقوبية والأزميرلية . وكانوا يحلون لأنفسهم كثيراً من تحريمات التوراة (تبادل الزوجات - الزنا .. الخ).

وعن (الماسونية) يقول د. المسيرى⁽¹⁰²⁾:

تعرف بأنها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التعاليم . والتي تضم البنائين الأحرار والبنائين المقبولين أو المنتسبين (الذين لا يمارسون حرفة البناء) . وتلك الطائفة تؤمن بالحرية والمساواة الإنسانية . وهي علمانية . ويتم توريث المعلومات فيها والخبرات المختلفة من خلال النقابات الحرفية . وظهرت الماسونية الرمزية أو الفلسفية أو النظرية التي حلت محل الماسونية الفعلية . وبداياتها كانت علمانية (الماسونية الأولى/ الفكر الربوبي) . وتحولت في مرحلتها الثانية إلى ثورة إلحادية (الماسونية الثانية) ثم تحولت إلى - بعد أن فقدت دورها الثوري - ما يشبه النوادي التي تضم أعضاء لهم مصلحة مشتركة وتشكل إطاراً يتبادل داخله الأعضاء الخدمات (الماسونية الثالثة) . وظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية محافل ذات طابع اجتماعي ترفيهي أغلب أعضائها من الماسونيين ويقال لهم (الحرميون) وفيها يسمح للنساء بالانضمام إليها . وتعد نوعاً من الابتذال وهو يشار إليه بالماسونية السوقية أو المتأمركة أو ماسونية عصر الاستهلاك وما بعد الحداثة (الماسونية الرابعة) . وقد وصف البابا كلمنت الثاني عشر عام 1738 م الماسونية بأنها ديانة وثنية غير مقدسة.

وقد حلت الماسونية مشكلة اليهود الذين كانوا يريدون الانضمام والاندماج في مجتمع الأغيار ولكنهم لا يريدون التنصّر . وكان المطلوب منهم - اليهود

وغيرهم - إزاحة وتهميش الدين وإعادة تأسيس عقيدتهم على العقل (العلمانية) لا الغيب (التدين) . ولذلك انخرط اليهود بأعداد كبيرة فى المحافل الماسونية لأسباب منها :

(أ) الماسونيون معادون للكنيسة والكهنوت . وهذه نقطة لقاء بينهم وبين أعضاء الجماعات اليهودية الذين فقدوا إيمانهم (وهؤلاء أغلبية يهود العالم) .

(ب) التركيب المهني والوظيفي لليهود يجعل أغليبيتهم الساحقة من القطاعات التى تشكل أعضاء المحافل الماسونية (العناصر المالية والتجارية والمهنية) .

(ج) الماسونية حركة أممية تتجاوز الولاءات القومية . وعنصر اليهود المهاجرة ليس لها ولاء قومي قوى بل الولاء للمصالح المالية وغيرها.

وعن (العبرية اليهودية) يقول د. المسيرى⁽¹⁰³⁾:

يمكن تفسير ذلك لأسباب عديدة منها :

1- العباقرة فى الغرب الحديث يحققون تميزهم لا بمقدار تعبيرهم عن يهوديتهم وإنما بمقدار تخليهم عنها وتصادم معدلات العلمنة . (مثال اسبينوزا - ماركس - فرويد-اينشتاين . وكلهم ملحدون)

2- تركيز اليهود فى الحقل الاعلامى جعلهم يسلطون الأضواء على الأنشطة التى يقومون بها واعطائها الأهمية أكثر مما تستحق .

3- تخليهم عن الدين يشعر اليهود بعدم حرمة أى شئ وتحررهم من قيود الحلال والحرام وسباحتهم مع تيارات العلمنة والمادية فبرزوا فى قطاعات مختلفة .

4- كونهم من العناصر المهاجرة التي لا تنتمي لمجتمع بعينه ولا لنظام يقيد حركتها فأصبحوا عناصر حركية متحررة من القيم والمطلقات تبحث عن الحراك الاجتماعي .

5- ارتباطهم بالطبقات الحاكمة ساهم في زيادة بروزهم .

6- تميزهم الوظيفي حيث يضطوعون بوظائف معينة دون غيرها .

وعودة إلى مبادئ د.المسيري يؤكد وينبه على أن:

الحركة الصهيونية ليست جزءاً من تاريخ يهودى عالمى وهمى ولا هى جزء من التوراة والتلمود وإنما هى جزء من تاريخ الامبريالية الغربية . ويدلل على ذلك بأن الصهيونية لم تظهر بين يهود اليمن أو الهند أو المغرب وإنما ظهرت بين يهود العالم الغربى . وهى لم تظهر فى العصور الوسطى وإنما ظهرت مع التشكيل الاستعماري الغربى . والساسة الإسرائيلون يدركون هذا تماماً وهم لا يكفون عن الحديث عن أهمية إسرائيل كقاعدة عسكرية وحضارية وأمنية للغرب وهى قاعدة رخيصة التكلفة للغرب أرخص من بناء عشر حاملات للطائرات تكاليفها خمسين مليار دولار كانت الولايات المتحدة الأمريكية ستضطر لبنائها وإرسالها للمنطقة لحماية المصالح الأمريكية . وعلى هذا فإن إسرائيل تعتبر (دولة وظيفية) وكنز استراتيجى بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

وعن (الوصايا العشر) التى ورد ذكرها كثيراً فى أسفار العهد القديم يقول (عاطف عبد الغنى)⁽¹⁰⁴⁾ إنها :

1- احفظ السبت :

وقيل فيه أن الله ما اختار اليهود شعباً له إلا ليحفظوا السبت . ويقال أيضاً أن الكتاب المقدس فسر مسألة السَّبْيِ الذي استمر حوالى سبعين عاماً فاعتبر أن الأرض فى هذه المدة كانت تستوفى (سبوتها) وهذا مما يتفق مع اعتقادات الكهنة . والطقس السبتي (أى راحة يوم السبت) يبدوا مقنعاً كإجراء طبيعى اجتماعى صحى يهدف إلى الراحة الجسدية والذهنية التى يحتاج إليها البشر لمواصلة الحياة . ويوم السبت (اليوم السابع) يدعى اليهود أن الله لما خلق السماوات والأرض فى ستة أيام كان فى حاجة إلى يوم يرتاح فيه وكان هذا اليوم (يوم السبت) هو اليوم السابع [سيأتى توضيح دينى لتلك الفرية فى الفصل السادس].

2- لا يكن لك آلهة أخرى أمامى (عدم الشُّرك بالله):

وهى وصية تدعو إلى التوحيد ونبذ الآلهة الأخرى (سواء فى السماء كالنجوم والكواكب أو الأرض كالتماثيل وغيرها) .

3- لاتزن :

ولقد وردت الشريعة الأولى فى سفر الخروج تنهى عن فعل الزنا . ولكنها لم تناقش تفاصيل تلك الجريمة ولا عقابها مثلما فعلت مع باقى الجرائم التى ورد تحريمها ضمن الوصايا العشر وتدارك الكهنة ذلك الأمر فأوردوه فيما بعد فى نص سفر التثنية⁽¹⁰⁵⁾ بكثير من التفصيل أهمها رجم الزانى والزانية بالحجارة إذا كانا محصنين (متزوجين) والزواج من الفتاة المزنى بها مع تعويض أهلها بالمال إذا كانت غير مخطوبة. ولا يحق للرجل فى هذه الحالة طلاق تلك المرأة مدى الحياة.

4-لا تقتل :

ومن القتل الجماعى (الإبادة) والتحريم الذى أقرته التوراة لبنى إسرائيل فجعلته دستوراً لحروبهم مع الآخرين إلى حد القتل الذى يُطبَّق على الإنسان جزاءً لجرم ارتكبه (العين بالعين والسن بالسن) .

5-لا تسرق :

والسارق يُعوّض عن سرقة (سَفَر التَّثْنِيَّة يجيز سرقة الغريب ويحرمه بين اليهود بعضهم البعض) .

6-أكرم أباك وأمك :

أى برِّ الوالدين . وتقرن التوراة ذلك بطول العمر على الأرض التى يعطيها الرب لبنى إسرائيل .

7-لا تشتهه :

وقصر النص تحريم الاشتهااء على ماللقريب فقط . أما فيما يملكه الغريب فقد أطلق اليدّ فيه (تأصلت صفة الجشع فى بنى إسرائيل ولم يعد اليهودى يفرّق بين القريب والغريب) .

8-تحريم الربا :

تحريم الربا فى النص مقصود به تحريم الربا من اليهودى . ولكن بالنسبة للأجنبى (غير اليهودى) فهو مباح .

9-رفض الرشوة :

لأنها تعمى المبصرين .

10-الأمر بالإحسان :

فلا يطالب المرتهن برد الرهن إن كان ثوبا عندما يأتى المساء على
الراهن فلعل هذا الثوب غطاء لصاحبه .

ويشير (عاطف عبد الغنى) إلى أن تلك الوصايا هى خاصة فى
التعامل بين اليهود بعضهم البعض أما فى تعاملهم مع الأجانب والأغيار
(غير اليهود) فكل شئ مباح .



الهوامش

- 1 (سورة الذاريات : 56-58
- 2 (سورة إبراهيم : 4
- 3 (سورة النحل : 36
- 4 (سورة النساء : 105
- 5 (ديانة الساميين: (روبرتسن سميث) ص 18-22
- 6 (نفس المصدر السابق : 39
- 7 (كتاب الموتى الفرعونى : (والسن بدج) ص 249 وما بعدها .
- 8 (ديانة الساميين : (روبرتسن سميث) ص 74
- 9 (نفس المصدر السابق : ص 89
- 10 (سفر هوشع : 9 : 3
- 11 (سفر عاموس : 7 : 17 & سفر يشوع : 22 : 19
- 12 (سفر صموئيل الأول 14 : 35 .
- 13 (سفر القضاة : 6 : 20 & 13 : 19
- 14 (كان (عمري) أحد ملوك إسرائيل قد اشترى جبلا من شخص يدعى (شامر) وبنى عليه مدينة سُميت (الشامرة) ثم تحول إسمها إلى (السامرة) وإليها ينسب السامريون (يهود الشمال - إسرائيل) أما اليهود الذين سكنوا الجنوب وأقاموا مملكة (الجنوب - يهوذا) فقد ظلوا يسمون العبرانيين . واختصت كل طائفة منهما بتوراتها .
- 15 (أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 27
- 16 (اختلاق إسرائيل القديمة : (كيث وايتلام) ص 18.

- ¹⁷ (تاريخ نقد العهد القديم : (زالمان شازار) ص 101
ونفس الرأي للناقد العبرى ش.ل.هيرش.
- ¹⁸ (أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 89 - 93 .
- ¹⁹ (نفس المصدر السابق : ص 92.
- ²⁰ (سفر اللاويين : 14 : 1-9 & سفر العدد 12 : 1-6
- ²¹ (أساطير التوراة : ص 100 وما بعدها .
- ²² (سفر يهوديت : 10 : 2-8 & 10 : 17 ، 18 & 16 : 8-11
- ²³ (سفر الخروج : 4 : 10
- ²⁴ (سفر التكوين : 32 : 24-30
- ²⁵ (سفر إرميا : 2 : 20 & 3 : 6 ، 8 ، 9 .
- سفر حزقيا : 16 : 15 & 16 : 25 ، 26 & 23 : 8 - 12 & 23 : 20 ، 21 .
- ²⁶ (سفر أخبار الأيام الثانى : 26 : 32
- ²⁷ (سفر عزرا : 9 : 7
- ²⁸ (سفر أشعيا : 45 : 1
- ²⁹ (سفر يشوع : 24 : 14
- ³⁰ (انبعاث أمة : (ريتشارد كروسمان)
- ³¹ (عصور فى فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى).
- ³² (تاريخ نقد العهد القديم : (زالمان شازار) ص 96.
- رسالة فى اللاهوت والسياسة : (سبينوزا)
- ³³ (دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 166
- ³⁴ (نفس المصدر السابق : ص 167 .
- ³⁵ (نفس المصدر السابق : ص 167 وما بعدها .
- ³⁶ (سفر التثنية : 31 : 1 ، 2
- ³⁷ (سفر التثنية : 32 : 48 ، 49 ، 52 & 34 : 4.

- 38 سفر التثنية : 31 : 9
- 39 (رسالة في اللاهوت والسياسة : (سبينوزا)
- قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385 .
- سفر الخروج : 33 : 11
- 40 (قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385 .
- سفر الخروج : 32 : 19
- 41 (قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385
- سفر التثنية : 34 : 5
- 42 (سفر التثنية : 34 : 10
- 43 (سفر التكوين : 14 : 14 & سفر التثنية 34 : 1
- 44 (سفر التثنية : 3 : 14 & سفر العدد : 32 : 41
- 45 (سفر القضاة : 10 : 14
- 46 (سفر التكوين : 40 : 15
- 47 (سفر التكوين : 36 : 31 & سفر العدد : 7 : 24
- 48 (آرام دمشق وإسرائيل : (فراس السواح) ص 11 ، 12
- 49 (نفس المصدر السابق : ص 182 - 185
- 50 (نفس المصدر السابق : ص 268 - 270
- 51 (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي : (توماس ل . طومسون) ص 80 - 82
- 52 (نفس المصدر السابق : ص 22 - 25 .
- 53 (نفس المصدر السابق : ص 292.
- 54 (نفس المصدر السابق : ص 5
- 55 (نفس المصدر السابق : ص 91 وما بعدها .
- 56 (نفس المصدر السابق : ص 107 - 110
- 57 (أركيولوجيا فلسطين قبل العصر الهيليني : (هـ . ويرت)

-
- 58) تاريخ فلسطين القديم : (جى . ألستروم) G.Ahlestrom
59) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي : (توماس ل.طومسون) ص 124 ، 131 ،
189 ، ص 234 .
60) نفس المصدر السابق : ص 219 - 229 .
61) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 14 - 16 .
62) سفر إرميا : 3 : 6 & 17 : 1 ، 2
سفر حزقيال : 20 : 21 - 28 ،
سفر الملوك الثانى : 23 : 4 - 20
63) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود : (شاحاك) ص 88 ، 89
64) المفهوم المادى للمسألة اليهودية : (إبراهيم ليون) ص 18 ، 19 ، 32 ، 49
65) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 53
66) نفس المصدر السابق : ص 54 .
67) جريدة الراى الأردنية : العدد الصادر فى 1995/9/2 . (كانتور)
68) احذروا الصهيونية : (يورى ايفانوف) ص 17
69) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 57 .
70) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود : (شاحاك) ص 10-12 .
71) الدولة اليهودية : (هرتزل) .
التحرر الذاتى : (ليوبنسكى) .
72) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 72 ، 73 ، 75 ، 76
73) الدولة اليهودية : (هرتزل) .
74) التحرر الذاتى : (ليوبنسكى) .
75) الأمية الشيوعية وفلسطين : (ماهر الشريف) ص 70 - 72 .
76) احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 56
77) نفس المصدر السابق : (ايفانوف) ص 44 .

- 78 (دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 119 .
- 79 (سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 43 .
- 80 (التلمود : عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والأدب والعلوم الطبيعية وغيرها . ويتضمن فصولا عن الزراعة وفلاحة الأرض والصناعة والمهن الأخرى ويغضى كل جوانب الحياة الخاصة لليهود .
- الكنز المرصود فى فضائح التلمود : (د. محمد عبد الله الشرقاوى) .
- التلمود تاريخه وتعاليمه : ظفر الدين خان .
- 81 (سفر الخروج : 31 : 18
- 82 (سورة الأعراف : 145
- 83 (سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 66 ، 67
- 84 (نفس المصدر السابق : ص 70 ، 71
- 85 (نفس المصدر السابق : ص 71
- 86 (نفس المصدر السابق : ص 74
- 87 (بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة (محمد خليفة التونسي) من البروتوكول الرابع .
- 88 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الخامس)
- 89 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الخامس)
- 90 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول العاشر)
- 91 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الرابع)
- 92 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول السابع)
- 93 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول التاسع)
- 94 (نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الحادى عشر)
- 95 (سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 76 وما بعدها .
- 96 (اليد الخفية : (د. عبد الوهاب المسيرى) ص 9-13 .

-
- 97 (نفس المصدر السابق : ص 14 ، 16 ، 20 .
- 98 (نفس المصدر السابق : ص 21-40 .
- 99 (نفس المصدر السابق : ص 79 - 81 .
- 100 (نفس المصدر السابق : ص 81-90 .
- 101 (نفس المصدر السابق : ص 100 وما بعدها .
- 102 (نفس المصدر السابق : ص 115 - 135 .
- 103 (نفس المصدر السابق : ص 219 وما بعدها .
- 104 (أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 29 وما بعدها . وهي مذكورة في سفر الخروج : 20 : 7-17 & سفر التثنية : 5 : 15 - 21
- 105 (سفر التثنية : 22 : 13 - 30

الفصل الثاني

رؤية تاريخية / دينية

تمهيد

إن تاريخ بنى إسرائيل لم ينشأ منعزلاً عن باقى تواريخ الشعوب المعاصرة له . بل تأثر ذلك التاريخ - إلى حد كبير - بشعوب كثيرة أهمها الشعب المصرى (القديم والحديث) حيث كانت الهيمنة المصرية تبسط يدها على ممالك ودويلات الشام بالإضافة لغيرها من الأمم ولقرون طويلة . وبالمثل مع باقى الأمم القديمة والمعاصرة كان التأثير واضحاً للشعب الإسرائيلى بمن حوله وبمن احتضنه داخل حدود دولته فى شتى النواحي الحياتية والثقافية والدينية وغيرها . ولكى نتعرف جيداً على شعب من الشعوب يجب أن نلم بحياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها وحياته من حوله من الأمم والشعوب لتكون الرؤية صادقة وأمينه لهذا الشعب الذى أثار الكثير من الجدل والقلق قديماً وحديثاً. تلك الرؤية الموضوعية بدون تجاوز أو تضليل أو افتراء .

يقول (إرنست جلنر) Ernest Gellner (1):

إن القومية ليست إيقاظ الشعور بالذات لدى الأمم . بل إنها تخترع الأمم حيث لا تكون موجودة .

ويعتقد (ديفيز) Davis : (2)

أن ميلر وهيز Miller & Hayes (1986) يمثلان ذروة الكتابات التاريخية التوراتية . وأن الطريق إلى الأمام - إن وجد - سيبدو رهناً بالمناهج (المتوافقة) للعلوم الاجتماعية : علم الاجتماع . الانثروبولوجيا وعلم الآثار

القديمة . وستقلب النتائج مكانة الأدب التوراتي وبدلاً من السؤال عن كيفية تفسير التاريخ بواسطة الأدب ينبغي لنا أن نسأل عن كيفية تفسير الأدب بواسطة التاريخ . وإذا كان البحث الأدبي يدير وجهه بعيداً عن التاريخ -تركيز على النص وليس على ما وراء النص . ننظر للمؤرخ مع تلك مهمة مشروعة . لكن هذه المهمة ستتفصل تدريجياً عن النقد الأدبي.

ويعتقد (جن) (3) Gunn أيضاً :

إن دراسة التاريخ سمضى فذما بطريقة مماثلة . ويتكهن بأن النتائج لن تشبه ما الذى حدث التاريخ التالى . إذ سيكون تقسيم التاريخ إلى فترات أكثر رحابة . وسيعتمد على النقد الأدبي (بما فى ذلك البنىوى) فى تخصصه للنصوص .

ويقول (فنكلشتين) (4) finkelstein الأركيولوجى الإسرائيلى:

إن استيطان الإسرائيليين فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م وتحولهم من مجتمع مكون من قبائل متفرقة إلى مملكة منظمة هو واحد من أكثر الفصول إثارة وإلهاماً . وفى الوقت نفسه إثارة للجدل فى تاريخ أرض إسرائيل .

ويؤكد (مندنهول) :

على خصه صة إسرائيل المبنية على عفيتها .

وتقول (كينيون) (5) Kenyon :

إن عمر مملكة إسرائيل لا يزيد عن ثلاثة أرباع القرن . وكانت الفترة الوحيدة التى أصبح فيها اليهود قوة سياسية مهمة فى غرب آسيا . وقد سجت أمحادها بمباهاة فى التوراة . وكان لهذا كله أثر عميق على فكر اليهود

وتطلعاتهم. لكن على الرغم من ذلك فإن المكتشفات الأثرية المتعلقة بهذه الفترة شحيحة جداً .

ويقول (كيث وايتلام) ⁽⁶⁾ K. whitelam :

إن هناك فِرَق من العلماء تناولوا التاريخ الإسرائيلي . يمثل الفريق الأول (من العلماء التوراتيين) كل من : أولبرايت & برايت (Albright & Bright) وآلت & نوت (Alt & Noth) ومندنهول & جوتوالد (Mendehall & Gottwald) . وهؤلاء اعتبروا التوراة كتاباً تاريخياً⁽⁷⁾ . فجاءوا بالكتاب المقدس في يد والمجراف في اليد الأخرى إلى فلسطين . وهذه الفئات الثلاث لم تختلف إلا في تفسير أسباب نشوء إسرائيل القديمة (الغزو -التغلغل السلمي - الثورة الداخلية) على الترتيب . ثم ظهر فريق آخر في الثمانينات من علماء توراتيين حاول تحدى أفكار الفريق التقليدى . وكان هذا الفريق مكوناً من آلستروم (Ahlstrom) وليمشى (Lemche) وفنكلشتاين (Finkelstein) وكوت ووايتلام (Coote & Whitelam) وطومسون (Tompson) وديفر (Dever) وغيرهم .

وهذا الفريق انتقد الفريق الأول لعدم عمل حسابات للمعلومات الأثرية المتزايدة في المنطقة . وإن كان هذا الفريق (الأخير) لم يتمكن من الإفلات من قبضة الدراسات التوراتية التقليدية فظل سجيناً لها . ممّاساهم في إسكات التاريخ الفلسطيني وطمسه بدلاً من إيجاد فضاء له لكي يعبر عن نفسه كموضوع قائم بذاته .

ومن أبرز الباحثين ضمن هذا الفريق (توماس ل . طومسون) ⁽⁸⁾

الذى يقول :

إن مجموع التاريخ الغربى لإسرائيل والإسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال . [بسبب هذا الكتاب طُرِد طومسون من منصبه فى جامعة ماركويت فى ميلووكى وكان يعمل بها أستاذاً لعلم الآثار] وفى كتابه الأخير ⁽⁹⁾ يقول :

فى تفسيره للنقش الذى ورد على (لوح مرنبتاح) الحجرى والمكتشف فى تل العمارنة أن اسم إسرائيل يرجع إلى القرن 13 ق.م . حيث كانت إسما لشعب كنعان (فلسطين الغربية) الذى يقول النقش إن جيش الفرعون المصرى دمره . وربط إسرائيل بكنعان فى هذا النقش المبكر لا يمكن اعتباره مرادفاً لإسرائيل الواردة فى التوراة وإنما هو مجرد أول ورود تاريخى لاستخدام اسم إسرائيل معروف لدينا . وهذا لا يشير إلى إسرائيل التى نعرفها من الكتابات الآشورية والنصوص الفلسطينية القديمة . فإسرائيل تلك كانت دولة محلية سيطرت على المرتفعات شمالى القدس . وقد ظهرت للوجود بعد بضعة قرون من الفرعون مرنبتاح . وهذا لا يمكن اعتباره مرادفاً لإسرائيل التوراتية . فإذا كان نقش مرنبتاح يعبر عن أى حقيقة تاريخية فإن التوراة لا تذكر عنه شيئاً .

وللخوض فى التاريخ الإسرائيلى علينا ألا نغفل تاريخ الأمم والشعوب المحيطة والمعاصرة لكى نتفهم ماهية الكيان السياسى الذى تكون ونشأ وسط الامبراطوريات القديمة التى لها ثقلها . وحجم هذا الكيان الإسرائيلى وعمره دون تهوين أو تهويل . وهذا ما سنتناوله بالتفصيل .



مصر القديمة

كانت توجد صعوبة كبيرة فى فهم اللغة المصرية القديمة إلى أن جاء (شامبليون) الفرنسى وحل رموزها بعد اكتشاف حجر رشيد . ومنذ هذا الوقت أخذ تاريخ البلاد الحقيقى ينجلي شيئاً فشيئاً مما قضى على الأساطير والخرافات التى نقلها كتّاب اليونان الذين رادوا وادى النيل وكتبوا عنه . وباستمرار أعمال الحفائر وحل رموز النقوش التى كانت على جدران المعابد وفى أوراق البردى فى وادى النيل بدأ كشف النقاب عن تاريخ البلاد الحقيقى . ونشأ (علم ما قبل التاريخ) وهو الذى يبحث فى حل مسألة أصل الإنسان قبل التاريخ أى قبل ظهور الكتابة وذلك بدراسة بقايا العظام الإنسانية والآثار الأخرى . وكان السبق فى صياغة هذا العلم للعالمين (بوشيه) و (بيرن) حيث وضعامولفاً يبحث فى عصر ما قبل التاريخ وجاء بعدهما طائفة من العلماء توصلوا إلى تثبيت هذا العلم ببحوثهم . ففي العصر الحجري وجد أن القدامى كانوا يستعملون الطران المذهب ثم المصقول . ثم تلا ذلك عصر استعمال المعادن بدءاً بالنحاس ثم البرونز ثم الحديد . والعصر التاريخى هو عصر استعمال الكتابة والقراءة فى تدوين الحوادث والأعمال . على أن الأمم لم تتساو كلها فى الوصول إلى هذه الدرجة (الكتابة) بسرعة واحدة أو فى وقت واحد . فالبلاد المصرية مثلاً والأقطار الكلدية تعرفان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين قبل التاريخ الميلادى فى الوقت الذى بقيت فيه زمناً طويلاً تجهل وجود الحديد . وفى المقابل نجد سكان ممالك البحر المتوسط مكثوا عدة قرون مدفونين فى ظلمات عصر ما قبل التاريخ ومع هذا كانوا يعرفون الحديد منذ أزمان طويلة قبل الفتح الرومانى . وكان العالم الفرنسى

(أرسلان) Arcelin أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ في مصر .
وتبعه في ذلك كثيرون منهم لانرمان Lanarmont وهنري Henry والأب
رتشارد وجاء جاك دي مرجان الأثرى ببحث أيد فيه فكرة وجود عصر ما
قبل التاريخ في مصر وأثبت بالبراهين قَدَم الآلات التي يرجع عهدها إلى ما
قبل التاريخ عن الآلات التي بقى الإنسان يهذبها بطريق العادة على نمط
سالفتها في العصور التاريخية ثم يستعملها (في حياته اليومية).
وأثبت (مرجان) بصفة نهائية أن عصر الحجر المذهب في مصر قد سبق
عصر الحجر المصقول وأن هذا العصر الأخير قد خلفه عصر استعمال
المعادن . وقد مهدت أبحاث (فلنדרز بترى) و (دي مرجان) السبيل لايجاد
صلة بين عصر ما قبل التاريخ المصري وعصر الدولة القديمة . وقد أطلق
على هذه الفترة (عصر ما قبل الأسرات) وعثر الأثرى (لجران) والعالمان
(ستون) و (كار) وغيرهما على محطات أخرى جديدة في هذا المضمار .
وقد أشار (شيفينفورت) الألمانى على وجود عدة محطات فيها آلات يرجع
عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ . ويُعد العصر الحجري القديم الذى وجد فيه
أول أثر لبقايا الانسان ينقسم إلى ثلاثة عصور :

(1)العصر الحجري القديم الأسفل :

ويشمل ما يقابله في أوروبا من الصناعات الشيلية والأشيلية (نسبة
لبدة شيلى التى وجد فيها أقدم صناعة من عصر الحجر القديم السفلى) .
وهذا العصر لا يمكن تحديده على وجه الدقة (التقديرات المعتدلة تقدره بعدة
آلاف من السنين) وهذا العصر يقع فى أوائل الزمن الجيولوجى الرابع وبعد
نهاية عصر الجليد الأول . وآلات هذا العصر من الحجر الصلب ذو حافة
كالشفرة الحادة (تستعمل كسكين أو كمقشط) .

(2) العصر الحجري القديم المتوسط :

وهو العصر الذى يتفق مع عصر جليدى طويل امتد حتى العصر الحجري القديم الأعلى . وهو العصر الذى سكن فيه الإنسان الكهوف العميقة وآلات هذا العصر من الطران (حجر صلب حاد وصوان) مثلثة الشكل مرهفة الحد سُميت بظهر السلحفاة لقربها من هذا الشكل . ووجدت أيضا الآلات المدببة (الحجرية) والبلط (جمع بلطة) . ويتميز بوجود الماموث (الفيل كثيف الشعر) وجاموس البحر .

(3) - العصر الحجري القديم الأعلى :

وفى هذا العصر سر وجود الماموث وبدأ ظهور الوعول ذوى القرون المتفرعة والحصان . ويسمى بعصر فن الحفر الدقيق وعصر صناعة العاج وحفره . وفيه ظهرت الآلات دقيقة الصنع .

وتلى تلك العصور الثلاثة ما يسمى (بالعصر الحجري المتوسط) الذى يتميز بوجود الآلات المصقولة كالسكاكين والخطاطيف . وتلى ذلك (العصر الحجري الحديث) وفيه تفهقر الجليد الذى ظل إلى يومنا هذا . وهو عصر استعمال المعادن (النحاس والذهب) فى أدوات الزينة واستعمالات أخرى محدودة . وهو العصر الرابع فى تكوين القشرة الأرضية (نهاية العهد البلوستسينى وبداية العصر الهليوسينى) وهو فجر الأزمان الحديثة وبداية تكوين دلتا نهر النيل بمصر واستعمال العظام فى صناعة الأدوات وكذا صناعة الفخار والنسيج . وبدأ الإنسان يعيش عيشة الرعاة والفلاحين .

وتلى ذلك العصر (عصر المعادن) وظهور صناعة جديدة غطت على صناعة الطران . وظهرت آلات وحلي من النحاس والذهب فى بادئ الأمر ثم عُرِفَ بعد ذلك استعمال البرونز والأوانى الفخارية التى اختفى فيها يد الإناء . وفى هذا العصر ظهرت ديانة فى الوجه البحرى (أعرق فى القدم من مثلتها فى الوجه القبلى) وعلى جدران أهرام سقارة (خلال الأسرتين الخامسة والسادسة) دُونت متون الأهرام .

وكانت هناك معتقدات دينية ترتكز على أساس متين (وجدت حيوانات عُنِي بدفنها بعد تكفينها كما يحدث فى العصر التاريخى وكانت تُعبد وتُقَدَّس وذلك فى جبانة عصر البدارى). ويلاحظ فى تلك المقابر والجبانات وجود ترتيب للأدوات التى كانت توضع مع المتوفى (مواد غذائية وأدوات زينة وآلات) وهو ما يعنى الاعتقاد بوجود حياة ثانية بعد البعث من الموت . وكذلك وجدت بعض الدمى (نصبت خلف جدار القبر) ومراكب صغيرة وحيوانات متوحشة وأليفة ورقى وتمائم سحرية (وهو أيضاً ما وجد فى العصر التاريخى) وتدل على معتقدات القوم الجنازينة . تلى ذلك العصر (عصر الأسرات) .

وقد كانت مصر مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامى (نسبة إلى حام بن نوح) ويقال إنه نشأ من البلاد نفسها أى أفريقى الأصل . غير أنه عند نهاية عصر ما قبل الأسرات نجد تغييرات حدثت عن طريق الهجرة . وأهم العناصر الجديدة التى دخلت البلاد يبدو أنها من أصل أسيوى وكانت لها مميزات خاصة تختلف عن الشعب الأصلى . وهؤلاء الآسيويون قد اختلطوا شيئاً فشيئاً بالسكان الأصليين واندمجوا فيهم . ويرجح دخول أولئك الآسيويين من عدة طرق :

- أ- من شبه الجزيرة العربية (عن طريق البحر الأحمر من جهة فقط) .
ب- عن طريق أعالي وادى النيل .
ج- من سوريا ودخلوا مصر عن طريق فلسطين فسياء فشرقي الدلتا ثم انتشروا في الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى .

ويقال أن النازحون (أو الغزاة) قد أدخلوا في البلاد معرفة المعادن (خاصة النحاس) وادخلوا كذلك عبادتهم وديانتهم وكتاباتهم وفنونهم ونظمهم السياسية والاجتماعية . ولا شك أن دخول هذا الجنس إلى مصر قد أتى تدريجياً من غير عنف . ومما لا جدال فيه أن العلاقة بين مصر - في أقدم عهودها - وبين آسيا كانت موجودة . وليس هناك ما يثبت لنا أن المدنية المصرية كانت مدينة للأسيويين بإحضار الحيوانات المنزلية (كالثور والحمار والماعز والخنزير) وكذلك باستحضار أقدم الحبوب (مثل الشعير والقمح) بل إنه بالعكس كانت هذه وتلك قد وجدت في وادى النيل منذ وجد الجنس الأفريقى الأصيل ومنذ بداية العصر التاريخى نجد أن الاندماج بين الجنسين كان عظيماً جداً فأصبح من الصعوبة بمكان أن نعرف بشيء من الدقة الفوارق بينهما .

ولأن عصر (مينا) موحد القطرين هو العصر الذى ظهرت فيه الكتابة المصرية يحتم علينا بأن نحكم بأن الجنسين قد عاشا معاً زمناً طويلاً قبل أن يحدث هذا الاندماج الكلى .

إن تاريخ أول سنة لبدء حساب المصريين للسنة المصرية الشمسية هو عام 4241 ق.م . حيث أن أول يوم فى السنة الشمسية اتفق تماماً مع ظهور نجم الشعري اليمانية وهو يوم بدء فيضان النيل - وبالرجوع ثلاث دورات أو مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعري اليمانية وهو ما يحدث مرة كل 1460

عام بحساب فلكى ثابت $3 \times$ مرات = 4380 ق.م . ولما كان بدء الحساب هو عام 139 م . فإن تاريخ أول سنة لبدء حساب المصريين للسنة المصرية الشمسية يكون :

4380-139 = 4241 ق.م

وهناك مصادر أثرية أخرى تدل على ذلك التاريخ مثل أخبار الحروب التى قام بها الملوك . ثم النقوش الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم ثم المراسيم الملكية وكانت تكتب على الحجر فى معظم الأحيان وتوضع فى المعابد والمدن . وأيضا الأوراق البردية التى كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية . وكذلك أيضا قوائم أسماء الملوك (ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة) مثل قائمة الكرنك (قائمة تحتمس الثالث) وقائمة (حجر بلرم) وقائمة (سقارة) وقائمة (العرابية المدفونة - أبيدوس) ووثيقة أو ورقة (تورين) هذا بالإضافة إلى آثار أخرى وجدت فى الممالك المجاورة لمصر مثل آثار وجدت فى جزيرة (كريت) وآثار عثر عليها فى (فلسطين وسوريا) من أوائل الدولة القديمة وآثار أخرى فى بلاد (مابين النهرين) وما وراءها . وهناك مصادر أخرى اعتمد عليها فى تدوين التاريخ المصري القديم نقلها لنا الكتاب الإغريق والرومان مثل (هيكاته الملاطى) المؤرخ الإغريقي . وكان قد عاش عام 550 ق.م وزار وادي النيل وتباحث مع الكهنة المصريين فى طيبة عندما كان يضع شجرة الأنساب وتاريخه للوبيا (ليبيا) . ومن بعده جاء المؤرخ الإغريقى (هيرودوت) حوالى عام 450 ق.م وقد زار الدلتا وأسوان (ألفنتين) والفيوم . وقد أخبره الكهنة أن (مينا) هو أول ملوك مصر . ثم عدّوا له - نقلا عن كتاب لديهم - أسماء 340 ملكا. وقالوا أن مابين أول ملك وآخر ملك 341 جيلا من الناس وأن كل ثلاثة أجيال تعادل مائة عام . أى أن تاريخ

البشر عندهم يبلغ 11340 عاما . وقبل هؤلاء الملوك كان يحكم مصر الآلهة وفى أوائل عصر البطالمة ظهر المؤرخ (هيكاتة الأبدري) ووضع كتاباً لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها (ديدور) فى كتاباته . وفى هذا العصر كنز يعثر كذلك (مانيتون) السمنودى وهو أهم المؤرخين الذين كتبوا عن مصر . وقد أخبرنا المؤرخ اليهودى (يوسيفوس) المولود عام 37 م . أن مانيتون كان مصرى الجنسية وكان كاهنا عظيما وكاتباً فى المعابد وماهراً فى لغة بلاده وفى اللغة الإغريقية أيضا . ووضع (مانيتون) هذا مؤلفاً عن مصر تلبية لأمر بطليموس فيلادولف (الثانى) منقولا عن النقوش المصرية وذلك فى عام 270 ق.م . نقله لنا ناقصا - ومختصرا - يوسيفوس اليهودى والذى ألف معالا للرد على (أبليون) النحوى السكندرى الذى كان يبغض اليهود بشدة وينسبهم إلى أصل أبرمى ومن منشأ دنس نجس . وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى (عليه السلام) . فرد يوسيفوس بأن هؤلاء الدنسين هم الهكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف . وقد دخلوا مصر فاتحين وليسوا عبيداً . ولكى يؤيد رأيه نقل حرفيا بعض المقتطفات عن مانيتون فى الفصل الخاص بالهكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وشفع ذلك جدول يحوى أسماء الملوك من عهد (تحتمس الأول) إلى عهد (رعسيس الرابع) وعددهم 21 إسماع ذكر سني حكمهم والشهر الذى حكم كل منهم فيه (منقولا عن المختصر الذى وضعه المؤرخون نقلا عن مانيتون) . ويعد ذلك المختصر (مختصر مانيتون) المصدر الأصيل لكتاب العصر المسيحى عن تاريخ مصر إلى أن كشف عن أسرار اللغة المصرية (حجر رشيد وشامبليون) . وأهم هؤلاء الكتاب (سكتس جوليوس أفريكانوس) وقد نقل المختصر فى كتابه التاريخى الذى وضعه عام 220 م . ويأتى بعده (يوزيب) عام 270-340م وقد

نقل عن المختصر من نسخة تختلف عن تلك التى نقل عنها (سكتس الأفريقى) . ويأتى بعد مانيتون مؤرخ عظيم اسمه (ديدور الصقلى) الذى ألف كتابا عن مصر وكان قد زار وادى النيل عام 60 ق .م وجاء بعدهم آخرون مثل (أرسطوسين السرىنى) 275-194 ق .م . و(استرابون) عام 27م . والمؤرخ (بلوتارخ) عام 120م .

وفى أواخر الأسرة الثامنة عشرة أتى الفرعون منفتاح أو (مرنبتاح) إلى منطقة الأهرامات وترك نقوشا تدل على مقدار اهتمامه بأبى الهول . وأدهش ماكشف فى هذا المكان أن قوما من الكنعانيين وفدوا على مصر وسكنوا فى منطقة أبى الهول فى عهد الدولة الحديثة (أواخر الأسرة 18) ويدل على ذلك لوحة الفرعون (آى) إر جاء فيها أنه اقتطع ضيعة للحيثيين فى هذه الجهة . ودلت اللوحات المكتشفة على أن هؤلاء الكنعانيين كانوا يسكنون فى هذه المنطقة فى بلدة سميت باسم إلههم الذى كانوا يعبدونه فى بلادهم (الإله حورون) وهذا الإله كان يمثل عندهم بشكل (حور الأفق) وكان يمثل بصقر . فقد رأى فيه هؤلاء الآسيويون أنه يمثل إلههم الذى تركوه فى بلادهم ولذلك أطلقوا عليه اسم (حورنا) أو (حورون) أو (حول) . ومن ذلك يتضح جليا أن الاسم الجديد الذى أصبح يطلق على أبى الهول هو اسم سامى الأصل . ولا عجب فى ذلك فقد عبد المصريون آلهة آسيوية أخرى مثل (ستخ) الذى أصبح موحداً مع الإله (ست) إله الحرب . وكذلك آلهة (عشرت) التى وحدت مع الآلهة (حتحور) . وأطلق الكنعانيون على الحفرة التى فيها أبو الهول اسم (بر- حول) أو (بيت حول) وهو الذى نحور فيما بعد إلى اسم (أبو الهول) . وقد أقام هؤلاء الكنعانيون فى مستعمرة على بعد حوالى 2.5 كيلومتر من أبى الهول تسمى الآن (الحارونية) نسبة إلى الإله (حورنا) أى أبو الهول الذى عبده المصريون والكنعانيون

وقدسوه بصفته إله الموتى وحارس الجبانة (كان يمثل الإله رع عند الغروب أى آتوم) . ولقد سميت قبائل البدو (العنصر الذى نزح إلى كل أنحاء سوريا منذ بداية القرن 14 ق.م) باسم (خبيري) وأيضاً (سلاجاز) أو (جاز) وهذه الأسماء لا تدل على اسم جنس بل تميز اسم جماعة معينة من السكان .

وقد جاء ذكر اسم قبائل (سوتى) أى البدو مع (خبيري) فى رسائل تل العمارنة . وقد كانوا يعملون جنوداً مرتزقة أو يجتمعون جماعات للنهب والسلب . وهم قبائل سامية (نسبة إلى سام بن نوح) وجاعوا بلفظ (عبرو) فى اللوحة التى كشف عنها د. أحمد بدوى فى منف . وهم (خبيري) الذين ذكروا فى خطابات تل العمارنة . وهؤلاء أقاموا بسوريا (آرام) وفلسطين (كنعان) منذ عهد البرونز المتأخر . وقد ذكروا كثيراً فى إسرائيل الكنعانية فى القرن 14 ق.م بوصفهم مغيرين وعصاة على السلطة المصرية . وكانوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً مع الآراميين (السوريين) فى تقاليدهم القومية . وهم على العكس من الكنعانيين الذين لا تربطهم بهم أية رابطة . فهؤلاء ليسوا فلاحين متوطنين مثل الكنعانيين بل هم قوم رعاة رحل . فقد نزح إبراهيم (عليه السلام) بعد ولادته إلى (حوران) ومن ثم إلى (حبرون) وقد جاء فى سفر التثنية أن جد هؤلاء القوم آرامى :

*ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك آراميا تائها كان أبى (10) .

وتدل البحوث على أنه من الجائز أنه كانت توجد روابط بين العبرانيين و (خبيري) وهذه الروابط لغوية وتاريخية وتؤكد بوجود علاقة بين العبرانيين (خبيرو) والإسرائيليين .

وفى الوقت نفسه نميز بينهما بأن كل الإسرائيليين كانوا من العبرانيين (خبيرى) ولكن ليس كل العبرانيين إسرائيليين. ومن المعروف أن الإسرائيليين قد تدفقوا على الأرض الجبلية فى فلسطين (إفرايم) فى القرن 14 ق.م. إذ تدل الآثار على أنهم فى عهد (مرنبتاح) بن رعمسيس الثانى كانوا قد استوطنوا هذه البقاع. ومن أجل ذلك لا يمكن أن نرجع غزوهم فلسطين إلى عهد (سيتى الأول) أو عهد (رعمسيس الثانى). بل لا بد أنهم قد قاموا بغزوهم فى عهد ما قبل (أمنحتب الثانى). والظاهر أنهم كانوا يسكنون الشمال الغربى لبلاد العرب (أى أرض مدين) فكانوا يضربون خيامهم فى منطقة سيناء البركانية ومن ثم اعتنقوا عبادة التوحيد فى بيت الإله (يهوه) إله النار وقد كان عرشه على صورة تابوت (تابوت العهد)⁽¹¹⁾ وكانوا يحملونه معهم أينما ساروا ويسكن بينهم أينما حلوا.

ولا يبعد إذن أن الإسرائيليين كانوا فيما سبق فى الوقت نفسه يتكلمون لهجة آرامية أيضاً وأن اللغة العبرية قد انتقلت إلى الكنعانيين لأنهم كانوا يقيمون معهم. ومنذ ذلك العهد كان الأجانب الذين على اتصال بالإسرائيليين يطلقون عليهم اسم (عبرين) أى العبرانيين. ومن ثم سميت لغتهم بالعبرية وهذه التسمية ليست إسماً لقوم من الناس بل نعتاً (وصفاً) لهم⁽¹²⁾ ومعناه قوم من العبر المقابل لنهر الأردن (العبر فى اللغة العربية معناه شاطئ النهر أو البحر) ومما يدل على أن العبرانيين كلن لهم على ما يبدو أهمية واسعة النطاق أن قبائل الألواح (يهوه) التى أنزلت على موسى (العليل) قد أطلقوا كلمة (عابر) الجد الأول لجنسهم على كثير من القبائل العربية وعلى الجد الأول (سام) :

*وسام أبو كل بنى عامر⁽¹³⁾.

وبنو سام هم قوم لهم اسم يتسمى به أشراف البدو الذين لهم سلسلة نسب كما أن (بنى إسرائيل) لهم كذلك سلسلة نسب خلافا لسكان المدن الذين ضاعت أنسابهم على الرغم من أنهم من أصل عريق . أى أن كلمة (عبرى) لها علاقة وثيقة بكلمة (خبيرى) من جهة النطق والمعنى كما أن الكلمة تدل على عنصر من الناس فى آسيا الصغرى (الخيتية) .⁽¹⁴⁾

وكان أول تعدد قامت به مملكتا (خيتا) تركيا و (متنى) شمال سوريا على الأملاك المصرية هو باكورة الأخبار التى وصلت إلينا عن زحف (خبيرى) (العبرانيين فيما بعد) وقد جاءتنا عن طريق خطابات تل العمارنة التى أرسلها أمير ببلوص (جيل) وريبادى (رب هداد) إلى الفرعون (أمنحتب الثالث) وجاء فيها :

منذ اليوم الذى غادر فيه والدكم (صيدا) وأظهر عطفه على بلاد (خبيرى) لم يعد فى استطاعتى أن أحصل على شىء .

إن علم الآثار منفرداً لا يمكنه أن يمدنا بنوع المعلومات التى تمدنا به الوثائق المكتوبة لأن معظم القطع الأثرية تكون عارية من النقوش . والمخطوطات تبحث فى الآراء والحوادث والشخصيات أما الآثار فخاصة بالأشياء الأكثر مادية وكلا المصدرين مكمل للآخر كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر⁽¹⁵⁾ .

فعلى أثر سقوط الأسرة الثانية عشرة حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا البلاد (الريف خصوصا) وتحكموا فى أقدارها قرابة قرن ونصف . وهؤلاء المغتصبون لم يهبطوا على البلاد فجأة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرخون ولكنهم تسربوا إليها على مهل وببطء حتى نشروا ثقافتهم ومبادئهم

ووضحت أمامهم سبيل مصر وشعبها فانتفضوا عليها بجيش جرار سيطروا به على الدلتا ثم امتد سلطانهم إلى مصر الوسطى . وسماهم المصريون بالهـمـج والطاعون و (الهكسوس) ⁽¹⁶⁾ وكان ذلك عام 1730 ق.م وهم لم يكونوا همجاً ولا متوحشين بل كانوا مثقفين ذوى حضارة وعرفان . ونهلت مصر من مورددهم واستتارت بمدنيّتهم التي انتظمت فنون الحرب ونواحي الصناعة وأخذت عنهم من المخترعات. ولقد استشعر المصريون المهانة والذل من تحكم الدخيل فى خيرات ومقدرات البلاد فهبوا تحت قيادة الفرعون (أحمس الأول) الذي طاردهم حتى خارج حدود مصر ⁽¹⁷⁾ . وهو أول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة والمؤسس الأول لبناء الامبراطورية المصرية التي امتد سلطانها وثبتت دعائمها فى أواخر عهد العاهل العظيم (تحتمس الثالث) الذي يلغبه مؤرخو الغرب (نابليون الشرق) حيث صارت الامبراطورية المصرية تمتد أعالي نهري دجلة والفرات شمالا حتى الشلال الرابع جنوبا وحافظ على هذا الكيان أخلافه حتى نهاية عهد (أمنحيب الثالث) إلى أن جاء الفرعون (إخناتون) يحمل لواء عقيدة التوحيد الذى اهتم بنشر تعاليمه وانصرف عن أحوال البلاد الداخلية والخارجية حتى تقلصت الدولة . وخلفه من بعده (توت عنخ آمون) ثم (حور محب) الذى أعاد للبلاد سؤدها السالف وسمعتها الحربية التى كانت قد تداعت .

وعن (الهكسوس) يقول د. سليم حسن فى موسوعته القيمة ⁽¹⁸⁾ :

إنهم استولوا على البلاد بنفس طريقة (الكاسيين) الذين استولوا على بابل . وعنهم يقول المؤرخ المصرى (مانيتون) الذى أخذ المؤرخ المصرى (يوسيفوس) عنه أنهم - أى الهكسوس - واليهود هم عنصر واحد . وذلك فى محاولة لرفع شأن قومه اليهود . وينفى د. سليم حسن ذلك كلية ويفنده ويشير

فى ذلك المجال إلى أن الآثار التى تركها لنا الهكسوس ضئيلة وأن عدداً كبيراً من تلك الآثار قد انتحلوها لأنفسهم باغتصابها من الآثار المصرية القديمة . وعلى سبيل المثال تمثال (أبو الهول) الذى نسبوه لأنفسهم وهو فى الأصل للملك (أمنمحات الثالث) . وقد وجدت بعض الآثار المتفرقة المنسوبة إلى الملك (خيان) أعظم ملوك الهكسوس فى بغداد وكريت فبدا وكأن نفوذ الهكسوس قد وصل إلى تلك البلاد البعيدة وهو غير الحقيقة المؤكدة بأن هذه القطع الأثرية المتفرقة وجدت بتلك البقاع عن طريق التجارة أو الاهداء . والواقع أنها قطعاً مصرية فى صورها وصناعتها ولو كانت تخص الهكسوس لكان منها الكثير فى تلك البقاع وغيرها .

والجدير بالذكر أن الفرعون (تاعا) الثانى الملقب بالشجاع (سقن رع) هو أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس مما أدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة ⁽¹⁹⁾ . وبعد موت (سقن رع) خلفه (كامس) ثم (أحمس الأول) الذى طارد الهكسوس إلى خارج حدود مصر . وظل الهكسوس فى فلسطين وسوريا حتى عهد (تحتمس الثالث) 1479-1447 ق.م بل ويحتمل حتى عهد (أمنحتب الثانى) 1448-1420 ق.م الملقبان بـ (ضارب الهكسوس الذين هاجموه) .

ومن الملاحظ أن المعادن التى عثر عليها فى فلسطين كان النحاس هو المعدن الهام المستعمل فى العهود التى قبل عصر الهكسوس ولكن عند وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمار البرونز (عصر البرونز الأول⁽²⁰⁾) ومن المعلوم أن أول ظهور للبرونز فى أى مجتمع كان له دائماً تأثيراً انقلابياً فى الصناعة . وقد أحضر الهكسوس

هذا المخترع الفنى معهم إلى البلاد فى صورة راقية مثل الأسلحة والأوانى وغيرها .

وأهم ما جلبوه هو العربات التى تجرها الخيول (يقال أن الحصان حيوان خاص بالهكسوس بعكس الحمار الذى كان يُركب فى مصر منذ زمن بعيد جداً قبل عهد الهكسوس) . وبفحص اتجاه حركة هجرة الهكسوس اتضح لنا أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا مصر .

ومن الآثار وجد أن الهكسوس كانوا معاصرين لأهل ببلوص (جُبيل) الواقعة على شاطئ سوريا ولكنها لم تكن خاضعة لنفوذهم قبل عام 1730 ق.م ومن المصادر الأثرية عُلِمَ أن نفوذ الهكسوس الثقافى قد قضى عليه بالحروب الطاحنة التى شنها (تحتمس الثالث) ومن بعده ابنه (أمنحوتب الثانى) أى حوالى عام 1445 ق.م. ويلاحظ انتشار الثقافة الحورانية فى أجزاء كبيرة من فلسطين وسوريا فى عهد الهكسوس المتأخر (1445 ق.م). والعنصر الهكسوسى الحورانى الذى كان يعيش فى فلسطين وسوريا فى تلك الآونة يمكن أن يكون منتسباً إلى عصر حورانى فى نفس البلاد فى نهاية هذا القرن وهو ما يعزز وجود قرابة وطيدة بين أهل (مِتنى) و (الحورانيين) منذ حوالى منتصف القرن 17 ق.م وهم الذين كانوا يقطنون سوريا وفلسطين وانشثروا جنباً لجنب . وإن كان ثقافة الهكسوس قد تغيرت من أساسها حوالى منتصف القرن 15 ق.م (1445 ق.م) ففى (مَجْدُو) الفلسطينية وجد أن الرسوم على الفخار الملون لا تخرج عن كونها رسوم حورانية محورة وكذلك يظهر أن طراز الأختام الاسطوانية المستخرج من (كركول - نوزى) كانت من خصائص العهد الأخير كما كانت من خصائص العهد الأول . وبدل فحص

الهيكل التي وجدت هناك على أن نفس العنصر فى كلا العهدين كان واحدا .

وكان العالم الكنعانى الذى واجه العبرانيين عندما دخلوا هذه البلاد يركز إلى حد بعيد على شعب أساسه من الهكسوس.

ولمحاولة إمطة اللثام عن أصل وموطن الهكسوس الأصلى نجد أنهم :

(1) قد استخدموا معدن البرونز (نحاس مخلوط بقليل من القصدير) :

ومعلوم أن فكرة صناعة البرونز نفسها كانت معروفة فى سومر والأناضول بتركيا (فى النصف الأول من الألف الثالثة ق.م) رغم أن مصدر النحاس فى سومر لم يكن موجوداً . ويقترح (لوكاس) أن كلا من أرمينيا وإيران قد تكون مصدراً لاستخراج القصدير (الصفيح) .

(2) الحصان : له علاقة أصلية بالأقوام الآرية (الهنود والإيرانيين) .

(3) طراز حصون الهكسوس : وهو الحصون المستطيلة ينسب للآريين

أيضا (مشابه لمباني إيران وبلاد ما وراء بحر خوارزم) وهو ما يدعم أنهم ينحدرون من (أو هاجروا عبر) بلاد القوقاز .

فى محاولة أخيرة من د. سليم حسن ⁽²¹⁾ للتفسير يتجه نحو الثوابت

الدينية فيقول أن إبراهيم (إبراهيم) هو بدوى قد صور يزور مصر فى رحلة سلمية . والواقع أنه قد قرن غالبا بين رحلته ورحلة (أبشأ) الذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر فى عهد (سنوسرت الأول) . ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذى لاحظنا فيه لأول مرة أدلة على وجود الهكسوس فى مصر . وبعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة (يعقوب) (الكليلا) واتخذوها موطناً لهم (أرض جاسان أو جاشان بمحافظة الشرقية) . وهذا الحادث يذكرنا باحتلال الهكسوس للوجه البحرى . وواضح أن

الهكسوس كان العنصر السامى قويا فيه . وكذلك يظهر أن الحورانيين قد لعبوا دوراً هاماً فى هجرة الهكسوس . ومن المحتمل أيضاً أن بعضاً من طائفة (خابيرو) المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين وكذلك أيضاً الهنود والإيرانيين⁽²²⁾ . ولكن يجب عند فحص مسألة التكوين القومى للهكسوس أن تعالج وجهات النظر اللغوية والجنسية والثقافية بنفس الدرجة من الأهمية .

وفى عهد (أمنحتب الرابع) أى (إخناتون)⁽²³⁾ ساءت الحالة الأمنية فى فلسطين وازدادت حالات السلب والنهب والاضطرابات والتقتيل . وقد حاول أمير (خاسور) وهى معقل جبلى أن يتحد مع قبائل (خبيري) ليمد رقعة إقليمه فاستولى على مؤاب (إياب) و (بيلآ) جنوب الضفة الأخرى لنهر الأردن و (لابايا) فى الجنوب واستمر فى زحفه (يعاضده ميلكيل وتاجى) حتى استولى على ولايات (سهل يزراعيل) الواحدة تلو الأخرى مثل شونم وبورقانا وجتريمون وغزة وغيرها . أما (شكيم) وإقليمها فقد أعطاها لقبائل (خبيرو) . وبعد تفاقم الأمور أرسل الفرعون الأمير (خانى بن مري رع) وكان يحمل لقب (ابن الملك) أو نائب الملك ليأتى برعوس أعداء الفرعون . ولما كان فى جيش كبير فقد أعلن الأمراء ولاءهم للفرعون دون أى مقاومة . وقبل الفرعون خضوع (ميلكيل) و (تاجى) أما (لابايا) فلم يغفر له خطيئته ولم يقبل شفاعته ووكّل مهمة إحضاره كخائن و غادر أمير (عكا) غير أن الرشوة لعبت دورها فأخلى سبيله خلسة . ولكنه اغتيل فى أثناء هروبه . وكذلك هرب (إياب) أمير (بيلآ) من قائد الملك . وعادت الحملة المصرية ومعها الأسرى من الساميين إلى مصر وليس بينهم أسير واحد من (خيتا) . وبعد قليل أخذت قبائل (خبيري) يتوغلون فى البلاد

ناهيين الأماكن المأهولة وفارضين الضرائب الفادحة على مدن الساحل مثل غزة وإيالون وصرعا ولاكش وحتى عسقلان . وفى أورشليم جاهد (عبدى خيبا) أن يصد قبائل (خبيرى) وميلكيل وإينا لاباى (الذى أغتيل) على الأقليم الساحلى (كلنا وقملا) التابع لشواردانا . وآزوه فى ذلك (سوراتا) أمير (عكا) وأمير (أكناب) ولكن سرعان ما دب الخلاف وبدأ كل منهم يعمل لحسابه حتى استولى (شواردانا) أمير (كلنا وقملا) على ثلاثين مكانا وكان فى الوقت نفسه يحرص (ميلكيل) قبائل (خبيرى) عليه مما اضطره إلى طلب النجدة من الفرعون .

وعملت يد القتل فى الأمراء بدرجة عظيمة حتى صارت مدن الولايات الفرعونية لا ولاة لها . وفى ذات الوقت اكتظ الإقليم الجنوبى من فلسطين بقبائل (خبيرى) وأصبحت كل مدن الداخل معادية للحكم المصرى (مدن منحدرات جبال يهودا جنوبى حبرون) واستجد (عبدى خيبا) بالفرعون دون جدوى . ولما أرسل بعد ذلك القائد (ينخام) الذى كان يثق به قوم فلسطين عجز أن يفعل شيئا حاسما فى هذا الجو المضطرب فضلا عن أنه فى السنين الختامية لحكم (إخناتون) كانت السيادة المصرية قد تفككت عراها وانحلت أواصرها خارج البلاد وداخلها .

وتمكن (حور محب) قائد الجيوش المصرية فى عهد (توت عنخ آمون) الذى خلف (إخناتون) بوصفه وصياً على العرش . تمكن من إخماد ثورات (خبيرى) (أى اليهود فيما بعد) وصحبه فى تلك الحروب مليكه (توت عنخ آمون) وساق جماعات من الأسرى من فلسطين (آسيويين وأوربيين) وخلف (حور محب) الذى حكم خمسة أعوام قائده ووزيره الأكبر وولى عهده المسن (رعمسيس الأول) الذى

حكم عامان ثم خلفه (سیتی الأول) الذى حكم تسعة عشر عاما وسار على نهج (تحتس الثالث) وقلده عن قصد فاسترد السيطرة على موانئ الساحل الفينيقي بعد حملته على شمال فلسطين وأخضع لبنان ثم بعضاً من سوريا . وقد كان للعبرانيين ضلع فى الحركة التى قام بها البدو (الثورات والفوضى ضد الحكم المصرى) إذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم فى فلسطين . ولهذا السبب المباشر قام (سیتی الأول) بمهاجمة قبائل (شاسو) أى البدو الآسيويين فى فلسطين الجنوبية وأفلح فى إعادة السيطرة المصرية على كل فلسطين وجنوبى سوريا .

وهناك إشارتين فيهما شك كبير فى عهد الملك (داود) (الملك) والفرعون (نخو) أو (نخاو) وأيضاً فى عهد الفرعوني (شيشنق) و (تيرهاقا) لبلدة (قادش) وكان من الطبيعى أن تحدث داخل تلك الممتلكات النائية الثورات والاضطرابات بسبب المنازعات التى كان يخلقها التنافس وبسبب تراخى الحكام المصريين (المحليين) وضعفهم أو بسبب نزوع أهل هذه الجهات للحرية وعدم التقيد بالنظم القانونية .

ففى فلسطين كان البدو (شاسو) يقومون بحركات هجرة لا تنقطع خصوصاً قبائل البدو الرحل من قبيلة (إسرائيل) التى وفدت من الشرق واستوطنت إقليم أفریم (اسم مشتق من أفرات التى ما بين راما وبيت إيل) الجبلية الذى لم يسكنه من قبل إلا نفر قليل جداً . وكانت تلك القبائل فى العادة من الخارجين الذين لا يخضعون لأحكام ولا يمكن كبح جماحهم بسهولة . وقد ذكرهم الفرعون (مرنبتاح)ابن (رعمسيس الثانى) فى لوحته المشهورة (بنى إسرائيل) أو لوحة تل العمارنة والتى عدّ فيها الأصقاع التى قهرها وتسלט عليها فى فلسطين . وقد جاء باللوحه :

* وإسرائيل قد خربت وليس لها بذرة (أى خلف) .

وهذه هى الوثيقة الوحيدة التى جاء فيها ذكر إسرائيل فى النقوش المصرية فى عهد مرنبتاح . وهذا برهان على أنهم استوطنوا بلاد فلسطين قبل عهد (مرنبتاح) بزمان بعيد . وجاء ذكر قبائل البدو (شاسو) فى إحدى لوحات معبد الكرنك يمثل الفرعون (رعمسيس الثانى) وهو يطأها بقدميه وهم مقيدون بالحبال تحت سنايك خيله . ومن كلمات تلك اللوحات الجدارية :

* وقد وقعت مذبحه عظيمة فى أرض شاسو (البدو) ونهبت تلالهم وقتلوا عليها . وأقام المباني فى مدنهم بإسمه المخلد .

وهناك غير تلك القبائل قاطعى الطرق كان يوجد قبائل وطوائف أخرى مسالمة فى عهد الدولة الوسطى ثم فى عهد (حور محب) وهم الذين وفدوا على مصر بقصد التجارة أو لرعى الأغنام والماشية وقطنوا الحدود المصرية خصوصا وادى طميلات بأرض جاسان أو جاشان بالشرقية حالياً وهو بمثابة مدخل لمصر من آسيا . وقد ذكر لنا أحد الموظفين فى خطاب حكومى ينسب إلى الفرعون (مرنبتاح) أنه كتب لرئيسه قائلاً :

إن بعض بدو (شاسو) (أدوم) قد سمح لهم حسب التعليمات التى لديه أن يجتازوا الحصن الذى فى إقليم (سكوت) أى تل المسخوطة فى وادى طميلات ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من (بتوم) أى بيت آتوم (كان المرور فى هذا الوادى شديد الحراسة) وعن ذلك الموضوع جاء فى سفر التكوين⁽²⁴⁾ :

* فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال : أبى وأخوتى وغنهم وبقرهم وكل مالهم جاءوا من أرض كنعان . وهو ذا هم فى أرض (جاسان) . وأخذ من

جملة أخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام الفرعون . فقال فرعون لأخوته ما صناعتكم ؟ فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم نحن وأباؤنا جميعا . وقالوا لفرعون : جئنا لنتغرب فى الأرض . إذ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد فى أرض كنعان : فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاسان (جوش أو جاشان) .

وهذه الصورة التى جاءت فى (الأساطير الإسرائيلية) قريبة الشبه بالتى ذكرناها فى عهد (حور محب) كما تصف لنا حالة المعيشة فى أرض فلسطين وقلة مواردها بالنسبة لمصر . وقد أنشئت أحياء كاملة للمهاجرين من الكنعانيين والفينيقيين الذين جاءوا إلى مصر مصطحبين معهم آلهتهم وأربابهم المحليين وهكذا اختلط الدم المصرى وحتى الملكى (مثل مومياء الملك سىتى الأول) بالدم الأجنبى (الساميين واللوبيين والنوبيين وغيرهم) . وفى جو السلام الذى ساد البلاد لأكثر من ست وأربعين سنة من عهد (رعمسيس الثانى) بدت مظاهر الترف والبدخ فى القصر الفرعونى وكذا أمور المحسوبية فى التعيين فى الوظائف الهامة والعالية (كما كان ذلك فى عهد تحتمس الثالث) خصوصا من الآسيويين . وترك لنا (مرنبتاح)⁽²⁵⁾ أنشودة عظيمة يصف لنا الهزيمة الساحقة التى أنزلها باللوبيين - الذين أغاروا على مصر من الغرب - كما أشار فيها إلى ما قام به من أعمال جليلة وماصبه من نكبات وأنزله من ويلات بأقوام البلاد الأخرى المجاورة التى تألبت عليه وقد ذكر من بينهم قوم (بنى إسرائيل) للمرة الأولى - ربما فى تاريخ العالم - ومن ثم تشعبت الآراء وتضاربت الأقوال فى حادثة خروجهم من مصر وفى إسم الفرعون الذى غادروا البلاد فى عهده لدرجة أن بعض المؤرخين أنكروا حادثة الخروج تلك وقالوا إنها مستعارة من حادثة أخرى هى خروج الهكسوس من مصر . وكذلك التضارب فى تفسير عبورهم البحر . أهو بحر

القلزم (البحر الأحمر) أم خليج السويس أم يم نهر النيل فى أحد فروعـه .
وكان هؤلاء اليهود يسكنون فى شرق الدلتا (أرض جاسان بمحافظة
الشرقية) وكان (رعسيس الثانى) قد سخرهم فى إقامة عاصمة ملكه
التي جاء ذكرها فى التوراة باسم (رعسيس) ودلت الكشف الحديثة على
أنها (بررعسيس) أى (قنثير) الحالية بالقرب من مدينة فاقوس بالشرقية .
وهى التى خرجوا منها مولين وجوهم شطر فلسطين . ومن أجل ذلك
أصبح من المرجح أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد وقع فى عهد
(رعسيس الثانى) أو عهد ابنه (مرنبتاح) .

ويلحظ فى (رسائل تل العمارنة) أن ذكر بعض القبائل البارزة جدا
فى الوثائق المصرية لم تذكر فى المتون الخيتية وخصوصا (شردانا)
و (بلست) أى فلسطين . وقبائل شردانا كانت تحارب فى صف مصر أو
عليها فى فترة تبلغ مائتى عام . أما قبائل بلست أو بلستى الذين ذكروا فى
التوراة لم يأتوا إلا متأخرين إذ لم يظهر إسمهم إلا فى عهد (رعسيس
الثالث) .

والتقاليد العبرية تتفق هى والتقاليد الإغريقية على أن
الفلسطينيين (البلست) من جنس أجنبى (يسمون شعوب البحر sea people
وغالبيتهم من كريت) . وقد كانوا لا يختنون (يختلفون فى ذلك عن
الساميين) . وتدل الشواهد على أن الفلسطينيين قد ساروا براً مخرقين آسيا
الصغرى قاصدين شمالى سوريا (يستعملون عربات تجرها ثيران) وهاجموا
مصر من جهة البحر أيضا . ومن المرجح أنهم جاءوا من مكان ما فى شمال
بحر إيجه وكان احتلالهم لجزر كريت كمرحلة من مراحل هجرتهم إلى مصر
والشام .

ويضع د. سليم حسن تصوراً للطريق الذى سلكه بنى إسرائيل عند هجرتهم (خروجهم) من مصر إلى فلسطين (معتمداً على القص فى النص التوراتى) (26) مبيناً أن الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأوحال حينما أدركوا قوم موسى (ﷺ) وأن بعض الركاب قد سقط مغشياً عليه ولم يغرق الفرعون (مخالفاً فى ذلك ماجاء فى القرآن الكريم) (27) وأن واقعة الخروج والمواجهة كانت فى (بحر البوص) بمنطقة المنزلة .. الخ .

فى عام 950 ق.م قام شيشنق الأول بتأسيس الأسرة الثانية والعشرين (الدولة اللبوية فى مصر) وكان شيشنق هذا قد زوّج ابنه أوسركون الأول (وولى عهده فيما بعد) من ابنة فرعون (بسوسنس) ليكون أهلاً لتولى العرش . وقد قام (شيشنق الأول) أو شيشق (كما ذكر فى التوراة) ببناء ما تهدم من المعابد وإعادة أوقافها والقضاء على الفوضى وإرجاع الأملاك إلى ذويها وبعد ذلك عمل على توحيد البلاد واتباع سياسة حكيمة لم يلجأ فيها إلى القوة (نصّب أحد أبنائه فى وظيفة الكاهن الأكبر لآمون فى الكرنك وبذا قضى على أسرة الكهنة القدامى) وأقام عاصمته فى مدينة (بوبسطة) أى الزقازيق . وفى عام 930 ق.م (فى عهد سليمان (ﷺ) أغار على فلسطين وانتصر على العبرانيين وأعاد النفوذ المصرى إلى هذه الأصقاع الآسيوية ونعمت مصر بالثراء العظيم (من غنائم الحروب) حتى أن مصر عاشت على تلك الكنوز والغنائم لقرنين من الزمان تتفق منها . واستمر حكم تلك الأسرة (22) حوالى قرنين ونصف وأصبحت مصر فى نهايتها نهباً للكوشيين (السودانيين والأثيوبيين) ثم الآشوريين ثم الفرس فالإونانيين فالرومان ثم العرب (الفتح الإسلامى) .

وعن (العبريين) يفرد لهم د. سليم حسن فصلا⁽²⁸⁾ فى موسوعته التاريخية فيقول :

تدل البحوث العلمية والنقوش الأثرية الباقية على أن قوم (العبرانيين) هم رابع قوم استوطنوا بلاد سوريا . وهم على الترتيب :

الأموريون - الكنعانيون - الآراميون ثم العبرانيون .

ففى العهد الأمورى كان مركز الجاذبية للشئون السورية فى الشمال وفى العهد الكنعانى انتقلت القوة المركزية إلى الشاطئ وفى عصر الآراميين كانت فى الداخل . وفى زمن العبرانيين انتقلت القوة إلى الجنوب فى فلسطين.

وعن أصلهم يقول د. سليم حسن :

الظاهر أن دخول العبرانيين أرض فلسطين كان فى ثلاث هجرات :

(1) الهجرة الأولى : بدأت من بلاد (مسوبوتاميا) وكانت فى القرن 18 ق.م . والتي من جرائها انتشار (الهكسوس الحوريين) على الشاطئ الشرقى للبحر الأبيض المتوسط .

(2) الهجرة الثانية : وكان لها علاقة بقوم الآراميين فى القرن 14 ق.م وهم الذين عاصروا (إخناتون) .

(3) الهجرة الثالثة : وكانت من مصر والجنوب الشرقى فى عهد (موسى ويوشع) فى نهاية القرن 13 ق.م .

وقد كان الكنعانيون يؤلفون معظم السكان عند الهجرة الأولى للعبرانيين . وقد تزواج المهاجرون الجدد بأهل البلاد من الأموريين فكان العبرانيون خليطاً من الساميين والحوريين والخيتا وأقوام أخرى ينتسبون إلى الجنس السامى . وقد نبذ العبرانيون لهجتهم السامية القديمة وتكلموا باللهجة

الكنعانية (اللغة الفينيقية والعربية القديمة هما لغة واحدة بلهجتين مختلفتين) .
وتقول الروايات إن إبراهيم (عليه السلام) ومعناه الوالد السامي (إبرام) جدهم
الأول قد وفد من بلدة (أور) ببلاد (مسوبوتاميا) بالعراق عن
طريق (حاران) وقطن بجوار (حبرون) مؤقتاً وهي المعروفة باسم
الخليل حالياً . وقد أنجب إسحق (عليه السلام) ومعناه ليتة يضحك . وبعد أن
استوطن عدة سنين في (بادان آرام) انتخب (يعقوب) ومعناه ليتة يحمي
ليكون الابن المفضل على أخيه التوأم (عيساو) (29) ثم غير اسمه (أى
يعقوب) إلى إسرائيل بمعنى إيل يحكم . وقد تسمى (عيساو) باسم آخر
هو (أدوم) بمعنى أحمر . وفي نهاية الأمر استولى أخلافه من الأهلالي
على جبل يسمى (سكير) وأصبحوا يسمون الأميين (30) .

وعلى ذلك حذف (عيساو) من مجرى حياة العبرانيين . وكان الابن
الحادي عشر من أولاد يعقوب (عليه السلام) هو يوسف (عليه السلام) . وهو الابن
الأكبر لراشيل وقد بيع في مصر حيث تبوأ أعلى المراتب إذ نصبه الفرعون
على خزائن مصر (وزيراً للمالية) . وبعد أن مكث نسل (يوسف) (عليه السلام)
وأخوته في مصر عدة أجيال عادوا إلى أرض الميعاد بقيادة موسى (عليه السلام) .

ولا نزاع في أن التاريخ اليهودي الذي كتب قبل عهد القضاة ليس
بتاريخ علمي ذي أسانيد . وعلى أية حال يبتدئ تاريخ إسرائيل الحقيقي
بوصفهم منذ خروجهم من أرض مصر في أواخر عهد (رعمسيس الثاني)
عام 1290 ق.م (31)

وكان أول انتصار للعبرانيين على الملك الآمورى (سيحون) ثم انتصار آخر على الملك (عوج) الجبار . وكانت أول المدن الكنعانية المسورة (ذات أسوار) التى سقطت فى فلسطين نفسها مدينة (لاخيش) أو لخيش أى تل الدواير و (عاى) بالقرب من دير ديوان . وكذلك اجتازوا (أريحا) عاصمة مملكة الكنعانيين وأحرقوا كل ما فيها . أما (مجدو) فى الشمال فلم تُخرب إلا بعد حوالى مائة سنة بعد ذلك . وقد كان من جراء توغل العبرانيين فى بلاد (جليل) فتح (حاصور) أى تل الوقاص أو القداح عاصمة مملكة الكنعانيين فى الشمال . والواقع أن مايسمى بالفتح العبرى كان بعضه بالسيف والآخر بالتوغل السلمى فى أرض المن والسلوى . ثم بعد أن وطدوا أقدامهم قاموا بالتزاوج من العناصر القديمة فى البلاد . وقد قسمت هذه الأراضى بين الإحدى عشر قبيلة التى كان يتألف منها العبرانيون . فقبيلتا يهودا وبنيامين سكنتا الإقليم الجبلى حول (أورشليم) أما باقى القبائل فقد استوطنوا السهول الخصبة الواقعة فى الشمال ومدة الاستقرار لهؤلاء القوم بين حوالى 1175 - 1075 ق.م وهى تتفق مع مايسمى بـ (عصر القضاة)⁽³²⁾

وكان هؤلاء القضاة أبطالاً وطنيين وحكاماً ولدتهم الأحوال وقادوا قومهم لمحاربة الأعداء المجاورين أو الأجانب الغاشمين ومن أشهرهم (دبورة) و (باراق) وأيضاً (شمشون). وقد كان أقوى مناهض للعبرانيين فى الاستيلاء على الأرض هم الفلسطينيون الذين ينحدرون فى أصلهم إلى أقوام البحر الخمسة الذين وفدوا من بحر إيجه لغزو مصر . وحوالى عام 1050 ق.م هزم الفلسطينيون العبرانيون واستولوا على التابوت (تابوت العهد) الذى حملوه إلى (أشدّد أو أشدود) . وقد تفوق الفلسطينيون على أعدائهم

بمالديهم من أسلحة يتوقف صنعها على صهر الحديد . وقد احتكروا تلك الصناعة ولم يعلموها لأحد من الإسرائيليين .

وكان مصدر هذا المعدن هو ساحل البحر الأسود . وتعلم الكنعانيون أسرار تلك الصناعة من الفلسطينيين الذين انفرجت قبضتهم عن البلاد فى عهد داود (عليه السلام) 960 ق.م وكانت هزيمتهم على يد داود الذى عرف سر صناعة الحديد (33) وبعدها فتح داود (آدوم) التى كانت غنية بخام الحديد .

والفلسطينيون بوصفهم مجتمعا أجنبيا فى أرض فلسطين (ساحل البحر المتوسط) فإنه لم يكن لهم أى ضمان يضمن بقاءهم إلا استمرار تجديد دمائهم بالهجرة . وفى نهاية حكم داود (عليه السلام) بدأوا يختفون بوصفهم مستعمرة وعلى مر الزمان أصبحوا ساميين هضمتهم البلاد .

ونجد أن (نحميا) الذى كتب عنهم فى أواسط القرن الخامس ق.م لا يتحدث عن الفلسطينيين بل عن الأشدوديين . ومن اسم آلهتهم (داجون) إله الحب نعلم أنه مأخوذ من طائفة الآلهة الكنعانية . وكان مركز عبادته (أشدود) أما مقر عبادة زوجه (عشتاروت) فكان بلدة (عسقلان) .

وكان من جراء مقاومة الفلسطينيين إعطاء الفرصة لإنشاء المملكة العبرانية وهى التى بقيامها يبتدىء تاريخ الأمة العبرانية . وفى عهد العبرانيين نمت وترعرعت صفات قومية خاصة بهم وإن كان ينقصها المظهر السياسى . وقيل أن العبرانيين يُعدّون الأمة الوحيدة بين الأمم السامية القدامى التى حافظت على أخلاقها القومية وشخصيتها بسبب عامل الدين (34) . وقد كان لجيرانهم الأدوميين والمؤابيين والعامونيين ملوك يحكمونهم . أما الفلسطينيون فكان لهم أسياذ حافظوا على اتحاد مفكك . وكان

للفنيقيين حكومات مدنية وقد نما بعضها مثل (جبيل) و (صيدا) و (صور) وكان العبرانيون يحكمهم حتى تلك اللحظة (قضاة) . وقد نُصِبَ (شاؤل) ملكا عليهم حوالى 1020 ق.م . وقد كان نظام الملكية مختلف عن الملكيات المجاورة فى أمرين حيث استمر نظام القبائل (من حيث الأغراض الادارية) وكان الملك يحكم حسب ما يمليه إلههم (يهوه) (يوحى بذلك بواسطة الكهنة والقديسين) . وقد كان انتخاب (شاؤل) Saul ملكا على العبرانيين سببا للثورة على الرؤساء الفلسطينيين . وبعد حرب طويلة قتل الفلسطينيين ثلاثة من أولاده وجرحوه جرحا بليغا وانتحر بعد موقعة (جبل جلبوع) . والمؤسس الحقيقى لمملكة العبرانيين هو (داوود) (السليمان) 1004 - 960 ق.م وهو الذى ارتدى درع (شاؤل) وابتدأ مجال ملكه تحت سيادة الفلسطينيين ثم أفلح بعد ذلك فى استقلال بلاده ووسع حدوده . وأصبحت أدوم ومؤاب وعمون تحت حكمه وقد انتخب (أورشليم) عاصمة لملكه وهى التى انتزعها من اليبوسيين Jebusites وجعل ديانة (يهوه) فى العاصمة الديانة الرسمية للمملكة الموحدة . وخلف داود ابنه (سليمان) (السليمان) على عرش الملك 960 - 925 ق.م وقد وصلت المملكة فى عهده أوج عظمتها من الرفعة والبذخ . وكان من نتائج حكمه أن اندمج العبرانيون فى مجرى الحياة والحضارة الشرقية . وأقام سليمان (السليمان) معبداً ضخماً كان خاصاً به فى أول الأمر ثم جعله عاملاً للعبرانيين . وكانت شعائره وضحاياه (القرابين) تنعكس فيها العادات الكنعانية وعبيد المعبد كانوا من الكنعانيين (كلمة هيكل الكنعانية تعنى معبداً) .

وأقام (سليمان) (السليمان) بمساعدة صديقه الملك (حيرام) ملك فينيقيا أسطولاً من السفن لتجارة البحر الأحمر . وكانت قاعدة الأسطول (عيلانه) الرومانية أو (أزيون جبر) تقع عند تل الخليفة عند رأس خليج العقبة⁽³⁵⁾ .

ويلاحظ أن المملكة التي ورثها سليمان عن داود أكبر بكثير من التي تركها بعد مماته . وذلك لأن فلسطين اعترفت في ذلك الوقت بالسيادة الفرعونية ، وفي نهاية حكم (سليمان) (السليمان) خلص (رزون) الأرامي نفسه وبلاده من العبرانيين . وبقيت البلاد في عهد خلفه (رحبعام) ابنه الذي استبدل بـ (يربعام) الأفريمي عند انقسام المملكة . ففي الشمال مملكة (إسرائيل) التي كانت عاصمتها (شمعون) ثم (ترازه) ثم سماريه (السامرة) وذلك تحت إمرة (يربعام) أما القبيلتان الباقيتان (12 قبيلة تشكل المملكة الموحدة) وهما قبيلتا (يهوذا وسامير) فقد بقي أهلها على ولائهم لملكهم (رحبعام) وتآلفت منهما مملكة (يهوذا) في الجنوب وعاصمتها (أورشليم) . ودلت الحوادث على أن هاتين المملكتين كانتا تناهض الواحدة منهما الأخرى وأحياناً تصل الأمور لدرجة العداء .

وبعد (عمري) أشهر ملوك إسرائيل (السامرة) عام 885-874 ق.م ، خلفه (اخاب) 874-852 ق.م تده (ياهو) 842 ق.م الذي أعاد عبادة (يهوه) ثم (يربعام الثاني) عام 785-745 ق.م ثالث نسل للملك (ياهو) ، ثم سيع حنود المملكة إلى الشمال على حساب (آرام) وكانت هذه الفترة عهد استرخاء في مملكة آشور وعهد انحطاط في الدولة المصرية . وعندما نهى (تجمس بيلسر الثالث) أو (تغلات بلأزر) عرش آشور 747-727 ق.م أعاد تجمد الامبراطوري لآشور . فهزم دمشق (آرام) و (جلعاد) و (حنبلي) و (سهل شارون) وانكمشت مملكة إسرائيل (السامرة) . وفي

عهد (سرجون الثانى) 722-721 ق.م ساق أمامه خيرة شباب إسرائيل (السامرة) إلى الأسر فى ميديا (27.280 نسمة) . ومن تلك اللحظة قضى (سرجون الثانى) على مملكة إسرائيل أبديا .

وهؤلاء المنفيين (الأسرى) اندمجوا فى الأهالى على وجه عام (سكنوا فى خابور وحلح ومدن مادي ونهر جوزان) وحل محلهم قبائل من (بابل) و (عيلام) و (سوريا) و (بلاد العرب) ووطنوا فى ساماريا (السامرة) وأقطارها . واختلط المهاجرون الجدد بالإسرائيليين المتبقين وتكونوا ما يعرف ب (السامريين) وقد كانت معتقداتهم الدينية متحدة مع عبادة (يَهُوَه) . وأما الانشقاق النهائى بين المجتمعين فقد حدث حوالى عام 432 ق.م [بعد عودة (عَزْرَا) أو أَزْرَا و (نحميا) أو نحميا من المنفى] . وازدادت العداوة والبغضاء بين اليهود والسامريين على مر السنين ولم يسمح بالتزاوج بينهم قط . وفى القرون الوسطى بعد الميلاد نما السامريون وترعرعوا فى (غزة) و (القاهرة) و (دمشق) وبلاد أخرى ولغتهم هى العربية ويقيمون فى (نابولوس) أى (نابلس) . أما بخصوص المملكة الجنوبية فقد انتهز (شيشنق الأول) فرصة الانقسام بين يهودا وإسرائيل (السامرة) فاقتحم البلاد حوالى عام 920 ق.م وضرب مدنها ونهب أورشليم وكان (عوزيه) أو إذا ريه ملك يهودا (782-751 ق.م) لطول فترة حكمه ليهودا قد أعاد نظام جيشه وأصلح معاقل أورشليم ونال انتصارات على فلسطين والعرب وتسلم جزية من العمونيين وأعداء آخرين . وكان من جراء القضاء على إسرائيل (السامرة) فى عام 721 ق.م أن تعرضت يهودا إلى هجمات مباشرة من آشور وأصبحت فى مستهل حكم (حزقيال) 721-693 ق.م خاضعة لآشور . وقد قام (سرجون الثانى) وخلفه (سنخرب) أو سنحاريب عام 705 - 681 ق.م بسلسلة حملات تأديبية على مدن الفينيقيين والفالسطينيين

ويهودا وانتهى الأمر بحصار (أورشليم) عام 701 ق.م ولم تسقط أورشليم ولكن القرى المجاورة أصبحت خرابا وبقيت يهودا مدة ثلاث أرباع القرن السابع ق.م بمثابة قطر تابع لـ(نِينُوَه) عاصمة الملك (سنخرب) . وفى عهد (يوشع) الذى تولى عرش يهودا المخربة عام 636 ق.م وكان فى الثامنة من عمره اتسعت رقعة البلاد شمالا فى محاولة لتوحيد إسرائيل السامرة ويهودا . ولما سقطت (نِينُوَه) فى يد الكنعانيين بعد أفول نجم آشور عام 612 ق.م شجع ذلك مصر على مد حدود امبراطوريتها مرة أخرى إلى شمال سوريا . فتقدم الفرعون (نخاو) إلى يهودا والساحل وقتل يوشع فى المعارك (فى مجدو) عام 606 ق.م وخلفه (يوشيا) ابنه وأعاد عبادة (يَهُوه) وحده . وقد تأرجحت (يهودا) بين سياسة الخضوع لحكم الفرات الجدد (الكلدانيين أو البابليين) والتحالف مع دولة مصر صديقتها القديمة . ولكن (يواقيم) بن يوشيا اختار محالفة (نخاو) ملك مصر 608 -597 ق.م فعينه الفرعون خلفا لأبيه وغير اسمه إلى (يَهُوَّ يَاقِيم) وفى موقعة قرقيش عام 605 ق.م تمكن قائد الكلدانيين (نبوخذ نصر) أو بختنصر من هزيمة الفرعون (نخاو) وانتزع بذلك من مصر كل ممتلكاتها الآسيوية . ولم يكن لـ(يواقيم) من القوة ما يناهض به (نبوخذ نصر) الذى دخل جيشه أورشليم عام 597 وقيد (يواقيم) بالسلاسل كأسير إلى بابل ولكنه مات أو قتل وألقى بجثته خلف أبواب أورشليم . وفى عام 586 ق.م قام (نبوخذ نصر) بتخريب وهدم أورشليم وأخذ أهلها أسرى (50.000 نسمة) وخرب أيضا كل مدينة فى مملكة يهودا تقريبا وفى عام 564 ق.م أصبحت كل سوريا فى يد الكلدانيين .

ويلقى د. سليم حسن الضوء على العبرانيين فيقول (36) :

إن العبرانيين قد تعلموا الزراعة من الكنعانيين لأنهم كانوا في الأصل من البدو الرحل . كما أخذوا من الكنعانيين الشعائر الدينية والعادات . والشعائر المحرمة في التوراة حرمت فيما بعد لأنها لا تتماشى مع مبادئ الديانة اليهودية . والفن والعمارة الدينية عند اليهود مأخوذة من أصل كنعاني (هيكل سليمان الذي شيده بناءون من صور كان محاكياً لتصميم محراب كنعاني وكانت شعائر المعبد تتطلب أنغاماً موسيقية . وكان موسيقاروه ومغنوه الأول من الكنعانيين (ويهود تعلموا على يد الكنعانيين) والآلات المستخدمة كانت كنعانية الأصل (كانت معروفة في فلسطين قبل عهد داود بألفي عام) مثل الدفوف والصفارة والقيثارة والبوق .

والهجرة اليهودية إلى مصر كانت جزءاً كبيراً من هجرة السوريين حيث توجد قرى تحمل أسماء سامية (سورية أو آرامية) خلال العهد البطلمي (في القرنين الثالث والثاني ق.م) وتكثر الأسماء الآرامية في الأوراق البردية المصرية كما ثبت وجود عبادات لآلهة سورية في القرنين الثالث والثاني ق.م . وبرغم اختلاف السوريين عن اليهود في ديانتهم إلا أنهم كانوا يتكلمون لغة مشتركة . ولأن فلسطين في خلال القرن الثالث ق.م لم تكن تؤلف بمفردها وحدة إدارية خاصة (كانت سوريا وفينيقياً تشمل المديرية أو المقاطعات الواقعة جنوبى سوريا وهى فينيقياً وفلسطين وشرقى الأردن) ولذلك فقد خلط المصريون كل الأقوام الوافدين من سوريا وسموهم كلهم (سوريين) واللغة العبرية كانت تؤخذ خطأ - بسبب ذلك - على أنها اللغة السورية (الآرامية) ولم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين في الوثائق المتروكة لنا وبالتالي فلا توجد إمكانية لتحديد عدد اليهود المصريين .

وكان اليهود فى مصر يعيشون فى مجتمعات - فى مهجرهم كشأن غيرهم من المهاجرين - أى منظمات منفصلة نصف سياسية . لهم قوانينهم وعاداتهم ومبانيهم ومؤسساتهم وقادتهم وموظفهم وذلك فى محاولات منهم لإنشاء أجواء تشبه وطنهم الأصلى الذى أتوا منه . وبالمثل فقد أقام الكليكيون والمقدونيون والعرب والتراقيون والسوريون مجتمعات أخرى داخل المدن المصرية . والواقع أن اليهود لم يكونوا منحصرين فى أحيائهم . والمجتمع اليهودى ليس مرادفاً للحي اليهودى . ولم يمنح اليهود - أو غيرهم - حكماً ذاتياً سياسياً كاملاً فى مصر . ولهذا السبب لم يكن فى مقدور السكان اليهود بمصر أن يتحدوا فى نظام قومى واحد لأن ذلك كان يشكل خطراً على الدولة التى تأويهم . ولم يوجد فى الأوراق البردية ولا فى النقوش أى برهان على وجود مجتمعات يهودية فى العصر البطلمى . أما فى العهد الرومانى فلم يوجد سوى مجتمع يهودى فى (البهّسلا) .

ومن الملاحظ أن الغالبية العظمى من اليهود فى مصر لم يكونوا أغنياء كما لم تكن لهم أية صلة بالتجارة أو الربا (كما تقول البرديات) ورغم ذلك فإنهم قد نشئوا وفى دمهم الربا الفاحش . وانخرط اليهود فى سلك الجنديّة فى الجيش البطلمى لم يكن امتيازاً خاصاً قد منحوه . ولكنهم - كغيرهم - عملوا فى الجيش كمرتزقة حيث عمد البطالمة على عدم الاستعانة بالجنود المصريين الوطنيين (خصوصاً بعد الحرب العظمى التى وقعت بين ملك مصر وأنتيوكس الثالث عام 217 ق.م وكانت الغلبة فيها للمصريين) .

و عن (موقف اليهود السياسى فى مصر) يقول د. سليم حسن⁽³⁷⁾ :

إن تاريخ اليهود السياسى فى مصر فى عهد البطالمة ينقسم إلى عصرين ويُعد عصر (حكم) بطليموس السادس (فيلومتور) عام 181 - 145 ق.م الخط الفاصل بين هذين العصرين . ويعد العهد الذى يقع بين حكم بطليموس الأول والسادس بالنسبة لليهود عهد استقرار حيث انتشروا فى كل أنحاء البلاد المصرية ووطدوا أنفسهم فى أعمال متنوعة وأسسوا مجتمعاتهم الخاصة بهم . وفى عهد (فيلومتور) بدأ عهد جديد فى تاريخ اليهود كان الدافع له أمران وقعا فى وقت واحد :

1- ميل الملك للساميين .

2- تدفق نهر جديد من المهاجرين اليهود إلى مصر (وفدوا من فلسطين) .
وقد أخبرنا (يوسيفوس) المؤرخ المصرى أن (فيلومتور) وزوجه (كليوباترا) قد وكلا أمر مملكتهم لليهود . ووضعوا الجيش المصرى تحت قيادة (أونياس) و (دوسيئوس) . وفى الحقيقة فإن ذلك مبالغة من يوسيفوس حيث أنشأ (فيلومتور) وحدة حربية يهودية تحت قيادة (أونياس) وذلك فى الوجه القبلى . وكان كره المصريين لليهود نابعا من كونهم أجنبى وساميين (كراهة الساميين لم تكن ظاهرة جديدة فى مصر بل تمتد إلى دخول الهكسوس إلى مصر واستيلائهم على مقاليد البلاد ولدسائسهم التى لا تتقطع وكان هذا الكره طوال العصر الهيلانىستىكى (البطلمى أو الإغريقى) لا يتعدى حدود الكتابات الأدبية (كتب الكاهن المصرى (مانيتون) أول تاريخ يحتوى على رواية مضادة لسفر الخروج لتكون تكذيبا لقصة الخروج) وزاد الكره فى العهد الرومانى فى صورة منهج منظم لطرد اليهود من كل المراكز التى وصلوا إليها فى عهد البطالمة سواء أكانت مراكز سياسية أو اجتماعية . ولما كانت اللغة الآرامية ليست لغة اليهود الوطنية فإن إحلال اللغة الإغريقية لم يؤثر فى الأسس القومية للحياة اليهودية .

وترجمت التوراة إلى الإغريقية وهذه الترجمة كانت بعيدة عن الأصل العبرى والتوراة الأصلية (توراة موسى) التى غُيّرت وحُرِّفت كلماتها عن مواضعها وذلك أمر له أهمية سياسية فى كل التطور الثقافى ليهود مصر . وقد كان اليهود فى الأسكندرية (عاصمة الملك) مزهوين بإنجاز تلك الترجمة التى تمت فى عهد (بطليموس الثانى) وقام بها 72 عالما يهوديا ندبوا خصيصا لذلك من فلسطين (الترجمة السبعينية) وقد كانت القوانين واللوائح التى تؤلف الأساس القانونى لأعمال الحياة اليهودية هى القوانين العامة للإغريق فى مصر وهو ما يسمى بـ(القانون المدنى) وعليه فقد أصبحت حياة اليهود السكندريين الأسرية من حيث زواجهم وطلاقهم كانت تنظم بعقود حسب القانون الهيلانستىكى (الإغريقى) وبالتالي أصبح اليهود لا يعيشون حسب تعاليم التوراة .

فحسب تعاليم التوراة لا يقرض يهودى يهودى مثله بالربا ولكن حسب القانون المدنى المطبق أصبح اليهود يقرضون يهوداً بفائدة منتظمة قدرها 24% (جاء ذلك فى البرديات المصرية عن ذلك العهد) .

وعن الأدب فى مصر القديمة :

نجد أن المصريين قد وضعوا المؤلفات الأدبية البحتة منذ عام 2000 ق.م وقبل ظهور الأدب العبرى الممثل فى المرويات التوراتية التى اختطها (عزرا) بعد ذلك بأكثر من إثنى عشر قرناً . والأدب البابلى كان يترنج ولم يقصد به شيئاً أدبياً . وأهم أنواع الأدب المصرى القديم كان النوع الغنائى والعاطفى والقصص ثم الأدب العلمى والحكم والأمثال والتأملات . وإذا كانت إحدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم إنتاجاً فإن ذلك لا يعنى أن إحداهما قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بها فقد كان لكل منها استقلالاً

يخضع للمؤثرات المختلفة مثل البيئة والاستعداد الفطري والدين والحضارة .
ومهما بلغ المدى الذى فاقت فيها بابل مصر فى القصة عامة فإن الأسبقية
لمصر فى اختراع الأقصوصة وصياغتها صياغة فنية ممتعة وتحليلها تحليلًا
نفسيا مناسباً (أخذ الأدب اليونانى أى الإغريقى الآداب الحديثة عنها) وفى
الأدب الغنائى كانت مصر وبابل كغصنى شجرة واحدة وبرغم انتاج بابل
الكبير فإن الانتاج المصرى كان يتميز بالقوة والعذوبة مع الأخذ فى الاعتبار
أن هناك الكثير من الأدب المصرى لم يكشف عنه الحجاب بعد. فالكثير من
النقوش والنصوص مازالت تحت الترى . أما الأدب العبرى والقصصى
والغنائى فلا يستطيع أن يتفوق عليهما (البابلى والمصرى) والأدب التعليمى
والتأملى (الأمثال والحكم) هو وحى مصرى خالص وكان ذلك نواة لأمثال
سليمان وحكمه فيما بعد . أما جمال الأسلوب وعذوبة الكلمات فالسابق والرجح
والتفوق للأدب المصرى القديم مثالا لذلك قصة (الفلاح الفصيح) التى
كُتبت قبل 2000 ق.م فهى سلسلة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق
الإنسان صيغت ببلاغة وأداء رائع فى الأسلوب العذب (افتقدها الأدب
البابلى) . وقد بدأ الفساد فى ذلك الأسلوب الجميل يدب فى الأدب المصرى
منذ الدولة الوسطى حيث بدت الكلفة والصنعة والزخرفة اللفظية دون الاهتمام
بالمعانى السامية (يرى ذلك واضحا فى قصة سنوهيت) ولا يمنع هذا من أن
نلمح قطع فنية راقية من وقت لآخر ولكنها قليلة (قصة الأخوين ، وقصة
الملك خوفو والسحرة وغيرهما كانت بمثابة قصص بسيطة بعكس قصة
سنوهيت وقصة نامون اللتان تُعدّان من أجود القصص القصيرة وأكثرهما
قدما) .

والأدب المصرى غذى الأدب العبرى والأدب الإغريقى بما يلزم للنمو
والارتقاء .

واستعراضاً للأدب المصرى القديم يقسمه د. سليم حسن⁽³⁸⁾ إلى تقسيمات مختلفة متتبعاً الآثار التى عثر عليها والدالة على وجود ما يمكن وصفه بالأدب :

أولاً: الدولة القديمة:

*الأسرتان الأوليان (3200 - 3000 ق.م) :
وهو عصر الاتحاد الأول (مينانعرمر) . لا توجد آثار أدبية ذات قيمة غير وثيقة اللاهوت المصرى والفلسفة الدينية.

*الأسرة الثالثة (3000 - 2900 ق.م) :
توجد كتابات فى العقائد الدينية خاصة فى عهد الملك (زوسر) ببنى الهرم المدرج بسقارة .

*الأسرة الرابعة (2900 - 2750 ق.م) :
وهو عصر الأهرامات . لا توجد كتابات أدبية خاصة وإنما نقوش دينية .

*الأسرة الخامسة (2750- 2625 ق.م) :
كان عهداً ذهبياً فى الأدب والفن والفلسفة الدينية . وظهرت كتابات عن الأخلاق والسير القويم والمواعظ الحسنة (نصائح بتاح حتب) كما وجدت وثيقة منقوشة على جدران هرم الملك (وناس) .

*الأسرة السادسة (2625- 2475 ق.م) :
وفيهما ظهرت كتب جديدة فى النصائح . وتوسعوا فى فتوح البلدان .

*الأسرتان السابعة والثامنة (2475- 2445 ق.م) :

كان عصر فوضى واضطرابات وفساد . وتمزقت فيها أوصال الدولة ووحدها .

ثانيا : العصر الأهناسي :

*الأسرتان التاسعة والعاشر (2445-2160ق.م) :

وفيه ظل تفكك البلاد موجوداً إلى أن أسس (خيتي) مملكة مصرية في أهناس (بالفيوم) وعادت حرارة الحياة مرة أخرى تدريجيا .

*الأسرة الحادية عشرة (2160-1995ق.م) :

عادت وحدة البلاد وظهر نوع من الأدب الراقى (نتج عن الرجّات السياسية والحروب القاسية) وكانت الكتابات تدعوا إلى اصلاح حال البلاد الاجتماعي في ظل حكومة عادلة .

ثالثا : الدولة الوسطى :

*الأسرة الثانية عشرة (1995 - 1790 ق.م) :

وفيه امتدت رقعة البلاد مرة أخرى بالفتوحات والهيمنة على البلاد المجاورة ويعزى إلى (أمينحات الثالث) تحويل الفيوم إلى أرض زراعية منتجة وزاد الاصلاح والتعمير ويعتبر عصر تلك الأسرة بالعصر الذهبي للأدب (العهد الكلاسيكي) فظهرت القصص والأناشيد والتأملات (الأمثال) .

*عهد الهكسوس (1790-1580ق.م) :

وهو العهد الذى استمر حوالى قرنين من الزمان . وقد تمكن (كاموس) ثم (أحمس) عام 1580 ق.م من طرد الهكسوس من البلاد وبناء دولة فتيحة جديدة .

رابعاً : الدولة الحديثة :

وفيهما ظهر تأثير الآداب المصرية والحضارة المصرية فى الشعوب التى أعاد فتحها (أحمس) عند مطاردته للهكسوس وكان عصر ثقافة واسعة ومجد سياسى . وكان الغناء الرائع والغزل الطريف من سمات ذلك العصر .

*الأسرة الثامنة عشرة (1580 - 1350 ق.م) :

وفيه اتسعت رقعة المملكة (عهد تحتمس الأول وحفيده تحتمس الثالث). ويتميز هذا العصر بمحاكاة الأدب للطبيعة وغلبت اللغة العامية على الكلاسيكية القديمة . وكانت فيه فلسفة عقيدة التوحيد (إخناتون) .

*الأسرة التاسعة عشرة (1350-1200 ق.م) :

وفيهما حارب (سيتى الأول) ومن بعده ابنه (رعمسيس الثانى) بدو فلسطين ودولة خيتا (الحيثيين) وخذ انتصاراته فى صورة قصائد نُقِشت على جدران المعابد. وفى عهد ابنه (مرنبتاح) قامت الحروب مع اللوبيين وغيرهم وسجلت لوحة أدبية هامة (لوحة بنى إسرائيل) التى عثر عليها فى تل العمارنة .

*الأسرة العشرون (1200-1090 ق.م) :

وُجِدت آثار مختلفة فى عهد (رعمسيس الثالث) ووثائق كتبت على البردى .

*الأسرة الحادية والعشرون (1090-945 ق.م) :

وفىها تفككت المملكة مرة أخرى . فأسس رئيس الكهنة (حـرـحـور) أسرة جديدة . ونجد فيها (نصائح أمينموبى) لإبنه فى طيبة . وأمراء أسسوا ملكاً لهم فى مدن أخرى مثل تانيس .

*الأسرة الثانية والعشرون (945-745 ق.م) :

ومؤسسها (شيشنق الأول) الأمير اللوبي الذي توج نفسه ملكا على البلاد وتلا ذلك الفتح الأثيوبي (الكوشيين) لمصر عام 712 ق.م . وبعده الفتح الآشورى عام 670 ق.م ثم جاء (أبسماتك الأول) مخلص البلاد من المستعمرين (663-525 ق.م) وهبت نسمات إصلاحية لإحياء العلوم والفنون القديمة ولكن ما لبث أن غزا الفرس البلاد عام 525 ق.م ثم جاء الاسكندر الأكبر ليغزو البلاد ويطرده الفرس عام 332 ق.م.

والكنعانيون والعبرانيون تأثروا بالناحية الأدبية المصرية وكذا الناحية الفنية وكان ذلك جلياً فى أناشيد الإنشاد والمزامير (حَكم داود) . وقد توصل المصريون القدماء إلى أعلى شكل للكتابة وهو الحروف الأبجدية . وكان استخدام الحروف عوضاً عن المعانى التى لا يمكن تصويرها برسوم معينة وكانت كتابات المصريين القدماء بالمداد الأسود على أوراق البردى وأيضاً على الخزف والحجر الجيرى الناعم . ونلاحظ أن معظم القصص المصرية القديمة قد نُقلت بصورة أو بأخرى فى الأدب العالمى الجديد (فى أوروبا

والحبشة والهند ..) وأيضا القديم فنجد فى (سفر الأمثال) العبرى ما يشابه
تعاليم (أمينموبى) مشابهة قوية فى الأفكار والأساليب فعلى سبيل المثال
نجد:

*فى تعاليم أمينموبى (39) :

لا تتكلمن مع إنسان كذبا فذلك ما يمقته الله .

*وفى سفر الأمثال (40) :

شفنا الزور رجس عند الرب .

*وفى تعاليم أمينموبى (41) :

لا تسخرن من أعمى ولا تهزأن من قزم ولا تفسدن مقاصد رجل أعرج ولا
تحفظن رجلاً فى يد الله .

*وفى سفر الأمثال (42) :

المستهزئ بالمعوز يعير صانعه والشامت للعطب لا يتزكى .

*فى تعاليم أمينموبى (43):

احذر أن تسلب فقيراً معدماً وأن تكون شجاعاً أمام رجل مهيب الجناح .

*وفى سفر الأمثال (44) :

لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ولا تسحق البائس عند الباب .

* وفي تعاليم أمينموبى (45):

* لا ترحزن الحد الفاصل بين الحقول ولا تحولن موقع خيط القياس ولا
تطمعن فى ذراع واحد من الأرض ولا تقدفن بحدود الأرملة (أى لا تعتدى
على حدودها) ، احترس أن تغير حدود الأرض المنزرعة .

* وفي سفر الأمثال (46) :

لا تزعج الحدود القديمة ولا تدخل حقول الأيتام .

* وفي تعاليم أمينموبى (47):

حرّك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث أن يعبر إلينا . لأننا لا نرتكب
ما ارتكبه . ارفعه ومد يدك له . وأسلمه إلى ذراعى الإله . واملاً جوفه
بخبزك حتى يشبع ويعى .

* وفي سفر الأمثال (48) :

إن جاع مبغضك فأطعمه خبزاً وإن عطش فأسقه ماءً .
مما سبق نرى إلى أى حد تأثر الأدب العبرانى من كتابات حكماء القدماء
المصريين التى تسبقه بعدة قرون .

والأناشيد الدينية التى كتبت فى عهد (إخناتون) تمدح إله الشمس
الجديد . جاء فيها :

* أنت خالق الجرثومة فى المرأة
والذى يذراً من البذرة أناسا .
وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه .

مهَّدنا إياه حتى لا يبكى
ومرضعا إياه حتى فى الرحم .
وأنت معطى النَّفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقتَه
حينما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم ولادته .
وأنت تفتح فمه تماما
تمنحه ضروريات الحياة

ما أكثر أعمالك
وهى على الناس خافية
يا أيها الإله الأحد
الذى لا يوجد بجانبه شأن (الأحد)
لقد خلقت الأرض حسب رغبتك
وحينما كنت وحيدا (لاشئء غيرك)
خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان
وجميع ما على الأرض
مما يمشى على رجليه
ومافى عليين يطير بأجنحته
*وفى المزامير⁽⁴⁹⁾ نجد :
ما أعظم أعمالك يارب
كلها بحكمة صُنعت
ملأنة الأرض من غناك

وعن الأغاني الغزلية هناك العديد من الكتابات القديمة التي وصلتنا وكان المقصود (كما صور ذلك فى النقوش) أن تغنى تلك الأشعار بمصاحبة العود (الهارب) والقيثارة كما ظهر ذلك على جدران مقابر طيبة . وأيضا قصائد المديح للملوك تشير إلى ما أتوه من ضروب الشجاعة وجلائل الأعمال وتعتبر المدائح المصرية القديمة والأناشيد الاجتماعية التي تتحدث عن الأخلاق والصفات الحميدة وغيرها تسبق ماجاء فى الأغاني العبرانية بقرون طويلة .

(كتاب صموئيل الثانى : الفصل الأول على سبيل المثال) .

وملحمة قادش (المسماة خطأ بقصيدة بنتاور) إحدى الأمثلة الرائعة لأدب المديح وكذلك قصيدة انتصار مرنبتاح (المسماة بلوحة إسرائيل) وكتلتاهما - كلتا القصيدتين - تخران بالاستعارات والتشبيهات المختارة ووصفاً للنصر العظيم والفخار لما أحرزاه الملكان (رعمسيس الثانى ومرنبتاح) على الأعداء . والأدب المصرى القديم هو الأساس والمنهل الذى أخذت منه الآداب العبرانية والأوروبية وغيرها بعد ذلك بقرون طويلة . وإذا كانت الحضارة الأوروبية يقال أنها أخذت عن العبرانيين ففى الحقيقة أن الحضارة الأوروبية ما أخذت إلا عن الحضارة المصرية القديمة لا عن غيرها (سواء العبرانيين أو الحضارة الصينية أو الهندية أو حتى الإغريقية) فحِكم (أمينموى) - كما تقدم - تسبق التوراة بقرون طويلة . ويرجح أنها ترجمت إلى العربية فى الأزمان الغابرة وبذيعها فى فلسطين صارت مصدراً أُستقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال فى التوراة .

ويؤكد (د. جيمس هنرى برستيد)⁽⁵⁰⁾ أن الانسان قد سما إلى تصور

خلقى عالٍ قبل أن تظهر الأمة العبرانية إلى عالم الوجود بألفي عام .

والمجتمع المصرى القديم أثرت فيه ظاهرتين عظيمتين طبيعيتين هما :

الشمس والنيل . (الخضرة التى تُروى من مائه) . وقد تصور المصريون القدامى أن لهاتين الظاهرتين إلهين كان لهما السيطرة على التطور الدينى والعقلى منذ أقدم العهود. وهما (رع) إله الشمس و (أوزير) إله الخضرة . و (رع) أى الشمس المجسمة جعلوا مقره (أون) أى هليوبوليس أو عين شمس الحالية حيث حل محله إله شمس قديم يدعى (آتون) ورمزوا له بـ (الصقر) فى إدفو . وكان إله الشمس بصفته صقر أيسمى (حور) أو (حوريس) أو حور أختى أى حور الأفق (رع أتوم) . وأعتبر إله الشمس أنه منبع الخير والحياة . ومن أجل ذلك أصبح قرص الشمس ذو الجناحين المنشورين أعم رمز فى الديانة المصرية القديمة (فى الأدب العبرانى ⁽⁵¹⁾ هناك جناح الصباح وشمس العدالة التى تحمل الشفاء فى جناحيها) وكان إله الشمس حليفا للفرعون وحامياً له . وتقول (متون الأهرام) عنه أنه مكّن للفرعون مصر السفلى (الوجه البحرى) وكذلك مصر العليا (الوجه القبلى) وهدم له معاقل آسييا . وهو أول إله خلّقى عادل عرفه التاريخ .

وفى منف يقوم (بتاح) بدور إله الشمس القديم (رع أتوم) الذى تحول إلى قاضٍ يحكم شئون البشر . والإله المحلى (بتاح) هو المسيطر على أصحاب الحرف والصناعات . وبذا أصبح (بتاح) العظيم هو قلب كل الآلهة ولسانهم . أى انتحل لنفسه وظائف إله الشمس (القلب هنا بمعنى العقل أو الفهم والادراك أما اللسان فهو رمز النطق وأداة التعبير عن أفكار العقل وأوامره) . وهذا التعبير الخارق للمألوف فى ذلك الزمان القديم هو نفس ما توصل إليه العلم الآن . وحقيقة الموت تركت تأثيراً عميقاً فى كل من

اللاهوت الشمسى واللاهوت الأوزيرى (الخير والخضرة) . ولا يوجد شعب قديم أو حديث احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلتها فى نفس الشعب المصرى القديم و (أوزير) يعتبر (ملك الأموات) دون غيرهم أما (رع) فإنه صاحب قوة عظيمة فى شئون عالم الأحياء (مع أنه كان كثيراً ما يشفع للموتى) . وتوجد عندنا الأدلة القاطعة على أن أقدم المبادئ الخُلقية عند قدماء المصريين أخذت دورها فى النمو وهى مقرونة بإله الشمس (رع) لا بإله (أوزير) لأن نصائح (بتاح حتب) تقول بجلاء أن إله الشمس هو خالقها (أى خالق العدالة أى ماعت) أما (أوزير) فقد ظهر بعد ذلك العهد بألف عام قاضياً خُلقياً فى الحياة الآخرة . وبذلك بزغ الفجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر باعتبار الأبدية أمراً يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجسد . واعتبر ملك ذلك الإله (رع) عالماً خُلقياً عظيماً يتولى الملك (الفرعون) فى الأرض إدارته وتدبير أموره نائباً عن الإله لفائدة الأمة المصرية .

والعدل عندما يكون مطبقاً (قائماً) يكون حقيقة عدلاً لأن العدالة (ماعت) أبدية : فهى تنزل مع من يقيمها إلى القبر عندما يوضع فى تابوته . ويثوى على الأديم وإسمه لا يمضى من الأرض بل يُذكر بسبب عدله . وهكذا تكون استقامة كلمة الله . وكان على الوزير أن يقيم العدل لأن الإله الأعظم الذى يشرف على الدولة يمقت الظلم وليس ذلك اتباعاً لأمر الملك فقط (بعد ذلك بحوالى ثلاثة عشر قرناً من حكم إله الشمس رع نجد أن أنبياء بنى إسرائيل يعلنون بقوة سيادة يَهُوَه الخُلقية على سيادة الملك عندهم) .

والعصر الذى ظهرت فيه (متون التواييت) يوافق عصر أبى الأنبياء (إبراهيم) (عليه السلام) 1800 ق.م . وهو عصر انتشرت فيه - فى مصر - الرقى بالسحر والتعاويذ والسحرية لمواجهة المصير فى الحياة الدنيا وفى الآخرة (درءاً للأخطاء فى الحياة الدنيا وحجاً لعذاب الآخرة ومنعه) .

وفى وصية الملك المسن إلى ابنه (مريكارع) يقول :

لا تركزنَّ إلى طول الأيام لأنهم (يعنى قضاة أو ملائكة الآخرة) ينظرون إلى مدى حياة الإنسان كأنها ساعة واحدة (كناية عن قصر عمر الإنسان فى الدنيا عن حياته الأبدية فى الآخرة) . والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تكون بجانبه كالجبال لأن الحياة الأخرى أبدية ولا يهمل أمرها إلا الغبى . أما من يصل إليها دون أن يرتكب إثماً فإنه سبقى هناك كإله يسير بخطى واسعة مثل أرباب الخلود (يعنى الأموات البررة الأطهار) .

وفى عصر الدولة الحديثة (1600 ق.م) وبعد بعثة إبراهيم (عليه السلام) نجد أن الأدلة تكشف لنا عن التطور الخلقى وتطور التفكير وعمقه . وأصبح من نتيجة ذلك أن صار المفكرون من المصريون القدماء وقتئذ يرون أن المسئولية الخلقية لكل إنسان (قول الصدق والحقيقة والتحلّى بالفضائل) مترتبة بصفة قاطعة على إدراكه وفهمه الشخصى . أى أن المسئولية شخصية وليست جماعية (الحساب فى الآخرة فردى) وعليه فقد أصبح القلب (خلال القرن الخامس عشر ق.م) الذى يُنعت بالمرشد الحكيم قد صار يوصف بأنه الوازع الباطني (إله المرء) أى الضمير الحى اليقظ .

وقد برزت فكرة (العقيدة الخلوئية القومية) التى تقول بأن الإله يحل فى كل شىء . ولذا فقد كان الملك (الفرعون) هو ظل الإله (المحلى) على الأرض وكان يتصرف وكأنه إله يدرك مطالب شعبه فى

مصر . وتطورت تلك الفكرة ليصبح الإله عالميا (فى الدولة الحديثة 1600 ق.م) فعلى يد (تحتمس الثالث) أصبح الملك الإله (عالميا) يبسط سيطرته وهيمنته على أرجاء الأرض . (غزا تحتمس الثالث ممالك آسيا وأفريقيا وكون أول امبراطورية ثابتة الأركان فى التاريخ) وقد سبقه (تحتمس الأول) حيث قال أن ملكه يمتد إلى نهاية ما تحيط به الشمس . وقد قال (تحتمس الثالث) عن إله الشمس :

إنه يرى جميع العالم فى كل ساعة .

ومن بعده جاء (أمنحتب الثالث) الذى حكم 1411 - 1375 ق.م (قبل بعثة موسى) وهو الذى شيد الكثير من المعابد والعمائر وكتب فى عهده (أنشودة الشمس) التى جاء فيها :

إنك صانع . مصور لأعضائك بنفسك
ومصورّ دون أن تُصوّر
منقطع القرين فى صفاته . مخترق الأبدية .
مرشد الملايين إلى السَّبَل .

أنت خالق الكل ومانحهم قوتهم
أنت أم نافعة للآلهة والبشر
وأنت صانع مجرب
وراعٍ شجاع يسوق ماشيته
وأنت ملجؤها ومانحها قوتها ..
.. هو الذى يرى ما خلق

والسيد الأحد الذى يأخذ جميع الأراضى أسرى كل يوم بصفته واحداً يشاهد
من يمشون عليها .
وهو يخلق الفصول والشهور .

وتلك الصفات الواردة لإله الشمس فى الأنشودة تذكرنا وترجع بنا إلى
عهد البصائح التى وجهت إلى (مريكارع) وهى التى سُميت فيه الناس
(قطعان الإله) كما ترجع بنا أيضا إلى أفكار (أبيور) حيث يقول (إنه
راع لجميع الناس).

وقد أخذ (أمنحيب الرابع) أى (إخناتون) 1370 ق.م فى باكورة
حكمه يناصر فى حماسه فكرة جديدة للمذهب الشمسى وأعطى إله الشمس
إسما جديداً خَلَص به المذهب الجديد من التقاليد المحفوفة بخطر الشرك فى
اللاهوت الشمسى القديم (آمون - رع) فصار إله الشمس يسمى (آتون) وهو
إسم قديم يطلق على الشمس المجسمة . ومنحه الملك الشاب (إخناتون) رمزاً
جديداً (قرص الشمس تخرج منه أشعة متفرقة إلى أسفل وفى نهاية كل
شعاع صورة يد بشرية) وهو رمز يشعر بالسيادة ويدل على السيطرة
القوية الخارجة من منبعها السماوى وهى تضع أيديها فوق العالم وعلى شئون
البشر الأرضية (السيطرة العالمية) وألفت أناشيد لإله الشمس الجديد
وبمقارنتها بما جاء فى المزامير نكاد نرى تطابقاً (راجع الصفحات
السابقة) . ويلاحظ أن الإله (أوزير) قد تجوهر كلية فلم يذكر فى كل
الوثائق الإخناتونية بل ولا فى أى قبر من قبور (تل العمارنة) عاصمة الملك
الجديد .

ونلاحظ ثمة تشابه فى شخصية (إخناتون) والسيد (المسيح) فقد كان (إخناتون) رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الانسانية⁽⁵²⁾ . وإذا كنا لم نسمع عن (حساب الآخرة) فى مقابر (تل العمارنة) فمن الواضح أن ذلك إنما يرجع إلى نبذ سحابة الآلهة وأنصاف الآلهة وعلى رأسهم (أوزير) ممن كانوا يؤلفون هيئة المحاكمة فى حساب الآخرة بشكلها الموضح فى (كتاب الموتى) الفرعونى . فأولئك الآلهة قد بادوا وبالتالي اختفى منظر المحاكمة التمثيلى باختفائهم .

وبعد عصر (إخناتون) فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م انبثق فجر عصر (التقوى الانفرادية) والإلهام الباطنى الذى يناجى به المرء ربه وتلك أول مرة نجد فيها أن (الضمير) قد تحرر تماما فيعتذر المذنب ويندم على جهله وارتكابه المعاصى . والاعتراف بالذنب هنا يختلف تماما عن الاعتراف الذى ورد فى (كتاب الموتى) حيث كانت الروح لا تعترف فيه بأى خطيئة بل تدعى البراءة التامة .

ومن الملاحظ أن التطور الخلقى عند قدماء المصريين - كسائر عناصر ثقافتهم - قد وقف وانتهى أمره تقريبا قبل بداية الحياة القومية العبرانية بعد أن سار فى تدرجه حوالى خمسة وعشرين قرنا (3500 - 1100 ق.م) .

ويقول (ج .بريستيد)⁽⁵³⁾ أن الفلستينيين (الكنعانيين) لم يأخذوا عن البابليين شيئا يذكر من معتقداتهم وآرائهم الدينية سوى ما يتعلق بالأوضاع الظاهرية والشعائر المرعية . أما العقائد الجوهرية المكونة لأركان الدين فلم يكن الأخذ عنها بمثل هذه السهولة . فقد تصور البابليون الأوائل آلهتهم ممثلة فى القوى الطبيعية (هم فى ذلك مثل المصريين القدماء) فكانت أقدم

معبوداتهم من آلهة الطبيعة مثل الإله (سن) إله القمر فى العاصمة (أور) وهناك من الأناشيد التى يرددوها ويؤلفها الكهنة فى بابل مايمائل ماكان موجوداً بمصر القديمة. وتلك الأناشيد تذكرنا (بالمزامير العبرانية) رغم أنها تسبق تلك المزامير بقرون طويلة . والذى يلفت النظر لتلك الحالة (فى معانى وألفاظ الأناشيد وفنون النحت) هو عدم معرفتهم شيئاً عن المحاكمة فى عالم الآخرة فيما بعد الموت .

وقد لاحظ (فسترمارك) أنه لا يوجد فى أى (مزمور) بابلى معروف لنا من التى وضعت للتوبة أية دلالة على أن فكرة الخطيئة فيها تشمل الذنوب التى تُرتكب ضد البشر . فقد كان شعور البابليين أن الذنوب لم تكن إلا مجرد تعد ظاهرى على حقوق الإله . وإذا ما نظرنا إلى (قانون حمورابى) الشهير نرى أن الجرائم والأحكام الواردة فيه كانت متدرجة حسب الدرجات الاجتماعية التى يشغلها المتقاضون أو المذنبون . فكان الرجل صاحب المنزلة السامية ينال فيه رعاية ظاهرية أكثر من الرجل الوضيع الأصل . وهذا يختلف تماماً عن المحاكمات التى كانت فى مصر القديمة حيث كان الحكماء ووجهاء القوم يكررون دائماً ذكر عدم اكتراثهم للفوارق الاجتماعية بين طبقات الناس . فالكل سواسية أمام القانون . وكان هذا المبدأ من صلب دستور الدولة المصرية القديمة بعكس الحال عند البابليين حيث انتفتت العدالة الاجتماعية ولذا لم تسهم مدنيّتهم مساهمة جوهرية فى تاريخ أسيا الغربية الخلقى . وفى المملكة الخيتية (الحيثيين بتركيا) جعلوا العقوبات القانونية متدرجة حسب المركز السياسى و (الاجتماعى) الذى يشغله المذنب وكانت وطأة العقاب تُخفّف إذا كان المجرم من أهل البيئة المحلية عن العقاب الذى يزداد إذا كان المجرم من رعايا الحكومات المجاورة .

وقد اتصل (العبرانيون) خلال أسرهم البابلى (وهم فى مرحلة متأخرة من مراحل تقدمهم الدينى) اتصالا وثيقا بالمدنية الفارسية ووقفوا على الكثير من ديانة (زروستر) ومذهب (زروستر) هذا مذهب مزدوج يدعو كل إنسان أن يقف إلى جانب قوة من اثنتين : فإما أن يملأ روحه بالخير والنور وإما أن يخلد إلى الشر والظلمة. وأية طريقة يسلكها الإنسان لابد وأن ينتظر بعد موته حسابا عنها فى عالم الآخرة. وقد وجدت نظرية قوية وأدلة تقول أن (زروستر) قد أخذ الكثير من ديانتته عن الديانة المصرية القديمة⁽⁵⁴⁾ . ولدينا الأدلة الوافرة الآن على أن التطور الدينى الذى أحرزه العبرانيون بعد عودتهم من المنفى (فى بابل) كان متأثرا بتعاليم (زروستر) الذى أخذ عن المصريين القدماء . وفلسطين الكنعانية كانت تحت النفوذ المصرى القديم وقبل أن يبطأ العبرانيون فلسطين بأكثر من ألفى سنة . وتلك المدنية التى أخذها الكنعانيون والفينيقيون (عن الحضارة المصرية والبابلية) أثرت بدورها فى حياة العبرانيين . واتخذ العبرانيون الفاتحون اللغة الكنعانية لغة لهم .

ومن الحقائق المدهشة - كما يقول (بريستيد)⁽⁵⁵⁾ - أن يكون الإرث الخلقى لليهود (المرويات التوراتية المأخوذة عن مصر وبابل) قد وصل إلى المدنية الغربية من شعب خامل الذكر سياسيا ومنزوي فى الركن الجنوبى الشرقى من حوض البحر المتوسط . فهذا الشعب لم يقم له نظام قومى خاص به إلا منذ عام 1020 ق.م ولم يبق أمة موحدة إلا نحو قرن واحد . واستمرت حياة جزء منهم إلى القرن السادس (722 ق.م السبى الآشورى ، 586 ق.م . السبى البابلى) أى حوالى أربعة قرون . ويعتقد (بريستيد)⁽⁵⁶⁾ أن قصة (يوسف) المروية فى الأدب العبرانى تحاكي القصة المصرية

القديمة المعروفة بـ (قصة الأخوين) أنوبيس وباتا. وقصة يوسف تلك تعتبر برهانا قاطعا على أن الإسرائيليين فى القرن الثامن ق.م كانوا قد دخلوا فى عصر الأخلاق فعلا.

ولابد أن تعاليم الحكماء المصريين القدماء الاجتماعية كانت قد كونت جزءاً من التقاليد الدينية لدى الفينيقيين والكنعانيين وبقيت بينهم عدة قرون قبل أن تظهر (المسألة الاجتماعية) وتشذ عواطف الرجال ذوى الشعور الخلقى الحي من العبرانيين أمثال (عاموس) و (هوشع) فى خلال القرن الثامن ق.م (57) وقد تأثر الأنبياء العبرانيون أيضا تأثر بالمقابلة بين الرجل المستقيم والرجل الخبيث كما صورتها كتابات الحكيم (أمينوموبى) حيث اقنسر (كاتب سفر إرميا) تلك الصورة كما بى (٩٨) :

* يقول أمينوموبى (59) :

والرجل الأحق الذى يخدم فى المعبد مثله كمثلى شجرة نامية فى غابة
ففى لحظة يفقد فروعه ويجد نهايتها فى مرفأ الخشب وينتقل بعيداً عن مكانه
والنار مأواه ، والرجل الحازم حقا ينتقى لنفسه مكانا .

فإنه مثل شجرة نامية فى حديقة يزدهر ويتضاعف ثمره ويجلس فى
حضرة سيده ، وثمرته حلوة ، وظله وارف ويجد آخرته فى الحديقة .

* ويقول النبى (إرميا) (60) :

ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعاه .
وعن الرب يَهْوُه يحيد قلبه ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى إذا جاء
الخير . بل يسكن الحرة فى البرية أرضاً سبخة غير مسكونة . ومبارك ذلك
الرجل الذى يتكل على الرب يَهْوُه وكان الرب متكلاً فإنه يكون كشجرة

مغروسة على مياه وعلى نهر تمتد أصولها ولا تخشى إذا جاء الحر . ويكون ورقها أخضر . وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار .

* نفع المزمور الأول⁽⁶¹⁾ :

1- صمى للرحم الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .

2- لكر فى ناموس الرب يهوه مسرته . وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً .

3- فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه . وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح .

4- ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافاة التى تذررها الرياح .

5- لذلك لا تقوم الأشرار فى الحساب ولا الخطاة فى جماعة الأبرار .

ونلاحظ أن فكرة الحساب لم ترد فى سفر المزامير كله إلا هذه المرة. وكذلك نلاحظ أن تأكيد ذكر مجارى المياه فى الصور العبرانية أمر هام أيضاً لأن النصف الجنوبى من فلسطين (مملكة يهودا) شبه صحراوى (ومازال إلى الآن).

وقد اكتشف الباحث (جوجرسمان) أن هناك تشابه تام بين ماجاء فى (أنشودة إخناتون) وبين ماجاء فى المزمور 104 حيث نرى ونذكر رحمة الله ورأفته بخلقه أجمعين . تلك الطيبة والشفقة الإلهية المعبر عنها فى الأنشودة الإخناتونية (عصر التنسك الشخصى فى مصر) وهى التى كان لها التأثير الهام فى ظهور (التدين الشخصى) عند العبرانيين (بعد ذلك) . كما

أن تلك الأنشودة (المكتوبة في منتصف القرن الرابع عشر ق.م) أدت
تدرجيا إلى اعتراف العبرانيين بالواحدانية .

وكذلك نرى أن محتويات الجزء الذى يؤلف نحو فصل ونصف فصل
من (سِفْر الأمثال) العبرانى مأخوذ حرفياً عن حكم الحكيم المصرى
(أمينموبى) بالاضافة إلى ما أخذته (القوانين العبرانية) وِسْفَر (أيوب) و
(شاول) و (إرميا) أيضا . ولا يخفى على المدقق أن (أمينموبى) قد
أعتمد على حِكْم (بتاح حُتَب) الذى يسبقه بحوالى ألفي عام فى تأليفه
كتابه المكون من ثلاثين فصلا . وتلك الأخيرة هى التى انتشرت فى
فلسطين وكانت تسمى باسم (ثلاثون فصلا فى الحكمة) ثم أصبح يطلق
عليها (الثلاثون) .

ويمكن الرجوع إلى الأسفار المذكورة لتبين مدى التطابق والتشابه مع
الأخذ فى الاعتبار أن هناك تعديلات طفيفة تمت لتتناسب مع البيئة
الفلسطينية. فعلى سبيل المثال يوصف الرجل الغنى فى حِكْم (أمينموبى)
وله أجنحة الأوز (المنتشر فى مصر) . وفى (سِفْر الأمثال) نجد له
أجنحة النسر وهكذا .. فالحكماء والأنبياء العبرانيين (كتبة الأسفار) كانوا
ينتخبون المختارات ويقتبسون الاقتباسات من حِكْم (أمينموبى) لأن من
الطبيعى أن يتأثر العبرانيون فى فلسطين كل التأثر فى أفكارهم وكتاباتهم
بآداب مصر القديمة التى قبضت على زمام فلسطين ووصعنها تحت سيطرتها
الثقافية والسياسية مدة تفوق مدة نفوذ روما فى بلاد فرنسا القديمة .
فالإسرائيليون بعد استيطانهم فلسطين كانوا فى الواقع يسكنون أرضاً من
الأملاك المصرية مضت عليها فى هذه الحال قرون بأكملها وقد استمرت
بلاداً مصرية عدة قرون بعد استيطان العبرانيين لها.

ويؤكد (فرانسوا دوما)⁽⁶²⁾ على عدة نقاط هامة :

- * تركت مصر أثراً عميقاً في فكر الكتاب المقدس أخلاقياً وميتافيزيقياً .
- * لم تعرف مصر هذه الجموع الغفيرة من العبيد التي تلحق العار باليونان وروما (كان الرق فردياً وليس جماعياً) .
- * تميز حكماء مصر بإنسانية بالغة وصلت إلى مستويات سامية من الأخلاق .
- * عرف الفن المصرى القيود وكان يرى أن الحرية قد تقتل الفن .
- * لم يترك المصرى القديم شيئاً للصدفة (جهاز سطح معبد نندرة فى الصعيد بالمزاريب رغم ندرة هطول الأمطر) .
- * حسن رعاية الأجانب (النازحين والأسرى) .
- * احتلال الكاتب مكانة مرموقة والتأكيد على ذاتية الفنان .
- * مولد القصة السيكلوجية (مثل سنو هي الفلاح الفصيح) .
- * شهدت مصر زواجات الرهينة .
- * لم تحاك مصر أحداً (كانت مبدعة وليست مقلدة) .
- * الحضارة المصرية القديمة تحتفظ دائماً بكل ما هو قديم إلى جانب الجديد .
- * رسوخ الإيمان وعمقه الذى كان أهم أسباب بناء الحضارة المصرية القديمة لأن الخوف من العقاب أو الرغبة فى المكسب المادى فحسب لا يبنيان حضارة.
- * الكتابة على رأس الابتكارات العبقريّة التي توصل إليها المصرى القديم .
- * اللغة المصرية القديمة لهجة حامية سامية انفصلت فى وقت مبكر جدا عن الجذع المشترك للغات السامية والحامية والكوشية (النوبية-الأثيوبية) .
- * اللغة العبرية شأنها شأن اللغة المصرية لم تكن تكتب فى الماضى إلا بالاستعانة بالعلامات الصوتية الساكنة .

ويقول (إيمانويل فلايكوفسكى) ⁽⁶³⁾ :

أنه لم يُعثر على أية وثائق مصرية قديمة تشير إلى أحداث الإقامة والخروج لبني إسرائيل من مصر . ولم تذكر أيضا مصر في قصص التوراة طوال فترة حكم القضاة اليهود بالرغم من الاحتكاك المستمر والمباشر بين مصر وفلسطين طوال فترة حكم الملوك اليهود حيث دأب فراعنة مصر على تسيير الحملات إلى فلسطين (وهى حملات نسي فراعنة مصر ذكرها فى آثارهم فيما بين القرن العاشر والسادس ق.م) ويتعجب فلايكوفسكى لذلك الأمر ويفترض لذلك أن زمن التيه فى صحراء سيناء قد يكون أكبر مما هو مذكور فى الكتب الدينية وأن فترة حكم القضاة فى فلسطين تختلف عما وصل إلينا . ولكنه يعود فيؤكد أن زمن الخروج من مصر تم فى فترة المملكة الفرعونية الحديثة (فيما بين القرن 16 ، 12 ق.م) ويسوق - لتأكيد كلامه عدة افتراضات :

* أقدم نظرية تنص على اقتران ظهور الإسرائيليين بظهور الهكسوس وتقرن الخروج بطرد الهكسوس من مصر . وقد سجل (مانيتون) المؤرخ المصرى أن الهكسوس بعد طردهم من مصر اتجهوا إلى سوريا وفلسطين وأنشأوا أورشليم .

* جادل (يوسيفوس) المؤرخ اليهودى المصرى كلاً من نظرية (أبيون) عالم النحو ونظرية (مانيتون) الكاهن المصرى إلا أنه فى النهاية قبل دعم نظرية أن اليهود هم الهكسوس .

* كتب (جوليس) الكاهن الأفريقى بتفويض من الأب (أبيون) أن اليهود قد تمردوا تحت قيادة موسى (~~الشيخ~~) على (أحسن الأول) ملك مصر .

*كتب (إيزبيوس) وهو من رجال الكنيسة ناسباً وقوع الأحداث إلى عصر الملك (سنشريس) من الأسرة الثامنة عشرة . ولا يُعرف ملك بهذا الاسم في أى من العصور الفرعونية .

*تقول نظرية أخرى أن اليهود لم يقيموا أبداً في مصر ولكن الهكسوس هم من أقاموا فيها . ثم تم طرد الهكسوس ووصلت إلى مسامع الإسرائيليين بعض تقاليد هذا الشعب فضموها إلى تراثهم وأصبحت جزءاً من ماضيهم .

*تفترض نظرية أخرى أن عام 1580 ق.م يُعد حدثاً مبكراً بالنسبة للخروج اليهودي من مصر (الأسرة الثامنة عشرة) ولكن يمكن حدوثه في فترة ما تلى (إخناتون) لأنه من المستحيل على الإسرائيليين دخول فلسطين في عهد فراعنة أقوياء .

* اكتشاف رسائل (تل العمارنة) المكتوبة على ألواح من الطين يعود تاريخها إلى عهد (أمنحتب الثالث وابنه إخناتون) وهي رسالة من أورشليم ويدور قلق كاتبها وهو يحذر الفرعون من غزو محتمل يقوم به اليهود (خابيرو) القادمون عبر الأردن وعليه يكون الخروج قد تم قبل زمن تلك الرسائل بجيل أو جيلين .

*الخروج في عهد (أمنحتب الثاني) يبدو متوافقاً مع التسلسل الزمني الذي ورد في التوراة (سفر الملوك 6 : 1 يحدد أن معبد سليمان قد شيد بعد الخروج بأربعمئة وثمانين عاماً وهو ما يوافق منتصف القرن الخامس عشر ق.م وهو عهد أمنحتب الثاني) وهو ما يوافق رسائل تل العمارنة . وأيضاً حدوث زلزال في التوقيت نفسه تسبب في سقوط حائط مدينة أريحا (جيركو) يؤيده حفريات تبين فيها ظهور آثار دمار ونيران على حوائط المدينة (1407 ق.م) وهو نفس ما ذكرته التوراة في السفر المذكور (سفر الملوك) .

* غادر اليهود مصر أيام طرد الهكسوس ووصلوا فلسطين باسم العبرانيين فى عهد (إخناتون) ولكن ما بين الخروج ووصولهم إلى فلسطين هناك أكثر من مائتى عام (المعروف أنها توازى زمن التيه فى الصحراء) كما أن يشوع بن نون (يوشع) لم يجد أى أثر لقبصة مصر القوية حين غرا فلسطين .

* نظرية أخرى تفترض وقوع الخروج أثناء الفوضى التى أعقبت حكم (إخناتون) وادعى أحد المؤرخين أن (موسى) لم يكن إلا أميراً مصرياً وتلميذاً لاختاتون حمل لواء دعوته (التوحيد) بين العبيد والفقراء ثم غادر بمن آمن منهم مصر .

* نقوش الغطاء الحجرى لتابوت مرنبتاح كتب عليه أن فلسطين أرملة لمصر وأن بذرة إسرائيل قد محيت ودمرت وهو ما يُعد أول ذكر لإسم إسرائيل فى وثيقة مصرية . ولكن مرنبتاح هذا لم يهلك فى البحر ولم يعان من فوضى العنف فى عصره وهو من هزم الإسرائيليين (فى فلسطين) .

* كثير من الإسرائيليين رجحوا أن (مرنبتاح) هو فرعون الخروج (1220 ق.م) وأن (رعمسيس الثانى) هو الطاغية الذى استعبدهم ولكن وجود النقوش السابق الإشارة إليها بضعف ذلك الاحتمال . كما أنه فى هذه الحالة يصبح عصر الفضاة قرن واحد فقط لا عدة قرون (أربعة قرون) .

* افترض باحثون آخرون أن الخروج قد تم فى موجات متتالية فى عصر (مرنبتاح) وأنهم لم يظهروا بفلسطين إلا بعد غرق أقوام البحر (الفلست Sea peoples) لها حيث حاربهم (رعمسيس الثالث) 1186 ق.م بعد ذلك .

* ادعى أحد الباحثين أن الإسرائيليين دخلوا مصر فى عهد (مرنبتاح) بعكس ما يقال عن خروجهم فى ذلك العصر . أثناء ذلك قام الآسيويين بعبور الحدود إلى مصر وحصلوا على موافقة السلطات بقبولهم كمهاجرين .

وكما افترض (فلايكوفسكى) ماسبق . آثار التساؤلات مرة أخرى عن اسم البحر الذى حدث عنده العبور⁽⁶⁴⁾ . وهل هو يام سوف (البحر الأحمر) أو خليج السويس أم خليج العقبة أو بحيرة سيريونيس أو سيربون (بحيرة البردويل) أو أية بحيرة أخرى مثل بحيرة التمساح أو البحيرات المرة . ويطرح تفسيراً اخر وهو الإعصار الشديد (والرياح القوية التى تهب من المساء حتى الفجر وتدفع الماء إلى الانحسار) .

وعن موضوع (عمود النار والدخان) الذين ذكرا فى التوراة شكك (فلايكوفسكى)⁽⁶⁵⁾ من حدوثها ويعتبر ذلك مجرد إضافة من خيال الرواة الذين حكوا القصة ويعزو ذلك إلى حدوث بركان .

ويشير إلى نصوص (بردية إيبوير)⁽⁶⁶⁾ التى لا يعتبرها مجموعة من الأمثال (كما فسر لها لاوث وشاباس) ولا ألغازا (كما فسر لها بردجسن) ولا نبوءة (كما فسر لها لانج) ولا مجموعة نصائح صاحبها انهيارات اجتماعية (كما فسر لها جاردنر وشيث) ولكنها - كما يعتقد - الرؤية المصرية لكارثة كبرى أو مجموعة كوارث متتالية (يفسرها بأنها الضربات المتلاحقة التى أنزلها الرب على مصر قبيل حادث الخروج) فالبردية مخطوط لمناحة ووصف لخراب ورعب، ولتأكيد استنتاجه يقارن ما جاء فى البردية وسيفر الخروج فيقول :

* البرديّة⁽⁶⁷⁾ : البلاء انتشر فى كل أنحاء البلاد والدماء فى كل مكان .

* سفر الخروج⁽⁶⁸⁾ : وكان الدم فى كل أرض مصر .

* البرديّة⁽⁶⁹⁾ : النهر دم .

* سفر الخروج⁽⁷⁰⁾ : فتحول كل الماء الذى فى النهر دماً .

* البرديّة⁽⁷¹⁾ : مصر السفلى (الوجه البحرى) تنتحب . كل القصور الملكية بلاموارد القمح والشعير والأرز والسّمك . كانت الحقول مخربة تماماً .

* سفر الخروج⁽⁷²⁾ : لم يبق شىء أخضر فى الشجر ولا فى عشب الحقول فى كل أرض مصر .

* البرديّة⁽⁷³⁾ : لم تكن الأرض نوراً .

* سفر الخروج⁽⁷⁴⁾ : فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام .

* البرديّة⁽⁷⁵⁾ : إن الفرعون فُقدَ فى ظروف غير عادية وأن ذلك لم يحدث قط لأى فرعون آخر .

* سفر الخروج⁽⁷⁶⁾ : فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءه فى البحر ولم يبق منهم ولا واحد .

وبالرغم أن البردية المهرتنة لم تحتو على أى ذكر للإسرائيليين صراحة أو حتى تلميحا ولم تشر إلى أى من قادتهم فإن ثلاثاً من الحقائق ظهرت بوضوح⁽⁷⁷⁾ :

1- تمرد السكان .

2- فرار البؤساء والمساكين المسخرين للعبودية .

3- اختفاء الملك في ظروف غامضة .

و عن (الهكسوس) يقول (فلايكوفسكى) (78) :

اختلفت نظريات الباحثين في أصل الهكسوس فأكد بعضهم أنهم من (الميتانيين) الذين انحدروا عن الجنس الارى . وقال الآخرون أنهم (ساسانيون) من بلاد فارس . وافترض البعض أنهم الإسرائيليون وقيل أنهم من العرب .

ومن الملاحظ أن الكتب المقدسة لم تشر إليهم أو تذكرهم، ويفول (المسعودى) عنهم :

أنهم غزوا سوريا ومصر وأسسوا أسراً حاكمة من الفراعنة العماليق .
ويزعم (فلايكوفسكى) (79) في تفسير خاطيء لنقوش (لوحة كاريزفون)
ونقوش أخرى على جدران مقبرة أحد ضباط (أحمس) وهو أمير مصرى
وحاكم ولاية وتابع لملك الرعاة (الهكسوس) يدعى أنه في حرب التحرير
ضد (أمو - الهكسوس) كان هناك جيش أجنبى يقاتل ضد الهكسوس
(بالرغم أن النقوش لا تسجل أى مائثر لملوك أجنبى) ويقترح لذلك الملك
اليهودى (شاؤل) . وأن الشرق الأدنى منبى لشاؤل (الذى قتل فى تلك
الحروب) لنيله حريته وتخلصه من نير عبودية الهكسوس ولولاه لما تغير
مسار التاريخ هكذا.

ويستمر في ادعائه أن ميراث الامبراطورية الزائلة للعماليق (الهكسوس) قد انقسم بين المصريين والإسرائيليين حيث نهضت كل من مملكة يهوذا ومصر⁽⁸⁰⁾ ويفترض أن خروج الإسرائيليين - تبعاً لذلك - كان في أواخر المملكة المتوسطة . وأن الملكة (حتشبسوت) هي نفسها منحه (سبا) وأنها تتزامن وتعاصر حكم سليمان (عليه السلام) متخذاً ما جاء في الأسفار التوراتية دليلاً له في ذلك⁽⁸¹⁾ وعليه فإنه رحلة (حتشبسوت) الشهيرة إلى بلاد بونت لم تكن إلا رحلة إلى الأرض المقدسة في فلسطين (أورشليم) حيث جاء في كلمات عن الإله آمون يعود تاريخها إلى عصر (أمينحتب الثالث) في أواخر الأسرة الثامنة عشرة :

* حينما أولي وجهي إلى مشرق الشمس فإني أولي وجهي إلى بلاد بونت .

ومن ناحيتنا نقول - تنفيذاً لإدعاءات فلايكوفسكي - أن الملك (أمينحتب الثالث) قد حكم مصر من عاصمة مملكة في طيبة (الأقصر) والمشرق يكون حينئذ - باتجاه شبه الجزيرة العربية لا القدس (أورشليم) .

وفي دراسة لأحد علماء الحملة الفرنسية على مصر⁽⁸²⁾ يدعى (ديبوا - إيميه) جاء فيها (في محاولة منه للي الحقائق وتطويعها لأهداف معينة) :

إن قوة الشرائع والمؤسسات التي أقامها موسى (عليه السلام) هي التي يعزى إليها تلك الظاهرة السياسية التي جعلت الشعب اليهودي يحتفظ بعباداته وشرائعه ولغته وملامحه رغم أنه بات مشتتاً فوق الكرة الأرضية كلها خاضعاً لكل صنوف الحكومات لأن موسى (عليه السلام) قد قام بعزل شعبه وبشكل تام عن بقية البشر مما جعل فناءه مستحيلاً . إن اليهود منتصرين لم يستطيعوا أن يجعلوا من قوتهم أقوى من قوى الأمم التي أخضعوها كما

أنه عندما كانت تحقيق بهم الهزيمة فلم يكن بمقدورهم أن يختلطوا بالمنتصرين . وتعود غالبية النقائص التي تُعاب عليهم اليوم إلى حالة الإذلال على سبيلها في كل مكان . وكان أهم ما يقومون به حينئذ أن يشترخوا ، من سبوا . أما الذهب فقد بات هو الهدف الوحيد لطموحهم . وليست هناك شهوة تستطيع أن تتلف الإنسان في جسده وروحه أكثر من حب الذهب . وقد يكون من غير المجدي أن نحاول أن نثبت أن عيوبهم هذه تعود إلى شرهم وتنظيمهم حيث أن البلدان التي نحسن فيها الأفكار والعلاقات والديانة السمة من قدر اليهود ينهض بينهم - هناك - رجال فضلاء وأدباء متميزون . وعلينا ألا ننسى بصفة خاصة أن الأمة اليهودية أظهرت وسط المحن والالام خاصية عظيمة حيث أنه إذا كان العفو يُعد شرفا للقوة فإن المشاعر الرقيقة تكون شرفا للضعف . لقد تجرأت أورشليم على قتال روما التي كان يرتعد أمامها أعتى ملوك الأرض ثم أقام اليهود المهزومون في روما بأيديهم المكبلة بالقيود الحديدية النصب الضخم وقوس (تيطوس) الذي تخلد نقوشه البارزة ذكرى سقوط المدينة المقدسة وتلك المهانة (دمر الامبراطور الروماني تيطوس أورشليم عام 70 م) .

وعن (نشأة اليهود) يقول (دى بوا - إيميه)⁽⁸³⁾ :

على الرغم من التناقضات التي يعتقد بعض النقاد أنهم قد وجدوها في أسفار موسى الخمسة وعلى الرغم من اختلاف آرائهم حول زمن نشرها فإن الجميع مضطرون للاعتراف بأنها أقدم أثر مكتوب وصل إلينا . كما أنهم لا يستطيعون مهما تكن طبيعة آرائهم الدينية أن يرفضوا ما نجده في هذه الكتب من فائدة كبيرة ترتبط بالتاريخ لشعب كان رعويا جواباً ثم زراعياً

ثم جماعة من العبيد ثم عاد مرة أخرى إلى حالة التجوال ليصبح بعد ذلك غازيا .

[يلاحظ أن هذه الدراسة مكتوبة عام 1811 م وإيميه بصف الشعب اليهودي بأنه أصبح غازيا . فهل كان نشأته من الكائن أم أن الكاتب بصفته من علماء الحملة الفرنسية على مصر يعم بأحد أهداف الحملة الخفية لإيجاد وطن لليهود بفلسطين كما جاء نشأته على لسان نابليون قائد الحملة وقتها] .

لقد تولدت أحقاد واضحة وحروب دائمة بين الشعوب الرعوية والزراعية لأن الإنسان كان صياداً وراعياً قبل أن يكون مزارعاً والأحقاد المتبادلة بين الفئتين (احتقار الزراعيين لجهل الرعاة وبدائيتهم دفع الرعاة للرد بقوة الساعد التي افتقدها المزارع) . فلقد سكنت قبائل العبرانيين بلاد ما بين النهرين وسوريا والجزيرة العربية وصحراوات مصر . وهناك نشأت ديانات التوحيد . أما في الأقاليم الزراعية مثل ضفاف الأنهار (مثل نهري روفيا وسيفيزا في اليونان) فقد عبد الإنسان الطبيعة (منيرفا وأبو للو) .

وإبراهيم أو إبرام (إبراهيم العبراني) هو الذي بشر بوجود إله واحد ليجعل عبادته محل عبادة النجوم . وكان العبرانيون ينظرون إلى (إبراهيم) باعتباره زعيماً لجنسهم . ويتطابق تاريخ إبراهيم كما قرأنا في كتابات العبرانيين في غاطه الأساسية مع كتابات المؤلفين العرب [يدعى الكاتب أن القرآن من تأليف العرب] . ويستمد العبرانيون إسمهم من (عابر) أحد أجداد (إبراهيم) وقد تركوا أرض كلدان كي يمضوا إلى منطقة من أرض ما بين النهرين التابعة لسوريا . وكانوا وقتئذ وثنيين . وكان (تارح) والد (إبراهيم) من (ناحور) و (آران) على رأس قبائلهم . وعند

موت (تارح) انقسم القوم فظل بعضهم فيما بين النهرين تحت حكم (ناحور) وواصل الآخرون مسيرتهم إلى ماوراء الفرات وهما (إبراهيم) و (لوط) ولدا (آران). وتكرر حدوث انقسامات مماثلة عند الشعوب الرحل بسبب الديانة الجديدة التى بشر بها (إبراهيم) وهى ديانة لم يتبنها أولئك العبرانيون الذين ظلوا فى بلاد ما بين النهرين (كما يشير إلى ذلك سفر التكوين). وانفصل (إبراهيم) عن ابن أخيه حتى يستجب لوحي مقدس. ولكى يحافظ (إبراهيم) على عقيدته وينأى بها عن اضطهادات الوثنيين فقد انسحب إلى جوف الصحراء وتقدم فى البداية نحو الجنوب عبر أرض السوريين وبعد ذلك دخل مصر ثم عاد إلى سوريا وهناك انفصل عن ابن أخيه (لوط) ثم عاد وانتزعه بعد ذلك من أيدى أعداءه. واستطاع (إبراهيم) بإتحاده مع ثلاثة من مشايخ الصحراء (عائر وأشكول وممرا الأمورى) أن يفاجئ الآخرين ويلحق بهم الهزيمة (رؤساء شنعار وعيلام والأسار وجوبيم الذين شنوا الحرب على ملوك سدوم وعمورة وأدمة وصبوبيم وبالع أو صوغر). وبعد أن خلص إبراهيم لوطاً ذهب إلى أرض (أبيمالك) ملك فلسطين وقدم إليه ثيراناً ومعيّزاً فسمح لهم بالاقامة. وقد أنجب (إبراهيم) إسماعيل وإسحاق. وقد أصبح (إسماعيل) بفعل جسارته زعيماً لقبائل عديدة تشكل اليوم الأمة العربية. أما (إسحاق) فقد أعقب والده وتحيل جولاته وحروبه وتحالفاته وسيرة حياته إلى الوجود الخاص والسياسى لزعيم من زعماء البدو. وبعد موت (إسحاق) انفصل ولده (يعقوب) و (عيسو) أو عيساو. وتسمت القبائل التى أتبعته (عيسو) باسم الأدوميين أما يعقوب فقد استحوذ على الجزء الأكبر من ميراث أبيه وتسمى الرعاة الذين ظلوا محيطين به بشكل نهائى باسم العبرانيين أو الإسرائيليين. وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا أشهرهم (يوسف) وفيما بعد أصبحت أسماء

ولديه وأخوته تشير إلى أسباط بنى إسرائيل . وكان (يعقوب) قد أصبح شيخاً كبيراً حين أُلجأته المجاعة إلى ترك ضواحي سر سبع والذهاب إلى مصر حيث حصل من فرعون على إذن بأن يسفر في أرض جاسان (وادي طميلات بالشرقية) . وكانت أسرة الملوك الرعاة (نهثسوس) تشغل في ذلك الوقت عرش مصر . ويدعى (إيميه) أن معاملة المصريين كانت سيئة مع الأجانب ولولا وجود الهكسوس بمصر لما استطاع يعقوب وأهله الدخول والبقاء بمصر . وبعد طرد الهكسوس (الرعاة العرب كما يقول إيميه) الذين أَووا العبرانيين بسبب أصلهم المشترك وتطابق عاداتهم وتقاليدهم فقد انسحب عليهم ماكان يكنه المصريون من أحقاد نحو هؤلاء الرعاة .

ويسوق إيميه بعض الخواطر والافتراضات المعروضة فيقول ^(٢٠١) :

* لم يكن الرعاة الذين فتحوا مصر (الهكسوس) يتعلقون ببلد أكثر مما يتعلقون بآخر فقد كانوا رحلاً ومقاتلين . وسرعان ما قدر عليهم أن يعملوا بالملاحة على طريقة العرب الذين حملوا معهم إلى أسبانيا في القرن الثامن الميلادي الفنون والعلوم [يقصد فتح الأندلس] .

* إن الذين نقلوا إلى اليونان (الإغريق) فنون مصر هم هؤلاء الرعاة (نفس رأى فريرييه Freret) وإن كان ذلك لا يسلب عن مصر العليمة مجد أنها أمدت اليونان بالبذور الأولى لحضارتهم التي تطورت بعد ذلك .

* إن التباهج التي تمتع بها المصريون في عهد (رعمسيس الثاني) تحول دون أن تتسب لعهد الكوارث التي حربت المملكة وأدت إلى تخليص شعب الله (اليهود) [يقصد الابتلاءات التي نزلت بمصر تأييداً من الله لموسى (عليه السلام)] .
ورسنه .

*يعتقد (إيميه) أن (مرنبتاح) كان أميرا ضعيفا يؤمن بالخرافات وقاسيا .
وفى عهده فاض النهر بدرجة عظيمة ودمر القرى والحقول وأفرغت
العواصف والأعاصير والسيول الشعب وكانت هذه العلامات تنذر بغصب
السماء وأن عملية الهروب (الخروج) للعبرانيين لا بد وأن تكون قد تمت فى
عهده .

*الرجال العظماء (أمثال موسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) ونوما⁽⁸⁵⁾
وليكورج⁽⁸⁶⁾ ومانكو كاباكا⁽⁸⁷⁾) كان يفيدون من ظواهر الطبيعة المعروفة لهم
جيذا كى يحيطون أنفسهم بالمهابة والقداسة وإدعاء المهارة أكثر من عامة
الناس [يخلط إيميه ويزج بأسماء أنبياء الله مثل موسى ومحمد (ﷺ)
ويضعهم فى سلة واحدة مع آخرين لاقداسة لهم ويدعى أنهما مهرة وحاذقين
فى اقناع شعوبهم بأن التشريعات التى يبلغونها لقومهم هى من عند الله برغم
أنه يلزم ويفترض أن تلك التشريعات من عند أنفسهم] .

*فى مقارنة غير مطلوبة ولا مرغوبة يقول إيميه أن فتوحات محمد (ﷺ)
وخلفائه (الفتوحات الإسلامية) تمت فى ظروف تكاد تكون متشابهة مع
ظروف موسى (عليه السلام) وفتوحات خلفائه رغم أن فتوحات اليهود من ناحية
الاتساع والأهمية لا تقارن بالفتوحات الإسلامية لأن (موسى) كان . كما
يدعى - يجابه فى زمنه أمما وشعوبا مخرسة بالقتال تشغل أرض سوريا
وفارس ومصر وبلاد العرب ، أما عند ظهور (محمد) (ﷺ) فقد كانت -
كما يدعى - الامبراطورية الرومانية العملاقة وكذلك امبراطورية فارس قد
بليتتا من القدم بعدما اقتسما العالم وكانت الشعوب التى أخضعها هؤلاء تظن
أنها تحطم أغلالها بانتقالها من سيطرة سيد قديم إلى أيدى سادة جدد
[يحاول إيميه بذلك أن يزيغ التاريخ ونوابته بادعاء البطولة المطلقة لكل ما

هو إسرائيلي وتسفيه فتوحات المسلمين العرب مدعيا ضعف الامبراطوريتين المعاصرتين الروم والفرس [.

• اضطر موسى (عليه السلام) أن يوحى إلى قومه بالهلع من الأجانب كي يخلق من العبيد دولة متماسكة . وهو شعور ظلوا يحملونه بين جوانحهم طويلا . ولذا قد يعطون إلا للجيل العاشر من المتهودين الجدد الحق في دخول جماعة الرب .

• حين شعر موسى بأن قواه تخور وأن أجله قد قرب شاء أن يجعل من موته أمرا مفيدا في تحقيق مآربه فأعلن للشعب أن الرب قد رفض أن يدخله الأرض الموعودة لأنه قد شك مرة واحدة . واحدة فقط في قدرته (سبحانه)⁽⁸⁸⁾ وأعلن باسم الرب الخالد أن يشوع (يوشع بن نون) قد صار خليفة له ثم صعد (موسى) جبال عباريم ونبو وأشار بيده للعبرانيين إلى الأرض التي سيكافئهم بها الرب جزاء فضائلهم ولا سيما عقيدتهم الدينية .

ولإعادة ضبط ميزان تجاوزات الفرنسي (إيميه) وادعاءاته يأخذنا الفرنسي أيضا (د. جوستاف لوبون)⁽⁸⁹⁾ في دراسته عن اليهود مصححا لكثير من المعلومات وموضحا الحقائق فيقول عن اليهود :

لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة . واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية ولم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ .

ويشير (لوبون) إلى مسيو (رينان) الذى يقول بدوره أن النظام اليهودى بأسره ليس إلا وجها بسيطا للنظام الكلدانى وأن أساطير البابليين المعقدة لم ينتحلها عالم الغرب المتمدن إلا بعد أن تحولت بمرورها من خارج

روح الساميين البسيطة . و عندما خرج هؤلاء البدويون (العبرانيون) الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقوا فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل . فلم يفتنوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما فى حضارتها وغير عيوبها وعاداتها العبرية وحرافاتهما - عارتها - كشأن جميع العروق الدنيا - فقربوا لجميع الهة اسبا (عشتروت وبعل ومولك) من القرابين أكثر مما قربوه لإلههم (يهوه) الذى لم يتقوا به إلا قليلا على الرغم من كل إنذار جاء به أسياهم . و اليهود قد اقتصرت معارفهم على تربية السوام (المواشى والغنم) وعلى فلاح الأرض وعلى التجارة بوجه خاص . وقد أسفر تعصبهم على عدم احتمال جيرانهم لهم .

والعهد القديم (المرويات التوراتية) لم يشتمل على شىء سوى ما جاء فيه من الشعر الغنائى (نشيد الإنشاد والمزامير) وأما ما احتواه من أمور أخرى فيتألف من رؤى أناس متهوسين ومن أخبار باردة وأقاصيص داعرة ضارية [يقصد ما جاء فى سفر أستير وسفر يهوديت] وغدت الخرافات الصبائية أو القبيحة التى وضعها كاتبوا التوراة قاعدة للأديان التى ارتضاها الغرب مدة عشرين قرنا فعدها أناس مثل أوجستان وجاليليو ونيوتن وبسكال حقيقة خالصة .

والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى أما الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى وانتشروا فى جميع آسيا السابقة هم الآشوريون والإسرائيليون . والعرب فى إبان سلطانهم الكثير الاتساع وفى عهد حضارتهم العظيمة ظلوا فى مبادئهم العامة وعبادتهم أبسط من الآشوريين والفينيقيين واليهود .

والإسلام يُعد هو الدين الوحيد الوثيق التوحيد الذى جاء به الساميون وهو الدين الوحيد الخالى من أى أثر لوثن. فهو يرفض الأنصاب رفضاً تاماً. ولم يجل بنو إسرائيل فى البحر كما كان يجول جيرانهم الفينيقيون . وهم لم يملكوا من الساحل الطويل زمن سوى القسم الممتد من يافا إلى رأس الكرمل وهناك يقع سهل شارون الذى تمتد مروجته وحصائده إلى البحر . وكانت فلسطين إحدى طرق العالم القديم الرئيسية كبابل . وكانت (مجدو) مفتاح أودية الجنوب و (قادش) مفتاحها فى الشمال . وبنو إسرائيل إذ كانوا عاطلين من أى فن وعلم وصناعة وهم إذ لم يزاووا التجارة إلا كوسطاء وجهوا عنايتهم إلى حقولهم وإلى مواشيهم . وتجد كتبهم المقدسة حافلة بالنعوت الرعائية وبالمقاييسات والأمثلة المقتبسة من حياة الفلاحين والرعاة . ولم تكن أرض الميعاد - فلسطين - غير بيئة مختلفة لبنى إسرائيل فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم . وتاريخ اليهود الحقيقى لا يبدأ إلا فى عهد ملوكهم. وكانوا أقل من أمة حتى زمن (شاول) . فقد كانوا أخلأطاً من عصابات جامحة ومجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة تقوم حياتها على الغزو وانتهاب القرى الصغيرة .

ويشير (د. لوبون)⁽⁹⁰⁾ إلى أن :

بنى إسرائيل حين فروا من ظلم فرعون وعبروا البحر فإنما لحق بهم عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين . وبعد نجاتهم - من فرعون - كانوا يصرون على أنهم شعب واحد ينتمى إلى نسل رجل واحد .

والحقيقة تكمن فى انتحال جميع الفارين لإسم بنى إسرائيل .

ولما كانت أرض سيناء فقيرة جديبة لم تصلح لإعاشة أهل البدو أيضا فقد توجه بنو إسرائيل إلى الشمال وحاولوا دخول أراضي الشعوب الكنعانية الصغيرة . ولما دنوا من هذه الأراضي بهزم خصبها فاشتعلت نيران الحسد والحقد في قلوبهم . وتحول العبريون من أناس بدويين إلى أناس حضريين عندما رسخت أقدامهم في تلك الأراضي التي كانت محط أحلامهم . ولم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخاً غير أن استقرارهم بفلسطين تم بالتدريج . فالعبريون قضوا زمناً طويلاً ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها . والعبريون كانوا منقسمين كالكنعانيين إلى عدة عشائر تسمى أبناء يعقوب أو الأسباط . وقتالهم الجزئي كان بجماعات صغيرة تستولى كل منهم على قطعة من الأراضي (عصر القضاة) وذلك العصر كان يعتبره العبريون عهد بطولية تاريخية . وكان في فلسطين يعيش اليبوسيون والعصمونيون وطائفة من الأمم الصغيرة بجانب بني إسرائيل . وكان السلطان في تلك البقاع للفلسطينيين (أقوام البحر أو الفلسة) وإذا كان خروج العبرانيين من مصر قد حدث قبل الميلاد بنحو خمسة عشر قرناً فهم لم يفكروا في تأليف أمة واحدة منهم ولم ينصبوا ملكاً عليهم إلا في أوائل القرن الحادي عشر ق.م وأولئك القضاة لم يستطيعوا بسط سلطانهم على جميع بني إسرائيل بل كان كل واحد منهم يتسلم قيادة زمرة واحدة من الإسرائيليين واستمر أولئك القضاة مدة أربعة قرون . وبـ(شاول) بدأ بنو إسرائيل يؤلفون أمة فاستحقوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ . وخلفه داود الذي أقام عاصمة ملكه في أورشليم بعد طرد اليبوسيين منها . واقتطف سليمان ملك أبيه داود حيث بلغ مصير الشعب اليهودي ذروته في عهده . ولما مات كان الانقسام والفوضى . وأقام سليمان هيكلًا للرب . وكان ماهراً في ربط شعبه بروابط المحالفات فتزوج

من إحدى بنات ملك مصر وارتبط مع ملك صور (حيرام) بصلات الصداقة والتجارة وشيد مدينة (تدمر) . أما مملكة الأسباط العشرة التي أقامها أبناؤه (يربعام) متخذاً شكيم ثم السامرة عاصمة لها فقد كانت مسرحاً لأفظع الفجائع . وعندما حلت سنة 721 ق.م هدم ملك نينوى الآشوري (سرجون) مملكة السامرة . وكان سقوط نينوى بعد ذلك سبباً في تأخير سقوط أورشليم . بيد أن ملوك يهودا في الجنوب أثاروا غضب البابلي (نبوخذ نصر) بمخالفتهم لفرعون مصر . فاستولى الملك البابلي على أورشليم في عام 586 ق.م . وجعل عاليها سافلها وهدم هيكلها وجعل اليهود أسارى فغدت أورشليم أثراً بعد عين . ومن العيب أن أصدر (كورش) ملك فارس مرسوماً أذن فيه للعبريين في العودة إلى فلسطين وإعادة بناء مدنهم وهيكلهم ثم تلا ذلك سط الإغريق والرومان لسلطانهم على تلك المملكة الهزيلة ففي عام 70 م استولى (تيتوس) الملك الروماني على أورشليم وجعلها طعمة للنيران وشتت شمل اليهود . ويعرف عن اليهود وحشيتهم التي لا أثر فيها للرحمة مع أعدائهم (انظر نصوص سفر الملوك وسفر يشوع) .

وعن حياتهم الاجتماعية يقول د. لوبون (91) :

كانت كثرة الذرية مطلوبة وكان عقم المرأة يُعد عاراً وإذا مات الرجل عقيماً تزوج أخوه الأصغر بأرملته وصلاً لنسبه (كما جاء في التوراة) . وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعاً بينهم على الدوام والبقارة كانت أمراً معتاداً لديهم . ومن يغتصب فتاة يحمل على تجهيزها والزواج منها ولا يتم طردها أبداً . وإذا اغتصبت فتاة مخطوبة كان ذلك عملاً مساوياً لزنا الزوج فيقتل مغتصبها وترجم الفتاة لأنها لم تستغث بأحد . وتبرأ إذا وقع الحر في البرية لاستحالة سماع صوت استغاثتها . ويعتبر زنا الأزواج جرماً فضيعاً يُعاقب

مرتكبه بالقتل (الرجم) والمقصود هنا زنا المرأة لا الرجل لأن الرجل يمكنه الزواج بأكثر من واحدة شرعيا وغير شرعي (عُرْفِي) . وسفاح ذوى القربى والمحارم واللواط والمساخقة ومواقعة البهائم من أكثر الآثام الشائعة فى الشعب فعَدَّتْ ضروب البغاء تكريماً لعشترت وعُدَّ الانهماك فى فسى السكر نَحْت شجر الزيتون فى الليالى الرطبية نوعا من طقوس العبادة رغم غضب الأنبياء لتلك الأمور . وللنساء حق الميراث ولكم فى الأسرة حق الاحترام كالأب وكان الموت جزاء من يضرب أباه أو أمه . والاعتداء على المال يعد ذنبا عظيما يجازى مقتطفه برد ضعفي قيمة المال المسروق أو أكثر (قد يصل سبعة أمثال) . والنظافة هى الترف الأول الذى حاول المشترون شربه بين بنى إسرائيل . وكان اليهود على خلاف معظم الشرقيين يخشون الموت .

وعن ديانة اليهود يقول د. لوبون⁽⁹²⁾ :

لم يقتبس اليهود من مصر سوى جزئيات ظاهرية مثل صدره الأخبار وتابوت العهد أو الناووس السهل النقل . وفرعون مصر الذى كان يساوى الآلهة فى الديانة المصرية القديمة هو الذى يحق له وحده فتح الناووس وأن يرى شعار المرهوب الحافل بالأسرار . وفى اليهودية كان يحق للحبر الأعظم وحده أن يدخل مرة واحدة فى العام قدس الأقداس حيث تابوت العهد . و (إلهيم) هو الاسم الذى نراه قد أطلق على الألوهية فى أقدم أسفار اليهود . وعبد اليهود عجولا معدنية بعد خروجهم من مصر بطويل زمن لارتوائهم من مبادئ ما بين النهرين الدينية وكانت ذكرى عجل أبيس فى أذهانهم وإن كان العجل (بعل) يرمز إلى الرجولة وكان منتشرا فى جميع آسيا . وفى وادى الفرات نشأت ديانة بنى إسرائيل أو على الأصح

مختلف العبادات التي مارسها اليهود (بين إقامتهم بفلسطين وعودتهم من الأسر البابلي) . وعبد اليهود (بعل) وعشيرا أو (عشروت) نقلا عن البابليين . وهرقول (هرقل) من أصل بابلي ويتجلى مثاله في (نينيب) المعروف الذي كان يقتل الأسد بيد واحدة . ومر الأقاصيص التي انتحلها هو إسرائيل طوعا قصة (تموز) الإلهي ابن عشتار الذي ذهبت الآلهة لتبحث عنه حتى سواء الجحيم . وكان يمثل موت (تموز) الذي غدا (أدونيس) الإغريق نهاية الخريف . ومما رواه (حزقيال) أنه كان في زمانه نساء يبكين تموز في معبد الرب .

وأسفر الإصلاح اليهو هي (نسبة إلى يهو) الذي قام به الملك (يوشيا) عن تطهير الهيكل من الأصنام مثل (مولك) إله النار الضار . أى الصاعقة و (بعل) الذي كان يعبد الفينيقيون والتي أدخلته (إيزابيل) الصيدونية (من صيدا أو صيدون) إلى العبريين . و (عشيرا) وهى عشتارتا الفينيقيين وعشتار بابل أو ميليتا بابل حيث الشعائر الشهوانية .

وقد وصف الأنبياء إشعيا وإرميا وحزقيال وأورشليم بالمدينة العاهرة التي لا تشبع من الفجور .

والموت لدى بنى إسرائيل هو نوم عميق بلايقظة . والبعث والحياة الآخرة سكنت عنها أسفار التوراة تقريبا . ومما لا ريب فيه ، حود ثغرة عدة قرون لا تسدها الوثائق (المرويات أو الكنائس) التوراتية . وهى أسفار التوراتية تبصر التاريخ والأساطير والأقاصيص الخيالية والقصص الرعائية والقطع الروائية والنبد التعليمية والأنشيد الدينية والأغاني الحرية والقصائد الغزلية والمجموعات الحكيمية والنسبية والشرعية . وأهم الأسفار التاريخية هى أسفار القضاة والأخبار وأستير وحميا والمكابيين . أما أسفار موسى

الخمسة فتتألف من أساطير كلدانية ومن عدة قوانين دقيقة ترجع إلى زمن أحدث من الزمن الذى وصف فى سفر التكوين والخروج وكتبت تلك الأسفار الخمسة فى عهد الملوك وجميع الأسفار لم تكتب لحفظ ذكرى الوقائع فقط بل كانت غايتها إثبات شيء . وجميعها إذا وضعت بصيغة الجزم بدا حسن النية فيها هزيلا . وماتركه العبريون لنا من تاريخهم فقد دونه أحبار ملكيون كانوا يهدفون إلى نصر مبدأ الحكومة الملكية الإلهية .

وكتاب اليهود الذين كتبوا التوراة لم يكونوا مؤرخين صادقين ولكنهم كانوا وصافين أوفياء وصفوا وثنية بنى إسرائيل المتأصلة فيهم وطباعهم الرعائية (الرعوية) وسلاسل الأنساب التى لا حد لها وسمات الأخلاق الهاجئة .

وإذا كان الأساس كلدانياً فإن شكل الوصف عبرى . ومن الطرافة أن ينتج اليهود ادبا خفيفة ذات عفاف على الرغم من تحللهم الأخلاقى . وما عندهم من أخبار الدعارة تجده فى تاريخهم الخاص لا فى كتبهم التى هى وليدة الخيال الخالص . وسفر (نشيد الإنشاد) هو أكثر أسفارهم شهوانية وفيه أيضا الشعر الغرامى السامى . والأمثال وتتواعتها نراها فى سفر الأمثال ، سفر الجامعة وسفر الحكمة . وفى تلك الأمثال نبصر فكر بنى إسرائيل الحقيقى وهو الفكر النفعى العملى وهو الذى سيطر على شعب إسرائيل منذ دور الفتح . فأصبح الشعب ماهراً طامعاً وجشعاً فى الربح وضيقاً فى آفاقه غير مستعد للتضحية . فذكر فى سفر الجامعة أنه إذا لم تقتطف فى هذه نحياء الدنيا ثمرة آثارك فإنك ستتركها ميراثاً للأجيال القادمة .

إن الوهم التقى فى سفر أيوب والوهم الشهوانى فى سفر الجامعة قد اقتسما الناس لتعليقهم بالباطل إن لم يكن لشفانهم . ولا يزال العالم منقسما إلى اليوم بين المثاليين والشهوانيين الباحثين عن المتع . ولم يكن أنبياء اليهود منصفين أبداً نحو بابل (العراق) بل يتوعدونها بالخراب والترمى والتكل [كما نلاحظ ذلك فى عصرنا الحالى تجاه ما يحدث للعراق منذ عام 1991 م] .

و عن نظريات (نشوء إسرائيل) يبين لنا (فراس السواح)⁽⁹³⁾ الكاتب السورى أنها أربعة :

(1) نظرية آلت فى التسرب السلمى : Albrecht Alt

حيث نشر الباحث الالماني (البريخت آلت) بحثا ابتدأه بدراسة لأصل إسرائيل من عصر القضاة حيث اعتبر أن ما قبل ذلك من المرويات التوراتية هى عنده من الأدب الخيالى التى تمت صياغته فى الفترة المتأخرة بهدف خلق أصول متجذرة لإسرائيل وديانتها فى الماضى البعيد . وقد لاحظ آلت أن الهضاب المركزية لفلسطين كانت شبه خالية من السكان خلال العصر البرونزى الأخير (خصوصا منذ فترة تل العمارنة 1350 ق.م) ولم تكن تحتوى إلا على عدد قليل جداً من القرى الصغيرة والمتباعدة . وكانت مدينة (شكيم) فى الشمال هى المدينة الوحيدة المهمة فيما بين (أورشليم) جنوبا و (وادى يزارعيل) فى الشمال . وقد بقى وضع الهضاب المركزية على هذه الحالة حتى عام 1250 ق.م عندما بدأ مسرح الحدث التوراتى بالتوضح فى هذه الرقعة . وهذا الذى توصل إليه (آلت) قد أثبتته المسح الأركيولوجى (الأثرى والحفرى) للهضاب المركزية بعد أكثر من نصف قرن على ظهور دراسة آلت عام 1925 م . ويعتقد (آلت) أن الجماعات التى شغلت الهضاب المركزية كانت عبارة عن عشائر بدوية من أصول

مختلفة أخذت بالتسرب تدريجيا إلى هذه المنطقة وعلى فترات متقطعة ومتباعدة تسوق قطعانها الصغيرة عبر نهر الأردن باحثة عن مراعي جديدة في أرض كنعان . وكان هؤلاء الرعاة يتوقفون خلال الشتاء والربيع عند أطراف المناطق الزراعية فإذا بيست الأعشاب صيفا أخذوا بالتوغل أكثر فأكثر نحو المناطق الزراعية من أجل رعي القش المتبقى بعد الحصاد وذلك بالاتفاق مع أصحاب الحقول الذين يدخلون معهم في علاقات منافع متبادلة . وشيئا فشيئا وجدت بعض هذه العشائر أماكن مناسبة لإقامتهم في المناطق الخالية العاصلة بين دويلات المدن الكنعانية والبعيدة عن نفوذ المراكز السياسية الهامة وعرى النفوذ المصرى فى وادى يزرا عيل فتوطنوا هناك وأخذوا بالاستقرار والزراعة دون أن يسببوا تهديداً أو مخاوف لأى فريق . ثم أخذت هذه العشائر المسالمة والمتباعدة عن بعض بالتقارب بعد فترة الاستقرار ومن المرجح أن عبادة واحدة نشأت بينها تدريجيا وتركزت طقوسها حول مقام مقدس أو مذبح مشترك . وفى أواخر عصر القضاة وقع الصدام العسكرى مع الكنعانيين على شكل حروب محلية محدودة . وهى التى أدت فيما بعد إلى نشوء تقليد الفتح العسكرى واكتساب كنعان بالقوة (مما يذكره سفر يشوع) ثم تنادت هذه الجماعات بعد أن أحست بوحدة مصالحها إلى إقامة المملكة الموحدة التى بدأت بحكم الملك (شاؤل) .

وهذه النظرية تختلف عما افترضه (أولبرايت) الذى اهتم بزرع جذور إسرائيل فى التربة الأوسع نغافة الشرق القديم . ومصطلح كنعان وصفة كنعانى عند (آلت) استخدمه كدلالة على دويلات امن الفلسطينية وما يتعلق بها خلال عصر البرونز الأخير وهى دويلات زراعية يحكمها ملوك متسلطون ومرتبطة ثقافيا بالعالم السورى وذات ديانة غليدية وثنية . أما مصطلح إسرائيل وصفة إسرائيلى فهو مفهوم تجرىدى عند آلت استمدته

من نفى كل ما هو كنعانى . وهو يشير إلى ثقافة قَبَلية ورعوية بدوية ومعتقد دينى توحيدى ونظام حكم بدائى ديمقراطى . وعصر البرونز الأخير هو عصر كنعانى ويدل على كامل فلسطين قبل وصول الإسرائيليين . أما ما تسميه من عصر الحديد فإسرائيل أو فلسطين فى طريقها لأن تغدو إسرائيل .

(2) نظرية الانتفاضة الداخلية :

يرفض (مندنهل) Mendenhall من حيث الأساس نظرية الأصل الخارجى الرعوى للجماعات الإسرائيلية التى تسربت إلى المناطق الهضبية بحثاً عن المراعى . وهو يرى أن الجماعات التى شكلت إسرائيل فيما بعد هى شرائح فلاحية كنعانية لجأت إلى الثورة فى وجه حكام ودويلات المدن الطغاة . وأن خميرة هذه الحركة الثورية . كانت جماعة أبقة من العبودية فى مصر جاءت معها بعبادة (يَهُوه) التى تبنتها الجماعات الفلاحية الثائرة .

ويعقد (مندنهل) صلة بين (عبران) عصر الحديد الذين استهلوا هذه الثورة و (عابيرو) عصر تل العمارنة فى عصر البرونز الأخير . فالعابيرو والعبرانى عنده متعادلان . والكلمة تدل على تلك الشرائح الاجتماعية المحرومة فى مجتمعات الشرق القديم والتى لجأت إلى التمرد والعصيان بسبب وضعها العام - على النظام الفاسد لدولة المدنية الكنعانية .

أما الباحث جوتوالد (Gott Wald) فقد تبنى نظرية مندنهل فى الانتفاضة الداخلية (الثورة) مع بعض التعديلات التى تعتمد على الأفكار الماركسية . فيقول أن الانتفاضة كانت طبقية (بالمفهوم الماركسى) لا ثورة

حيث تدبر الدويلات الكنعانية أرسنقراطية نبيلة تعمل على استغلال وقمع الشرائح الاجتماعية المحرومة .

(3) نظرية بوتقة الانصهار :

توصل الباحث (ماكسويل ميللر M.Miller) إلى أن اسم إسرائيل الوارد في نصّب الفرعون (مرنبتاح) يشير إلى تجمع لثلاث قبائل كنعانية في منطقة الهضاب المركزية هي أفرايم ومنسى وبنيامين . وكانت (أفرايم) هي القبيلة الرائدة في هذا المجتمع الذي ضم فيما بعد قبيلة (جلعاد) في عبر الأردن . ثم أخذ هذا التجمع في التوسع تدريجيا حتى بلغ عشر قبائل وهي التي دعته القاضيّة (دبورة) إلى القتال معها ضد (بايين) ملك حاصور^(٩٤) . ومع انتقال الحكم إلى الملك (داود) توسع الاتحاد القبلي ليشمل اثنتي عشرة قبيلة بينها قبيلة يهوذا الجنوبية . ويقول (ميللر) إن إسرائيل كمفهوم إثني وسياسي قد نجمت عن بوتقة انصهار ضمت جماعات مختلفة ومتنوعة استغرق تقاربها واندماجها فترة طويلة من الزمن في عملية أكثر تعقيدا بكثير من الرواية التوراتية البسيطة التي يعرضها سفر يشوع أو سفر القضاة .

ووجد الباحث ليمخي (ليمشي) Lemche بعد دراسة نتائج علم الآثار أن هناك استمرارية ثقافية بين عصرى البرونز الأخير والحديد وهي ثقافة كنعانية محلية لا انقطاع فيها ولا فجوات ومن هنا فإن إطلاق صفة كنعاني على عصر البرونز وصفة إسرائيلي على عصر الحديد ليس له ما يبرره على الإطلاق . وثنائية كنعان - إسرائيل لا تقوم على أساس أركيولوجي وتاريخي حقيقي . ويرى (ليمخي) أن بعض الشرائح الاجتماعية المحرومة في مناطق السهول قد أخذت بالنزوح تدريجيا نحو الهضاب المركزية منذ عصر

البرونز الأخير وبشكل خاص بعد فترة تل العمارنة وأخذت بتشكيل وحدات سياسية بدائية ترابطت شيئاً فشيئاً بسبب عزلتها عن طرق التجارة المحلية والدولية وشكلت إسرائيل .

(4) نظرية الأركيولوجية الحديثة :

وهي بمثابة الصياغة العلمية لنظرية التسرب السلمى ونظرية بوتقة الانصهار وتمت صياغتها على يد الأرشولوجيين الإسرائيليين المحدثين بشكل رئيسى مدفوعين بنظرية التآكل الاستقراري السلمي والتسرب التدريجي . وأراد أصحاب تلك النظرية الحديثة انقاذ ما تبقى من السمعة التاريخية للرواية التوراتية عن طريق إثبات جوهر الرواية و سقطات جميع تفاصيلها .

وكان لكل من الباحث الإسرائيلي الأركيولوجي (فنكلشتين) Finekelestein والمنقب الإسرائيلي (زرتال) Adam Zertal دور كبير في إثبات تلك النظرية - غير أن الباحث (توماس ل . طوماسون) Thomas L. Tompson (95) قدم لنا المادة العلمية المستقلة عن مرويات التوراة تماماً (*) .

وعلى هذا فقد سقطت إلى غير رجعة نظرية الاقتحام العسكري لأرض كنعان من قبل القبائل الإسرائيلية الموحدة تحت قيادة يشوع بن نون وتدمير مدنها الرئيسية لأن نتائج التنقيب الأثرى في هذه المواقع تنفي تماماً الرواية التوراتية و تمسح الأركيولوجي للمناطق الهضبية التي كانت نواة هذه المملكة ينفي وجود عدة سكانية واقتصادية في هذه المناطق خلال القرن العاشر ق.م تسمح بعام مثل هذه المملكة . والتنقيب الأثرى في موقع أورشليم

* (سبق الإشارة إليه في الفصل الأول) انظر هامش (59، 60) .

ذاتها والذي أظهر أن مدينة أورشليم فى القرن العاشر ق.م لم تكن إلا بلداً صغيراً جداً بالإضافة إلى عدم العثور على أى شاهد أثرى على وجود أبنية ضخمة أو صروح مدنية وإدارية والهيكل الذى بناه سليمان كان محدود المساحة وليس كما يقولون أنه كان يربو على مساحة أورشليم ذاتها .

وعن نهاية مملكة إسرائيل (الشمالية) يقول (فراس السواح)⁽⁹⁶⁾ أنه حتى الحملة الآشورية الأخيرة على دمشق عام 773 ق.م إيان حكم الملك (حديانو) لم تكن مملكة يهوذا قد تشكلت ككيان واضح فى فلسطين . ولم تكن مدينة أورشليم قد دخلت معترك السياسة الإقليمية والدولية على حد سواء والنصوص الآشورية لم تتجاهل فقط وجود مملكة يهوذا (فى الجنوب) فى فلسطين بل تجاهلت كلياً مدينة أورشليم وكأنها غير موجودة على الخارطة السياسية للمنطقة . وبدأت أورشليم تكتسب بالفعل ملامح المدينة الكبيرة ساعدها فى ذلك أقول نجم السامرة (مملكة الشمال - إسرائيل) ودمار (لخيش) على يد آشور فى عام 722 ق.م والتغيير الجذرى فى الوضع السياسى فى فلسطين الكبرى واستيعاب أورشليم لأفواج النازحين من مناطق التدمير الآشورى إيان عهد (تغلات فلاصر الثالث) و (صارغون الثانى) وهكذا ظهرت مملكة يهوذا بقيادة النخبة السياسية والاقتصادية فى مدينة أورشليم التى تحولت إلى مركز سياسى إقليمى كبير . وقد بدأت المدينة عهدها هذا كعميل لآشور ثم قادها التدخل المتزايد فى شئون التجارة الدولية إلى حتفها بعد قرن ونصف تقريباً من ظهورها على مسرح الأحداث . فقد عاقب (تغلات فلاصر) مملكة إسرائيل على وقوفها إلى جانب دمشق قبل هجومه الأخير عليها فسلب أراضيها الشمالية وعين عليها ملكاً جديداً ياتمر بأمره . وخلف (شلمنصر الخامس) عرش أبيه (تغلات) ثم خلفه (صارغون الثانى) الذى طبق سياسة التهجير الجماعى فى

إسرائيل فأزالها من الوجود ككيان سياسى وشعب (يلاحظ أن سفر الملوك الثانى يحدثنا عن دمار السامرة ويعزو ذلك إلى شلمنصر الخامس لا إلى صارغون الثانى الذى لم يرد ذكره فى سفر الملوك إطلاقاً) .

وبسقوط السامرة عام 721 ق.م انتهت مملكة إسرائيل ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وبطل استعمال اسم إسرائيل وحل محله اسم السامرة للدلالة على المقاطعة الشمالية التى استمرت من العصر الآشورى إلى العصر الرومانى أما يهوذا فقد زالت ودمرت عام 587 ق.م على يد (نبوخذ نصر) البابلى .

والتاريخ اليهودى الذى ابتدأ مع بناء أورشليم الجديدة وهيكليها الجديد ليس استمراراً على أى صعيد للتاريخ الإسرائيلى فى العصر الآشورى والعصر البابلى رغم النعمة الإعلامية الفارسية التى تحدثت بلغة الإحياء والتجديد (قورش ثم داريوس) . إن ما تم إحيائه فى مقاطعة اليهودية لم يكن خلقاً جديداً لمجتمع قوامه فئات اجتماعية دخلت العصر الفارسى وقد تغيرت تماماً . وفى الحقيقة فإن مسألة السبى (النفى) لم تعد بالنسبة لجماعة أورشليم الجديدة واقعة تاريخية بقدر ما غدت فكرة وواقعة نفسية تساعد على فهم هذه الجماعة لنفسها باعتبارها البقية الناجية من إسرائيل . إن التاريخ اليهودى ليس صفحة جديدة فى تاريخ فلسطين بل تاريخ مستقل فى أصوله ومساره ومصانره .

وعن تاريخ القدس يقول (د. سيد فرج راشد) (١٤٧) :

القدس سكنها اليبوسيون واتخذوها عاصمة لها حوالى عام 3000 ق.م ومن ملوكهم (ملكى صادق) بمعنى العادل هــو (ملكى) وهو أول من خطط لبناء المدينة ثم قام بتحسينها وكان (ملكى صادق) معاصراً لإبراهيم (عليه السلام) ومن ليبوسيين أيضاً (سالم اليبوسى) الذى بنى قلعة على جبل يقع فى الزاوية الغربية للدفاع عن القدس وهو الجبل الذى أطلق عليه (جبل صهيون) فى عهد داود (عليه السلام). والقدس تتبع أهميتها لكونها تقع على طريقين من أهم طرق التجارة القديمة وكان المصريون القدماء يظفون عليها اسم (يابيتى) أو يابتي . وأحياناً يستخدمون اسمها الكنعانى (أوروسالم) والكلمة آرامية (أور) بمعنى موضع أو مدينة و (سالم) بمعنى السلام وهو اسم وثنى لإله سلامة القوافل . وعندما استولى عليها داود (عليه السلام) أصبح اسمها (مدينة داود) (98) ثم أطلق عليه الاسم العبرى (يوروشاليم أو أورشالايم) . وقد وجد اسم القدس وارداً فى نقوش الامبراطور الآشورى (سنحاريب) حوالى عام 700 ق.م تحت مسمى (أوروسليمو) وفى عهد الاسكندر الأكبر سماها اليونانيون (هيروسوليم) ثم (إيلياكابتولينا) فى عهد الامبراطور الرومانى (إيليس هديران) أو هيدريانوس بعد أن قضى على الكيان الدينى لليهود وفى أعقاب ذلك أمر بقتل كل من يدخلها من اليهود وظلت تعرف باسم (إيليا) حتى أوائل الفتح الإسلامى . وسميت (القدس) منذ إقامة دور العبادة المقدسة فيها . و (هيرودوت) المؤرخ اليونانى من 484 - 425 ق.م ذكرها باسم (قديتس) وهو اسم محرف من الآرامية (قديستا) أما (بيت المقدس) (99) فقد أطلق على المدينة منذ الفتح الإسلامى . ومن أسمائها (الزيتون) . ومن أسمائها العديدة ورد اسم (شاليم) (100) و (ييوس) (101) و (صهيون) (102) و (أريئيل) (103) و (موريا) (104) و (إيلياء) (105) أو (إيلياء العظمى)

و (أورشليم)⁽¹⁰⁶⁾ ووردت أسماء أخرى مصدرها اختلاف الترجمة منها :
دار السلام ، مدينة السلام ، قرية السلام ، شلم ، أورشليم ، يبوس ، شليم ،
يبوش سليمان⁽¹⁰⁷⁾.

وما جاء برسائل (نل العمارنة) السبع يؤكد أن مدينة أورشليم كانت
خاضعة لفرعون مصر (أمنتب الثالث) حوالى (1413 ق.م) وخضعت
لحكم (إخناتون) عام 1375 ق.م ثم (توت عنخ آمون 1351 ق.م) ثم
(سيتي الأول عام 1314 ق.م) ثم (لمربتاح) ابن رعمسيس الثانى حوالى
1279 ق.م⁽¹⁰⁸⁾.

والتسمية الغربية Jerusslem فى اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية
والفرنسية والإنجليزية وغيرها . اشتقت من الاسم الكنعانى وهو مدينة
(يوروسالم) أو (يورشالم)⁽¹⁰⁹⁾ وتحدثنا التوراة على أن (موسى) (ﷺ) قد
توفى وأرض الميعاد على مرمى بصره فتولى (يوشع بن نون) قيادة بنى
إسرائيل وعبروا نهر الأردن واحتلوا (أريحا) بعد تدميرها وكذلك فعلوا مع
مدن (عاي) و (الجلجال) و (شيلوح) وبقية المدن الكنعانية التى احتلوها
أثناء تقدمهم إلى (يبوس) أى القدس .

وقد ظلت المدينة المقدسة إلى عهد (داود) (ﷺ) مدينة
لليبوسيين (سكانها الأصليين) أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى (ﷺ)
كما بقيت بأيدي أهلها ثلاثمائة عام أثناء الوجود اليهودى فى فلسطين ثم
بعد دخولهم إليها فى عهد داود ومما يؤيد ذلك أن (داود) (ﷺ) حينما
أراد بناء الهيكل للرب فى القدس قام بشراء البيدر (جرن ومربض للماشية)
الذى كان ملكا لرجل يبوسى يدعى (أرونا) ولذلك عاش اليهود أقلية بين
اليبوسيين حتى كان السبى البابلى عام 587 ق.م ومن المعروف أنه قبل

ظهور الملكية سياسياً (عهد سليمان) كان اليهود يعبدون الله فى أى مكان. (عبدوه مع موسى أربعين عاماً فى التيه فى سيناء وليس فى بقعة معينة) فأينما كانوا كانت (خيمة الاجتماع) التى بها تابوت العهد (التوراة) وفيها يقيمون الصلاة . وبعد موسى وهارون وعلى مدى ثلاثمائة عام (عصرى يوشع بن نون والقضاة) كانت أماكن العبادة متفرقة أما فى عهد سليمان فقد كانت العبادة تقام فى المعبد (الهيكل) الذى شيده. ولعله من المفيد أن نقول أن الحرم الإسلامى الشريف قد أقيم فى نفس المنطقة التى كان (ملكى صادق) يدعو فيها باسم الله العلى فى زمن (إبراهيم) (عليه السلام) . وكان هذا الحرم أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار (سليمان) أو (نحميا) أو (هيرودوس) والحرم مستطيل الشكل يأخذ الاتجاه من الشمال إلى الجنوب (فى اتجاه قبلة المسجد الحرام بمكة) على خلاف هيكل سليمان فهو مستطيل يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق وهذا ينفى أن الحرم القدسي الشريف أقيم مكان الهيكل⁽¹¹⁰⁾ . ومن اللافت للنظر أن اسم مدينة القدس لم يرد ذكره فى قائمة الكرنك للمدن التى استولى عليها (شيشنق) فرعون مصر عام (924 ق.م) . بينما نجده واضحاً فى سرد العهد القديم لهذه الأحداث (سفر الملوك الأول 1 : 14 : 2 وسفر أخبار الأيام الثانى 12 : 2 : 4) وأصبح نتيجة لحملة شيشنق أن مملكتى يهوذا وإسرائيل أصبحتا تابعتين لمصر من جديد يدفعون الجزية كل عام .

وأتيح للفكر اليهودى الدينى من زمن السبى (النفى) البابلى أن يترك أن (يهوه) هو الإله الواحد للعالم كله . وأدرك الذين فى المنفى أن ماحل بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شرائع (يهوه) . وتكاثر عدد الأنبياء بينهم فى الأسر البابلى الذى حرمهم من إقامة طقوس عبادتهم بصورة مكتملة

(عدم تقديم الفرائين وبعدهم عن الهيكل فى القدس) ولذلك غيروا فى طريقتهم لممارسة هذه الطقوس فاستبدلوا القربان بالصيام والصلاة وتغاضوا عن أداء طقوس السبت فى معظم الأحيان .

و عن أسماء اليهود يقول : (د. عبد الجليل شلبى)⁽¹¹¹⁾ :

توجد للشعب الإسرائيلى عدة أسماء ولكنها غير مترادفة ولكن قد يستعمل أى اسم منها لجميع نحوزاً وهذه الأسماء هى :

(1) العبرانيون (العبريون) :

وهم الذين جاءوا مع (إبراهيم) (ٱلْعَبْرَانِي) من بلاد الكلدانيين إلى أرض كنعان وسموا بذلك لأنهم عبروا نهر الفرات متجهين إلى كنعان أو لأنهم عبروا نهر الأردن فى تجولهم فى بلاد الكنعانيين . وتُغزى التسمية فى (التوراة) إلى (عابر بن سام بن نوح) وقد فند بعض المستشرقين ذلك لأن (عابر) لم يكن أكثر أبناء سام ولا جداً أدنى لإبراهيم .

(2) الإسرائيلون :

هم أبناء يعقوب الذى كنى بإسرائيل الذى نسل اثنى عشر إبناً (الأسباط) وبهذا يخرج من أسرة الإسرائيليين كثير من العبرانيين مثل (لوط) وذريته و (إسماعيل) ونسله و (عيسو) بن إسحاق . فهؤلاء عبرانيون وليسوا إسرائيليون .

(3) اليهود :

وينسبون إلى يهوذا الإبن الرابع ليعقوب وكانت له رسالة دينية نسبوا إليها . وقيل أنها نسبة إلى مملكة يهوذا (الإقليم الجنوبى) .

وصارت الرسالة الدينية بعد ذلك فى بنى لاوى (ليفى) ويعرفون باسم
(اللاويين) . ولاوى اسم الابن الثالث ليعقوب ومن هذه السلالة هارون أخى
(موسى) (ﷺ) .

وهارون (ﷺ) عند اليهود هو الزعيم الدينى . أما (موسى)
(ﷺ) فهو القائد السياسى . ولذا انحصرت - كما يدعون - الرسالة
الدينية فى هارون ونسله .

وأصل العبرانيين أنهم شعب من الشعوب السامية التى انحدرت من
الجزيرة العربية التى هى مهد الساميين جميعاً . وقد انفصلت منها
موجات متتابعة فى أحقاب متتالية بحثاً عن الرزق والتماساً لأمكنة
أخصب وعيش أرغد . ومن هذه الأجناس الفينيقيون والآشوريون
والكلدانيون والأثيوبيون (الكوشيون) وغيرهم . ولم تكن (أور) UR
مقرهم الأسمى ولكنهم نزحوا إليها من الجزيرة العربية وكانوا بدواً متنقلين .
وكانوا قبيلة بدوية صغيرة فى الجنوب الشرقى من الجزيرة العربية وكانوا
يستعملون الحمر (الحمير) الأهلية فى تنقلهم دون الإبل أو الخيول (لم تكن
لهم اشتباكات أو حروب فاستغنوا عن الخيول ولم يجوبوا الصحارى والتزاحم
على المزارعى والمياه فلم يستعملوا الإبل) وكانوا يقومون بالوساطة التجارية
بين العرب والهنود خصوصاً تجارة السيوف الهندية (من أهم معدات الحرب
وقتئذ) وانتهى هذا الشعب لأن يذهب إلى بلاد الكلدانيين وأرض الرافدين
حيث السومريون الأوائل (زراعة - تجارة - بناء معابد) ثم بعدهم
العيلاميون والبابليون ثم الأكاديون الذين ظهروا فى شمال سومر (3000-
2360 ق.م) وكانت الامبراطورية الأكادية مترامية الأطراف . وعلى هذه
الأمة وفد الشعب المسمى (خيبرى) أو (خبيرو) وذلك فى الربع الأول من

الألف الثانى ق.م (وجد ذلك الإسم فى رسائل تل العمارنة) . وكان إبراهيم (عليه السلام) ذو مكانة وبروز فى مجتمعه ولهذا جرؤ على مخالفتهم ومحاجتهم وكان يدعوهم إلى عبادة الله الواحد خالق كل شىء (إل شاداي El shaday) وترك عبادة آلهة متعددة (الشمس والقمر والنجوم والكواكب ..) . وجاء فى شروح العهد القديم أن (تارحاً) أبا (إبراهيم) (عليه السلام) كان قد فقد ولده (هاران) أبا (لوط) (عليه السلام) فلم يطق الإقامة فى (أور) فتركها تخفيفاً عن نفسه. ويقال أن بلدة (حاران) هى مقر القبيلة الأصلية ولما جاء غارات العيلاميين مكتسحة ومدمرة حملت السكان على الفرار. وكانت أسرة (حاران) ضمن الفارين والراحلين إلى أرض كنعان . وفى عام 1960 ق.م دُمرت مدينة (أور) العاصمة تماماً . وقد مات (تارح) فى (حاران) قبل الرحيل والهجرة فألت رئاسة الأسرة إلى أكبر أبنائه (إبراهيم) (عليه السلام) والذى تنقل وعائلته فى إقليم سوريا على حافة الصحراء كما انتقل إلى مصر وعاد منها بجارية (هاجر) تزوجها وأنجبت له (إسماعيل) (عليه السلام) وكانت زوجته (سارة) التى رافقته من (أور) عاقراً رزقت فيما بعد بولدها (إسحاق) (عليه السلام) الذى أنجب بدوره ولدان (عيسو) و (يعقوب) . وسمى (عيسو) لحمرة كانت به (آدوم) . ونشأ من ذريته الشعب الآدومى (الآدوميون) . أما (يعقوب) (عليه السلام) فسمى بعد ذلك بإسرائيل (بمعنى جندى الله أو محفوظ برعاية الرب) وقيادة الأسرة أصبحت ليعقوب وكذلك أسند إليه كيانه الدينى. وتزوج يعقوب من ابنة خاله (لابان) (ليئة) التى أنجبت له أولاداً تسعة ثم من (راحيل) التى أنجبت له يوسف (بمعنى ليبارك الله) وأخاه . و (يوسف) (عليه السلام) هو الذى تولى - فيما بعد - أمانة خزائن مصر (وزير المالية) فى عهد المجاعة التى شملت مصر والشام وأتى بأهله أجمعين إلى مصر ويقال أنهم مكثوا فيها حوالى 220 سنة تكاثروا خلالها وزاد

عددهم . وكان من نسلهم (موسى و هارون) الذين خرجوا من مصر إلى أرض سيناء . ومكثوا فيها أربعين عاما (التيه) مات خلالها موسى و هارون فانتقلت قيادة الإسرائيليين إلى (يوشع) عام 1250 ق.م الذى ذهب بهم إلى بادية شرق نهر الأردن فى الجنوب الشرقى من سوريا وظلوا يوالون الحروب مع البلاد المجاورة للاستيلاء على أماكن خصبة وتأسيس دولة خاصة بهم . فكانت حروبه مع ملك الأموريين (سيحون) ثم على (عوج) ملك باشان ثم استطاع أن يقطع مدنا من مملكة كنعان فى فلسطين أهمها (أريحا) وهى مدينة مقدسة واستمرت الحروب لأكثر من ألف عام . وبعد الاستيلاء على تلك البقاع بدأ الإسرائيليون بتقسيم الأرض بينهم أحد عشر قسما (لأحد عشر سبطا) وبقي سبط (يهوذا) الإبن الرابع ليعقوب موزعا بين الأسباط الأخرى لأن الرسالة الدينية كانت مقصورة عليهم فجعل منهم معلمون فى كل سبط . واختار كل سبط رئيساً له فكان هؤلاء الرؤساء يعقدون مجالس للتشاور فى أمر الجماعة وتصريف شئونها . ويسمى الواحد منهم قاضيا . وعرف عهدهم باسم (عصر القضاة) وهو العهد الذى امتد حوالى مائة وستين عاما (1180 - 1020 ق.م) وفى أواخر هذا العهد كان الرئيس الدينى هو (صموئيل) الذى اختار (شاول) كأول ملك عليهم (اسمه طالوت فى القرآن) . وكان ملكا فاشلا لم يستطع أن يحقق لهم نصرا ضد الفلسطينيين بل انهزم هزيمة شنيعة فقد فيها ثلاثة من أبنائه ثم انتحر حزنا عليهم . وجاء (داود) ليقتل جالوت (جوليات) زعيم الفلسطينيين ومد حدود دولة إسرائيل إلى أقصى ما وصلت إليه المملكة واتخذ أورشليم لتكون عاصمة الدولة . وبنى معبداً على أنقاض معبد لليبوسيين (أهل القدس) واستمر حكمه حوالى 40 عاما (1012 - 972 ق.م) كانت مليئة بالحروب والانتصارات والغنائم . وخلف (سليمان) أباه (داود) (الملك) واستمر حكمه حوالى 40 عاما (971

-931 ق.م) وأقام عدة مشروعات تجارية ومعمارية وبنى هيكلًا فخماً وقصرًا عظيمًا وتزوج من ابنة أحد الفراعنة المصريين . وانقسمت الدولة بعده إلى مملكتين (يهوذا) فى الجنوب وعاصمتها (أورشليم) ومملكة (إسرائيل) فى الشمال وعاصمتها (السامرة) ثم بدأ الصعف يدب فى المملكتين وأصبحت إسرائيل محاصرة بخصمين أقوياء (مصر وبابل) وانحازت إسرائيل إلى قوة مصر وظلوا تحت هيمنتها لقرون واستعدوا بذلك عليهم ملك بابل وآشور . وكان غزو الملك (سرجون الثانى) لهم بعد ذلك .

وتوالى أنبياء وملوك إسرائيل بعد موسى ويوشع وسليمان حتى عاموس (750 ق.م) الذى أعلن أن (يهوه) إله الناس جميعا وليس إله إسرائيل وحدها . و(عاموس) هو الذى أعلن أن الله محبة⁽¹¹²⁾ (وهو المبدأ الذى تبنته المسيحية فيما بعد) وأعلن أن المظاهر الدينية من الأناشيد والمحروقات ومسلمات المعابد كلها لا قيمة لها عند الله وإنما قوام العبادة هو الإخلاص لله وحذر بنى إسرائيل أن يعتبروا أنفسهم شعب الله المختار وهم منغمسون فى المعاصى (انظر سفر عاموس) . وإزاء الانحلال الخلقى والدينى فى الدولة أصبحت مهياة لأن تكون غنيمة للأشوريين الذين استولوا عليها بعد حوالى عامين من دعوة عاموس . وفيما بين عامى 745 - 727 ق.م ظهر (تجلات فلاسر) Tiglath Pileser امبراطوراً على دولة آشور وكان محارباً قوياً فأخضع فى سلسلة من حملاته دمشق وجلعاد والحليل وغيرها وجعلها من ممتلكات آشور وعين عليها حكماً وفرض عليها جزية ثقيلة واضطرت إسرائيل أن تدفع جزية أيضاً . ولكن فى عام 722 ق.م رفض (هوشع) ملك إسرائيل إذ ذاك أن يدفع الجزية وكان امبراطور آشور وقتئذ (سرجون الثانى) فحاصر السامرة ثلاث سنوات حتى استسلمت له وكانت هذه نهاية مملكة إسرائيل (السامرة) وأخذ (سرجون) جمهوراً من

الإسرائيليين سبائا (أسرى) إلى أقصى جزء فى امبراطوريته (ميديا) ثم غمر البلاد بـ سكان مجلوبين من القرى الآشورية والعيلامية والبابلية فأقاموا على أرض فلسطين وامتزجوا ببقايا الإسرائيليين بها . وكان الشعب الناشئ عن هذا الامتزاج وثنياً وتكون منهم السامريون الذين سكنوا (السامرة) واتحدت معتقداتهم الدينية بعبادة (يهوه) وظل هذا المزج قائماً حتى عاد (عزرا) و (نحميا) من السبى البابلى فدعيا إلى تنقية الإسرائيليين من الدماء الأجنبية وطردا من أورشليم حفيد الكاهن الأعلى لأنه تزوج من ابنة الحاكم السامرى . ولكن السامريين ظلوا يهوداً وبني لهم هيكلاً على جبل (جريزيم) ومع الزمن ازداد العداء بينهم وبين الإسرائيليين وخصص السامريون معبدهم للإله (زيوس) وظلوا بعد ذلك طائفة مستقلة . أما المملكة الجنوبية (يهوذا) فقد كانت شديدة الصلة بميراث (داود) وملكها (رحبعام) بن سليمان . وقد حكمها تسعة عشر ملكاً وامتد عهدها نحو قرن وثلاث زيادة على المملكة الشمالية وأمضت نحو قرن فى هدوء شامل سالمة . حتى كان آخر ملوكهم (صدقيا) 597 - 586 ق.م وكان يدفع الجزية لـ (نبوخذ نصر) عدة أعوام ورأى أن يقف بجانب مصر ضد بابل وأن يقطع الجزية كما يفعل (هوشع) ملك السامرة من قبل فأرسل (نبوخذ نصر) جيشاً دمر أورشليم وهدم المدن الهامة واقتادوا حوالى خمسين ألفاً من السبائا إلى بابل . ولما زالت دولة كلدانيا وجاءت دولة الفرس قاد (كورش) الملك الفارسى (539-538 ق.م) الجيش الفارسى لتحطيم بابل وأعاد السبائا اليهود إلى موطنهم الأصلي ولكنهم لم يعودوا جميعاً فقد أثر أصحاب الثروات والمزارع أن يبقوا لممارسة أعمالهم بعدما امتزجوا بالبابليين . ومن العائدين (زروبابل) و (يوشع) . وفى عهد الامبراطور (ارتحشتا الأول) عادت مجموعتان أخريان بقيادة (نحميا) و (عزرا) وفى حوالى عام 333 ق.م جاء

(الاسكندر الأكبر) بجيوشه (العهد المقدوني) وهزم الفرس بقيادة (دارا الثالث) وبذلك دخلت فلسطين تحت حكم الاسكندر واستجابت الدولة الوثنية للثقافة اليونانية بسهولة (الفكر الهليني أى الإغريقى) لأنها أيضا فلسفة وثنية (كان أرسطو ضمن رجال الاسكندر) وتمسك اليهود بالتوراة التى كتبها (عزرا) فى فترة السبى وألف لها شروحا كى تفهم جيدا ويسهل اتباعها (التلمود) ولم يعد الكهنة هم المرجع فى كل شىء . وبعد موت الاسكندر استولى (سلوقس) أحد قواده وأقواهم على الجانب الشرقى من آسيا المقدونية وجعل عاصمته فى كابل وكان (بطليموس) قد استأثر بمصر التى أصبحت من نصيبه . أما القائد الثالث (أنتيوخوس) فقد استولى على آسيا الصغرى وشاطئ البحر حتى غزة . وأدخل (بطليموس) فلسطين فى حدود مصر بمساعدة (سلوقس) لأكثر من قرنين (من عام 312 ق.م) وأصبحت هذه السنة هى بداية التاريخ السلوقى (اليونانى) . وأصبح اليهود تحت حكم مصر وهاجر كثيرون منهم إلى مصر (عصر البطالمة) . وكانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية للحكومة . وكانت العاصمة (الاسكندرية) مركزاً لتجمع اليهود وترجموا التوراة إلى اليونانية (عام 270 ق.م) وسميت الترجمة (بالترجمة السبعينية) حيث استفاد منها اليهود الذين يتكلمون اليونانية . ومن هذه الترجمة نقلت فلسفة اليهود ودينهم إلى الأمم الأخرى . أما فلسطين فقد أصبحت تحت حكم السلوقيين بعد تقلص نفوذ البطالمة فيها وانتشرت الثقافة (الهليستنية) التى تختلف عن الثقافة (الهلينية) فى كونها خليط من الثقافة الأصلية مع ثقافات وافدة مشوهة من الفرس والهنود والبابليين . وأصبح التفكير الفلسفى منحطاً وتلوث بنزعات مادية وأخلاقية وضیعة حيث تفشت الإباحية (جذباً للشباب) فأهمل اليهود التوراة وتعاليمها وارتد بعضهم عن يهوديتهم وانتشر الفساد وأقيمت المعابد الوثنية وأمر بمزاولة

طقوسها وكانت الخزائير تُذبح على مذبح الهيكل وحرم الاختتان (الختان) وعبادة يوم السبت والاحتفال بالأعياد اليهودية وقراءة التوراة ومن يخالف ذلك يُعَدَم. وكان ذلك محاولة من (أنتيخوس) السلوقي لاستئصال الديانة اليهودية من البلاد نهائياً . وجعل الهيكل معبداً للإله (زيوس) كبير آلهة اليونان . وقام اليهود بثورة ضد الملك (ثورة المكابيين) بدأت سرية وصغيرة ثم ازدادت (الحاخام مانتثياس ثم ابنه يهوذا) حرب عصابات ضد المحتل (رافعاً لواء الغيرة على التوراة وتحرير الوطن) وسمى (المكابى) التى تعنى فى العبرية الضارب بالمطرقة . واستطاع أن يستولى على بيت المقدس وطهره من الوثنيات (165 ق.م) فى ديسمبر (عيد الهنوكة) وسمى العهد بعهد المكابيين . وفى عام 143 ق.م أمكن التحرير والاستقلال التام من الاحتلال والسيطرة السورية (التابعة للسلوقيين) . واستمرت المملكة المكابية خمسة وستين عاماً (168 - 105 ق.م) حتى جاء الرومان فأعفوا الأسيرة المكابية ووضع مكانها أسرة (هيرود) أو هيرودس وظهرت فرقتان جديدتان منبثقتان عن جماعة (القُرّاء العُبّاد) أى (الحاسيديم) وهم جماعة (الفريسيين) Pharisees وجماعة (الصدوقيين) Saducies وفى عام 66 ميلادية قام القديس (مناحم) قائد جماعة (الحماسيين الجليليين) بثورة وإعلان الحرب لتخليص بلاده من الحكم الرومانى . وحاول كل من الفريسيين والصدوقيين وقف هذه الثورة ولكنها اندلعت طائشة ضد الحكم الرومانى فى عهد (نيرون) الذى عهد إلى قائده (فاسباسيان) بإخمادها فدمر بعض المدن وأخضع المناطق الريفية ثم تقدم لحصار أورشليم فمات (نيرون) وأصبح (فاسباسيان) امبراطوراً بعده وعين ابنه (طيطس) أو (تيطوس) قائداً مكانه فحاصر أورشليم حتى استسلم اليهود بعد مشقة (انتحروا) ودمر ما تبقى من حصون ومبان . ودمر الهيكل عام 70 م . وتدمير الهيكل كان فى واقع الأمر

نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية . واتخذت اليهودية الصورة التي احتفظت بها إلى أيامنا هذه صورة دين بلا معبد ولا كهنوت ولا قرابين . واختفت طائفة الصدوقيين وأصبح الفريسيون والأحبار زعماء شعب لا وطن له⁽¹¹³⁾ واختفت فرق اليهود العديدة ولكن بحكمة جماعة من الفريسيين قُدر لهم البقاء حيث كانت تعاليمهم غير مشددة (يرون أن الله أو يَهُوه رب الكون كله لا اليهود وحدهم وأن العبادة تقام في أى مكان لا فى الأرض المقدسة فقط وأن فقدان الهيكل لا يعنى قطع الصلة بالله) . وكان الفريسيون يقولون إننا نؤمن ببقاء الأرواح وفساد الأجساد . وتكونت فى مدرسة (يوخنان) زعيمهم أوسع التعاليم اليهودية وتمت الشروح الشفوية التى تكون منها بعد ذلك (المِدرَاش) و (المِشْنا) والشروح الواسعة الأخرى وعزى أتباعه بأنه مادامت التوراة باقية فإنها كفيلة بجمعهم حولها وربطهم مهما تباعدت أمكنتهم برباط مقدس . ويمكن أن تمثل المِدرَاش بالتفسير والمِشْنا بالفقه . وترجع بداية المِدرَاش إلى عهد (عَزْرَا) وقد قاومها الصدوقيون . وكان أول من بَوَّب ورَتَّب (المِدرَاش) هو (عَقِيْبَا) أو عَقِيْبَةُ العالم الرِّبَانِي (50 - 135 م) وهو أول من عالج تنظيم قوانين (المِشْنا) ونظم أول دراسة تجمع المِشْنا والمِدرَاش والأخذ منهما معاً وعرفت هذه الدراسة باسم (الحلقَة) Halachah أو (الهالاكا) .

ويتضح من ذلك كله أنه لا النصوص ولا القوانين اليهودية مما ورث عن (موسى) (عليه السلام) أو الأنبياء من بعده وأن الرِّبَانِيِّين والأحبار أدوا الدور الأكبر خلال القرن الميلادى الأول وأنهم حذفوا وأضافوا وهذبوا .

ولم يكن التلمود ثمرة تفكير . بل هو التفكير نفسه . فكل الأفكار المختلفة قد دونت فيه⁽¹¹⁴⁾ وليس من المستطاع فهم التلمود إلا إذا درس في ضوء التاريخ على أنه العامل الفعال الذى أبقى على شعب مطرود يتهدهه خطر التفكك التام⁽¹¹⁵⁾ .

إن الاعتقاد بعودة المسيح الثانية هى التى أقامت صرح المسيحية وإن الأمل فى الدار الآخرة هو الذى أبقى عليها⁽¹¹⁶⁾ . وقد أمدت المسيحية روما بالنظام كما أمدتها اليهودية بمبادئها الخلقية وكما أمدتها بلاد اليونان (الإغريق) بفلسفتها الدينية وقد دخلت هذه كلها فى بناء الدين المسيحى مع ما دخله وما امتصه من الأديان المعارضة⁽¹¹⁷⁾ . وقد كانت المسيحية عند الامبراطور (قسطنطين) وسيلة لا غاية . لأنه لو كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ⁽¹¹⁸⁾ . وكان قسطنطين قبل أن يعتنق المسيحية قد سوى من الوجهة القانونية بين الدين اليهودى وبين سائر الأديان التى يدين بها رعاياه . أما بعد اعتناقه المسيحية (تشبهاً بأمه) فقد اضطهد اليهود وفرض عليهم قيوداً وحرّم على المسيحيين أن يتصلوا بهم ونفى أحبارهم وجعل زواج اليهودى من مسيحية جريمة يعاقب عليها مرتكبها بالاعدام⁽¹¹⁹⁾

إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها (فى صورة لاهوت الكنيسة وطقوسها) . ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام⁽¹²⁰⁾

* * * * *

اليهود من الفتح الإسلامي إلى العصر العثماني

ليس بمستغرب أن يفكر المسلمون في فتح بيت المقدس وهو البيت الذي ورد ذكره في القرآن وفي أحاديث النبي (ﷺ) والصحابة الكرام . ولقد كانوا مدفوعين لهذا الفتح بعوامل عدة منها ما هو ديني ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو استراتيجي وحربي⁽¹²¹⁾ . فقد أُسرى بالنبي (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله . وما كان للنبي ليسرى إلى هذا البلد لولا أنه عرق الجزيرة النابض وقلبها الخفاق ومهبط الرسالات السماوية السابقة وأنه لآية للعرب - آمنة - في جزيرتهم إذا لم تكن تخومها الشمالية محمية .

وفي الحديث الشريف⁽¹²²⁾ :

* لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى .

وقد حدث النبي (ﷺ) قومه على غزو الروم للأسباب السابقة. ولكن المنية فاجأته قبل أن يدرك غايته فأكمل الخليفة الأول (أبو بكر) وصيته وراح يستنفر العرب من أجل فتح الشام كلها وليس بيت المقدس وحده . وقد جهز لهذه الغاية أربعة جيوش عقد ألويتها لأربعة من كبار القواد هم : عمرو بن العاص (إلى فلسطين) وشرحبيل بن حسنة (إلى الأردن) وأبو عبيدة بن الجراح (إلى دمشق) ويزيد بن أبي سفيان (إلى البلقان)⁽¹²³⁾ وبعد أن هزم المسلمون الروم في اليرموك وفتحوا الشام ولّوا وجوههم شطر فلسطين . فتولى أبو عبيدة بن الجراح حصار إيلياء (القدس) وراح عمرو بن العاص يفتح المدن الفلسطينية الأخرى وكان أبو بكر الصديق قد انتقل إلى دار البقاء

وتولى (عمر بن الخطاب) الخلافة من بعده . وفى قول أن عمر بن الخطاب هو الذي أوعز إلى أبى عبيده أن يزحف إلى إيلياء فلبى أمر الخليفة واستدعى سبعة من مقادير الجيش فعقد لكل منهم راية ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير إليها . وفى اليوم الأول سار (خالد بن الوليد) وفى اليوم الثانى تبعه (يزيد بن أبى سفيان) ثم (شرحبيل بن حسنة) فـ (المرقال بن هاشم) فـ (مسيب بن نجبة الفزازى) فـ (قيس بن المرادى) فـ (عروة بن مهلهل بن زيد الخيل) . وجاء من وراء الجيش قائده (أبو عبيدة) . ولما حل ركبه فى الأردن بعث إلى أهل إيلياء الرسل مزودين بالإنذار التالى:

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول (ﷺ) . أما بعد . فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله . محمد رسول الله . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . فإن شهدتم بذلك حرّمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا . وإن أبيتم فأقرّوا لنا بأداء الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون . وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم (الجنود) وأسبى ذراريكم (المدنيين) .

وانقضت الأيام الأربعة الأولى من غير حرب ولم يتلق المسلمون جواباً من الروم على إنذارهم . وفى اليوم الخامس اقترب يزيد بن أبى سفيان من السور وكلم المحاصرين فخيرهم بين التسليم أو دفع الجزية أو القتال فرفضوا الشرطين الأولين واختاروا القتال . وكان أول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن فنلقاهم الروم بالنبال ثم جاء الآخرون ونشبت معركة طاحنة دامت عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر أشرفت راية أبى عبيدة وفى

رفقته عبد الرحمن بن أبي بكر ونفر من المجاهدين الأبطال . فاستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير ودب الرعب فى قلوب الروم ودام الحصار أربعة أشهر لم ينقض يوم واحد منها دون قتال إلى أن قنط (يُس) السكان وحل بهم الضنك والجوع فرأوا التسليم إلا أنهم اشترطوا ألا يسلموا المدينة إلا إلى شخص الخليفة فوافقهم أبو عبيدة وأمر جنده بالكف عن القتال وفر القائد الرومانى (أرطَبون) إلى مصر وصار زعيم المسيحيين البطريرك (صفريئوس) .

ويقول (ابن حنبل) (124) :

أرسل أبو عبيدة إلى الخليفة كتابا يخبره بما جرى وبعد أن استشار عمر بن الخطاب أهل الحل والعقد من المسلمين في الأمر غادر المدينة متوجهاً إلى بيت المقدس . ولما وصل إلى المخيم الذي كان يربط فيه المسلمون على مقربة من السور (وفى قول على جبل الزيتون) استقبله المسلمون بخيلهم ورماحهم وقد اصطفوا لاستقباله فى صفوف متراسة راكبين خيولهم متقلدين سيوفهم شارعين رماحهم يهللون ويكبرون . وكان هو لأبسأ سلاحاً متكبأ قوسه ولم يكن معه سوى عبده . وبعد أن استراح قليلاً قص عليه أبو عبيدة الخبر اليقين عما جرى منذ افترقا إلى ذلك الحين فأمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريرك قدومه ففعلوا . وجاء البطريرك بعد قليل حاملاً الصليب المقدس على صدره وجاء معه عدد من الأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهبان حاملين الصلبان . ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام ثم تحادثوا فى شروط التسليم وكتب لهم وثيقة الأمان التالية والتي عرفت باسم (العهدة العُمرية) (125): بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله (عمر) أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر
ملتتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم . ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا
من صلبهم ولا شيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار أحد
منهم . ولا يمكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا
الجزية كما تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص .
فمن خرج منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن
أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيّعتهم وصلبهم
فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيّعتهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء
منهم قعد وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم
ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم . وعلى
ما أقول في هذا الكتاب عهد الله ونعمة رسوله وندمة الخلفاء وندمة المؤمنين إذا
أعطوا الذي عليهم من الجزية .

(كتب سنة 15 هجرية) وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن
عوف وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان .

وكما أن عمر بن الخطاب أعطى أهل إيلياء العهد الذي تقدم ذكره فقد
أخذ عليهم أيضا عهداً . ولقد جاء في عهدهم مايلي :

هذا كتاب لعبد الله (عمر بن الخطاب) أمير المؤمنين من نصارى
مدينة إيلياء إنكم لما قدمتم علينا سئناكم الأمان لأنفسنا وذراريها وأموالنا وأهل
ملتتنا وشرطنا لكم أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا
قلاية ولا صومعة راهب ولا نحس منها ما كان في خطط المسلمين
[أى تخطيط الشوارع والمباني] ولا نمنع كنائسها أن ينزلها أحد من المسلمين
بليل ولا نهار [للتفتيش] وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل . وأن ننزل

من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نولرى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن . ولا نظهر مشركاً [أى لا نناصر مشركاً] ولا ندعو إليه أحداً . ولا نمنع أحداً من نوف قرباتنا الدخول فى الإسلام إن أراد . وأن نوفر المسلمين . ونقوم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس . ولا ننشبه فى شىء من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرّق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكنائهم [ألقابهم] ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله ولا ننقش على خواتمنا بالعربية . ولا نبيع الخمر . وأن نجزّ مقام رؤوسنا (القصة) وأن نلزم زيناً حيثما كنا . وأن نشد زناير على أوساطنا . ولا نظهر الصليب على كنائسنا . ولا نظهر صليبانا ولا كتبنا فى شىء من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم . ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً . ولا نرفع أصواتنا مع موتانا . ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين [لا نشاركهم غنائمهم] ولا نطلع عليهم فى منازلهم [لا نتجسس عليهم] .

وبعد أن تعاطى الفريقان العهود والأيمان على النمط المتقدم ذكره دخل عمر بن الخطاب إيلياء (15 هجرية / 636 ميلادية) فاستقبله - صفر نبيوس ودخل من ورائه المسلمون مهالين ومكبرين وقد كانوا متقلدين سيوفهم وراية العرب ترفرف فوق رؤوسهم . وكان أول عمل قام به (عمر بن الخطاب) بعد فتحه بيت المقدس أن زار كنيسة القيامة . ولما كان داخلها حان وقت الصلاة . فأشار عليه البطريق (صفر نبيوس) أن يصلى فى داخل الكنيسة قائلا له : مكانك صلّ .

ولكن (عمر) أبى وخرج من الكنيسة وصلى فى مكان على مقربة منها خشية أن يتخذ المسلمون صلاته فى الكنيسة ذريعة فيضعوا أيديهم عليها. فقابل النصرى عمله هذا بلا شكر . وذكره المؤرخون بالتقدير . ثم زار عمر مكان الهيكل وكان فى حالة حراب تام تجمعت فيه الأقدار فأصبح عبارة عن مزبلة (مكان تجمّع للقمامة والقاذورات) فراح يحفن التراب وينحسه بكفيه (أى ينظف المكان) وحذا الصحابة حذوه وبرزت الصخرة وأمر عمر أن يُبنى هناك مسجداً. فبنى المسجد وكان من الخشب (عام 637 م.) (أعاد بناءه الخليفة عبد الملك بن مروان وأصبح الآن بما يعرف بمسجد الصخرة)⁽¹²⁶⁾. وراح يتجول عمر فى شوارع المدينة ويغشى أسواقها وكانت لا تزال تئن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسى عام 614 م . ولم يكن فى القدس معبداً أو هيكلأ يهودياً عندما فتحها (عمر) ولو وجد ذلك لأمر بالإبقاء عليه ولأمر بصيانته والمحافظة على نقوشه ومحتوياته⁽¹²⁷⁾. ورأى عمر بعين ثاقبة أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي أولاً فلم يتوان . ففرض للمسلمين الفروض وأعطى العطايا ثم وضع التاريخ الهجري ودوّن الدواوين وقسم البلاد إلى مناطق وعيّن لكل منطقة أميراً ثم رتب البريد ليؤمن الاتصال بين هذه المناطق . وأقام العيون (المباحث والمخابرات) وعيّن قاضياً (مفتشاً) يطوف على المأمورين ويحقق الشكايات وأسس الحسبة (البلدية) لمشارفة الموازين والمكاييل ومراقبتها ولمنع الغش . وتنظيف الأزقة والرفق بالحيوان وهدم البناء المحدث فى وسط السوق. وحظر على الناس الازدحام فى الطرق . وحضهم على التجارة . وبينما كان (عمر) يتفقد المدينة أتاه رجل من النصرى له نمة مع المسلمين فى كرم عنب . فشكا إليه همه فركب معه . ولما رأى فريقاً من المسلمين أكلوا مما فى الكرم لشدة ما أصابهم من جوع أعطى الرجل ثمن ما أكلوا وأمر رجاله بالعدل

ونكر المؤرخون أن (عمر) زار قبيل رحيله عن بيت المقدس أبا عبيدة بن الجراح في بيته فلم يجد فيه سوى لبد فرسه (وكان فراشه ووسادته وسرج فرسه) وكسرة يابسة في كوة بيته (حير حاف في طاقة بالحدار) . فلما نحل (عمر) جاء أبو عبيده بهذه الكسرة فوضعها على الأرض بين يدي عمر ، أتاه بملح خشن وإناء من الخزف فيه ماء. وبعد أن رتب عمر الأمور ووضع كل شيء في نصابه اعتزم الرجوع إلى المدينة المنورة. وقبل أن يغادر بيت المقدس جمع جنده فأثنى على عملهم وشكر الله إذ صدق وعده ونصر جنده وأورثهم البلاد ومكن لهم في الأرض ثم نصحهم بالابتعاد عن المعاصي والتوبة وتقوى الله وإلا سلب الله عزهم وسلط عليهم عدوهم.

وأقام على بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان على أن ياتمر بأوامر أبي عبيدة . وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيسر وأمر على فلسطين رجلين فعمل (علقمة بن حكيم) على نصفها الشمالي وأنزله الرملة (العاصمة الشمالية) و (علقمة بن مجزر) على نصفها الجنوبي وأنزله إيلياء (العاصمة الجنوبية) ثم عاد هو إلى المدينة .

وبعد ذلك بحوالى قرن وفي العصور الوسطى (القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي) ظهرت دولة فتيّة امتدت حدودها من بحر الخزر (بحر قزوين) إلى البحر الأسود ومن القوقاز إلى الفولجا وكانت عاصمتها (أنط) تقع على نهر الفولجا سميت هذه الدولة بـ (دولة الخزر) وكانت هذه الدولة تقع بين الامبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية (بيزنطة) من جهة والعربية الإسلامية من جهة أخرى . فكانوا هم بمثابة القوة الثالثة في عصرهم . وحرصاً على حماية دولتهم من ضغط المسيحية والإسلام فقد

رأى الخاقان (بولان) عام 750 م الذى حكمهم فى منتصف القرن الثامن
الميلادي اعتناق اليهودية هو وحاشيته وشعبه .

ويلاحظ أن أرض الخزر كانت المأوى الطبيعي لهجرات اليهود التى
وقعت هرباً من اضطهاد الحكام البيزنطيين . بل كانت أشبه بوطن قومي
لليهود⁽¹²⁸⁾ . كما ضمت بلاد الخزر أيضاً عدداً كبيراً من المسلمين
والمسيحيين وكان يهود ملوك الخزر فى خلافة (هارون الرشيد) وقد أُلّف
ملك الخزر فى جيشه فرقة ضاربة من المسلمين (الارضية) وهم
قبيلة خوارزم الذين أقاموا فى البلاد على شروط منها⁽¹²⁹⁾ :

- 1- إظهار الدين والمساجد والأذان .
- 2- أن تكون وزارة الملك فيهم .
- 3- أنهم لا يظاهروا فى حالة حربه مع المسلمين (يقفون على الحياد)
ويحاربوا سائر الناس .

وقد وقف الخزر سداً منيعاً حال دون زحف العرب نحو القوقاز بيد
أنهم أقاموا منذ أواخر القرن الثامن علاقة ودية مع الخلافة الإسلامية
وحرصوا على المحافظة عليها . وأصل هؤلاء القبائل يعود إلى الأتراك . وكان
شعب الخزر شعباً عصبياً متحرراً من الأحقاد القومية ومفتوحاً لمختلف
الثقافات والأديان . له حكومته العادلة المتسامحة وجيشه القوى وتجارته
الواسعة .

ويقول المؤرخ العربي (المسعودي)⁽¹³⁰⁾ عنهم :

جرى العرف فى (أتل) عاصمتهم أن يكون بها سبعة من القضاة
اثنان من المسلمين (يفصلان فى القضايا تبعا للشريعة الإسلامية) واثنان
للخزر (يفصلان بحكم التوراة) واثنان لمن بها من النصرانية (يحكمان
بحكم النصرانية) وواحد للصقالبة والروس وسائر الجاهلية الوثنية (يحكم
بأحكام الجاهلية) . وإذا ورد عليهم ما لا علم لهم به اجتمعوا إلى قضاة
المسلمن فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام . وقد قضى
الروس على امبراطورية الخزر فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى
ودمروا عاصمتهم (أتل) ولكنهم ظلوا محتفظين باستقلالهم داخل حدود
أضيق عن ذى قبل إلى أن سقطت بلادهم فريسة لغارات المغول بزعامة
(جنكيز خان) فى منتصف القرن الثالث عشر . ولكنهم قبل هذا الغزو وبعده
كانوا قد أرسلوا فروعا كثيرة من سلالتهم إلى البلاد الصقلية التي لم تقع فى
أيدي المغول وساهموا بالتالى فى تكوين جاليات يهودية كبيرة فى شرق
أوروبا .

وخلاصة ما ينتهي إليه الكاتب اليهودي (آرثر كيسلر)^(*) ويوضحه :

أن غالبية اليهود الحاليين ليسوا من أصل أسوي . أى أنهم ليسوا
من قبائل الأسباط الاثنى عشر (نسل يعقوب وأخوة يوسف) بل إنهم
ينحدرون من الخزر (الذين أطلق عليهم الكاتب القبيلة الثالثة عشر)
والذين انتشرت نريتهم فى كثير من دول شرق أوروبا خاصة بولندا والمجر

* (يهودى روسى ومؤلف كتاب (تقيئة الثالثة عشر ويهود اليوم) وأسباط اليهود اثنى عشر
سبطا فقط أما يهود اليوم فلا يتشكلون منهم .

وروسيا أى أنهم لم يجينوا من فلسطين بل جاءوا من القوقاز . أى بعبارة أخرى فإن مصطلح معاداة السامية لم يعد له معنى فى ضوء هذه الحقيقة .

ويشاركه الرأي (د. ابراهام بولياك) اليهودي الروسي وأستاذ التاريخ اليهودي فى جامعة تل أبيب . وأثبت أيضا النمساوي (هوجر فريز فون كوتشيرا) عام 1847 - 1910 م . فى بحوثه عن الخزر أن يهود شرق أوروبا ينحدرون منهم .

وقد استمد (ارثر كيبستر) واستقى معلوماته تلك من عدة مصادر (131) :

(1) المصادر العربية :

رسالة ابن فضلان ، البلخي ، الاضطخري ، المسعودي ، البكري ، ابن رسته ، يعقوبى ، ابن مسكويه ، ابن النديم ، الدمشقي ، ابن حوقل ، ابن العديم ، ياقوت .

وابن فضلان هو الوحيد الذي عاصر تلك الأحداث .

(2) المصادر البيزنطية :

مؤلفات الامبراطور البيزنطي المؤرخ (قسطنطين السابع) بورفيريو جنيثوس (كتاب المراسم) عام 950 م .

(3) المصادر الروسية :

الحوليات الروسية فى الفترة ما بين القرن السابع والعاشر الميلادى وهى الحوليات التى انتهت أخبارها سنة 1112 م . وتسمى (قصة السنوات الغابرة) وهى تتضمن بيانات صادقة عن تلك الفترة تولى جمعها راهب من كييف اسمه (نستور) .

(4) الرسائل الخزرية :

وهي رسائل بالعبرية ترجع إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي تروى قصة اعتناق شعب الخزر اليهودية .

(5) المصادر الحديثة :

مثل دوجلاس دانلوب ، توينبي ، بيوري، بارون، مكارتنى، فرنادسكى، وكالة (مجموعة الجنيزة) (وهي مجموعة وثائق عبرية محفوظة في المعبد اليهودي بالقاهرة بمصر) .

وعليه فإن كيان دولة إسرائيل لا يستند إلى أصول اليهود العرقية النظرية ولا يستند إلى ركائز عقائدهم الدينية وإنما يقوم أساساً بمقتضى القانون الدولي (قرار التقسيم فى عام 1947 م) والذي كان نتيجة تدفق هجرات اليهود إلى فلسطين لسنوات طويلة قبل ذلك .

ويقول (رافائيل باتال)⁽¹³²⁾ :

أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أنه خلافاً للشائع ليس هناك جنس يهودى حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التي أجريت على مجموعات من اليهود أنهم يختلفون بعضهم عن بعض اختلافاً بيئياً في كل الخصائص الجسدية الهامة (القامة ولون البشرة وشكل الوجه وفصائل الدم) .

ويقول (ريلى) فى كتابه (أجناس أوروبا) :

إن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتون إلى اليهود الأولين بأي شبه وأن القول بنقاء دم اليهود حديث خرافة .

ويؤكد المؤرخ العربي (الاصطخري) :

على تنوع قبائل الخزر ويقول عنهم أنهم صنفان :

1- كلرا خازر (الخزر السود) .

2- النخزر (الخزر البيض) .

وهم يرجعون إلى قبائل أخرى كانت تسمى (الأكاتير) ومنها اشتقت لفظة الشخرز .

ويقول (أرتامونوف) المؤرخ الروسي في كتابه (تاريخ الخزر) :

تحللت مملكة الخزر وتهاوت إلى أجزاء تداخلت أغليبيتها في الشعوب الأخرى المنصلة بها . أما الأقلية التي استقرت في (أثل) فقد فقدت قوميتها وتحولت إلى طبقة طفيلية ذات صبغة يهودية .

وعن اليهود في مصر المملوكية نقول د. محاسن الوقاد : (133)

* عند فتح (عمرو بن العاص) لمصر عام 21 هـ / 642 م . لم يتعرض لأهل الذمة بسوء . فقد عامل اليهود معاملة حسنة تتطوي على التسامح الديني كما التزم بمبدأ العقيدة . وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعا (اليهود والنصارى) .

* في العهد الأموي للخليفة (عمر بن عبد العزيز) جرى إحلال الموظفين المسلمين محل الموظفين اليهود في الجهاز الإداري والمالي للدولة وحرم عليهم ركوب الخيل (كمظهر للعنو والعزة) .

* في عصر الخليفة العباسي المتوكل (235 هـ / 849 م) أمر بأن يتميزوا بلبس الطيالة العسلية والزنانير وعلى رؤوسهم القلائس المختلفة الألوان وأن يجعل على أبواب دورهم أساطين من خشب مسمورة وذلك للتمييز بين منازلهم و منازل المسلمين . ونهى أن يستعان بهم فى دواوين الحكومة وأعمال الدولة التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين . كما نهى أن يتعلم أولادهم فى كتابات المسلمين وأن يقتصروا فى ركوبهم الدواب على الحمير والبغال دون الخيل . وهذه المراسيم كان يعمل بها فى حين صدورها بمنتهى الدقة ولكن بمرور الوقت يعود كل شيء كما هو عليه وترجع سياسة التسامح مرة أخرى .

* في عهد الدولة الطولونية (254 - 292 هـ / 868 - 905 م) وجدت جالية يهودية بمصر وكان أفرادها من الأثرياء ورجال الأعمال وشهدت تلك الفترة اعتناق كثير من اليهود والنصارى للإسلام . وكان مساحة الحرية كبيرة . وفى هذا العصر وفد على مصر أعداد كبيرة من يهود فارس الذين كانوا يعملون فى تجارة الشرق عبر الخليج العربى بسبب تعطّل هذا الطريق وعودة التجارة فى الشرق إلى طريقها الأول . وقد برع اليهود فى مجال الطب واستخدم (أحمد بن طولون) عدداً منهم .

* بعد وفاة الخليفة وعودة الولاية العباسية لم يعكر صفو اليهود سوى المرسوم الذى صدر أثناء ولاية (عيسى النوشري) على مصر 295 هـ / 908 م حيث أمر الخليفة (المقتدر) ألا يستخدم أحداً منهم إلا فى الطب وأعمال الصيرفة .

***فى عهد الدولة الاخشيدية (323 - 358 هـ / 935 - 969م) كان لليهود**
أنشطتهم الملحوظة فى الأعمال التى تدر الأرباح الوفيرة . وكان لهم محاكم
خاصة بهم مع احتفاظهم فى الاحتكام إلى قضاء المسلمين . ومن أشهر اليهود
فى ذلك العصر (يعقوب بن كلس) الذى اشغل بتجارة وتصنيع
وأصبح يعرف بـ (تاجر كافور) كما أنه نظم مالية مصر فى عهده . وفى
أواخر عهد الدولة الاخشيدية اعتنق يعقوب الإسلام فزادت مكانته عند كافور .

***وبعد وصول الفاطميين إلى مصر (358 هـ / 969 م) رأى خلفاء هذه**
الدولة أنهم قد جاءوا إلى مصر بمذهب شيعي يخالف مذهب المصريين
السني . ومن ثم فقد صاروا بحاجة إلى من يعاونهم فى تثبيت سلطانهم .
فعمدوا إلى تقريب أهل الذمة وأظهروا لهم الكثير من التسامح واستخدموهم
فى أهم شئون الدولة الإدارية والاقتصادية والسياسية . ومن أشهرهم (منشأ
اليهودي) . وفى عهد (الحاكم بأمر الله) رجعت الأمور إلى سابق عهدها
بالنسبة لليهود . حيث اشتد عليهم وحرم عليهم ركوب الخيل وأفرد لهم
حمامات خاصة بهم وحرق الحي اليهودي وقام بنقلهم إلى حارة زويلة
وأسكنهم بها . ولكنه عاد مرة أخرى إلى سياسة التسامح معهم ومنحهم
أماناً (411هـ / 1020 م) فلعب اليهود فى مجال التجارة دوراً مهماً ومارسوا
تجارة الذهب والجواهر والعملية وأعمال الصيرفة وأسهموا فى النشاط
الصناعي (صناعة الخمور والسكر والعسل والزيتون والحلى والمعادن)
وزادت ثرواتهم . ولذلك يعتبر العصر الفاطمي العصر الذهبي لليهود
بمصر .

*بعد انتقال الحكم إلى الأيوبيين (567 هـ / 1171 م) . أصدر (صلاح الدين الأيوبي) مرسوما بصرف أهل الذمة ومنع استخدامهم فى الأعمال السلطانية ودواوين الحكومة (إبعاد الموالين للفاطميين ولمنع تأمرهم على حكمه خصوصا مع اشتعال الحروب الصليبية) . ورغم هذا فقد استعان (صلاح الدين) باليهود فى بعض الأعمال مثل رئاسة ديوان التحقيق (ابن كوجك) وفى مجال الطب كان (موسى بن ميمون) طبيبه الخاص (أسلم فى المغرب العربي قبل مجيئه إلى مصر) .

*وفى الدولة المملوكية عرفت الجزية على اليهود باسم (ضريبة الرؤوس) وهى التي عرفت فى العصور المتأخرة باسم (الجوالى) . وتختلف تلك الضريبة عن الجزية بأنها تميزت بطابع إنساني إذ روعي فيها عدم أخذها من النساء والأطفال والشيوخ وأصحاب العاهات وغير القادرين والرهبان (بشرط انقطاعهم فى الأديرة) بالإضافة إلى إمكان تأجيل تحصيلها من المعسر وهى سنوية .

أما الجزية فهى جزء من اتفاق عقد الذمة حيث يكون على المسلمين حمايتهم وحماية أموالهم وتعويضهم عما تلف منها بالإضافة إلى حرية العقيدة والدفاع عنهم ماداموا باقين داخل المجتمع الإسلامى (وهى سنوية أيضا) .

ولم يكن اليهود أقلية منعزلة فى المجتمع المصري وإنما امتزجوا داخل المجتمع وتولوا الوظائف الإدارية والأعمال المصرفية وممارسة مهنة الطب التي رفعت من شأنهم ومكانتهم بين أهل طائفتهم فتولوا الإشراف على شئونهم (أصبحوا زعماء دينيين للطوائف اليهودية مثل عبد اللطيف بن إبراهيم بن شمس الطبيب الذي كان رئيسا لليهود).

وسلاطين الممالك لم يفرقوا في المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين سواء في العطية أو في العقاب (في حالة الغنل في التطبيب) . وقد حظيت أوقاف اليهود باهتمام سلاطين الممالك ورعايتهم واهتمامهم مثلما يحدث لأوقاف المسلمين . ولم تحدث اضطهادات لليهود في العصر المملوكي (وغيره) إلا فيما ندر . وقد أشار الرحالة اليهودي (شولام بن مناحم) بسماحة الإسلام وحسن معاملة المسلمين وتميزهم عن غيرهم في كثير من الإعفاءات المالية (الضرائب و الجمارك) .

وتخلوا أغلب (وثائق الجنيزة)^(*) من أية معلومات عن اشتغال اليهود بتجارة الرقيق (الجواري والعبيد) سواء في حوض البحر المتوسط أو المستوى الأفريقي أو الهندي .

وعن التقسيم الطائفي الديني لليهود تقول الدكتورة / محاسن الوقاد⁽¹³⁴⁾ :
يتركز الفرق بين الفرق الدينية اليهودية حول الاعتراف بأسفار العهد القديم (التوراة) والتلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم . واليهود ثلاث طوائف هم :

الربانيون والقساويون والسامرة .

(1) الربانيون أو (الفريسيون) :

ويطلق عليهم أيضا الربيون والربانون والفريزيون وسموا هكذا لاتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم في المِشْنا (المِشْنة) أي سنة موسى (العِلم) (التوراة الشفهية) وشروح التلمود (الجمارا) .

(*) مجموعة وثائق عبرية أي يهودية محفوظة في المعهد اليهودي (معبد عزرا الكاتب)

بالتفصيل بالقاهرة تعتبر كدفتر أحوال وسجل تشنون اليهود الإدارية والدينية وغيرها .

و (المِشْنَا) تشتمل على ستة أقسام يطلق عليها (السدائيم) أى الأوامر
وهى :

(أ) زرعيم (الزراعة)

(ب) موعيد (الأعياد)

(ج) ناشيم (النساء)

(د) نزيكين (الجروح)

(هـ) قوداشيم (المقدسات)

(و) توهاروت (الطهارة)

والتلمود (المعرفة أو التعليم) ينقسم إلى :

(أ) المِشْنَا : بمعنى النص أو المَتْن . (الفقه) .

(ب) الجَمَارَا : بمعنى التفسير أو الشرح (السنة) .

وهناك تلمودان :

(أ) الفلسطيني ويسميه (اليهود الأورشليمي) .

(ب) البابلّي .

والربّانيون هم أكبر طوائف اليهود ورئيسهم له حق الإشراف على
أبناء الطوائف الثلاث . وقد انفرد الربّانيون بشروح غوامض التوراة التى
وضعها أحبارهم كما أباحوا تأويل نصوصها .

(2) القراءيون :

وهم لم يعترفوا بغير التوراة ولم يتقيدوا بما جاء فى التلمود
ويعتمدون على التقويم القمري فى حساب أعيادهم ومواسمهم . وهم من
المعتزلة أو الشيعة فى الدين الإسلامى (الذين وقعوا موقف الحذر من

الروايات الشفوية الإسلامية وتخرجوا من اعتبار الحديث مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامي). والقراءيون يلتزمون بعدد أيام كل عيد حسب ما ورد في التوراة (بعكس الربوبيون الذين أضافوا يوماً إلى أيام كل عيد فيما عدا صييم يوم المعراج / كيبور) .

(3) السامرة (شومرون) :

وهم الذين كانوا يحجون إلى (جبل جرزيم) في مملكة إسرائيل (الشمالية) بدلاً من الحج إلى الهيكل (جبل صهيون) في مملكة يهوذا (الجنوبية) وقد نشأت هذه الطائفة بعد وفاة (سليمان) (عليه السلام) وسقوط مملكة إسرائيل على يد ملك آشور (تغلات بلاسر) وابنه سرجون الثاني ويذهب بعض الباحثين اليهود أن ذلك كان بعد السبي البابلي على يد (نبوخذ نصر) . وقد أضاف السامريون إلى التوراة عبارات توحى بقسسية جبل جرزيم . وهم لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة الأولى وأنكروا نبوة من جاء بعد موسى (عليه السلام) بحلف هارون (عليه السلام) ويوشع بن نون . وهم شديداً الحرص على حرمة يوم السبت . ويؤمنون بيوم القيامة والملائكة ونزول المسيح . وهم أغنى أغنياء طوائف اليهود .

وهناك العديد من العادات التي انتشرت بين اليهود مأخوذة عن المسلمين مثل غسيل الأرجل قبل صلاة الصبح وخلع الأحذية عند دخول المعبد (القراءيون) وقراءة (الشماع) في بداية الصلاة (كما تقرأ الفاتحة في صلاة المسلمين) وعادة طهارة المحتلم بالاستحمام والتطهر قبل الصلاة ودخول المعبد . والصلاة فردية وأحياناً جماعية .

وجرت العادة أن تعرض القصايا التي تقع بين المسلمين والذميين (أهل الكتاب) على قضاة المسلمين . أما بين النصارى بعضهم البعض فكان لهم قضاؤهم الخاص إلا إذا احتكموا لى بعضى قضاة مسلمة منهم بشرع الإسلام . ورئيس القضاة اليهودى يسمى (النجيد) . من شروطه . وهو المختص بالإشراف على النشاط النيسى لمختلف الطوائف النابعة له على قدم المساواة . ويأخذ على عاتقه إلزام اليهود بتطبيق (الشروط العُمرية)⁽¹³⁵⁾ وهى :

(1) الشروط المستحقة : وهى ستة شروط :

- (أ) عدم ذكر الإسلام بدم أو قدح .
 - (ب) عدم ذكر الله بطعن له أو تحريف فيه .
 - (ج) عدم ذكر رسول الله (ﷺ) بتكذيب له أو ازدراء .
 - (د) ألا يصيبوا مسلمة بزنا أو باسم نكاح (زواج) .
 - (هـ) ألا يفتتوا مسلماً عن دينه أو يتعرضوا لماله ودمه .
 - (و) ألا يعينوا أهل الحرب (الأعداء) .
- وهذه الشروط ملزمة فإذا نقضوها نقض عهدهم ويحكم بذلك قضاة المسلمين .

(2) الشروط المستحبة : وهى ستة شروط أيضا :

- (أ) لبس الغيار (أى لبس ملابس ذات ألوان مخالفة لملابس المسلمين)
- (ب) ألا تعلو أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .
- (ج) ألا تعلوا أبنيتهم فوق أبنية المسلمين .
- (د) ألا يجاهروا بشرب خمر وإظهار صلبانهم .

(هـ) أن يَمْنَعُوا من ركوب الخيل (رمز العلو والعزة ومطيّة الجنود فى الحرب) ولا يَمْنَعُوا من ركوب البغال والحمير .

(و) أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهرُوا بنذب عليهم ولا نياحة .

و (الناجيديم) لم يبتعدوا عن اليهود ولم يعزلوا أنفسهم كما فعل رؤساء الطوائف اليهودية فى بابل وكانت دورهم مفتوحة لكل اليهود المقيمين والوافدين من أماكن أخرى . وكانت العادة أن يخلف الناجيد ابنه (أشبه بنظام ولاية العهد) وكان يطلق عليه ألقاب مثل (تاج الأمة) و (تاج الرؤساء) و (تاج الوزراء) . وكان يلي الناجيد شخص يسمى (الديان) الذي يفصل فى القضايا المدنية (معظمها خلافات مالية) والكاتب (السوفير) الذي يختص بتحرير العقود والصكوك والبراءات للخصوم ونسخ عقود الزواج والطلاق . ومجالس القضاة اليهودية تُعقد عادة فى المعابد . وقد وضع القضاة اليهود عدة شروط تقضى بضرورة عدم جواز تأجير منازل اليهود للمسلمين أو النصارى . على الرغم من وجود كثير من اليهود يسكنون فى منازل ملكاً للمسلمين .

وطقوس الزواج⁽¹³⁶⁾ لا تختلف كثيراً فى كافة الطوائف اليهودية وتمائل ما يحدث عند المسلمين (خطبة - قران ومهر وشهود - عقد وصلاة بركة ومأدبة والتفديس أى الإشهار والإعلان) والمحرمات من المصاهرة تماثل تقريبا المحرمات فى الدين الإسلامى ويزداد عليها زوجة العم أو الخال والجمع بين المرأة وابنة ابنها أو ابنة ابنتها . والشريعة اليهودية تجيز تعدد الزوجات . واستمر ذلك حتى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ثم أبطل الرّبانيون التعدد وفقاً لأهوائهم لكن القرائين استمروا فى ذلك واشتروا ما اشترطه الإسلام من العدل بين الزوجات (التوراة لم يرد فيها حَجْر أو حَصْر لعدد معين من الزوجات بخلاف الإسلام الذي حدد العدد

بأربعة كحد أقصى فى المرة الواحدة) وكان همّ وشاغل اليهود الأساسى من الزواج هو إنجاب الكثير من الذرارى . وهناك عادات أخرى نفشت بين اليهود مثل خطبة الأطفال (أحيانا كان يكتب بذلك عقد اتفاق فيه شروط جزائية وغرامات لمن يعدل عن التنفيذ عند البلوغ) وزواج (اليوم)⁽¹³⁷⁾ أى زواج الرجل من أرملة أخيه إن لم تتجب من أخيه على أن ينسب الطفل الأول لأخيه وذلك لـ :

1- ضمان استمرار الأسرة والمحافظة على إقامة الطقوس الدينية للمتوفى .
(أى لتستمر حسناته بعد الوفاة) .

2- استمرار الاحتفاظ باسم المتوفى فى شخص عقبه الذى يولد بعد موته ومن ثم المحافظة على أموال المتوفى وعائلته .

3- الاحتفاظ بأرملة الميت داخل الأسرة لأنها ثروة اقتصادية عظيمة يمكن استغلالها والانتفاع بها .

4- عدم خروج تركة المتوفى إلى عائلة أخرى .

5- انقطاع نسل الميت يُعد غضبا من الله وحرماناً له من تأدية فرائض الدين .

وفى هذا الزواج كان مجرد بسط الثوب على المرأة (الأرملة) يعتبر دليلاً على إتمام الزواج . ولا توجد طقوس أخرى غير ذلك للاحتفال بزواج اليوم حيث أن المرأة كانت تعتبر كزوجة ولا تحل لآخر (غير شقيق زوجها المتوفى) إلا بعد (الحلبصاه) أى طلاقها من أخى الزوج المتوفى . ومن المعروف أن القرائين يجمعون على تحريم زواج اليوم وقد اختلفت طائفة السامرة مع الربانيين فى هذا الزواج . فطائفة السامريين ترى وجوب تطبيق هذا النوع من الزواج حتى ولو خطب الرجل المرأة ومات قبل الدخول بها :

وقد أقر الرابانيون هذا الزواج استناداً إلى بعض فقرات وردت في العهد القديم حيث يقول يهودا لأونات:

* ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك (138).

وورد أيضاً في (المِثْنا) ما يؤيد زواج اليوم .

ويلاحظ أن نساء اليهود وبناتهن كن يتسمين بأسماء عربية (مثل ست البنين ، ست الدار ، ست الناس ، ست الكل ، ست الحسن ، أم مخلوف) وهذا دليل على أن اليهود كانوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصري . وفيما يتعلق (بالختان) فقد ارتبط عند اليهود بالقربان حيث اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان (الجزء الذي يُقْتَطَع في عملية الختان) وقد كان الختان سنة وعادة شائعة عند المصريين القدماء . وقد شاع عندهم للوقاية الصحية من الأقدار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية وقد اقتبسها اليهود من المصريين وجعلوه مرتبطاً بالقرابين التي تُقدم للفقراء وارضاء الآلهة .

واليهود ينسبــــــــون شعيــــــــرة الختان إلى (إبراهيم) (العَلِيَّة) ويطلقون على كل من يختتن من اليهود تعبير (ملة إبراهيم) أما إذا كان غير يهودي فيطلق عليه اسم (حنيف) وهم لا يؤخرون موعد الختان عن اليوم الثامن لولادة الطفل حتى ولو وافق ذلك اليوم يوم السبت أو يوم الغفران أو غيرهما من الأيام المقدسة . والذي يقوم بعملية الختان يسمى (موهيل) Mohel أى الخاتن أو المطهر الذي يُرخص له بذلك من الحاخامية أو المؤسسة الدينية التي يتبعها وأحياناً يسمح المرأة اليهودية لتقوم بالختان ولغير اليهودي أن يجري الختان للمواليد اليهود . وللمولودة الأنثى يُجرى لها (الخَفْض) . ويتم الختان والخَفْض في الكنيس اليهودي (السيناجوج) . ومن العادات

الشائعة ارتداء نساء اليهود غطاءً للرأس والنقاب أو البرقع (مثل المسلمات) خصوصاً عند الخروج إلى الشوارع . وكن يتسمين بأسماء عربية مثل مِلاح وعَدْب وشمس وعزيرة وشقراء وفخر .

وعن أعياد اليهود تقول د. محاسن الوقاد⁽¹³⁹⁾:

تنقسم أعياد اليهود إلى قسمين : شرعية وغير شرعية .

أولاً : الأعياد الشرعية : وهى خمسة .

أ - رأس السنة (روش هساناه) :

وهو عيد عتق وحرية ويناظر عيد الأضحى عند المسلمين ويعتقد الربانيون أن الكتب تفتح في السماء وتكتب الأعمال ويصدر الحكم على الأفراد والأمم في هذا اليوم ويحل في أول أكتوبر (تشرين) ويستمر ثلاثة أيام .

ب - عيد الغفران (كيپور) (صوماريا) :

أى الصوم العظيم ويحل فى التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين) .

ج - عيد المظلة (الظلل أوسكوت) :

ويبدأ فى الخامس عشر من أكتوبر (تشرين) وعُرف أيضاً (بعيد الحصاد) لأنه يحدد الفترة الانتقالية من عام زراعي إلى عام آخر وهو عيد للمطر . وعيد الغمام (الذي أظلمهم بعد الخروج من مصر) . وفيه يحمل اليهود أغصان الشجر عن دخولهم المعبد للصلاة ويضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم الذنوب التي ارتكبوها طوال العام . ويستمر الاحتفال سبعة أيام .

د - عيد الفصح (عيد الفطير) :

وهو عيد الربيع وموعده التاسع عشر من شهر أبريل (نيسان) ومدة الاحتفال سبعة أيام عند القرائيين (ستة عند السامرة وثمانية عند الرّبانيين) وهو إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون . ويسمى أيضا (عيد الفسخ) أى الفرج بعد الضيق . وله أسماء أخرى منها الحظو والمرور والعبور ويصنعون فيه الفطير الذى لا يدخله الملح ولا الخميرة (عند فرارهم من فرعون لم يكن لديهم الوقت لانتظار تخمر الخبز الذى حملوه معهم فى رحلة الهروب أى العبور . وكان بعض اليهود يلجأون إلى خلط عجينة الفطير (فطير الفصح) بدم بشرى يفضل أن يكون من أحد المسيحيين أو المسلمين .

هـ - عيد الأسابيع (العنصرة أو الخطاب) :

وكان موعده فى السادس من يونيو (سبوان) وسمى بعيد الحصاد (سفر الخروج) ويوم البكورة (سفر التثنية) وسمى شفوعات بالعبرية . وفى هذا اليوم نزلت الوصايا العشر على موسى (عليه السلام) .

ثانيا : الأعياد غير الشرعية :

وهى التى لم ترد فى التوراة . وهى محدثة ومنها :

أ- عيد الفوز (البوريم) أو (أستير) :

و(أستير) هى المرأة التى نجتهم من (هامان) بزواجها من أحد ملوك الفرس حتى تفسد تدبير وزيره هامان الذى أراد أن يهلك اليهود ودبرت له مكيدة قضت عليه . وموعده الثالث عشر من مارس (آذار) ويُعرف عند الكُتّاب العرب (بعيد المسخرة) أو عيد المساخّر بسبب ماكان يجرى فيه من إسراف فى شرب الخمر وخلافه .

د- عيد الحنكة (الحانوكه) :

ويبدأ في ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كسلو) ويستمر ثمانية أيام ويسمى أيضا (عيد التدشين) حيث تم فيه إعادة افتتاح الهيكل عام 165 ق.م أيام البطالمة . والقراءيون لا يعترفون بهذا العيد .

وقد جرت العادة أن يحج اليهود في ثلاثة أعياد هي (الفصح) و (المظلة) و (الأسابيع) . وكان معظم الحجاج اليهود يقومون بزيارة (الخليل) حيث قبور الأنبياء . وقد كان بمصر أماكن خاصة يحج إليها اليهود مثل بيت المقدس تماما مثل (معبد دموه) بمحافظة البحيرة .

ومن أهم المعابد اليهودية في مصر⁽¹⁴⁰⁾:

معبد الفلسطينيين المسيحي المسمى بـ (معبد عزرا الكاتب) في الفسطاط بالقاهرة . ومعبد المصريين (معبد الأستاذ) ومعبد تركية ومعبد ربي دافيد بن أبي زماره ومعبد ذو المعجزة ومعبد الحاخام إسماعيل ومعبد الحاخام يعقوب ومعبد البرتغاليين . ومعبد تلمود التوراة ومعبد حايم كافوسي ومعبد شعر شامايوم ومعبد حنان ومعبد موسى بن ميمون . ومعبد دموه ومعبد (عزرا الكاتب) هو الذي عُثر فيه على (وثائق الجنيزة) الشهيرة والتي تؤرخ لحياة اليهود في مصر ومعظم هذه المعابد لا وجود لها الآن . وهى معابد لليهود الرّبانيين . وتوجد معابد أخرى لليهود القرايين منها معبد ابن تسومح ومعبد ابن شميك ومعبد الخازن ومعبد سمحاه ومعبد العباسية (معبد موشيه درعى) .

وعن تاريخ اليهود في (الفترة العثمانية) 1517 - 1914 :

*يقول الباحث (أفراهام ديفيد)⁽¹⁴¹⁾ :

ارتحلت أعداد كبيرة من يهود شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا والبرتغال) إلى مصر عقب طردهم منها قبيل نهايات القرن الخامس عشر (خروج العرب من الأندلس) باعتبارها فترة التقاط الأنفاس قبل التوجه إلى فلسطين . وكانت إقامتهم بمصر فى المدن والمراكز التجارية الهامة (مدن الساحل والمطلة على النيل) مثل أبى قير والخانكة وبنها والطور والإسكندرية والمنصورة وبولاق بالقاهرة والبرلس وبلبيس ودمياط والمحلة الكبرى ومليج والمنزلة والسويس وفوه والفيوم ورشيد والقاهرة بضواحيها الكثيرة .

*ويشير الباحث (سرجيو ديلابيرجولا)⁽¹⁴²⁾ إلى أن :

حرص اليهود على التركز فى كبرى المدن بمصر خاصة مدينتي القاهرة والإسكندرية وذلك بخلاف سائر فئات المجتمع والأقليات الأخرى ومن الظواهر الديموغرافية نجد أن بنية المجتمع اليهودي فى مصر من ناحية الجنس اتسمت بقدر من الاستقرار حيث كانت الفجوة فى العدد بين الرجال والنساء اليهود متواضعة للغاية مما يدل على أن الهجرة إلى مصر كانت هجرة عائلات يهودية بالكامل لا هجرة أفراد ويلاحظ شيوع ظاهرة الزواج المختلط .

*وعن الحياة الاقتصادية يقول الباحث (العازر باشان)⁽¹⁴³⁾ :

أدى الاحتلال العثماني لمصر إلى تحسن وتطور الاقتصاد المصري بعد معاناة - فى نهايات العصر المملوكي - من الركود وانخفاض معدلات الانتاج الزراعي والصناعي. واندمج اليهود في الوضع الجديد - مع الحكم

العثماني - بفضل قدرتهم على التكيف فعملوا في مجالي التجارة المحلية والخارجية وفي الصفقات المالية . وكان منهم الأطباء والمترجمين والحرفيين ومجال الوساطة والوكالة التجارية بين الشرق والغرب وتجارة الرقيق والعبيد (المسيحيين فقط) .

* وعن الأنشطة اليهودية في الاقتصاد المصري يشير الباحث (سلومون سظمبولي)⁽¹⁴⁴⁾ إلى :

تشابه أنشطة اليهود في مصر مع تلك التي اشغل بها سائر السكان عدا مجال الخدمة العسكرية الذي كان قاصراً على المسلمين . وسعى يهود مصر إلى الحصول على حماية القوى العظمى المتمتعة بالامتيازات التي مُنحت لها من قِبَل الامبراطورية العثمانية (قُدر عدد تلك الدول المتمتعة بالامتيازات بخمس عشر دولة) وذلك رغبة في التمتع بالمزايا والامتيازات الممنوحة للرعايا الأجانب . واستغل تجار المخدرات هذه التسهيلات الممنوحة لهم (كرعايا أجنب) أى أنهم كانوا فوق القانون . وكذلك تم إعفائهم من الضرائب .

* وتقول الباحثة (ليئة يورنشتاين - مكوفتسكى)⁽¹⁴⁵⁾ :

. كان الحكم الذاتي الذي مُنح للطوائف اليهودية في مصر طيلة الحكم العثماني هو السمة السياسية المميزة لوجود هذه الطوائف (وذلك من القرن السادس عشر الميلادي) فإدارت الطائفة شئون حياتها على نحو مستقل حيث حصلت الطائفة على رعاية الامبراطورية النمساوية والمجرية .

وشاع فى أوساط المجتمع اليهودي فى مصر لجوء اليهود إلى المحاكم غير اليهودية فى ظروف معينة مثل نقل ملكية الأرض أو تسجيل سندات إيجار وشراء العقارات وسندات القروض ورفع قضايا ودعاوى ضد الغير وضد اليهود الخارجين والرافضين الخضوع للتعاليم اليهودية فى التوراة أو التلمود (كان يتزوج اليهودى من امرأة ثم ترفض محاكم اليهود التصديق على زواجه لسبب أو لآخر فيلجأ إلى المحاكم الإسلامية فى ذلك وأيضا فى حالات الطلاق التى لا تعتمد على المحاكم اليهودية) .

• ويقول الباحث (ميخائيل ليتمان)⁽¹⁴⁶⁾ :

تأثرت عملية الهجرة اليهودية إلى مصر بإمكانيات مصر الاقتصادية فضلا عن قربها من فلسطين وتزايدت أعدادهم خصوصا فترة تولى (محمد على) الحكم فى مصر حيث شجع هجرتهم إليها . وتفشت فى تلك الفترة ظاهرة الزواج المختلط غير أن هذه الظاهرة لم تكن مرتبطة بتغيير الديانة . وأيضا تفشت ظاهرة إقامة الرجال مع النساء دون زواج (سواء عشيقه أو زوجة أخرى لم يوافق الحاخام على زيجتها أو لم توافق الزوجة الأولى عليها).

* ويقول الباحث (شلومو زلمان هافلين)⁽¹⁴⁷⁾:

يرتبط النتاج الفكرى ليهود مصر مثله مثل النتاج الفكرى لليهود فى سائر البلدان بالخلفية الروحية والتوراتية للطائفة اليهودية . وقد أزعج تحريم التوراة الإقامة فى مصر كثير من الحاخامات الذين حاولوا تجاوز هذا النهى فى ظل ظروف معينة حيث رأى الحاخامات أن التوراة تحرم الإقامة على نحو دائم فى مصر ولكنها لا تحرم السكن فى مصر باعتبار أن ذلك وضعاً مؤقتاً ريثما تسمح الظروف بالذهاب والإقامة فى فلسطين بصفة دائمة .

(انتظاراً لمجيء المسيح المخلص) وهذا الوضع لم يتح فرصة وجود حاخامات من مواليد مصر وكان استخدام حاخامات من الخارج أمراً عادياً ومطلوباً . ومعظم الإنتاج الفكري والروحي لليهود في مصر ينحصر في : التفسير والشريعة وأدب الفتاوى والخطب وتفسير التوراة والتصوف (القبلاية) والشعر والتاريخ .

*ويقول الباحث (ديفيد كاسوتو) (148) :

ترتبط أغلب المعابد اليهودية بمصر بعظماء اليهود سواء القدامى أو من العصور الوسطى .

* ويقول الباحث (ميخائيل فينتر) (149) :

أهم السجلات المحلية للفترة العثمانية في مصر هما : ابن إياس وديار بكرى . ويُعد كتاب (سياحة ناما) أو (كتاب الرحلة) الذي وضعه (أوليا شليبي) عام 1614- 1683 م (هو مسلم غير مصري) بمثابة وثيقة بالغة الأهمية لمعرفة تاريخ مصر العثمانية إبان القرن السابع عشر الميلادي (المجلد العاشر) . ويلاحظ أن المماليك كانوا أكثر عداء لليهود من العثمانيين نظراً لأنهم كانوا من المسلمين المتشددين وكان تأثير العلماء عليهم قويا الأمر الذي أثر على علاقتهم مع الأقليات الدينية ومنهم اليهود .

ولقد نافس المسيحيون بكافة طوائفهم (أقباط - يونانيون - سوريون كاثوليك) اليهود في كثير من أعمالهم (إنتاج الخمور وتجارة وتصنيع الذهب والفضة والأحجار الكريمة والصيرفة والإقراض ..) ونتيجة لذلك حدث توتر بين اليهود والمسيحيين والأقباط المحليين وأبناء الطوائف الأصغر وتجلّى هذا التوتر في المجال الديني وفي مظاهر معاداة مسيحية واضحة .

*ويقول الباحث مينا روزن⁽¹⁵⁰⁾ :

كان وجود الفرنسيون واليهود في مصر سابقا على احتلال العثمانيين لها . وقد جعل السلطان (سليمان الرابع) 1520 م من تعاونه مع المملكة الفرنسية حجر أساس لسياسة الامبراطورية العثمانية الخارجية مع أوروبا . فكان الفرنسيون يدفعون حوالي 3% جمارك على تجارتهم مع الامبراطورية العثمانية بينما يدفع غيرهم نسبة 20% جمارك . واليهود (الذين عملوا كوكلاء تجاريين ووسطاء ومترجمين) زاد اتصالهم بالفرنسيين . وقد استعان الفرنسيون في مصر بخدمات اليهود المحليين (مواليد مصر) برغم تعارض المصالح من الناحية الاقتصادية (تنافس وغيره) . واعتبرت الحملة الفرنسية على مصر وسوريا طوق نجاة لليهود في عالم معاد . فقد ألغى (نابليون) الجزية المفروضة على اليهود وألغى أفضلية شهادة المسلم على شهادة المسيحي أو اليهودي وألغى القيود التي حددها الخليفة (عمر بن الخطاب) فيما يسمى بالشروط أو (العهدة العمرية) فنتج عن ذلك :

أ- تساوى اليهود مع المسلمين فعاشوا كمتساويين فى الحقوق وفى الواجبات .

ب- تزايد نفوذ الدول الأوروبية الكبرى داخل الامبراطورية العثمانية (وتبع ذلك زيادة الحماية لليهود) .

ج- تحسن مكانة يهود فرنسا فى مرحلة لاحقة (فأتاح لهم التأثير على سياسة فرنسا تجاه يهود الشرق) .

د- كسر الإجماع على وضع الذمي فى الدول الإسلامية (بسبب أفكار الحملة الفرنسية بالإخاء والمساواة والحرية) فسادت نظرة عدائية تجاه المسيحيين من قِبل المسلمين (جنود الحملة الفرنسية المسيحيين) وأيضا

من جانب المسيحيين (فى الامبراطورية العثمانية) تجاه اليهود (الذين ساوهم وتميزوا عليهم) .

* ويقول الباحث (يوسف الجميل) (151) :

كانت طائفة القرائيين اليهود فى أنحاء العالم صغيرة قياساً بالطائفة الربانية . والقرائيون أقاموا فى مصر عبر أجيال طويلة وكانوا ذوى خلفية حضارية مصرية واستخدموا العربية كلغة حديث وكتابة . أما طائفة الربانيين فقد جاء أعضاؤها من كل أنحاء العالم ولذلك تحدثوا وكتبوا بلغات مختلفة وفى القاهرة أقام اليهود فى باب زويلة (حارة اليهود) وكان القراءيون أكثر ثراءً من الربانيين كما كانوا مقربين من الوزراء والوزراء . وكل طائفة اختصت بمعابدها وأهم معابد القرائيين يقع فى الفسطاط (معبد ابن عَزْرَا) والذى أخذ منه الربانيون . ومعبد ابن شميك (معبد ابن تسومح) ومعبد الخازن ومعبد سمحاه ومعبد العباسية ومعبد المصاصة .

وفى بداية القرن العشرين الميلادي جرى فى مصر فحص شامل للمعابد غير الإسلامية ووفقاً لما ادعاه القضاة فقد عثر على اسم النبى محمد (ﷺ) مكتوباً على أرضية معبد الفسطاط (معبد ابن عَزْرَا) فى مكان وقوف المنشدين . واعترف عدد من اليهود بذلك وضربوا علناً وهم مقتادون فى شوارع المدينة وقدمت السلطات دعوى للمحكمة وحكم القاضى بضرورة هدم المعبد . وبعد عدة ضربات اكتفت السلطات بإغلاق المعبد وبعض المعابد الأخرى .

والجدير بالذكر أن (وثائق الجنيزة) الشهيرة وجدت بمعبد الفسطاط .

* ويقول الباحث (يعقوب دافيد حسون)⁽¹⁵²⁾ :

لقد ظلت الطائفة اليهودية بمصر عربية فى أساسها . فالمؤسسات التعليمية الطائفية اليهودية - حتى تلك التى درست بلغات أجنبية - استخدمت اللغة العربية كلغة دراسية وتعليمية على غرار المدارس المصرية الرسمية . وهذه الطائفة لم تعرف أبداً نمط (الجيتو) أو (الملة) الذى عرفه جيرانها فلم توجد لنفسها أى لغة يهودية ولا حتى موسيقى تنتمى لها بصورة منفردة (على عكس الطوائف الأخرى فى الدول الأخرى) .



الأنثروبولوجيا - الشنات - الاستاتيكية

لم يكن العرب من الأجلاف قبل الإسلام والحضارة التي أقامها العرب في أقل من مائة عام (بالإسلام) هي من أنضر الحضارات التي عرفها التاريخ وكان للعرب قبل الإسلام حضارة لم تكن دون حضارة الآشوريين والبابليين تقدماً . وتلك الحضارة التي أينما حلت ثبتت أصولها ولم يقدر فاتح على زعزعتها وهي من المناعة ما استطاعت أن تهيمن به على الأمم التي حاولت هدمها (كالمغول والترك) وتفقهرت أمام الإسلام في الهند ديانات قديمة وجعل الإسلام مصر العربية تامة العروبة .

إن مبدأ (العلة) المسيطرة على دراسة قضايا العلم يسيطر على دراسة حوادث التاريخ أيضا . فيستطيع صاحب ذكاء ثاقب أن يقرأ سير الأمور المقبلة من خلال الحوادث الحاضرة والأمم نتيجة ماضي طويل وليست نبت ساعة واحدة وهي محصول ما خضعت له من البيئات المختلفة التأثير ولذا يُفسّر حاضرها بماضيها .

ولم تعتبر بلاد الحِجْر ضمن أقسام الجزيرة العربية - حسب رأى الجغرافيين العرب - ولكنها تُعد كذلك من الناحية الإثنوغرافية . وتتألف بلاد الحِجْر من جزيرة سيناء الممتدة من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر . وجزيرة سيناء هي بلاد الآدوميين والمديانيين والعمالة والأنباط الذين ذكروا في كتب العبريين كثيراً . وفيها تاه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر (أربعين عاماً) وعلى جبل الطور - في وسطها - كلم موسى (عليه السلام) ربه وتلقى منه الشريعة (التوراة) ، وفيها كهف جبل حوريب الذي توارى فيه إيليا خوفاً من غضب الملكة إيزابيل .

و (العرق) أو النوع البشرى - كما يقول د. جوستاف لوبون⁽¹⁵³⁾ - يدل على جماعات ذات أخلاق مشتركة تنتقل إليها بالوراثة انتقالاً منظماً . ويرى الذين لم يدرسوا علم أوصاف الإنسان أن (الأمة) و (العرق) كلمتان مترادفتان تقريباً مع أن لهما معاني مختلفة تماماً .

فـ(الأمة) هى جماعة من الناس ينتسبون فى الغالب إلى عروق كثيرة جمع بينها نظام حكم واحد ومصالح واحدة (مثل الأمة الإنجليزية و الألمانية) ولا يجوز أن نطلق عليها كلمة عرق فنقول العرق الإنجليزي أو العرق الألماني . و (العرق) يلزم استقرار أخلاق واحدة وصفات جثمانية واحدة بفعل البيئة والتوالد والوراثة . ويتطلب كسب هذه الأخلاق زمناً طويلاً جداً . والصفات الموروثة إذا كانت لا تستقر إلا ببطء فإنها لا تزول أيضاً إلا ببطء . وبأقصى البطء تندمج العروق وتتحول - خلال قرون طويلة - إلى أمة .

وقد دلت حوادث التاريخ على أن العرق إذا ما استقرت أخلاقه وسجاياه بالوراثة وبلغ غاية الكبر عجزت البيئة عن التأثير فيه وصار أهون عليه أن ينقرض من أن يتحول . من أجل ذلك نرى بنى إسرائيل يحافظون على مثالهم الثابت في كل قطر . ومن أجل ذلك أيضاً تعذر على بلاد مصر الحارة مع ماضيها من قوة صهر أن تحول العروق المسنة التى استولت عليها واحداً بعد الآخر فكانت قبراً لكل واحد فيها . وإنما تؤثر البيئات فى العروق الحديثة . وصفات أمة مقهورة صغيرة تزول بالتوالد أمام صفات أمة منتصرة كبيرة .

ولا تصلح اللغة والدين والجماعات السياسية والصفات التشريحية (شكل الجمجمة - ولون الجلد والسحنات) لتقسيم العروق وإظهار الفروق الدقيقة بين الأمم المتقاربة (كالأمم الأوروبية مثلا) وإن صلحت الأوصاف التشريحية لتقسيم الأجناس البشرية الظاهرة الاختلاف البادية التباين. بيد أنه توجد صفات نفسية (سجايا خلقية) ثابتة ثبات الصفات التشريحية. وتأتى الصفات النفسية المتشابهة بنتائج متشابهة دائما كما تأتى الصفات التشريحية بنفس النتيجة.

وتختلف الأخلاق باختلاف العروق (يفسر ذلك علة الفوضى السائدة لجمهوريات أمريكا اللاتينية الجنوبية وما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من السعادة والرخاء رغم تماثل نظم هذه البلاد وتلك).

ودراسة النظم السياسية (التي هي معلولات لا علل) هي التي ترشدنا إلى سر الدور الذي تمثله الأمم في التاريخ حيث تتأثر الأمم - بعمق - بمختلف العناصر التي تدخل في تركيبها (الفرنسيون يتألفون من عناصر مختلفة مثل الكمريين والنورمان والسلت والأكيثان والرومان وغيرهم).

ويُعد العرب واليهود والفينيقيون والعبريون والسوريون والبابليون والآشوريون الذين استوطنوا جزيرة العرب وآسيا الصغرى حتى الفرات من أصل واحد يطلق عليه (الأرومة السامية). وتقوم قرابة هذه الأمم على تجانس لغاتها واشتراكها في صفات جثمانية متماثلة وهذه القرابة السامية التي لا نجزم بها نراها ترجع - على فرض وجودها - إلى ما قبل التاريخ. وظهور أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ ليس إلا ثمرة ماضٍ طويل ولا يعنى جهلنا لهذا الماضي عدم وجوده وتعد العرب أقدم من العبريين بكثير.

ويقول (د. جمال حمدان) (154) :

أول ما نسمع عن اليهود فى التاريخ مع (إبراهيم) (عليه السلام) أبى الأنبياء الذى ظهر مع قومه فى القرن الثامن عشر ق.م كجماعة من الرحل على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق الذى كان يؤلف دولة الكلدانيين فى (أور) .

ومن قبل كان إبراهيم (عليه السلام) وقومه قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التى نشأوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة التى تأصلت فى ذلك (الخزان البشرى) الشهير الذى لم يتوقف عن أن يقذف كإقليم طرد و كصحراء فقيرة ولكنها ولود يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة . ففي حوالى عام 1800 ق.م هاجر إبراهيم (عليه السلام) وقومه فى دورة عكس عقارب الساعة شمالا بغرب ثم جنوبا على طول حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى (حوران) ثم إلى فلسطين . وهناك يولد له إسحاق وإسحاق يولد له يعقوب المكنى بإسرائيل ومن أبناء يعقوب الاثنى عشر الشهيرة (الأسباط) ستأصل القبائل الاثنا عشر المعروفة فى التاريخ والتوراة . وإن كانت هجرة إبراهيم (عليه السلام) إلى فلسطين أولى هجرات القبائل العبرية فإنها لم تكن الأخيرة (الهجرة الثانية مثلا كانت فى القرن 14 ق.م) . وعندما دخل العبريون أرض كنعان فلسطين وجدوها مسكونة بالكنعانيين (فى التوراة هم أبناء كنعان بن حام بن نوح) وهم أول من سكن فلسطين وفى الدراسات السامية القديمة أنهم - الكنعانيين - قبيلة سامية من الساميين الشماليين الذى جاعوا من الجزيرة العربية منذ 2500 ق.م (وفى رواية أخرى 3500 ق.م) واستقروا فى فلسطين وأقاموا بها حضارة راقية . ورحل جزء منهم إلى الساحل اللبناني حيث

عرفوا بالفينيقيين. وفي أرض كنعان (الأرض المنخفضة) كانت توجد قبائل سامية أخرى صغيرة مثل الأدوميين والعمونيين والمؤابيين خاصة حول جنوب البحر الميت وكذلك العموريين (الأموريين) بعيداً إلى الشمال (أولاد أناك Anak في التوراة) أما في سوريا فقد استقر آراميون كموجة سامية منذ القرن 14 ق.م (في تاريخ يتعاصر مع الموجة الثانية للعبريين) أما الفلسطينيون (الفلسط) فهم الأحدث عهداً من العبرانيين في المنطقة (ساحل البحر) وأصلهم من شعوب البحر sea people (يرجع أصلهم من جزيرة كريت) 1200 ق.م (أيام حرب طروادة) . وأغلب تاريخ اليهود في تلك المرحلة تاريخ دموي لا أخلاقي يدور حول الحرب والغزو فحاربوا الكنعانيين ليستقروا بأرض كنعان وهزموا من أقوى أعدائهم الفلسط (الفلسطينيين) حتى إذا كان منتصف القرن 17 ق.م (أى بعد 150 عام من هجرة إبراهيم (عليه السلام) هاجر يعقوب (عليه السلام) وأولاده إلى مصر بسبب القحط المشهور واستقروا بأرض جاشان (جوشن) land of Goshen بوادي الطيملات بمحافظة الشرقية نحو 350 سنة إلى أن خرج بهم منها موسى (عليه السلام) وهو من الجيل السابع بعد إبراهيم (عليه السلام) حوالي 1300 ق.م هرباً من اضطهاد فرعون مصر لنهاونهم في خيانة واضحة مع الهكسوس غزاة مصر . وفي حوالي عام 1000 ق.م . وُحد داود (عليه السلام) الأسباط من (دان) في الشمال إلى (بير سبع) في الجنوب (أرض إسرائيل) Israel Erets واتخذت ييوس (أورشليم) عاصمة لها . ولم تلبث أن انشطرت المملكة بعد ابنه وخليفته سليمان (عليه السلام) صاحب الهيكل إلى مملكتين :

1- مملكة يهوذا (جنوبا) فى هضبة يهودية وتضم قبيلتى يهوذا وبنيامين .

2- مملكة إسرائيل (شمالا) فى السامرة . وتضم القبائل العشر الباقية (باقى الأسباط) ، وأصبحتا الدولتان متعاديّتان متحاربتان ووقعتا فى سياسة المضاربة بين مصر والعراق أو الخضوع لهما . فتعرضت المملكة الجنوبية (يهوذا) لطرق مصر مرتين الأولى على يد (شيشنق) والثانية على يد (نخاو) . إلى أن جاء الدور على المملكة الشمالية (السامرة) حين قضى عليها نهائيا (سرجون) الآشورى عام 721 ق.م ثم قضى (نبوخذ نصر) البابلى على المملكة الجنوبية عام 586 ق.م حيث دمر أورشليم والهيكل وبذلك زالت دولة اليهود فى فلسطين بعد حياة طولها أربعة قرون فقط بينما إقامة اليهود المتصلة فى فلسطين لم تزد على ستة قرون (من 1200 ق.م - 586 ق.م) .

وعن موضوع (الشتات اليهودي) يقول د. جمال حمدان⁽¹⁵⁵⁾ أنه كان على أربعة مراحل :

(1) الشتات البابلى :

وفيه نقل (سرجون الثانى) الكثير من إسرائيلى (السامرة) من أبناء القبائل العشر إلى بابل وأسكن مكانهم بعض أسراه من البلاد المفتوحة الأخرى. ثم جاء (نبوخذ نصر) الذى نقل أغلب اليهود أسرى إلى بابل (يقال ثلاثة أرباع مليون نسمة) . وبعد هزيمة بابل على يد ملك الفرس كسرى (قورش) عام 538 ق.م احتلوها واحتلوا ممتلكاتها فى فلسطين وسمحوا لليهود بالعودة إلى أورشليم (بعد نصف قرن من السبى البابلى) غير أن قلة ضئيلة هى التى عادت (تقدر بنحو 50 ألفا) والأغلبية المطلقة بقيت فى العراق حيث كونوا مستعمرات مهمة نمت حتى

بلغت في عهد المسيح (الْعَلَيْهِ السَّلَامُ) مليوناً من البشر . وقد امتد انتشار اليهود في العراق شمالاً إلى كردستان غير أن يهود العراق مع كل سكانه تعرضوا للإبادة مع الطوفان المغولي (فوصل عددهم إلى بضعة آلاف) وكان يهود العراق هم نواة الشتات شرقاً . فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة في عهد (كِسْرَى) ولكن هجرتهم الكبرى كانت في القرن الثاني عشر الميلادي . وبالمثل كان يهود هيرات في أفغانستان ويهود بخارى وسمرقند في التركستان شطية من نواة فارس . ويقال أن يهود القوقاز (في القرن الخامس الميلادي) أتوا من فارس ونواتها القديمة . وانتشروا بعد ذلك في الشرق الأقصى (الهند والصين) . وفي الحجاز كانت المدينة (يثرب) وخيبر من معاقل اليهود . غير أن الأرجح أن يهود الجزيرة العربية كانوا في معظمهم عرباً محليين متحولين وليسوا من يهود فلسطين الوافدين . أما في اليمن فقد تحولت أعداداً كبيرة من سكان العصر السبئي (نسبة إلى مملكة سبأ) إلى اليهودية وكان أحد ملوك سبأ يهودياً (في القرن السادس الميلادي) ويدعى (ذو النواس) . كذلك كان المهاجرون الحضارمة الذين عمروا الحبشة وأسسوا الامبراطورية الحبشية يهوداً أصلاً ثم تحولوا مبكراً إلى القبطية غير أن ظهور الإسلام صفى الوجود اليهودي واليهودية تماماً في الجزيرة العربية نفسها فيما عدا اليمن . وهناك من يرى أن اليهود دخلوا شمال أفريقيا مع الفينيقيين .

(2) الشتات الهليني :

بعد قرنين من السيادة الفارسية بدأت فتوح الاسكندر الأكبر واستمرت مع السلوقيين والبطالمة ثم البيزنطيين . والاتجاه العام في هذا الشتات نحو الغرب .

وكان هناك مركزان لتركيز اليهود : البلقان وسواحل البحر الأسود الشمالية . وكل يسبق العصر المسيحي بوقت طويل . وقد ذهب كثير من اليهود مع الإغريق بعد الاسكندر الأكبر إلى القِرْم بسواحل البحر الأسود . وقد أفلت هؤلاء اليهود من طرقات وموجات القوط والهون والتتار التي اجتاحت جنوب روسيا. غير أن التتار قد لعب دوراً مهماً فى التاريخ اليهودى حيث قامت منهم دولة فى القرن السابع الميلادى (دولة الخَزَر التترية) التي تحولت بالجملة إلى اليهودية أيام شارلمان .

وقد كان للخزر مركزان أحدهما على سواحل بحر الخزر (بحر قزوين) عند مصب نهر الفولجا والثاني فى القِرْم . وقد أُلغى المركز القزوينى فى القرن العاشر الميلادى وظل مركز القِرْم حتى القرن الحادى عشر إلى أن تحطم على يد دولة كييف السلافية الجديدة التى تمثل طلائع الدولة الروسية الحديثة .

(3) الشتات الرومانى والوسيط :

وذلك فى حركة مع عقارب الساعة إلى الغرب بدأ مع الثورة المكابية واكتمل مع الفتح الرومانى لفلسطين (بداية العصر المسيحي) . فلقد تواترت ثورات اليهود (أقلية فى فلسطين) على الحكم الرومانى الذى رد بتخريب أورشليم والهيكل وبإبادة اليهود فى مذبحه عام 70م (تيتوس) والتي صفت أغلبهم محلياً وفر منها أقلهم إلى مصر وسوريا غير أن بقايا اليهود عادوا إلى الثورة فى عام 135 م . حيث قوبلوا بمذبحة نهائية (هادريان) أو هدرانوس ختمت إلى الأبد على مصير اليهود فى فلسطين كدولة وقومية .

وقد حرّم الرومان على اليهود دخول القدس نهائياً وطردوهم من فلسطين (الخروج الأخير) وتحولت الشرائع القليلة جداً إلى المسيحية ولم يزد عدد اليهود في فلسطين كلها على عشرة آلاف نسمة .

وبعد تلك السلسلة من المجازر والتشريد والطرْد تحول اليهود من الشراسة والعنف فجأة إلى الاستضعاف والخنوع وحقق اليهود أغراضهم بالوسائل الناعمة والملتوية وبالتزلف والمكر والخديعة . ويرجع (هنتجون) هذا التحول في الشخصية الجماعية إلى عملية الانتخاب التي فرضتها تلك المجازر حيث بادت العناصر المناضلة والمقاومة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنة والخبث وهى طباع استمرت حتى اليوم . ومنذ القرن الثالث الميلادي وصل اليهود إلى الراين حيث تحولت فرانكونيا (عاصمتها فرانكفورت) إلى قاعدة رئيسية ونواة لهم وأصبحت فرانكفورت عاصمة يهود الشتات الجديد واستمرت تلك العلاقة التاريخية الوثيقة بين اليهود وفرانكفورت عبر القرون إلى يومنا هذا . وفى العصور الوسطى التى أتت بالحروب الصليبية اشتعلت نار الاضطهاد الديني ضد اليهود فى جميع أنحاء أوروبا مثلما أثير ضد العرب وخارجها وهناك بدأت عمليات الطرد بالجملة والإبادة التى أدت فى النهاية إلى تغيير جذرى فى توزيع اليهود فى أوروبا وبدأت ثنائية الأشكناز والسفارديم (Ashkenasim - sephardim) وهما كلمتان قديمتان فى التوراة استعارتهما التقاليد اليهودية فى العصور الوسطى لتمييز بين يهود ألمانيا (أشكناز) ويهود أسبانيا (سفارديم) اعتقاداً منهم بأن يهود ألمانيا ينحدرون من نسل قبيلة (يهودا) ويهودا أسبانيا من نسل قبيلة (بنيامين) والسفارديم يعدون أنفسهم (أرستقراطية) اليهود على الأساس الديني غير أن الأشكناز يؤلفون الأغلبية العددية (80% - 90%) والطبقة المسيطرة (المتفوقة حضارياً) .

وتمثل آثار لقاء يهود الأشكناز (الألمان) ويهود الخزر (القزوين والقرم) الذين ينقسمون إلى يهود قرائين ويهود القرمشاك الربانيين Krimshaks كما تمثل في يهود ليتوانيا القرائين . وأصبح هذا اللقاء تراكما عدديا وتكتيلا لليهودية نتج عنه أكبر تجمع لليهود في العالم حتى اليوم وتحول كذلك إلى عملية خلط ومزج وصهر يسود فيها يهود الأشكناز عدديا وحضاريا . وأصبح أهم أسنة اليهود (التي لا حصر لها) هى الـيديشية Yiddish المستمدة من اللهجة الألمانية العليا التي حملها معهم يهود الغرب (وكلمة يديش تحريف لكلمة يهودي بالألمانية) .

أما السفارديم (الأسبان) فتبدأ قصتهم مع طرد اليهود والعرب من أسبانيا بعد سقوط دولة العرب فى الأندلس . (حروب الاسترداد Reconquista) 1492 م . وكانت لغتهم الأسبانية المحرفة المعروفة باسم اللادينو Ladino وظلوا حتى اليوم يلبسون لباساً خاصاً ويبدون خصائص حضارية وثقافية تذكرهم بقوة بفترة إقامتهم الأسبانية .

(4) الشتات الحديث :

وهى قصة اليهودي التائه المتحول من أول الشتات (قبل الميلاد) إلى آخر الشتات فى مطلع العصور الحديثة (القرن 19 ، 20 الميلاديين) . وينقسم هذا الشتات إلى ثلاث مراحل :

أ- الانتشار الأول والأهم :

وهو الذى بدأ مع فتح باب الهجرة إلى أمريكا على ثلاث مراحل :

1- العصر الاستعماري (القرن 16-17م) ومصدره أسبانيا والبرتغال وقوامه السفارديم . وكان محدود القوة عدديا .

2- - عصر الثورات والاضطرابات السياسية التاريخية فى القارة الأوروبية وحمل إلى الولايات المتحدة نحو 230 ألف يهودي (ثورتي 1830 ، 1848م) .

3- مرحلة ما بين عامى 1881 ، 1914 م ، وكان قطبها المركزي فى الإرسال روسيا القيصرية بالإضافة إلى النمسا والمجر ورومانيا . وهذا التجمع (فى الولايات المتحدة وكندا) هو الذى أصبح اليوم أكبر تجمع لليهود فى العالم . وانطلقت بعض الهجرات المحدودة إلى أمريكا الجنوبية (البرازيل والأرجنتين) وفى الشرق الأقصى السوفيتي أقيمت جمهورية بيرو بيدجان Birobidjan اليهودية فى حوض نهر الآمور .

ب- الانتشار الثانى (فترة النازية) :

أدى ذلك إلى خروج وهروب اليهود من الرايخ الألماني وأوروبا الوسطى إلى الولايات المتحدة وفلسطين .

ج-الدورة الصهيونية :

وهى الدورة التى قامت بعملية إسقاط على العرب لكل تجارب يهود الشتات من إبادة وطرد وخروج (ابتداء من الأسر البابلي حتى الفترة النازية) واغتصاب فلسطين ، وتسميه الصهيونية - افتراءً - بحرب الاستقلال والعودة إلى أرض الميعاد وزعم الصهاينة أن تلك العملية ليست إلا عملية (تبادل سكان) ويعتقد د. جمال حمدان أن هذه المرحلة لن تكون إلا مرحلة فى رحلة الشتات التاريخية مجرد جملة اعتراضية فى تاريخ فلسطين وقريب هو لا شك الخروج الجديد⁽¹⁵⁶⁾.

وبخلاف طائفتي الأشكناز والسفارديم توجد طائفة ثالثة من اليهود تسمى (اليهود الشرقيين) Oriental Jews وهؤلاء استمدت أصولها القديمة من فلسطين رأساً أو من مراكز يهودية ثانوية وهم الأدنى مرتبة فى الهيراركية اليهودية وإليهم تنتمى مستعمراتهم فى شمال أفريقيا والعراق واليمن والقوقاز وإيران والتركستان الروسية والهند والصين.

والتحول إلى اليهودية (من المسيحية أو الوثنية) يأخذ شكلين رئيسيين :

(1) التحول الفردي : المستمر في كل مكان وزمان بالتزواج العلني والسري والعلاقات الجنسية غير المشروعة.

(2) التحول بالجملة : وأهمها حالة الخزر والفلاشة (يهود أثيوبيا) واليهود السود من التأميل واليهود القرائين فى طوزوس .

والنشاط التبشيري اليهودى لا يتوقف (بتحول الوثنيين إلى يهود) .

والصهيونية تتاجر فى الاضطهاد . بل إن الفكرة الجذرية فى خلق إسرائيل ليست فى النهاية إلا فكرة العزلة الاجتماعية (الجيتو Ghetto) بحذافيرها ولكن على مقياس مجمع كبير . فهى وعاء موحد لاستبقاء انعزالية اليهود على الجوييم (الغرباء) وتضادهم معهم . إنها - إسرائيل - الجيتو دولة أو هى دولة الجيتو . واليهود يتألفون - الآن - من دماء مختلطة كأشد ما يكون الاختلاط .

ويرى (ريلى) أن اليهود يأخذون أينما كانوا صفات السكان الذى هم مقيمون بينهم (شكل الرأس وهو الأساس الأنثروبولوجي الأول ثم لون البشرة) .

ويرى (لومبروزو Lombroso) أن اليهود جنسيا آريون أكثر منهم ساميون . أى أنهم أوريون تهودوا أكثر منهم يهود تأوريوا .

وفى دراسة حديثة قام بها الأنثروبولوجى البريطانى (جيمس فنتون) على يهود إسرائيل توصل فيها إلى أن 95 % من اليهود ليسوا من بنى إسرائيل التوراة وإنما هم أجانب متحولون أو مختلطون . ومعنى هذا أن الصلة الجنسية بين يهود اليوم ويهود التوراة مُنْبَتة وفاقدة تماما من الناحية العملية وأنهم بالفعل أورييون سلاف وآريون أكثر منهم ساميون .

وعلى هذا فلا يجوز أن نطلق على اضطهاد اليهود - اليوم - أنه ضد السامية (الاضطهاد النازي لليهود لم يكن فى جوهره إلا اضطهاد ألمان لألمان لا يقل معظمهم عنهم فى الآرية والنوردية وإنما يختلفون فقط فى الديانة وطريقة الحياة) . وأيضا تسقط ببساطة وتلقائية أى دعوى قرابة دم بين العرب واليهود .

ففيهود التوراة والعرب أبناء عمومة تاريخية فحسب أما الآن فقد ذاب النسل اليهودى فى الدماء الأخرى . ووجود اليهود فى فلسطين اليوم هو وجود غرباء فى منفى ودخلاء بلا جذور ولا علاقة لهم جنسيا أو أنثروبولوجيا بفلسطين . وبالتالي يسقط أى ادعاء أساسى للصهيونية فى أرض الميعاد فاليهود الآن ليسوا قومية ولا هم شعب أو أمة بل مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس .

ولا وجه للمقارنة بين ما حدث للسود والأفارقة (المرحلون عنوة كعبيد إلى الأرض الجديدة فى أمريكا) وبين اليهود فى فلسطين . فإذا كان زنوج أمريكا هم فعلا وحقاً من سلالة أفريقيا فإن الأغلبية الساحقة من اليهود اليوم

ليسوا من بنى إسرائيل وسلالة فلسطين فى شىء . وإذا كان (نظريا) هناك حقاً تاريخيا وجنسيا لعودة زنوج أمريكا إلى أفريقيا فليس لليهود مثل ذلك الحق بتاتا بالنسبة لفلسطين .

ويقول (د. عبد الوهاب المسيرى) (157) :

أنه إذا كان (بلفور) قد حل المسألة اليهودية فى إنجلترا بالتخلص من اليهود عن طريق إرسالهم إلى فلسطين فإن الحل لم يكن متاحاً (لهتلر) لعدم وجود مستعمرات لدى ألمانيا النازية ولهذا تخلص من أغلبهم بإبادتهم . أى أن الدول الغربية خلقت صهيونية بنىوية (أى بنية قانونية) وظروفا موضوعية تفرض على اليهود الهجرة إلى فلسطين شاعوا أم أبوا . وعلى الرغم من تباكى الدول الغربية على مصير اليهود فإن معظمها أوصدت أبوابها دونهم ورغم هذا فإن الدولة الصهيونية آخذة فى النضوب لأن أعضاء أكبر جماعة يهودية فى العالم (فى الولايات المتحدة الأمريكية) لا يهاجرون إلى فلسطين ويهود العالم الغربى إن هاجروا يتجهون إلى الولايات المتحدة ويتبع يهود أمريكا اللاتينية وغيرهم نفس النمط وقد تم تصفية يهود العالم الشرقى والإسلامى فلم يبق سوى أفراد قلائل . وتساهم معدلات الاندماج والزواج المختلط وكذلك عزوف اليهود عن الإنجاب فى تناقص العدد الكلى لليهود . ولم يبق سوى الاحتياطي البشرى الوحيد فى الاتحاد السوفيتى ولكنهم يفضلون - عند الهجرة - الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية (أغلقت الولايات المتحدة الأمريكية أبوابها فى وجه المهاجرين اليهود السوفيت حتى يتدفقوا صاغرين إلى إسرائيل) .

وللمزيد من الخوض فى المسألة اليهودية يأخذنا البولونى (إبرهام ليون) (158) فى دراسة علمية لتلك المسألة، ويقول (عماد نويهض) مترجم الكتاب:

إن علينا ألا ننطلق من الدين لتفسير اليهودي بل على العكس علينا أن نفسير المحافظة على الدين أو القومية اليهودية انطلاقاً من (اليهودي الواقعي) أى من دور اليهود الاقتصادي والاجتماعي .

ومنذ قيام دولة إسرائيل عام 1948 م بدأت مرحلة تاريخية تميزت بـ :

1- قيام مخفر أمامي لحراسة مصالح الاستعمار فى المشرق العربي حيث أن الاستراتيجية الأمريكية تعتبر دولة إسرائيل عملياً بديلاً من التدخل المباشر لقواتها العسكرية .

2- تحويل الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني إلى شعب من اللاجئين .

3- قيام أنظمة متقدمة بقيادة البرجوازية الصغيرة .

ومنهج (إ. ليون) فى دراسته هو - حسب ماركس - أنه يجب ألا نبحث عن سر اليهودى فى دينه بل فلنبحث عن سر اليهودي الواقعي . والحقيقة فإنه ليس فى الاستمرارية اليهودية أية معجزة حيث يقول (ماركس) :

*لم تستمر اليهودية بالرغم من التاريخ بل سارت معه .

*التناقض بين دولة ودين معين - اليهودية مثلاً - نعطيه تعبيراً إنسانياً حين نجعل منه تناقضاً بين الدولة وبين عناصر علمانية معينة .

ويقول (جوفينال Juvenal) (159) :

أن اليهود لم يولدوا إلا لخلق المتاعب لسائر الشعوب .

وأطلق (سينيك Seneque⁽¹⁶⁰⁾) على اليهود لقب العنصر المجرم .

ويقول (كنتيليان Quintilien) ⁽¹⁶¹⁾ أن اليهود شؤم على غيرهم من البشر.

ويشكل اليهود فى التاريخ مجموعة اجتماعية لها دور اقتصادي محدد .
أنهم طبقة أو بالأصح شعب - طبقة .

ويقول (كاوتسكى) ⁽¹⁶²⁾:

يمكن لطبقات مختلفة أن تكسب طابعا عنصريا معينا .

وتختلف الرأسمالية اليهودية عن الرأسمالية بمعناها العلمي حيث أن الأولى لا تنطوى على أسلوب إنتاجي معين بل كان ذلك من الاستغلال الإقطاعي حيث كان الأسياد مجبرين على التخلي عن جزء من فائض هذه القيمة لليهود .

وهناك أربعة مراحل رئيسية فى التاريخ اليهودى الحديث ⁽¹⁶³⁾ :

(1) مرحلة ما قبل الرأسمالية :

وقد اتسمت بالثراء الفاحش لليهود (التجارة والربا) .

(2) مرحلة الرأسمالية فى العصور الوسطى :

وتبدأ من القرن الحادي عشر الميلادي حيث دخلت أوروبا الغربية مرحلة التطور الاقتصادي الكثيف ثم غزو الاقتصاد البضاعي (السلعى) للميدان الزراعي وطرد اليهود من التجارة وتحويلهم إلى مربيين (ألمانيا وإيطاليا) أما فى أوروبا الشرقية فقد كان اليهودى تاجراً ووسيطاً .

(3) مرحلة الرأسمالية المانيفاتورية والصناعية :

وقد بدأت الرأسمالية الحديثة فى عصر النهضة حيث شارك اليهود فى تطورها ومنذ بداية القرن التاسع عشر بحث اليهود عن اتجاهات جديدة للهجرة (إلى روسيا وألمانيا ثم نحو أمريكا) ولعبوا دوراً تجارياً وصناعياً مهماً مما أدى إلى ولادة (البروليتارى اليهودي) وبدأ عندئذ التمايز الاجتماعي لليهود .

(4) مرحلة انحطاط الرأسمالية :

زادت أزمة النظام الرأسمالي فى القرن العشرين من تفاقم وضع اليهود ونمت لاسامية عنيفة عند الطبقات الوسطى وسحق اليهود بين نظامين الإقطاعي والرأسمالي الذى حاول كل منهما تصفية الآخر .

ويقول (هنرى بيرين H.Pirenne)⁽¹⁶⁴⁾ :

إن اليهود يشكلون الطبقة الوحيدة التى تستمد وجودها من التجارة وأن الاقتصاد الطبيعي بحاجة دائمة لليهود (كمرايين وتجار) وانتهيار الاقتصاد يعرض وضع اليهود للخطر .

ويقول إلحاحام اليهودي (أليزر بن ناثان)⁽¹⁶⁵⁾:

إن التجارة وسيلة معيشتنا الرئيسية .

ويقول (ل. برنتانو⁽¹⁶⁶⁾) :

لا تفسر مؤهلات اليهود الغريزية للتجارة وضعهم الاقتصادي بل إن وضعهم الاقتصادي هو الذى يفسر مؤهلاتهم التجارية . وقد جلب الاحتكار الربوى

اليهود ثروات ضخمة مما دفع بعض المسيحيين للتهود من أجل الإسهام في الاحتكار اليهودي للقروض .

ويشكل اليهودي المرابي عنصر القرض (في العهد الإقطاعي) ويشكل اليهودي المصرفي عنصر القرض (في عهد الاقتصاد التبادلي) . وكلما يتطور الاقتصاد يحتل المصرفي مراكز أكثر صلابة بينما يفقد المرابي دوره ومركزه ومثلما حل الاقتصاد التبادلي محل تجارة ما قبل الرأسمالية في المدن كذلك أدى التغلغل الرأسمالي في الميدان الإقطاعي إلى طرد المرابي . ورافقت ثورات الفلاحين مجازر اليهود حيث ثار الفلاحون الذين يعيشون في بؤس وفقير مدقع ضد اليهود المرابيين .

وعن أحوال اليهود في أوروبا وأمريكا بعد عصر النهضة يقول (إ.ليون) (167) :

(1) اليهود في أوروبا الغربية (نظرية سومبارت) :

ترافق سقوط الاقتصاد المستند على إنتاج القيم الاستعمالية مع انهيار وظيفة اليهود الاقتصادية والاجتماعية وقد دفع اليهود النهضة الاقتصادية في البلدان والمدن التي استقروا فيها وأودوا إلى الانحطاط الاقتصادي بالبلدان والمدن التي هجروها فاليهود هم مؤسسوا الرأسمالية الحديثة حيث لا وجود للرأسمالية الحديثة أو الثقافة الحديثة دون تشتت اليهود في بلاد الشمال .

ويفند (إ. ليون) تلك النظرية قائلا : إنه من الخطأ اعتبار اليهود مؤسسي الرأسمالية الحديثة لأن دورهم الاقتصادي المميز قد توقف بالضبط حينما بدأت الرأسمالية الحديثة بالتكون .

(2) اليهود فى أوروبا الشرقية حتى القرن 19 م :

فى العهد الذى كان اليهود فيه يتعرضون للقتل والموت حرقاً فى أوروبا الغربية لجأ عدد كبير منهم إلى البلدان التي لم تتغلغل إليها الرأسمالية بعد . وبينما توصل النبلاء فى أوروبا الغربية إلى التخلص فى كل مكان من الربا اليهودي بفضل دخول الاقتصاد التبادلي والوفرة النقدية لم يتمكنوا من ذلك فى أوروبا الشرقية حيث يسيطر الاقتصاد الطبيعي وبقى المصرفي اليهودي قائماً . واهتزت أسس الايديولوجية اليهودية القديمة مع تأزم مركز اليهود وأدى البؤس والاضطهاد إلى نشوء أرض خصبة للتصوف (حلت القبائل محل التلمود وانتشرت الحركات المسيحية مثل حركة شابتي زيفي) . وفى نهاية القرن 18 م . طرحت على اليهود مسائل الهجرة والانتقال إلى مين أخرى لا علاقة لها بالإنتاج .

(3) تطور المسألة اليهودية فى القرن 19م وبداية القرن 20م:

هاجر اليهود بكثرة من المدن الصغيرة ليستقروا فى تجمعات المدن الكبيرة حيث ساهموا بقوة فى تطوير التجارة والصناعة الحرفية لوسائل الاستهلاك . ومع نمو قطاع وسائل الانتاج وانتشار الميكنة الزراعية والصناعية الخفيفة حدث انهيار فى الصناعة الحرفية اليهودية مما أجبر اليهود على الهجرة التى ازدادت فى نهاية القرن 19 م . وبداية القرن 20 م . وقد ترافق تدمير الوظيفة التقليدية لليهود فى المجتمع الإقطاعي مع دخولهم السلبي فى المجتمع الرأسمالي .

ويقول (هتلر) فى كتابه (كفاحى) (168) :

إنه من الضروري إظهار مختلف الأعداء تحت طابع موحد وإلا برز خطر ناجم عن تفكير الجماهير فى الفوارق الموجودة بين هؤلاء الأعداء . ولهذا السبب فإن العنصرية هى خرافة وليست عقيدة . إنها تتطلب الإيمان لكنها تخشى التفكير العقلي وتساهم اللاسامية على أفضل وجه فى دمج مختلف عناصر العرقية . وكما أنه يجب إذابة الطبقات المختلفة فى عرق واحد كذلك يجب أن يكون لهذا العرق عدواً واحداً هو اليهودية العالمية.

ففى المرحلة التي كان اليهودي فيها غير قابل للاستيعاب وممثلاً حقيقياً لرأس المال لم يكن باستطاعة المجتمع الاستغناء عنه وكان أمر تدميره غير وارد على الإطلاق . وكلما تلاشى شبح الرأسمالية اليهودية ظهرت الحقيقة الرأسمالية بكل بشاعتها وتبرز التناقضات الاجتماعية التى - سترتها لفترة قصيرة - غيوم النشوة العرقية فى حديثها التامة . وتبدو الخرافة على المدى الطويل عاجزة أمام الحقيقة .

ويقول (إ. ليون) (169) :

اليهودي هو حاصل الوظيفة التقليدية أكثر مما هو نتيجة تميز عرقى. وما يسمى بالعرق اليهودي الآن فهو حاصل انتقاء اقتصادي واجتماعي طويل وليس حاصل انتقاء عرقى . وتغير الظروف الاجتماعية لليهود تؤدى حتماً إلى زوال الخصائص الخاصة باليهودية .

إن (الصهيونية) قد ولدت على ضوء المجازر الروسية عام 1882 م وقضية (دريفوس) حيث تأسست جمعية (عشاق صهيون) بعد (رسملة) الاقتصاد الروسي السريعة (بعد إصلاح عام 1863 م) .

وقد كتب (ليوبينسكى) كتابه (التحرر الذاتى) (170) :

حيث يقترح فيه الرجوع إلى فلسطين كحل وحيد ممكن للمسألة اليهودية . وإثر ظهور هذا الكتاب شهد صحفي يهودي من بودابست (المجر) يدعى (تيودور هرتزل) المظاهرات المعادية للسامية التى أثارها فى باريس قضية دريفوس . فكتب (الدولة اليهودية) وهو الكتاب الذى ظل حتى الآن إنجيل الحركة الصهيونية .

وقد ظهرت الصهيونية منذ البدء كرد فعل من البرجوازية اليهودية الصغيرة التى لا تزال تشكل نواة اليهودية التى تلقت ضربات قاسية بتصاعد موجة اللاسامية مما أجبرها على التنقل من بلد لآخر والتى تحاول الآن الوصول إلى أرض الميعاد حيث تستطيع أن تجد ملجأ من العواصف التى تجتاح العالم الحديث وعليه فإن الصهيونية إذن حركة قومية حديثة . وهى التى تنظر إلى الماضي على ضوء الحاضر وتحاول خلق خرافة اليهودية الأبدية التى تعرضت دائماً للاضطهادات نفسها . وترى الصهيونية سقوط القدس سبباً للتشتت وبالتالي مصدراً لجميع آلام اليهود فى الماضي والحاضر والمستقبل . وقد كان أملهم الوحيد خلال الأيام المظلمة التى دامت ألفي سنة هو الرجوع إلى أرض الميعاد .

ويقول (زيتلوفسكى) (171) : (وهو ذو صهيونية مشروطة)

كان على الجماهير المؤمنة بأنه يتوجب عليها أن تتألم فى صمت و البقاء فى الشتات حتى يجىء المسيح الموعود . إن الايديولوجية الصهيونية - ككل الايديولوجيات - انعكاس مشوه لمصالح طبقة ما (أى ايديولوجية البرجوازية اليهودية الصغيرة) . والصهيونية هى ثمرة عصر

الامبريالية (الاستعمار) فانهطاط الرأسمالية الذي يشكل مرتكز تطور الصهيونية هو فى نفس الوقت سبب استحالة تحقيقها حيث أن الصهيونية تريد حل المسألة اليهودية دون القضاء على الرأسمالية (المصدر الرئيسي لآلام اليهود) . فالأسباب التى تحت على الهجرة تشكل فى نفس الوقت حائلاً دونها وما تلك الأسباب سوى نتيجة لانهايار الرأسمالية .

لقد حكم التاريخ على (اليهود) الشعب / الطبقة بالزوال . وهكذا برزت المسألة اليهودية . فالقضية اليهودية تكمن في انصهار اليهود فى المجتمع المعاصر وتصفيـة الميراث الذى خلقه الاقطاع للإنسانية.والرأسمالية لم تحكم بالإعدام على وظيفة اليهودي الاجتماعية فقط بل حكمت على اليهود أنفسهم . ولا يكتسب الحل المرتكز على قضية الأرض أى معنى إلا إذا أدى القضاء على اليهودية التقليدية أى إدخال اليهود في الاقتصاد الحديث واستيعابهم فى العملية الانتاجية أى يصبح اليهود عمالا وفلاحين ومتقنين ومنتجين . وإن مصير اليهودية يعكس بحدة بالغة وضع الإنسانية جمعاء .

فإن هبوط الرأسمالية يعنى بالنسبة لليهود العودة إلى العزلة (الجيتو) بينما اختفت مرتكزات الجيتو منذ أمد بعيد مع مرتكزات المجتمع الاقطاعي . والقضاء على الرأسمالية هو السبيل الوحيد لتمكين البشرية من الاستفادة من المنجزات الضخمة التى حققها العصر الصناعي .

ويرى (ليون) (172) :

أن الاشتراكية وحدها قادرة على تحقيق نهاية لعذاب اليهود بإمكانية الاندماج إلى جانب الحياة القومية الخاصة . ويرى أيضا أن حل المسألة

اليهودية لا يتحقق بأقل قدر من الآلام إلا بتحقيق ديمقراطية بروليتارية واسعة.

ولم يطالب (هرتزل)⁽¹⁷³⁾ بأن تكون القدس عاصمة للدولة اليهودية .
(بن جوريون)⁽¹⁷⁴⁾ لم يرد ذكر كلمة واحدة عن القدس أثناء زيارته الأولى لفلسطين عام 1906 م . ويشير (عاموس)⁽¹⁷⁵⁾ إلى أن العدد الأكبر من زعماء اليهود كانوا حتى عام 1947 م . على استعداد للتنازل عن القدس كلفة مقابل قيام الدولة اليهودية . وتعريف (هرتزل)⁽¹⁷⁶⁾ للأمة : ليس ثمة جذور لعناصر قومية يهودية واحدة وليس ثمة إطار سياسي واجتماعي استوعب عدة منابيت قومية ودمجها في سيرورة قومية أساسية .

ويعد (ناثان بيرونيانوم)⁽¹⁷⁷⁾ أول من صاغ اصطلاح (الصهيونية)
بمعناها السياسي الحديث . وكان أحد القادة الصهاينة ولكنه استقال من المنظمة الصهيونية العالمية لإدراكه الخطر الكامن في الرفض الصهيوني ليهود الشتات . ولذا أصبح من دعاة قومية الشتات . وبعد الحرب العالمية الأولى أعلن ارتداده عما وصفه بالإلحاد واعتق وجهة نظر أرثوذكسية واستمر بقية حياته من أكبر اليهود المناوئين للصهيونية .
ويقول (محمد خليفة حسن)⁽¹⁷⁸⁾ :

يختلف التاريخ اليهودي عن التاريخ الإنساني العام بأنه تاريخ طوائف وأقليات موزعة على بلدان العالم المختلفة وهذا يعنى أنه لا يوجد تاريخ يهودي عام (مستقل) بالمعنى التقليدي . ولا يوجد تاريخ سياسي عام حسب الفهم التاريخي المعروف . فتاريخ أى أمة يفهم سياسيا من خلال الدول التى أسسها هذا الشعب فى تاريخه القديم والوسيط والحديث . والتاريخ

اليهودي لا تنطبق عليه هذه القاعدة . وغياب الدولة في التاريخ اليهودي جعل هذا التاريخ تاريخا تابعا وليس تاريخا مستقلا . فالتبعية السياسية هي القاعدة في التاريخ اليهودي وليس العكس لذلك فعادة ما يُقسَّم التاريخ اليهودي حسب تواريخ الشعوب الأخرى فيقال التاريخ اليهودي في العصر الآشوري والبابلي والفارسي واليوناني والروماني والمسيحي والإسلامي . أو أن يُقسَّم نفسيا إقليميا حسب البلدان التي عاش فيها اليهود فيقال مثلا تاريخ اليهود في إنجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو يقال تاريخ يهود العراق أو اليمن أو فارس .

ولعل أنسب وصف (للتاريخ اليهودي) ⁽¹⁷⁹⁾ هو أنه تاريخ جماعة تابعة سياسيا لغيرها أو أنه تاريخ طائفة بالمعنى الديني (إذا أخذنا في الاعتبار أن الدين هو العامل الموحد للجماعات اليهودية في العالم) أو يمكن اعتباره تاريخ أقلية موزعة على بلدان العالم . والقول بأن اليهود يكونون شعبا واحداً زعم لا يستند إلى دليل تاريخي . وجمع بعض الشتات اليهودي في إسرائيل الحالية لم يؤد إلى خلق جماعة واحدة أو شعب واحد على الرغم من الشكل السياسي الذي اتخذته وهو شكل الدولة . ولا يجمع هذا الشتات في إسرائيل سوى الشعور بالخطر وتوقع الأزمات والمصير المشترك وهي مسائل شكلت حياة الدولة في إسرائيل حول الحرب كأساس للحياة . والعنف والعدوان كأساس للعلاقة مع الدول المحيطة وسياسة الأمن كمبدأ يأتي قبل السلام وعلى حساب الحياة الطبيعية . ويمكن وصف التاريخ اليهودي ببساطة بأنه تاريخ شتات .. وعليه فمن الصعب كتابة تاريخ يهودي شامل في أي مكان حتى فلسطين ذاتها .

ويستند المؤرخون اليهود في كتابة تاريخهم إلى ظاهرتي الشتات والاضطهاد . وفي العصور القديمة أقحم المؤرخون اليهود (فيما كتبوه في العهد القديم أو الأسفار التوراتية) الأفكار القومية والعنصرية على النصوص الأصلية للتوراة . أما في العصر الحديث فقد قامت الحركة الصهيونية كحركة قومية بإعادة تفسير النصوص التوراتية ونصوص العهد القديم بصياغات جديدة لتقنع الإنسان اليهودي بأهمية الصهيونية ومشروعيتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي السابق عليها .

وفي هذا الوضع يجد المؤرخ نفسه أمام مادة تاريخية مزيفة وغير حقيقية وأمام تفسيرات غير عملية وغير موضوعية .

إن التاريخ معمل الجغرافي وهو كذلك مخزن الاستراتيجي الذي لا ينضب . إن التاريخ ليس إلا جغرافيا متحركة بينما الجغرافيا تاريخ توقف⁽¹⁸⁰⁾ . والبعد التاريخي يُعد مدخلا هاما إلى أية دراسة علمية جادة وعميقة للواقع السياسي والاستراتيجي المعاصر .

وعلينا أن ننتبه إلى تداخل بعدين أو عنصرين لانفصام لهما في الواقع وهما :

- 1- الاستعمار كحركة توسع وتسلط .
- 2- صراع القوى الاستراتيجية كعملية بقاء أو تضخم .

وليس كل صراع بين القوى هو من أجل الاستعمار ولكن كل استعمار هم صراع من أجل القوة . بيد أنه يبقى في النهاية أن كلا منهما (صراع القوى والاستعمار) يؤثر في الآخر ويتأثر به إن لم يكونا في الحقيقة جانبيين لنفس الشيء . ولكي نفهم استراتيجية القوى العالمية لابد وأن نوغل إلى أبعد

أعماق التاريخ ولا نكتفي في تتبع أصول الاستعمار الحديث بالبداية بعصر
الكشف الجغرافية لأنه بالدور التاريخي الكامل وحده تبرز الشخصية
الاستراتيجية الكامنة لأي إقليم .

ويُعد الاستعمار قديماً قَدَمَ الإنسان . والتاريخ القديم يمكن النظر إليه
على أنه فصول متلاحقة أو متداخلة من الهجرات والغزوات ولكن مثل هذه
كانت أقرب إلى التحركات غير الهادفة - بل البدائية أو الغريزية - منها إلى
الحركات المقننة المخططة الواعية . وتلك الفترة سماها (والتر باجهوت) (181)
فترة تكوين الأجناس وليس فترة تكوين الأمم ومن ثم فهي أقرب إلى
الأنثروبولوجيا منها إلى السياسة . ومع تطور المجتمع والحضارة وزيادة
الارتباط الإيكولوجي (البيئي) عضويًا ومجتمعياً بين الجماعات والأقاليم
ومع اطراد نمو الدولة كشكل سياسي تأخذ الحركات البشرية بالتدرج اتجاهها
أوضح نحو الاستعمار (بمعنى سيطرة منظمة لجماعة على جماعة أخرى)
وأغلب أو أخطر الصراعات القديمة المحلية في مداها وحدودها الجغرافية
يخرج عن معادلة محددة هي (الصراع بين الرعاة والزراعة) أي بين الترحال
والاستقرار . وهو صراع أشباه أكثر منه صراع أضداد (صراع بين قوى
بر وبر) ومثال ذلك هجرات الرعاة وغزواتهم ابتداءً من الأراميين إلى
الكنعانيين والفلسطينيين والعبرانيين والفينيقيين .. الخ وتسمى تلك
الصراعات بصراعات أفقية بخلاف الصراعات الرأسية التي تنشأ عن
صراع بين السهل والجبل (أي بين رعاة الجبال المحاربين والسهول) ومثال
ذلك الذين هبطوا من جبال أرمينيا وكردستان إلى سهول الرافدين . التي هبط
عليها من قبل الكاسيون (في الشمال) والعيلاميون (في الجنوب) ومن
بعدهم الآشوريون . أما صراع الاستبس (نباتات الرعي) والغابة فهو أبعد
مدى ولم يكن استعماراً بقدر ما كان تخريباً (المغول والتتار والهكسوس)

ويكون على هيئة طوفان بشرى يستخدم الخيول والعربات أساساً حيث المطلوب فيه السرعة والمباغلة وضغط الهجوم وتلاحقه .

أما والصراع بين (قوى البر والبحر) أى بين الفلاحين والملاحين فهو من أجل الفوز بالموضع والموقع معاً مثل الاستعمار الإغريقي (اليوناني) والروماني .

و (الامبراطورية الإسلامية) لم تكن امبراطورية استعمارية بل امبراطورية تحريرية (182) . حررت كل البلاد التي فتحها من ربة الاستعمار الروماني والفارسي وكانت السلطة (دولة بين الجميع) وكانت أخوة الدين يقابلها أخوة الأقاليم وسواسية الناس وكانت شركة مساهمة بين كل أعضائها وأطرافها . وهى أول (كومنولث) فى التاريخ بالمعنى الحديث مع فارق هام جداً وهو أنها لم تمر بالمرحلة الاستعمارية المشينة التي مر بها كومنولث اليوم .

وتعتبر دولة العرب الإسلامية (من أطراف الصين وسنغافورة إلى أبواب فرنسا ومن سواحل بحر قزوين حتى وسط أفريقيا) هى فصل هام – أول فصل – فى جغرافية التحرير وأبعد شئ عن جغرافية الاستعمار . وهى قوة (بر وبحر) كانت أراضى الرافدين هى (رأس الحربة) فى آسيا ومصر (رأس الجسر) فى التوسع الأفريقي . ودور الشام (الأموى) كقوة بحر (معركة بين الصواري) أو ذات الصواري . كان بسبب الخبرة الملاحية منذ أيام الفينيقيين . وهذه التجربة التاريخية الفذة أثبتت أن المنطقة العربية ليست منطقة ضعف وأنها قادرة على أن تحقق سيادتها بل وتخضع القوى الضخمة الواقعة على ضلوعها لعدة قرون .

ولا جدال أن انهيار تلك الدولة - الإسلامية - العظمى كان له أسباب (183) :

1- داخلية : ضخامة الدولة وفراط تراميها في حد ذاته عامل ضعف وتفكك (وسائل الربط بين الأطراف هي الإبل والخيول) . تتأخر التركيب الجنسي وتعدد الأقليات والعناصر في نسيجها السياسي . ومن الناحية الجغرافية كانت دولة عديدة النوايا (جمع نواة) Poly nuclear فتعرضت لسلسلة متصلة من الحركات الانفصالية . وأهم تلك الأسباب ضعف القوة البشرية .

2- خارجية : تجمع القوى الغربية ضدها وفي الوقت نفسه تعرضت لهجمات القوى البرية من وسط آسيا لتتقوض عليها (التتار والمغول ..) والحروب الصليبية التي كانت في حقيقتها حروبا استعمارية سياسية واقتصادية (كانت تتغذى بمساعدة كبار تجار أوليجاركية البندقية وجنوة) وكانت تلك الحروب التي تتستر وراء الدين في ثمانين موجات خلال قرنين من الزمان (12، 13 الميلاديين) نجحت بسبب عدم وحدة الشام العربي وتمزقه . وكان تحرير الأرض المقدسة رهنا باتحاد قوة مصر البشرية مع قوة الشام (صلاح الدين ومعركة حطين الفاصلة) .

وقد ولد الاستعمار الحديث في جُزء الكشوف الجغرافية وليس في رحمتها . وبدأ عصر الامبراطوريات البحرية الكبرى واشتد تبعا لذلك الصراع بين قوى البر والبحر كما وكيفا . أبعاداً وعمقا . وحضاريا لا جدال أن الكشوف الجغرافية نتيجة من نتائج النهضة الأوروبية (التي هي نتيجة من نتائج الاحتكاك الحضاري بالعرب منذ الدولة الإسلامية) وسياسيا كان تمزق أوروبا (الإقطاع - الرق - ضغوط الفيكنج من الشمال والعثمانيون في

الشرق أغلق طرق التجارة التقليدية) بالإضافة إلى الرغبة الصليبية الكامنة في الانتقام من الإسلام بتطويقه والالتفاف حوله .

والعصر الصناعي (الانقلاب الصناعي) كان مرادفا للعصر الاستعماري وأصبح الصراع الجديد بين الصناع والرعاة (بدلا من الزراع والرعاة) .

وإذا كان الانقلاب التجاري هو الجد الأعلى للاستعمار الحديث فإن الانقلاب الصناعي هو أبوه المباشر⁽¹⁸⁴⁾ . وأصبحت الصناعة لا تخرج من حمى البحث عن الخامات والمواد الخام إلا لتدخل في حمى البحث عن الأسواق لتصرف ما قد أنتجت . وإذا كان استعمار الكشوف الجغرافية والعصر التجاري اندفاعا نحو الشرق (استعمار خطوط الطول الجغرافية) فإن استعمار الانقلاب الصناعي هو أساسا اندفاع نحو الجنوب (استعمار خطوط العرض الجغرافية) .

و (الاستعمار السكنى) قام على أشلاء وأنقاض السكان الأصليين في قارات المهجر (بالإبادة كما حدث للهنود الحمر في أمريكا) وأخذ صورة صراع أجناس . أى كان حركة عنصرية ضخمة انتهت بإبادة أجناس برمتها . ولما أباد الهنود الحمر في العالم الجديد (أمريكا وأستراليا) افتقد الأيدي العاملة التى يحتاج إليها فقام بنقل زنوج أفريقيا بالجملة . وبهذا فإن الاستعمار السكنى قد أعاد توزيع البشرية ديموغرافيا وأنتروبولوجيا على ظهر الأرض⁽¹⁸⁵⁾ .

وبعد شق قناة السويس أصبح العالم العربي هو عنق الزجاجة فى طريق الاستعمار إلى الشرق الأقصى وبوابة الامبراطورية - أى امبراطورية - وخط الحياة وشرائها للامبريالية . وفى تلك المرحلة أبدل الاستعمار الإبادة

بالاسترقاق (الرِّق) ثم أُبدل ذلك بالاستعمار السياسي (في الموجات الأولى)
ثم أُبدل ذلك بالاستعمار الاقتصادي (تم ذلك على مدى 90 عاما من 1830 -
1920م) .

وعن (الاستعمار الصهيوني) فى فلسطين يقول (د. جمال حمدان)⁽¹⁸⁶⁾ :

تتعاصر بدايات الحركة الصهيونية مع آخر موجة كبرى من موجات
الاستعمار الأوروبي الحديث وهى الموجة المدارية (أفريقيا المدارية) ولقد
تعلقت الصهيونية بأذيال تلك الموجة . والصهيونية من بدايتها حركة سياسية
(الصهيونية السياسية) ولكنها ارتدت قناع الدين منذ اللحظة الأولى
(الصهيونية العاطفية) لتخلق من رؤيا العودة إلى أرض الميعاد ايديولوجيا
تاريخية ودينية تجمع يهود الشتات حولها . ولذلك رفضت عدة اقتراحات
لوطن قومي فى غير فلسطين ولقد كان من المستحيل أن يتحقق ذلك الحلم
إلا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالمية (الامبريالية) . ومن هنا
التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاءً تاريخياً على طريق واحد هو
طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة . فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة
وحليفاً مضمونا أبداً يخدم مصالح الاستعمار وذلك ثمنا لخلقه إياه وضمانا
لبقاءه . وعلى طريق هذه المصلحة الاستعمارية المشتركة تحرك ارتباط
الصهيونية بالامبريالية بحسب تحرك مركز الثقل فى زعامة الامبريالية :
فكانت بريطانيا هى التى خلقت الوطن القومي منذ الحرب العالمية الأولى
(وعد بلفور فى عام 1917 م) بينما خلقت الولايات المتحدة الدولة اليهودية
منذ الحرب العالمية الثانية (قرار التقسيم فى 1947م ثم إعلان الدولة فى
1948 م) .

وفى إطار موضوعية العلم المطلقة يضيف (د. جمال حمدان) النتائج
والتشخيصات الآتية : (187)

(1) إسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرفة :

فهي دولة قامت على اغتصاب غزاة أجاناب لأرض لا علاقة لهم بها :
دينيا : لأن رؤيا العودة الخرافية والوعد الأسطوري المزعوم لا أساس لهما
أو سند من الدين وإلا لجازت نفس العودة لبقية الأديان . فضلا على أنه
ليس على أصحاب أى دين أى التزام بدعاوى دين آخر .
تاريخيا : لأن علاقة اليهود بفلسطين انقطعت تماما منذ أكثر من ألفي عام .
جنسيا : لأن هناك (يهودين) في التاريخ قدامى ومحدثين ليس بينهما أى
صلة أنثروبولوجية مذكورة (التحول إلى غير اليهودية والتحول إلى
اليهودية) فلم يعد اليهود اليوم من نسل بنى إسرائيل التوراة بأي نسبة ذات
بال . ولذا فالعودة ليست عودة أبناء قدامى وإنما هي عدوان وغزو
واغتصاب غرباء . ووجودها الدخيل مفروض على الوجود العربي وغير
قابل للامتصاص أبدا .

(2) إسرائيل استعمار طائفي بحت :

فالدولة تقوم على تجميع اليهود فقط في جيّو سياسي واحد ومن ثم فأساسها
التعصب الديني .

(3) إسرائيل استعمار عنصري مطلق :

فالدولة ليست ولا يمكن أن تكون قومية بأي مفهوم سياسي سليم (يعرف ذلك
أى عالم سياسي) واليهود جماع ومتحف حي لكل أخلاط الأجناس في العالم
(يدرك ذلك أى أنثروبولوجي) وبذا فالصهيونية حركة عنصرية أساسا

(تعصب واضطهاد واستعلاء ودموية) وعنصرية نازية (تعد نفسها الشعب المختار) على غرار (ألمانيا فوق الجميع) رغم أن العرب وحدهم من بين كل المجتمعات هم الذين لم يضطهدوا اليهود عبر التاريخ .

(4) إسرائيل قطعة من الاستعمار الأوروبي عبر البحار :

القيادة والسيطرة داخل الدولة للأشكناز رغم وجود طوائف أخرى من السفارديم واليهود الشرقيين .

(5) إسرائيل استعمار سكنى فى الدرجة الأولى :

تمائل الاستعمار السكسوني في الإبادة والطرْد للسكان الأصليين (الهنود الحمر) .

(6) إسرائيل تجسيم للاستعمار متعدد الأغراض :

فهي تُعد استعماراً سكنياً واستراتيجياً واقتصادياً ووجودها وبقاءها رهن بالقوة العسكرية (قاعدة وتكنة مسلحة) . وأمنها هو مشكلتها المحورية وحل ذلك أن أصبح جيشها هو سكانها - وسكانها هم جيشها (عسكرة إسرائيل).

(7) إسرائيل استعمار توسعي أساساً :

أطماعها الإقليمية معلنة بلامواربة (من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل Erets Israel) وهدفها أن تستوعب كل يهود العالم فى نهاية المطاف وذلك بتفريغ المنطقة من أصحابها (بالطرْد والإبادة)وهى تكرر نفس قصة النازية (ترى المنطقة العربية مجالا بلا شعب) وأصبحت حدود إسرائيل هى حدود جيشها وجيوشها هى حدودها .

(8) إسرائيل استعمار من الدرجة الأولى والثانية معا :

فهى استعمار بالأصالة عن نفسها وبالوكالة عن الغرب الامبريالي .
وهى تمثل فاصلا أرضيا يمزق اتصال المنطقة العربية ويمنع وحدتها ونزيفها
مزمنا للموارد العربية وأداة جاهزة لضرب حركات التحرير أى هي (دولة
مرتزقة) تعمل مأجورة فى خدمة الاستعمار العالمي بمثل ماهى صنعه
وصنيعته وربيبته . وإذا كانت بريطانيا بمثابة الأب البيولوجي لإسرائيل فإن
الولايات المتحدة الأمريكية هى الأب الاجتماعي والصهيونية العالمية - لذلك
- هى أعلى مراحل الامبريالية العالمية .



الهوامش

- 1 (إرنست جلنر : ص 169 : (سنة 1964)
- 2 (ديفيز : ص 4 (سنة 1987)
- 3 (جن : ص 67 (سنة 1987)
- 4 (فنكلشتين : ص 15 (سنة 1988)
- 5 (كينون : ص 233 (سنة 1979)
- 6 (اختلاق إسرائيل القديمة (إسكات التاريخ الفلسطيني) : كيث وايتلام .
- 7 (نفس المصدر السابق : ص 10
- 8 (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي (من النقوش والمصادر الأركيولوجية) :
(توماس . ل طومسون) . ترجمة صالح سوداح . دار بيسان . بيروت لبنان
سنة 1995 والطبعة الأصلية هولندا سنة 1992
Early History of the Israelite people from the written and Archaeological sources
- 9 (أسفار العهد القديم فى التاريخ (اختلاق الماضى) :
(توماس ل. طومسون) . لندن سنة 1999 (جوناثان كاب) . ترجمة عبد
الوهاب علوب . المجلس الأعلى للثقافة - مصر سنة 2000 م
the Bible in the Histroy . How writers create a past .
- 10 (سفر التثنية : 26 : 5
- 11 (تابوت العهد : هو الصندوق الذى صنعه (موسى) حسب رواية التوراة .
وكان يحتوى على الوصايا العشر والعصا والمن .
- 12 (موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) ج5 ص 357.
- 13 (نفس المصدر السابق ج5 ص 357 & سفر التكوين : 10 : 21
- 14 (نفس المصدر السابق : ج5 ص 358.
- 15 (نفس المصدر السابق : ج4 ص 155

16 (نفس المصدر السابق : جـ 4 ص (ز) . وكلمة (هكسوس) تتكون من كلمتين (هك) بمعنى ملك و (سوس) بمعنى الرعاة .

17 (نفس المصدر السابق : جـ 4 صفحة (ح) .

18 (نفس المصدر السابق : جـ 4 ص 57 ، 86 ، 92 ، 94 .

19 (نفس المصدر السابق : جـ 4 ص 127 ، 128 . وكان ملك الهكسوس قد

ادعى وهو فى (أواريس) بشمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التى تعيش فى بحيرة طيبة (الأقصر) تزعجه وتقض مضجعه لقوتها (على الرغم من أن المسافة بين طيبة وأواريس تزيد على خمسمائة ميل) . وأنه لذلك يأمر ملك طيبة (تاعا الثانى) بأن يبيد أفراس البحر الذى يسكن تلك البحيرة إن أراد أن يَبقى على إرضاء الملك . ولكن الملك (تاعا الثانى) اتخذ هذا التحرش ذريعة وفرصة للمقاومة وتأليب الشعب على الهكسوس وتوحيدهم ضدهم ثم مخاربتهم وطردهم من مصر .

20 (البرونز : هو خليط من النحاس والقصدير ينصهر فى درجات حرارة أقل وتصبح السبيكة أكثر صلابة ويمكن تشكيلها بأشكال مختلفة لمختلف الأغراض .

(الموسوعة جـ 4 ص 188 ، 189 ، 191 ، 192)

21 (موسوعة مصر القديمة : (د . سليم حسن) جـ 4 ص 196

22 (نفس المصدر السابق : جـ 4 ص 197 . تدل الشواهد أن يوسف (عليه

السلام) كان وزيراً لأحد ملوك الهكسوس فى مصر وكذلك الآراميون كانوا

ضمن الهكسوس المهاجرين وُوصف يعقوب (عليه السلام) بأنه آرامى

جوال . وتزوج إسحاق ويعقوب (عليهما السلام) من آراميات .

23 (نفس المصدر السابق : جـ 5 ص 372 - 377 .

جـ 6 ص 585 وما بعدها .

24 (سفر التكوين : 12-1 : 47

25 (تاريخ رسائل تل العمارنة هو عام 1229 ق.م إبان حكم مرنبتاح .

موسوعة مصر القديمة : (د . سليم حسن) جـ 7 ص (ط) .

- 26 (نفس المصدر السابق : جـ7 ص 117 - 120 & ص 132 - 136 .
سِفْر العدد : 23 : 2 & سِفْر الخروج : 14 : 25 .
- 27 (سورة الشعراء : 66 . سورة الإسراء : 103 & سورة الذاريات : 40
& سورة الدخان 23
- 28 (موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ9 ص 492 ومابعدھا .
- 29 (سفر التكوين : 25 : 23 - 34
- 30 (سِفْر التثنية : 2:2، 12
- 31 (موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ7 ص 106 & جـ9 ص
495 .
- 32 (نفس المصدر السابق : جـ9 ص 499 ، ص 504 .
والقضاة : هم المذكورون في سِفْر القضاة وسِفْر صموئيل الأول وكانوا حكاما ذوي
سلطة مطلقة وقواداً للعسكر . وحكموا من موت يشوع بن نون فتى
موسى (عليه السلام) إلى صموئيل (حسب العهد القديم) وأشهرهم
دبورة Deborah التى تعتبر أم إسرائيل ويعتبرونها نبية على الرغم من
عدم وجود نبوءة لها . وهى قائدة عسكرية .
- 33 (علمه الله كيفية صنع الحديد وألانه له فصنع منه السلاح والدروع:
*ولقد آتينا داود منا فضلا . ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد (سورة
سبأ : 10)
- 34 (موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ9 ص 509 .
- 35 (نفس المصدر السابق : جـ9 ص 514-516 ومابعدھا .
- 36 (نفس المصدر السابق : جـ9 ص 533 . ومابعدھا & جـ14 ص 734 -
739 & جـ14 ص 744 ، 745 .
- 37 (نفس المصدر السابق : جـ14 ص 758 - 767 & ص 775 - 778 & ص
780 - 785
- 38 (نفس المصدر السابق : جـ17 ص 8-14 .

- 39 (تعاليم أمينموبى : مقطوعة 13 : 15 ، 16.
- 40 (سفر الأمثال : 12 : 22
- 41 (تعاليم أمينموبى : مقطوعة 24 : 9-12
- 42 (سفر الأمثال : 17 : 5
- 43 (تعاليم أمينموبى : مقطوعة 4 : 4، 5
- 44 (سفر الأمثال : 22 : 22
- 45 (تعاليم أمينموبى : مقطوعة : 7 : 12 - 15 & 8 : 9
- 46 (سفر الأمثال : 23 : 10
- 47 (تعاليم أمينموبى : مقطوعة 5 : 1-6
- 48 (سفر الأمثال : 25 : 21
- 49 (سفر المزامير : 104 : 24 ، 25
- 50 (فجر الضمير : (د. جيمس هنرى بريستد) ص 15 ، 43 ، 44
- 51 (نفس المصدر السابق : ص 47 ، 52 ، 53 ، 160 ،
163، 164، 205، 231، 256، 266، 271، 292، 295، 296، 299.
- والأدب العبرانى يطلق على التوراة المروية والمكتوبة فى السبى
البابلى .
- 52 (نفس المصدر السابق : ص 337 ، 357.
- 53 (نفس المصدر السابق : ص 362 ، 363 ، 367 ، 368 ، 369 ، 372 ،
373
- 54 (نفس المصدر السابق : ص 370 ، 371
- وُجد نقش للإله أوزير المصرى ذو الجناحين (وهو إله الحساب فى عالم
الآخرة) قائما على مدخل قصر كورش نحو 2500 سنة بالاضافة إلى أن
الفرس اتخذوا عن المصريين القدماء الفن والعمارة . وعلى قبر الملك (دارا)
الأكبر وُجدت نقوش لبيان خُلُقِ والمثل العليا للسلوك . هى نفس نص مصرى
قديم .

- 55 (نفس المصدر السابق :ص 373 ، 374 .
- 56 (نفس المصدر السابق :ص 384 ، 385 ، 388 ، 389 .
- 57 (نفس المصدر السابق : ص 389 .
- 58 (نفس المصدر السابق :ص 390 .
- 59 (تعاليم أمينموبى : 6 : 1-12
- 60 (سفر إرميا : 17: 5 - 8
- 61 (سفر المزامير : 1: 1-5
- فجر الضمير : (بريستيد) ص 394 ، 406 ، 410 ، 412
- 62 (حضارة مصر الفرعونية : (فرانسوا دوما) ص 8،9،10،12،20،21
- 63 (عصور فى فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى) ص 33 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40 ، 41 .
- 64 (نفس المصدر السابق :: ص 45 .
- 65 (نفس المصدر السابق :ص 46 : 47
- 66 (نفس المصدر السابق :ص 53
- 67 (نفس المصدر السابق :ص 54 وما بعدها .
- بردية (أيبوير) : 2 : 5،6
- 68 (سفر الخروج : 7 : 21
- 69 (بردية (أيبوير) : 2 : 10
- 70 (سفر الخروج : 7 : 20
- 71 (بردية (أيبوير) : 10 : 3-6
- 72 (سفر الخروج : 10 : 15
- 73 (بردية (أيبوير) : 9 : 11
- 74 (سفر الخروج : 10 : 22
- 75 (بردية (أيبوير) : 7 : 1 ، 2
- 76 (سفر الخروج : 14 : 29

- 77 (عصور فى فوضى : (فلايكوفسكى) ص 62.
- 78 (عصور فى فوضى : (ا. فلايكوفسكى) ص 83 ، 84 ، ص 90
- 79 (نفس المصدر السابق : ص 103 - 105.
- 80 (نفس المصدر السابق : ص 105 ، 111 ، 132 ، 133 ، 192 ، 358
سفر صموئيل الثانى : 8 : 4 & سفر الملوك الأول : 11 : 16
- 81 (عصور فى فوضى : (فلايكوفسكى) ص 135
سفر أخبار الأيام الثانى : 9 : 23
سفر الملوك الأول : 10 : 24
- 82 (وصف مصر : ج2 الدراسة التاسعة . (دى بوا - إيميه) ص 313 ، 314 ،
315 ،
- 83 (نفس المصدر السابق : ص 316 ، 319 ، 321 ، 324 ، 325 ، 327 ،
328 ، 331 ، 335.
- 84 (نفس المصدر السابق : ص 336 ، 338 ، 339
- 85 (نفس المصدر السابق : ص 367 . نوما Numa هو ثانى ملوك روما (714
- 671 ق.م) كما تحكى الأساطير . وكان يقوم بدور
الكاهن الأكبر . ولكى يلزم شعبه الهمجى بالأخلاق
القيومة ادعى أنه يلتقى ليلاً بحورية مقدسة إسمها
(إيجريا) تلهمه الرشد والنصيحة .
- 86 (نفس المصدر السابق : ص 367
- ليكورج : Lycurgue :

وكان حكيما يقول عنه هيرودوت أنه ابن عم الملك
كاريلوس ملك اسبرطة اعتبر نفسه مشرّعاً يتلقى الوحي
فى معبد دلفى من السماء وذلك لإقناع شعبه بالقوانين
التي يفرضها لتغيير عادات الناس ولإدخال عادات
جديدة . ويرى آخرون أنه شخصية خيالية وأن الشرائع

كانت من وضع عدة أشخاص وأنها سميت باسم
الشخص الذى قام بجمعها وتدوينها .

87. نفس المصدر السابق :ص 367 :

مانكوكاباكا Manco Capac

مؤسس امبراطورية بيرو وأول ملوك الأنكا . عاش فى
القرن العاشر الميلادى وكان يتحدث باسم الشمس .

88 (سفر العدد : 20 : 12

سفر التثنية : 32 : 52

89 (اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى : (د. جوستاف لوبون) ص 15
ومابعدھا .

90 (نفس المصدر السابق : : ص 32 ومابعدھا .

91 (نفس المصدر السابق : ص 49 ومابعدھا .

92 (نفس المصدر السابق :ص 61 ومابعدھا .

93 (آرام دمشق وإسرائيل : (فراس السواح) ص 161 – 176 .

94 (سفر القضاة : 5 : 12 – 18 .

95 (التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى : (توماس ل . طومسون) .

انظر كتاب (آرام دمشق وإسرائيل) لفراس السواح ص 172 – 176، 271

96 (آرام دمشق وإسرائيل : (فراس السواح) ص 237 ، 247 ، 249 ، 250،
290.

97 (القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص 31 ، 53.

98 (سفر صموئيل الثانى : 5 : 7 ، 9

سفر الملوك الأول : 8 : 1 & سفر أخبار الأيام الثانى : 5 : 2

99 (سفر المزامير : 46 : 4

القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص 33

100 (سفر التكوين : 14 : 18

- 101 (سفر القضاة : 19 : 10
- 102 (سفر الملوك الأول : 8 : 1 & سفر أخبار الأيام الثاني : 5 : 2
سفر إشعياء : 28 : 6 .
- 103 (سفر إشعياء : 29 : 1
- 104 (سفر أخبار الأيام الثاني : 3 : 1
سفر التكوين : 22 : 2
- 105 (القدس عربية إسلامية : (د. سيدفرج راشد) ص 32
عروبة بيت المقدس : (د. اسحاق موسى الحسيني) .
- 106 (سفر القضاة : 19 : 10 & سفر القضاة : 1 : 8 & سفر صموئيل الثاني :
6 : 5 & سفر نحemia : 11 : 1 & سفر يشوع : 10 : 1 ، 3 ، 5
- 107 (عروبة بيت المقدس : (د. إسحاق موسى الحسيني)
- 108 (القدس عبر التاريخ : (ميخائيل مكسي اسكندر)
- 109 (القدس الشريف : (د. محمد عمارة)
- 110 (إسرائيل ركيزة الاستعمار : (د. حسن ظاظا) ص 116 ، 117
- 111 (اليهود واليهودية : (د. عبد الجليل شلبي) ص 11 - 13
- 112 (نفس المصدر السابق : ص 57 ، 58
- 113 (قصة الحضارة : (ويل ديورانت) مجلد 6 جـ 11 ص 188 - 190
- 114 (نفس المصدر السابق : مجلد 7 جـ 14 ص 37
- 115 (نفس المصدر السابق : مجلد 7 جـ 14 ص 39
- 116 (نفس المصدر السابق : مجلد 6 جـ 11 ص 291
- 117 (نفس المصدر السابق : مجلد 6 جـ 11 ص 319
- 118 (نفس المصدر السابق : مجلد 6 جـ 11 ص 387
- 119 (نفس المصدر السابق : مجلد 7 جـ 14 ص 6
- 120 (نفس المصدر السابق : مجلد 6 جـ 11 ص 275 ، 276
- 121 (تاريخ القدس : (عارف العارف)

الجواهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين : (ابن دقماق) تحقيق (محمد كمال الدين) ج 1 ص 142 ، 143 .
تاريخ وآثار مصر الإسلامية : (أحمد عبد الرازق) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : (ابن تغرى بردى) ج 3 ص 165 & ج 4 ص 31 ، 32
مصر في عصر الاخشيديين : (د. سيدة كاشف) ص 177

مصر في عصر الدولة الفاطمية : (جمال الدين سرور) ص 54 ، 87 .
مرآة الزمان وعبر اليعقوبيان : (الياقبي) ج 2 ص 410 ، 449 (طبعة حيدر آباد)

اليهود في مصر : (قاسم عبده) ص 62 ، 88
تاريخ مصر الإسلامية : (جمال الشيال) ج 1 ص 108
تاريخ الحكماء : (ابن القفطي) 317 ، 318
طبقات الأطباء : (ابن أبي أصيبعة) ج 2 ص 117
صبح الأعشى : (القلقشندي) ج 3 ص 462 & ج 1 ص 356 ، 357

السلوك في معرفة دول الملوك : (المقرئزي) ج 4 ق 2 ص 1038 ، ج 1 ق 1 ص 44 ، 47 ، 75 ، 384 ، ج 3 ق 1 ص 44 ، 75

اليهود في مصر المملوكية : (د. محاسن الوقاد) ص 39 - 135 ، 162 ، 163 ،

أفهام اليهـود : (ابن يحيى المغربي) : ص 94
العقد الفريد للملك السعيد : (ابن طلحة) ص 159 ، 160 .
الأحكام السلطانية : (الماوردي) ص 142 - 145 .

- دلالة الحائرين : (موسى بن ميمون) جـ 3 ص 698
- عقود الزواج : (ليلي أبو المجد) ص 17
- هداية الحيارى : (ابن قيم الجوزية) ص 255 ، 256
- 139) اليهود في مصر المملوكية : (د. محاسن الوقاد) ص 376 - 397
- نهاية الأرب : (النويري) جـ 8 ص 187 - 189
- الخطوط : (المقریزی) جـ 2 ص 471 وما بعدها .
- المجتمع المصري في مصر الإسلامية : (هويدا عبد العظيم رمضان) جـ 2 ص 67 ، 68
- المرشد الأمين : (يوسف إبراهيم مطوب) ص 77، 78 ، 81 ، 83 ، 87 ، 88
- الأعياد والاحتفالات اليهودية : (جيلان عباس) ص 143 ، 145 ، 148 ، ص 155
- الفكر الديني : (د. حسن ظاظا) ص 203 ، 207 ، 219 ، 223
- اليهودية : (محمد بحر) ص 134 ، 135 ، 137 .
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود : (نبيل عبد الحميد) ص 162 ، 177 .
- الجيئ اليهودي : (سناء عبد اللطيف) ص 188 .
- صبح الأعشى : (القلقشندى) جـ 2 ص 436 ، 437 .
- دلالة الحائرين : (موسى بن ميمون) جـ 3 ص 655
- الشخصية اليهودية : (رشاد الشامي) ص 107 .
- العقيدة الدينية : (ألفت جلال) ص 76 .
- القراءون والربانيون : (مراد فرج) ص 17 ، 18 .
- الموسوعة العبرية الكبيرة : جـ 26 حرف س . ع ص 25 & جـ 27 حرف ع. ق ص 947 .
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود : (عبلة حنفي) ص 212 ، 214 ، 217 .
- 140) تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية : (يعقوب لاندوا وآخرون) .
- ص 403 - 421 & ص 646 - 652

-
- الخطوط : (المقریزی) جـ 2 ص 409 ، 472
مختارات أثرية : (بنسكر) جـ 2 ص 169 - 227
مصادر وإيمان : (مان) جـ 2 ص 270
تاريخ اليهودية القرائية : (الجميل) جـ 2 ص 43 & جـ 1 ص 133-138 ،
190
نهر مصر : (ابن شمعون) ص 35
141 (تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية : (يعقوب لاندوا وآخرون) ص 29
46-
142 (نفس المصدر السابق : ص 47-77
143 (نفس المصدر السابق : ص 96 - 159
144 (نفس المصدر السابق : ص 160 - 175
145 (نفس المصدر السابق : ص 176-299
146 (نفس المصدر السابق : ص 300 - 327
نهر مصر : (ابن شمعون) جـ 1 ص 150
147 (تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية : ص 32 - 402
148 (نفس المصدر السابق : ص 403 - 464
149 (نفس المصدر السابق : ص 465 - 528
150 (نفس المصدر السابق : ص 529-582
151 (نفس المصدر السابق : ص 604-655
الضوء اللامع : جـ 5 ص 92 ، 293
مختارات أثرية : (بنسكر) جـ 2 ص 169 - 227
مصادر وإيمان : (مان) جـ 2 ص 270
تاريخ اليهودية القرائية : (الجميل) جـ 2 ص 43 & جـ 1 ص 190
152 (تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية : 656 - 672

153 (حضارة العرب : (د. جوستاف لوبون) ص 6 ، 19 ، 30 ، 49 ، 59 ، 62 ، 63 ، 64 ، 87 ، 90 ،

154 (اليهود أنثروبولوجياً : (د. جمال حمدان) ص 63 - 68 .

155 (نفس المصدر السابق : ص 69 - 86

156 (نفس المصدر السابق: ص 86، 89، 150، 151، 167، 168 ، 172، 175، 178،

157 (نفس المصدر السابق : تعليق د. عبد الوهاب المسيري ص 221 ، 224 ، 226 ، 242 - 245.

158 (المفهوم المادى للمسألة اليهودية : (إبراهيم ليون) ص 7 ، 21

* إبراهيم ليون هو ماركسى بولونى . نشر كتابه هذا سنة 1942م أى قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية واعلان دولة إسرائيل سنة 1948 ، وفى هذا الوقت كانت ألمانيا النازية تكتسح أوروبا بجيوشها . وتوجهات ليون الماركسية لا تخفى على أحد ومن ثم قناعته بها كحل لأى مشكلة أو مسألة ومن ضمنها المسألة اليهودية .

المسألة اليهودية : (كارل ماركس).

159 (المفهوم المادى : (ليون) ص 25 .

160 (نفس المصدر السابق : ص 25

161 (نفس المصدر السابق : ص 25 ، 27

162 (نفس المصدر السابق : ص 27 ، 29

163 (نفس المصدر السابق : ص 33 - 37

164 (نفس المصدر السابق : ص 73 ، 77

165 (نفس المصدر السابق : ص 73 :

-
- 166 (نفس المصدر السابق :ص84 .
- 167(نفس المصدر السابق :ص115 ومابعدها .
168. (نفس المصدر السابق :ص176 ، 177
- 169 (نفس المصدر السابق :ص181
- 170 (نفس المصدر السابق :ص 182 ، 183
- 171 (نفس المصدر السابق :ص 184 ومابعدها .
- 172 (نفس المصدر السابق : ص 202
- 173 (دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 201
- 174 نفس المصدر السابق :ص 201
- 175 (نفس المصدر السابق :ص 202
- 176 (نفس المصدر السابق :ص209
- 177 (نفس المصدر السابق : ص 214 .
- 178 (تاريخ اليهود فى مصر العثمانية : (يعقوب لاندوا وآخرون)كلمة
المراجع محمد خليفة حسن ص 7.
- 179 (نفس المصدر السابق : ص 8 - 12.
- 180 (استراتيجىة الاستعمار والتحرير : (د. جمال حمدان) ص 9 - 11.
- 181 (نفس المصدر السابق :ص 12 - 14 ، 19 .
- 182 (نفس المصدر السابق :ص 29 ، 30 ، 32 ، 33.
- 183 (نفس المصدر السابق : ص 34 ، 35 ، 57.
- 184 (نفس المصدر السابق :ص 129 ، 130 ، 139 .
- 185 (نفس المصدر السابق :ص 140 ، 150
- 186 (نفس المصدر السابق :ص 167 ، 168 .
- 187 (نفس المصدر السابق : ص 169 - 176 .

الفصل الثالث

المؤامرة

• يقول (إبراهيم ليون) ⁽¹⁾ :

اعتبرت الجماعات الصهيونية اللاسامية شرطاً لانبعاثها ووظيفتها من أجل تبرير مشروعها فدخلت مع أشد الجماعات اللاسامية عداءاً لليهود من أجل هذه الغاية كالاتفاقات التي وقعها (هرتزل) مع جماعة (المائة السود الروسية) الرجعية . والاتفاقات التي وقعها (وايزمان) مع (موسيليني وهتلر) .

• يقول المنظر اليهودي (جاكوب كلاتزكين) ⁽²⁾ :

نحن بإيجاز أجنب بحكم الطبيعة . إننا شعب أجنبي غريب وسطكم ونريد أن نبقى كذلك . فبيننا وبينكم هوة من الخلاف لا يمكن ردمها . وعلى المرء أن يبحث ويدقق في الأقطار الغربية ليلاحظ أن اللاسامية لعبت دوراً كبيراً في استمرارية اليهودية وإثارة المشاعر والحركات التي أدت إلى إعادة مولد قوميتنا . حقاً إن أعداءنا فعلوا الكثير لتقوية اليهودية في أرض الشتات . وكان علينا أن نكون ممتنين لظالمينا لأنهم أقفلوا بوابات امتصاصنا وحرصوا على أن يبقوا شعبنا مركزاً في مناطق معينة وحالوا دون تشيته وأسهموا في بقاءه موحداً ومنفصلاً عن الآخرين بحيث غدا من الصعب علينا حتى ولوج باب اعتناق المسيحية .

• (بن جوريون) ⁽³⁾ لا يتردد في القول باستعداده لـ :

تدبير مجموعات خاصة من الشباب اليهودي لإثارة حملات الكراهية ضد اليهود في البلدان التي غرق فيها اليهود في رضا آثم عن النفس .

- تطرح الوثائق والقراءات التي رافقت نشأة وتطوير الفكرة الصهيونية كم كانت هذه الفكرة مدينة للنشاطات والتصورات اللاسامية المقصودة وأنها (أى الصهيونية) نشأت بدعم اللاسامية وليس بالرغم عنها .
- أحست الطبقات البرجوازية فى إنجلترا وأمريكا بفائدة اليهود للدولة البرجوازية حيث بدأ اليهود يلعبون دورا فى التوسع والازدهار الرأسمالي .
- دخلت اليهودية الغربية بشكل عام وابتداء من القرن التاسع عشر فى طرق الاندماج التام . ففى خلال ثلاثين سنة من نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (1770م - 1800م) تحول نصف يهود برلين إلى المسيحية .
- يقول المؤرخ الصهيوني (بن هالبرين)⁽⁴⁾ :

توقف اليهود عن تشكيل طبقة وكانوا يندمجون بسرعة فى المجتمعات الأخرى وأدى ذلك إلى :

ممارستهم الزراعة (فى شمال أفريقيا) وتنصر العديد من الملاك العقاريين (فى ألمانيا) والزوال التام للقبائل اليهودية (فى الجزيرة العربية) واختفاء العبرية كلغة حية وتبنى اليهود فى كل مكان لغات الشعوب المجاورة مع ظهور لهجات مختلفة : عبرية - عربية ، عبرية - فارسية ، عبرية - برتغالية ، عبرية - أسبانية .. الخ ماعدا العبرية الألمانية التي أصبحت (اللغة اليديشية) فى عصرنا الحاضر .

إن اليهود خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر قد نسوا لغتهم وزادت عدد الزيجات المختلطة وأعداد المرتدين عن اليهودية .

• يقول (إميل توما) فى كتابه (جذور القضية الفلسطينية)⁽⁵⁾ :

حاجة البرجوازية الأوروبية المساعدة إلى السيطرة على مفاتيح العالم القديم (وفى مقدمتها الشرق العربي) جعل الغرب بحاجة إلى إثارة المسألة اليهودية (وليس إلى حلها) . مقدمة لتوظيف تلك المسألة هنا وليس فى أوروبا حيث كان قيام كيان خاص باليهود يخدم الغرب فى أكثر من قضية تبدأ بالالتفاف مستقبلاً على أية محاولة لتوحيد مصر مع سوريا على غرار محاولة (محمد على) وتنتهى بحاجة الغرب إلى السيطرة على مفاتيح الاقتصاد و السياسة فى الشرقين الأوسط والأدنى . وقد ارتبط ذلك باحتدام الصراع بين الامبرياليات نفسها وخاصة فرنسا وبريطانيا وألمانيا التى رأت فى المشروع الصهيونى جزءاً هاماً من استراتيجية تفكيك الامبراطورية العثمانية ووراثتها .

• كانت الدوائر الغربية توظف القومية المعادية لليهود فى شرق أوروبا من أجل خلق مشاعر يهودية قومية وهمية فى الأوساط اليهودية المتوسطة التى بدأت بالتفسخ من المناخات الإقطاعية التى كانت تنتجها .

• يؤكد (هرتزل)⁽⁶⁾ :

أن اليهود فى أوروبا فائض بشرى غير نافع داخل أوروبا ولكن يمكن تحويله إلى عنصر نافع للحضارة الغربية عن طريق نقله إلى الشرق (فلسطين على سبيل المثال) ليصبح عنصراً استيطانياً .

• ثمة مفارقة هامة وهى أن حمى العودة اليهودية التى تبناها المسيحيون لم تجد صدئ كبيراً بين اليهود فى بداية الأمر . فقضية العودة الفعلية الجماعية لم تكن مطروحة أساساً على المستوى الدينى اليهودي .

• يقول (أينشتاين) ⁽⁷⁾ العالم اليهودي المشهور :

إن الطبيعة الأصلية لليهود تتعارض مع فكرة إنشاء دولة يهودية بحدود وجيش وسلطة زمنية . وأن اليهود الحاليين ليس هم اليهود الذين عاشوا في فترة المكابيين .

• يقول (إيفانوف) ⁽⁸⁾ :

إن إسرائيل لم تتشكل لحل المسألة اليهودية كما تزعم (الصهيونية السياسية) وليست تعبيراً عن فكرة الأمة اليهودية الخالصة المطلقة كما تزعم (اليهودية الروحية) بل لحل المشكلة الغربية الرأسمالية في الشرق العربي كمشروع غربي حطم الجيتو اليهودي الربوى في أوروبا ليعيد تشكيله على هيئة ثكنة إسبارطية عسكرية تخدم مصالح الغرب في الشرق .

• يضيف (إيفانوف) نقلاً عن (ميخائيل بريتش) ⁽⁹⁾ :

إن التعاطف الغربي مع المسألة اليهودية تقرر في ضوء حاجة الغرب إلى جسر مع المناطق التابعة وراء البحار في الشرق ومواجهة الخطر العربي بالوحدة (تفكير وسعى محمد على في إقامة دولة عربية مركزية) .

• يقول (روتشيلد) ⁽¹⁰⁾ اليهودي الشهير في رسالة إلى (بالمرستون) عام 1841م :

إننا إذا نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يصل بين مصر وبقية العرب في آسيا . وفلسطين هي بوابة الشرق والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر وفي هذه البوابة لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول

دونه . والهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور . وليست تلك خدمة لليهود ليعودوا إلى أرض الميعاد مصداقاً للعهد القديم فحسب ولكنها أيضاً خدمة للامبراطورية البريطانية ومخططاتها . فليس مما يخدم الامبراطورية أن تتكرر تجربة (محمد على) سواء بقيام دولة قوية في مصر أو قيام اتصال بين مصر والعرب والآخرين .

• ويقول (ماكس نوردو) ⁽¹¹⁾ :

أنتم تريدون منا أن نحمى قناة السويس وأن نؤمن طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأوسط ونحن نريد منكم أن تساعدونا من أجل أن نصبح قوة قادرة على خدمة هذه المصالح . ولما لسنا في موقعين مختلفين فلا يسعنا إلا أن نهزأ بالنصائح التي تدعونا للتحويل إلى آسيويين حتى ننجح هناك .

• كرر ذلك أيضاً كل من (بن جوريون) و (بنحاس سابير) ⁽¹²⁾ في تصريحين متشابهين أكدا فيه على ازدواجية الانتماء الإسرائيلي . الثقافي للغرب والجغرافي للشرق .

• ظل المشروع الصهيوني في بدايات القرن العشرين مشروع الأقلية اليهودية المرتبطة بالدوائر الغربية فيما ظلت الأكثرية غير معنية بهذا المشروع لأسباب متفاوتة . ومعارضة المشروع الصهيوني من موقع (يهودي ديني) كانت الأبرز (فاليهودية الأرثوذكسية) اعتبرت كل قومية معادية للدين (ناطوري كارتا) و (اليهودية الإصلاحية) اعتبرت اليهودية ديانة وليست قومية .

• الوظيفة التاريخية لليهود لم تلغ وإنما أخذت - برعاية الغرب - شكلاً جديداً: فحل الدرع محل الذهب وحل المحارب محل المرابي .

. كان (آحاد هعام)⁽¹³⁾ يرى أن:

الدولة اليهودية مجرد وسيلة وليست غاية . لأن الغاية الحقيقية فى
تصوره هى تطوير الحياة الثقافية لليهود والانبعاث الروحي لليهود واليهودية .

. سبق لـ (نابليون بونابرت)⁽¹⁴⁾ أن وجه نداءً لليهود عام 1799م
(الحملة الفرنسية على مصر وسوريا) يدعوهم فيه إلى استعادة حقوقهم
المسلوبة فى فلسطين . وتابع (نابليون الثالث) عام 1852 - 1870م
الاهتمامات ذاتها وساهم فى نشر كتاب (موسى هس)⁽¹⁵⁾ الذى جاء
فيه :

إن فرنسا معنية بدعم اليهود فى إقامة مستعمرات تمتد من السويس
حتى القدس ومن ضفتي نهر الأردن حتى البحر المتوسط .

. من جهة (روسيا القيصرية) تشير الوثائق إلى تعاون وثيق بين
وزير الشرطة القيصرية (كان يترأس حزب المائة السود المعادى
لليهود) وبين (هرتزل) وإلى تعاون آخر تم إبرامه خلال الحرب
الأهلية فى روسيا عام 1919 - 1921 م.

. كشفت الوثائق التى تركها النازيون بعد سقوط برلين عن أشكال
عديدة من التعاون السياسى المباشر وغير المباشر بين النازية
والصهاينة المتحمسين للهجرة .

. يكشف (جون) و (ليمخى) أو ليمشى⁽¹⁶⁾ أن :

المبعوثين اليهود / الفلسطينيين سافروا إلى ألمانيا النازية ليس من أجل إنقاذ اليهود الألمان بل من أجل انتقاء الرجال والشباب والنساء المستعدين والمتأهبين للتوجه إلى فلسطين .

• الاهتمام البريطاني باليهود بدأ مع اللورد (كرومويل) بغرض استخدامهم في الصراع على تركة أسبانيا والبرتغال بين إنجلترا والأقاليم المتحدة (هولندا) . وفي عام 1854 م

أعلن (كرومويل)⁽¹⁷⁾ في البرلمان الإنجليزي :

إن العناية الإلهية قد وضعت سوريا ومصر في طريق إنجلترا نحو المناطق الأهم في تجارتها الاستعمارية الخارجية (الهند والصين وأستراليا والأرجنتين الهندي) . إن الإصبع الإلهي يشير إلى إنجلترا أن تعمل بقوة لخلق ظروف ملائمة أمام الشعب الملازم لهذه المهمة . والذي يمكن أن تستخدم طاقته دائما وبصورة فعالة أي بواسطة الأبناء الحقيقيين لهذه الأرض أبناء إسرائيل .

• تصريح (كامبل نيرمان)⁽¹⁸⁾ :

الذي اعتبر أن المشروع الصهيوني ضرورة غربية لفصل المشرق العربي عن المغرب العربي وتبديد أية شروط تكرر تجربة (محمد علي) .

• لقد كانت المسألة اليهودية تتشكل في إطار الرأسمالية الأوروبية القومية الصاعدة في القرن التاسع عشر ولم تأخذ طابعها الصهيوني إلا مع تحول هذه الرأسمالية إلى امبريالية وتحول الوظيفة التاريخية اليهودية من وظيفة التاجر المرابي داخل أوروبا إلى وظيفة المحارب خارجها . ولم تكن الصهيونية امتداداً للمسألة اليهودية إلا بقدر ما كانت الامبريالية

امتداداً للرأسمالية . ولم تكن وظيفة المحارب اليهودي امتداداً لوظيفة
التاجر اليهودي إلا بقدر ما احتاجه الغرب فى الحالتين للجيتو اليهودي
(العزلة) مرة كجيتو للمرابين داخل الأسوار الأوروبية ومرة كجيتو
للمحاربين خارج هذه الأسوار .

• تصريح بلفور (وعد بلفور) (19) :

سواء كانت الصهيونية على حق أم على باطل . جيدة أم سيئة فإنها
ذات أهمية كبيرة لنا تفوق بكثير رغبات وآمال السبعمئة ألف عربي الذين
يسكنون هذه الأرض القديمة [الرقم المذكور واضح أنه غير حقيقي
بقصد التهوين والإقلال من شأن النكبة المنتظرة . وهذا البلفور المخادع كان
من المسيحيين المعروفين بعدائهم الديني لليهود ولكن المصالح الامبريالية
العليا اقتضت التحالف مع اليهود الشياطين] .

• إدارة الرئيس (ويلسون) الأمريكي :

ضمت (لويس برانديس) أحد زعماء الصهيونية فى أمريكا ووافقت
على إعلان بلفور قبل إعلانه رسميا .

• انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي في نيويورك في فندق بالتيمور عام
1942 (مؤتمر بالتيمور) ثم انتقل المقر الرئيسي للصهيونية من لندن إلى
نيويورك عام 1945 م (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية) .

• اعتراف أمريكا بإسرائيل فور قيامها والتزام أمريكا (بدعم من
الرئيس ترومان) لقرار التقسيم عام 1947 م .

• إذا كانت المسألة اليهودية مظهراً من مظاهر انتصار الرأسمالية الأوروبية فإن الصهيونية مظهر من مظاهر انتصار الرأسمالية فى تطورها الإمبريالي الأمريكي .

• يقول (د. سيد فرج راشد) (20) :

لعل أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود كانت تلك التي أفصح عنها السير (هنرى فنش) عام 1616 م فى كتابه (نداء اليهود) . وبعد مرور حوالى قرنين بدأت أصداء هذه الدعوة إلى الظهور مرة أخرى حيث ظهر اتجاهان فكريان متعارضان لحل المسألة اليهودية :

(1) الاتجاه الأول : حمل لواءه (موسى مندلسون) عام 1729 - 1786 حيث نادى باندماج اليهود مع المجتمعات التي يعيشون فيها فى أوروبا .

(2) الاتجاه الثاني : كان على رأسه (تيودور هيرتزل) عام 1860 - 1904 م والذي يدعو فيه إلى الصهيونية السياسية.

• استغلت الحركة الصهيونية الأمانى الروحية لليهود في العودة إلى أرض الميعاد - على حد تعبيرها - بالإضافة إلى اتجاهات السياسة التي سادت فى القرن الماضي قد ساعدتهم على الإعلان عن هدفهم باعتبار فلسطين وطناً لهم يهاجر إليه يهود العالم . غير أن الهجرة الأولى كانت محدودة جداً حيث فضل يهود أوروبا الهجرة إلى الولايات المتحدة واستراليا والأرجنتين .

• يرى (ليوبنسكر)⁽²¹⁾ أن : المعاداة للسامية هي كراهية الغريب
[يقصد كراهية اليهود] .

و (ليوبنسكر) هذا يهودي روسي كان يعمل طبيباً . اعتنق
الصهيونية السياسية وأصبح زعيماً لجماعة (أحبّاء صهيون) . وفى
أعقاب أحداث روسيا عام 1881 م طالب بإعادة توطين اليهود فى وطن
جديد . ثم بدأ فى التجول فى العواصم الأوروبية للدعوة لفكرته الخاصة
فقابل بمعارضة من اليهود أنفسهم . وبعدها كتب مقاله الشهير (التحرر
الذاتى) وهو لم يحدد فلسطين كوطن لليهود يتملكونه ويهاجرون إليه . وقد
اعتبر (هيرتزل) رائده فى الفكر الصهيوني حيث قام بتحويل الحركة
الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية فى أعقاب قضية
(دريفوس) عام 1894 م .

• يعتبر (تيودور هيرتزل)⁽²²⁾ أن :

المشكلة اليهودية هي مشكلة قومية يجب حلها كمسألة سياسية على
المستوى الدولي لا كمشكلة اجتماعية أو دينية . واختياره لفلسطين نبع من
أفضليتها - فى نظره - كمكان لغرس الدولة اليهودية المزعومة واضعاً فى
اعتباره تراثاً دينياً لم يكن هو شخصياً يؤمن به ليستقطب عشاق صهيون .

• قرر (المؤتمر الصهيوني الأول)⁽²³⁾ فى بال بسويسرا فى 29/ 8/ 1897 :

I - اتباع الوسائل العملية الفعالة لإنشاء مستعمرات زراعية وعمرانية
لتنسحب عمال اليهود من الزراعيين والصناعيين

2- تنظيم جماعات يهودية من خلال المنشآت المحلية والدولية لتحقيق
الغرض بحيث تتواءم مع قوانين الدول التى يعيش فيها اليهود .

3- تقوية الروح القومية اليهودية وإذكاء الحماسة في صدورهم .

4- محاولة الاستفادة من تنافس الدول الاستعمارية ومساعدتها في تحقيق أهداف الصهيونية .

• تحاشى اليهود في مؤتمر (بال) والمؤتمرات اللاحقة حتى عام 1942م استعمال تعبير (الدولة اليهودية) مفضلين عليها كلمة (وطن) منعاً لإثارة حساسيات بعض الدول الأوروبية والعرب .

• رفض (السلطان عبد الحميد)⁽²⁴⁾ العثماني فكرة الاستيطان في فلسطين وفي هذه الأثناء عرضت بريطانيا على (هيرتزل) عام 1903 م فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في أوغندا فرفض قائلاً :

إن أفريقيا ليست فلسطين ولا يمكن أن تحل محل صهيون [يقصد القدس] ورفض المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905م هذا العرض فسحبته بريطانيا .

• مع بدء الحرب العالمية الأولى عام 1914 م اتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك الدولة العثمانية فوجدت الصهيونية فرصتها في الوصول إلى أرض الميعاد .

• نجح (حاييم وايزمان) بمساعدة صديقه (بلفور) الذي أصبح وزيراً لخارجية بريطانيا في الحصول على وعد يحقق التحالف بين بريطانيا والصهيونية العالمية ضد حركة القومية العربية . وصدّر (وعد بلفور)⁽²⁵⁾ عن الخارجية البريطانية في 2/11/1917م . ما نصه :

إن بريطانيا تعد بالنظر بعين العطف والرعاية إلى أمل الصهيونية في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وإن بريطانيا ستستخدم كل ما في وسعها لتحقيق هذا الأمل . على ألا ينتج عن ذلك أى أضرار أو تعريض بالحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو أن يؤثر ذلك على الحقوق والأوضاع السياسية لليهود في البلاد الأخرى .

• كان العرب يشكلون 92 % من عدد سكان فلسطين وقت صدور (وعد بلفور) وكان اليهود حوالي 65 ألف نسمة بنسبة 7% .

• في أعقاب الحرب العالمية الأولى اتفق الحلفاء على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني في 25/4/1920 م .

• سهلت وثيقة الانتداب إهدار حقوق الشعب الفلسطيني وسمحت للوكالة اليهودية (المنظمة الصهيونية العالمية) بإدارة شئون فلسطين .

• كانت المهمة الرئيسية (لوكالة اليهودية) ⁽²⁶⁾ أيام الانتداب هي تمثيل الحركة الصهيونية ويهود العالم أمام سلطات الانتداب وعصبة الأمم . وتطورت هذه الوكالة لتصبح ما يشبه حكومة داخل حكومة الانتداب لها جيشها (الهاجاناه والبالماخ) وجهازها الإداري وميزانيتها المستقلة.

• في خلال اثني عشر عاما من بدء الانتداب البريطاني 1920 - 1932م هاجر إلى فلسطين 118 ألف يهودي مما يوضح مدى مساعدة سلطات الانتداب للصهيونية على تدعيم أركانها في فلسطين .

• وقفت الصهيونية وراء (ترومان)⁽²⁷⁾ فى حملته الانتخابية للرئاسة الأمريكية وبعد نجاحه قام بالضغط على بريطانيا لإنشاء جيش يهودى تم تجهيزه عام 1944م .

• اندمجت العصابات الصهيونية المختلفة (الأرجون وشتيرن وقوات البالماخ والهاجاناه) فيما يسمى بجيش الدفاع الإسرائيلى وذلك عقب إعلان قيام إسرائيل فى 15/5/1948.

• كان (قرار التقسيم)⁽²⁸⁾ الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 29/11/1947 قراراً جائراً حيث أعطى اليهود 56 % من أراضى فلسطين رغم أنهم يمثلون 5.6 % فقط قبل التقسيم . كما تجاهل القرار شعب فلسطين فى تقرير مصيره .

• إذا كان (هتلر)⁽²⁹⁾ قد نادى بنظرية نقاوة الدم الألماني فإن الصهيونية ترى أيضاً أن النقاوة العنصرية هي الطريق الوحيد لخلاص اليهود فى العالم وتحقيق وحدتهم القومية.

• يهود العالم اليوم وهم من سلالة شعب الخزر المتهودين (اعتنقوا اليهودية فى القرن السابع الميلادى) ليس لهم أية صلة تاريخية أو عرقية بفلسطين .



الهوامش

- 1 (دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 140
- 2 (نفس المصدر السابق : ص 140 ، 141
- 3 (نفس المصدر السابق : ص 141
- احذروا الصهيونية : (يورى ايفانوف) ص 104
- 4 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 143
- 5 (نفس المصدر السابق : ص 143
- جذور القضية الفلسطينية : (أميل توما) ص 5-8
- 6 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 144
- الدولة اليهودية : (تيودور هرتزل)
- 7 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 148
- 8 (نفس المصدر السابق : ص 149
- احذروا الصهيونية : (يورى ايفانوف) ص 127 - 134
- 9 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 149
- احذروا الصهيونية : (ايفانوف) نقلا عن ميخائيل بريتش .
- 10 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 150
- 11 (نفس المصدر السابق : ص 145
- احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 86 - 95
- 12 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 145
- احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 86 - 95
- 13 (دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 147 ، 148

- الايديولوجيا الصهيونية : (د. عبد الوهاب المسيري) ص 67
- 14)دورة الدين اليهودي : (محادين) ص 151
- الصهيونية غير اليهودية : (ريجينا الشريف) ص 106 ، 107
- 15) دورة الدين اليهودي : (محادين) ص 151 .
- روما والقدس : (موسى هس) .
- الصهيونية غير اليهودية : (ريجينا الشريف) ص 111 ، 112 .
- 16) الدروب السرية : (جون & دافيد ليمخي)
- دورة الدين اليهودي : (محادين) ص 154
- 17) دورة الدين اليهودي : (محادين) ص 155
- ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية : (نصر شمالي) ص 138
- احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 33
- 18) دورة الدين اليهودي : (محادين) ص 156
- 19) الصهيونية غير اليهودية : (ريجينا الشريف) ص 66 ، 67
- دورة الدين اليهودي : (محادين) ص 156
- * **بلفور** : هو وزير الخارجية البريطاني الذي أصدر وعده الشهير سنة 1917م بمنح اليهود وطن قومي في فلسطين .
- 20) القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص 205
- نداء اليهود : (هنري فنش)
- 21) القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص 206 ، 207
- 22) نفس المصدر السابق : ص 208
- 23) نفس المصدر السابق : ص 208
- 24) نفس المصدر السابق : ص 209
- 25) نفس المصدر السابق : ص 209 ، 210

-
- 26 (نفس المصدر السابق : ص 211
- 27 (نفس المصدر السابق : ص 212
- 28 (نفس المصدر السابق : ص 213، 214
- 29 (نفس المصدر السابق : ص 214.

الفصل الرابع

النسبة - الصفات

النسبة

(1) بنو إسرائيل :

تسميتهم بنو إسرائيل لم تبدأ مع موسى (عليه السلام) وإنما بدأت منذ يعقوب (عليه السلام) وهو المكنى بإسرائيل (ابن إسحاق وحفيد إبراهيم (عليه السلام) . ويعقوب (إسرائيل) هو أبو الأسباط (يوسف (عليه السلام) وأخوته) أى قبائل بنو إسرائيل الإثني عشر.

* كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل (يعقوب) على نفسه من قبل أن تنزل التوراة . قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين⁽¹⁾.

• أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجداً وبكياً⁽²⁾.

(2) اليهود:

بدأ تسميتهم باليهود بعد نزول التوراة على موسى (عليه السلام) وليس قبل ذلك.

* أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى . قل ءأنتم أعلم أم الله (بل الله) ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون⁽³⁾ .

* يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده . أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين⁽⁴⁾

* وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله⁽⁵⁾ .

* فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً⁽⁶⁾ .

* إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء⁽⁷⁾ .

* وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفرٍ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم . ذلك جزيناهم بيغيهم وإنا لصادقون⁽⁸⁾ .

* وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا . قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين⁽⁹⁾ .

* واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا . فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي . أتهلكنا بما فعل السفهاء منا . إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء . أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك⁽¹⁰⁾ .

(3) أصحاب السبت :

وأطلقت عليهم منذ تحايلهم واعتدائهم في يوم السبت المقدس .

* يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت . وكان أمر الله مفعولاً⁽¹¹⁾ .

(4) السفهاء من الناس :

* سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم⁽¹²⁾ .

وكان ذلك حينما تحولت قِبْلَةُ المسلمين في الصلاة من الاتجاه إلى بيت المقدس لتكون في اتجاه بيت الله الحرام في مكة المكرمة (في الشهر السادس عشر أو السابع عشر من الهجرة) .

(5) الذين كفروا من أهل الكتاب :

وأطلقت عليهم هذه التسمية منذ بعثة النبي محمد (ﷺ) وكفرهم بنبوته ورسالته الخاتمة (بعد غزوة بني النضير) :

* ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزلَ عليكم من خير
من ر بكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم⁽¹³⁾ .

* هو (الله) الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر .
ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من
حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي
المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار⁽¹⁴⁾ .

* لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
(البراهين والأدلة على نبوة محمد ﷺ)⁽¹⁵⁾ .



الصفات

* وأمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرٍ به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون⁽¹⁶⁾

* ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون⁽¹⁷⁾

* فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم⁽¹⁸⁾ .

* وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة . وباعوا بغضبٍ من الله . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون⁽¹⁹⁾

* ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . وإن من الحجارة لما ينفجر منه الأنهار . وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء . وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافلٍ عما تعملون⁽²⁰⁾ .

* أفَتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون⁽²¹⁾ .

* وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون⁽²²⁾ .

* ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون⁽²³⁾ .

* وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده . أم تقولون على الله ما لا تعلمون⁽²⁴⁾

* ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض⁽²⁵⁾ .

* ولقد آتينا موسى الكتاب . وقفينا من بعده بالرسول . وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون⁽²⁶⁾ .

* وقالوا قلوبنا غُلْفٌ (مغطاة بالأغلفة) . بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون⁽²⁷⁾ .

* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور . خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا⁽²⁸⁾ .

* ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا (أيضاً) . يود أحدهم لو يعمر ألف سنة . وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون⁽²⁹⁾

* ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم⁽³⁰⁾ .

* وقالوا اتخذ الله ولداً (عزير) . سبحانه . بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون⁽³¹⁾ .

* سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل الله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (32) .

* الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (33) .

* سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة . ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب (34) .

* إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيبشرهم بعذاب أليم (35) .

* كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن نُنزل التوراة . قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (36) .

* لن يضرركم إلا أذى . وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون * ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباعوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (37) .

* لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء . سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق . ونقول ذوقوا عذاب الحريق (38) .

* من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه (يغيرونه) ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لئلاً بالسنتهم (قصدوا سب النبي ﷺ) وطعنوا في الدين (39) .

* فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق . وقولهم قلوبنا غُلْفٌ . بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً⁽⁴⁰⁾ .

* فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل⁽⁴¹⁾ .

* فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية . يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به⁽⁴²⁾ .

* سماعون للكذب أكالون للسحت . فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم . وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً⁽⁴³⁾ .

* وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت . لبئس ماكانوا يعملون⁽⁴⁴⁾ .

* لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً . كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون⁽⁴⁵⁾ .

* لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون⁽⁴⁶⁾ .

* لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى⁽⁴⁷⁾

* لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون * لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر . بأسهم بينهم شديد . تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون⁽⁴⁸⁾ .

• وقالت اليهود يد الله مغلولة . غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ (أصبحوا بخلاء) ولعنوا بما قالوا . بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً . وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله . ويسعون في الأرض فساداً . والله لا يحب المفسدين⁽⁴⁹⁾ .



الهوامش

-
- ¹ (سورة آل عمران 93
 - ² (سورة مريم : 58
 - ³ (سورة البقرة : 140
 - ⁴ (سورة آل عمران : 65 - 67
 - ⁵ (سورة التوبة : 30
 - ⁶ (سورة النساء : 160
 - ⁷ (سورة المائدة : 44
 - ⁸ (سورة الأنعام : 146
 - ⁹ (سورة البقرة : 135
 - ¹⁰ (سورة الأعراف : 155، 156
 - ¹¹ (سورة النساء : 47
 - ¹² (سورة البقرة : 105
 - ¹³ (سورة الحشر : 2
 - ¹⁴ (سورة البيّنة : 1
 - ¹⁵ (سورة البقرة : 142
 - ¹⁶ (سورة البقرة : 41
 - ¹⁷ (سورة البقرة : 42
 - ¹⁸ (سورة البقرة : 59

-
- 19 (سورة البقرة : 61
20 (سورة البقرة : 74
21 (سورة البقرة : 75
22 (سورة البقرة : 76
23 (سورة البقرة : 78
24 (سورة البقرة : 80
25 (سورة البقرة : 85
26 (سورة البقرة : 87
27 (سورة البقرة : 88
28 (سورة البقرة : 93
29 (سورة البقرة : 96
30 (سورة البقرة : 105
31 (سورة البقرة : 116
32 (سورة البقرة : 142
33 (سورة البقرة : 146
34 (سورة البقرة : 211
35 (سورة آل عمران : 21
36 (سورة آل عمران : 93 ، 94
37 (سورة آل عمران : 111 ، 112
38 (سورة آل عمران : 181
39 (سورة النساء : 46
40 (سورة النساء : 155
41 (سورة النساء : 160 ، 161

-
- 42 (سورة المائدة : 13
43 (سورة المائدة : 42
44 (سورة المائدة : 62
45 (سورة المائدة : 70
46 (سورة المائدة : 78 - 80
47 (سورة المائدة : 82
48 (سورة الحشر : 13 ، 14
49 (سورة المائدة : 64

الفصل الخامس

العقاب الإلهي

* وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعْ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا . قَالَ أَلَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ . اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ . وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ . ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ⁽¹⁾ .

* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً (تَصْرِفَاتِكُمْ كَالْقِرَدَةِ) خَاسِئِينَ (مُنْبُوذِينَ)⁽²⁾ .

* وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ . بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ⁽³⁾ .

* بئسما اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا (حَسَدًا) أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (مُحَمَّدٌ ﷺ) (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)⁽⁴⁾ .

* وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ . وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ . كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ . فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا . أُولَئِكَ مَأْكَانٌ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ . لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ⁽⁵⁾ .

* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا . وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ (نَزَاعٍ وَعِدَاوَةٍ) . فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ⁽⁶⁾ .

* سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ . وَمَنْ يُبَدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ⁽⁷⁾ .

* إن الذين يكفزون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقٍ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيبشرهم بعذاب أليم * أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومآلهم من ناصرين (8) .

* لن يضروكم إلا أذى . وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون * ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس . وباعوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (9) .

* لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء . سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حقٍ ونقول ذوقوا عذاب الحريق (10) .

* يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً (نمحوها أو نتركها في الضلالة) فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً (11) .

* فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً (12) .

* يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (13) .

* قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون * قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرمة عليهم . أربعين سنةً يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين (14) .

* من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساداً فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون (15) .

* قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله . من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت (أطاع الشيطان) . أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل (16) .

* وقالت اليهود يد الله مغلولة . غلَّتْ أيديهم (أصبحوا بخلاء) ولعنوا بما قالوا . بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء . وليزیدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً . وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله . ويسعون فى الأرض فساداً . والله لا يحب المفسدين (17)

* لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون (18) .

* وإذ تأذن ربك لبيعن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (19) .

* وقطعناهم فى الأرض أمماً . منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (20) .

* وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا (الأمعاء) أو ما اختلط بعظم .
ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون * فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة
ولا يردُّ بأسه عن القوم المجرمين⁽²¹⁾ .

* * * * *

الهوامش

- 1 (سورة البقرة : 61
- 2 (سورة البقرة : 65
- 3 (سورة البقرة : 88
- 4 (سورة البقرة : 90
- 5 (سورة البقرة : 113 : 114
- 6 (سورة البقرة : 137
- 7 (سورة البقرة : 211
- 8 (سورة آل عمران : 21 ، 22
- 9 (سورة آل عمران : 111، 112
- 10 (سورة آل عمران : 181
- 11 (سورة النساء : 47
- 12 (سورة النساء : 160 ، 161
- 13 (سورة المائدة : 21
- 14 (سورة المائدة : 24 - 26
- 15 (سورة المائدة : 32
- 16 (سورة المائدة : 60
- 17 (سورة المائدة : 64
- 18 (سورة المائدة : 78 - 80
- 19 (سورة الأعراف : 167
- 20 (سورة الأعراف : 168
- 21 (سورة الأنعام : 146 ، 147.

إِفْضَيْكَ السَّائِرِينَ

قطار المسيرة وتصحيح المفاهيم

تمهيد

إذا تتبعنا مسيرة بنى إسرائيل منذ بدء التسمية الإلهية لهم ببني إسرائيل (نسبة إلى يعقوب (عليه السلام) المكنى بإسرائيل إلى تسميتهم باليهود (من عهد موسى (عليه السلام) إلى تسميتهم بالصهاينة (كما أطلق عليهم ناثان برونباوم بالمعنى السياسي الحديث) نجد أن تلك المسيرة قد حفلت بالعديد من المحطات الهامة . وإذا تتبعنا ركب بنى إسرائيل وهم يستقلون قطار الحياة ومسيرة العمر والمحطات الهامة في حياتهم نجد فيها المحطات الكبيرة والمحطات الصغيرة وفي كل نجد الركب وقد تضاعف أو تضاعل وتلاشى ليعود من جديد إلى الساحة معلناً عن وجوده بصورة أو بأخرى مرة في زي السيد المتمكن القادر القاهر ومرات في لباس العبد الذليل المتمسكن الخاضع . مرة فوق القمة ومرات تحت السفح والقاع . في الحواري والأزقة والجحور . فترات بياتٍ قد تطول أو تقصر ريثما يشتد العود وتقوى الشكيمة وتتمو الأنياب والمخالب ويزداد مخزون السم . كيداً وحقداً . غلاً وحسداً . تتغير السحنات والملاحم بضخ الدماء الجديدة في الجسد المترهل مع كل تهوؤٍ أو تحوّلٍ لتعود مرة أخرى إلى التيه والشتات والجيوت .

بوقة انصهارٍ جديدة تبدأ بالنضارة والثروة والحظوة والسيطرة . فإذا ما هبت العاصفة وتمادى الإعصار خنس البنيان واصطكت الأسنان وارتعدت الفرائص وغارت العيون وشاهت الوجوه وهطل الدمع واعتصر الخوف الأفتدة من المصير المحتوم والقدر الذي لا فرار منه مهما تحصنت النفوس . فمن تمكن من الهروب ناجياً بدأت دورته من جديد ومن لم ينج بنفسه لا يجد مفرّاً من تقديم حياته طواعية . قربانا للآثام والشرور التي ارتكبها وافتداءً لذويه وبنى جلدته . رحلة هي أو ارتحالات عبر المكان

والزمان . كلما توهجت خبت . وكلما علت خسأت.فى داخلها كل المتناقضات والطفرات ومن خارجها تأتى الأقدار بالسخط والذلة والمسكنة وغضب من الرب له مايبرره . النكبات تلاحقهم بما كسبت أيديهم واللعنات تطاردهم لشروهم فى حق أنفسهم قبل الخلق أجمعين .

أحيانا يستقلون قطاراً أفعوانياً يصعد بهم إلى قممٍ عالية فيتصورون أنهم سادة الكون والباقون من الأنعام والمواشى :

*لحمهم كالحم الحميم ومنهم كمني الخيل (أى نطفهم ونسلهم كالحمير والخيل) (1) .

ولذلك لا ينطبق مفهوم الزنا عندهم كما نفهم . فالمرأة غير اليهودية كالبييمة تستأهل وتستحق ما يفعل بها . ونصوص عهدهم القديم الذى اخترعوه وكتبوه بأيديهم تعطى نظامهم المنشود حق قتل الأبرياء العزل من حولهم :

*وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماءً (2) .

ويعتقدون أن أنفسهم تتساوى مع العزة الإلهية (قاتلهم الله أنى يؤفكون & وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) . فالدنيا وما فيها ملك لهم والشفقة ممنوعة لغير اليهودي . وعليهم أن يعاملوا الأغيار والأجانب (جوييم) أى غير اليهود كحيوانات دنيئة غير عاقلة . يصبون عليهم جام حقدهم واحتقارهم عسى أن يبيدوا ويهلكوا إلى الأبد وتخرب ديارهم فيصبحوا هم العنصر البشرى الباقي والخالد :

* لأنهم تأمروا بالقلب معاً عليك . تعاقدوا عهداً . خيام أدوم (الأردن)
والإسماعيليون (المسلمون) . مؤاب والمهاجرون . جبال وعمون
وعماليق . فلسطين مع سكان صور (لبنان) . آشور (العراق) أيضاً
اتفق معهم . صاروا ذراعاً لبني لوط . سلاة . إفعل بهم كما بمديان كما
بسييرا كما ببابين في واديقيشون . بادوا في عين دور . صاروا يميناً
للأرض . اجعل شرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب . ومثل زبح ومثل
صلمناع كل أمرائهم الذين قالوا لنمتهلك لأنفسنا مساكن الله . يا إلهي اجعلهم
مثل الجلّ مثل القش أمام الريح . كنار تحرق الوعر . كلهيب يشعل
الجبال . هكذا اطردهم بعاصفتك وبزوبعتك رؤّعهم . املاً وجوهم خزيماً
فيطلبوا اسمك يارب . ليخزوا ويرتاعوا إلى الأبد . ولينجلوا
ويبيدوا (3) .

* لأن للرب ذبيحة في بصرة (العراق) وذبيحة عظيمة في أرض أدوم
(الأردن) . ويسقط البقر الوحشي معها والعجول مع الثيران . وتُروى
أرضهم من الدم . وترابهم من الشحم يسمن لأن للرب يوم انتقام سنة جزاء
من أجل دعوى صهيون . وتتحول أنهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير
أرضها زفتاً مشتعللاً ليلاً ونهاراً لا تنطفئ إلى الأبد يصعد دخانها من دور
إلى دور تخرب . إلى أبد الآبدين يكون من يجتاز فيها . ويرثها القوق
والقنفذ . والكركي والغراب يسكنان فيها . ويمد عليها خيط الخراب ومطمار
الخلأ (4) .

* لأنني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك . جعلت مصر فديتك .
كوش وسبا عوضك (5) .

ونكتفى بتلك المقاطع من الأسفار الكثيرة والاصحاحات الممثلة بالأحقاد والشرور التي يضمرونها لكل البشر . ولا عجب فى ذلك . حيث أن كاتبوها فى السبى (المنفى) البابلى والآشورى قد ارتوت لحومهم وعظامهم حتى النخاع بتلك الأحقاد فأثروا أن يطمسوا ما جاء فى ألواح التوراة المنزلة . ويردوها فى غياهب النسيان وردحات الزمان . فماذا يكتب الشخص غير السوى فى منفاه غير هذا الذى يقطر غلاً وحقدًا على البشرية جمعاء . لأنهم - فى نظره - مشتركون فى إيدائه ومتضامنون على الخلاص منه . ومتفقون على تجريمه وتأثيمه فيما فعل ويفعل . وماذا بعد سبعة قرون من نزول ألواح التوراة من قِبل الله العلى القدير :

*إننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور . يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء (6) .

فأين ذهببت هذه التوراة المنزلة . ولماذا أخفوها وطمسوها وبدّلوا وحرفوا كل ما فيها . ألم يكن كافيا ما فيها ليعملوا بها ويتبعونها :

*وكتبنا له (لموسى) فى الألواح (التوراة) من كل شىء موعظةً وتفصيلاً لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها (وكلها طيب وحسن) سأوريكم دار الفاسقين (7) .

ولكنهم أبوا الطاعة والامتثال للأمر :

*مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لا يهدى القوم الظالمين (8) .

فهم لم يكونوا أهلاً للطاعة والامتثال . ولم يوقروا كلمات الله المنزلة
والتوراة المرسلّة إليهم . لم يحملوها كما أراد الله وتمنى موسى (عليه السلام) ومن
جاء بعده من النبيين . فأصبحوا كالحمير يحملون الأسفار (أى الكتب
والعلوم النافعة) فلا هم يعلمون ما فوق ظهورهم ولا هم يستطيعون القراءة
. وإن قرأوا فلا إدراك ولا فهم ولا تدبر . وبالتالي فلا حمل حقيقي لها .
ويدعون أنهم الشعب المؤمن والمختار ويملأون الدنيا صراخاً وعويلاً بأنهم
مضطهدون ومحاربون من كل الأمم . وأنهم شعب مميّز ومختار من
الله نقى الدماء وطاهر الجنس . وقالوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن لهم الجنة
والخلود فيها :

* وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم
بذنوبكم . بل أنتم بشرٌ ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (9).

* قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا
الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم
بالظالمين (10).

* قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم
بالظالمين (11) .

ادعاءات كثيرة لا سند لهم فيها . ولا دليل على مصداقيتهم فيما
يدعون . ودائماً - كما نعلم - صاحب الصوت الأعلى ليس على حق - أى
حق - وإنما صاحب الحق هو الأقل صراخاً وصخباً وضجيجاً . فصاحب
الحق تكون لديه البراهين والحجج فلا حاجة له للنعيق أو النهيق . أما

المدعي والأفك فيستخدم صوته الصاخب للتشويش وللتضليل وللتمويه
ولطمس الحقائق . كل الحقائق .

وعودة إلى قطار بنى إسرائيل واليهود والصهاينة نجد أنهم يستقلونه
كلما ضاقت بهم السبل . يضيقون بالوقوف الطويل فى محطات الإيمان
والحق والالتزام . وينزعون إلى الترحال والشتات حيث جبلوا على ذلك
وحيث حلت عليهم لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة . (الديناميكا) تعطيمهم
الحياة وتمنحهم الطموحات . أما (الاستاتيكا) فهي لهم كالطوق حول
العنق يشعرون معه بالاختناق حتى ولو كان الطوق واسعاً فضفاضاً .

ولا يغرّن عاقل وفاهم وواع أن تجمعهم الآن في أرض فلسطين هو مبلغ
طموحهم وأمانهم وعزتهم . فلا هم متدينون كما يدعون . ولا هم آمنون
مهما كانت قوتهم الظاهرة وأسلحتهم القاهرة كما يقولون ويشيعون . إنما
هو الخوف الغريزي الذي تمكن منهم فجعلهم ينكفئون على أنفسهم في محاولة
للطمأنينة وبث الأمن والسكينة في كواامن النفس . ونعمة الأمن تلك لا تعادلها
نعمة مع الإيمان بالله :

* أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن
أكثرهم لا يعلمون⁽¹²⁾ .

* أو لم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون⁽¹³⁾ .

* هو الذي أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم⁽¹⁴⁾ .

وبعد . فلنبدأ معاً فى تتبع رحلة بنى إسرائيل عبر المكان والزمان
ومحطات ركبهم الرئيسية التي تتميز بكبار أنبيائهم - فى نظرهم - مثل موسى
(عليه السلام) صاحب التوراة والرسالة والشرعة . وداود وسليمان (عليهما السلام) صاحبي
المملكة والهيكل . وعيسى (عليه السلام) آخر أنبيائهم وميلاده المعجز . ووفاته التي
قيل فيها ما قيل .

مع آيات الله المرشدة والهادية لنتعرف على أنبيائهم المذكورين فى
القرآن الكريم (ثلاثة عشر نبياً ورسولاً من جملة ستة وعشرين نبياً وردت
أسماءهم فى القرآن الكريم أى النصف تماماً) .



إبراهيم (عليه السلام)

* واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً (15).

وهو المحطة الكبرى قبل البداية . بداية انطلاق آباء بني إسرائيل ولن نتوقف طويلاً عند تلك المحطة في دراستنا هذه لأن وجود بني إسرائيل وتسميتهم إنما تبدأ مع حفيده يعقوب (عليه السلام) المكنى بإسرائيل . ولكننا نتذكره بحكم أنه الجد الأكبر لهم :

* وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (16) .

* وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حلیم (إسماعيل) (17) .

* وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما (ذرية إبراهيم وإسماعيل & ذرية إبراهيم وإسحاق) محسن وظالم لنفسه مبين (18) .

لما أنار الله بصيرة إبراهيم (عليه السلام) وهداه إلى الرشد رفض عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع وقام بتحطيمها مما عرّضه ذلك لمحاكمة انتهت بإلقائه في النار ونجاه الله منها بقدرته :

* قالوا حرّقه وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برّداً
وسلاماً على إبراهيم (19).

ثم حاجة الملك - بعد محاجة قومه وأبيه - بأنه - أي الملك - يحيي
ويميت كالإله فأفحمه إبراهيم بأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من
المغرب فبهت الملك ولم يستطع الرد أو ادعاء الألوهية . وأصبح إبراهيم
(عليه السلام) موضع اضطهاد قومه وكيدهم . ولما أخفق في هدايتهم بشتى وسائل
الإقناع المختلفة تبرأ منهم ولم يطب له المقام بينهم وذهب إلى (أور) الكلدانيين
ثم (حاران) ثم رحل بعد ذلك إلى فلسطين غريباً ومعه زوجته سارة ولوط
ابن أخيه وزوجه وهم الذين آمنوا به حين دعا قومه لعبادة الله الأحد:

* فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم (20).

* ونجيناه لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (21).

وإبراهيم (عليه السلام) من أولى العزم من الرسل (وهم خمسة) وكان أمةً
قانتاً لله ومطيعاً له :

* وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم . ومنك (محمد) ومن نوح وإبراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً (22) .

وسكن إبراهيم ولوط (عليه السلام) في شكيم (نابلس) ولم يطل به المقام لما
حدث جذب وقحط في الأرض وانتقل إلى مصر في عهد الهكسوس ثم عاد
إلى فلسطين ومعه جارية مصرية (هاجر) تزوجها لينجب منها - بعد ذلك -
إسماعيل (عليه السلام) ثم بشرته الملائكة بميلاد إسحاق (عليه السلام) وكان ذلك في

معرض حديثهم عن مهمتهم لتدمير قوم (لوط) الذين يأتون ويمارسون
الفاحشة (اللواط) أى إتيان الذكور بدلاً من الإناث :

* ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء
بعجلٍ حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه (لا يأكلون كالبشر) نكرهم (نفر
منهم وخشى بأسهم) وأوجس منهم خيفة . قالوا لا تخف . إنا أرسلنا إلى قوم
لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق
يعقوب(23).

* * * * *

إسحاق (عليه السلام)

*ونبئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم
وَجِلُونَ * قالوا لا تَوَجَلْ إنا بشرناك بـغلامٍ عليم⁽²⁴⁾ (إسحاق).

* فلما اعتزلهم (إبراهيم) وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب
وكلأ جعلنا نبيا⁽²⁵⁾ .

ونلاحظ هنا أن صفة إسحاق (عليه السلام) المذكورة في الآيات أنه غلام
عليم . أما صفة إسماعيل (عليه السلام) أنه غلام حليم :

* رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بـغلامٍ حليم⁽²⁶⁾ .

ومن هذين النعتين نعلم أن إسماعيل (عليه السلام) هو الذبيح (في واقعة الذبح
والفداء) الذي ورد ذكره أولاً - في سورة الصافات - قبل الإشارة إلى ميلاد
إسحاق أخيه الأصغر لأن الحلم قرين الصبر :

* فلما بلغ معه (الغلام الحليم أي إسماعيل) السَّعَى قال يا بني إني أرى
في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت أفعل ما تؤمر . ستجدني
إن شاء الله من الصابرين⁽²⁷⁾ .

أما سيرة إسحاق والبشارة به فتأتى بعد الآية السابقة من نفس السورة
الكريمة (الصافات) :

* كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين (28).

ولو أن الذبيح - كما يقول اليهود - هو إسحاق فلم جاءت به البشارة بعد ذكر واقعة الذبح والفداء . والدليل الثاني أن الذبيح هو إسماعيل (عليه السلام) لا إسحاق (عليه السلام) أنه اتصف بكونه من الصابرين (في سورة الصافات) وهى نفس الصفة التي اتصف بها ووردت فى (سورة الأنبياء) :
* وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . كلٌ من الصابرين (29).

ويقال - عند أهل الكتاب - أن إسحاق تزوج من رِفْقَة بنت بتوئيل فأنجب منها غلامين أولهما (عيسو) أو عيساو وهو والد الروم والذي أعقبه (يعقوب) وهو إسرائيل . وفى العهد القديم نرى :

* وقال يا هاجر جارية ساراي (أى سارة) من أين أتيت وإلى أين تذهبين ، فقالت أنا هاربة من وجه مولاتى ساراي فقال لها ملاك الرب . ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها . وقال لها (لهاجر) ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يَعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدِينَ ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك (30).

* وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك إبناًو تدعو اسمه إسحاق (31).

وفى أسفار التوراة الموجودة الآن (العهد القديم) يذكرون أن الذبيح هو إسحاق . وينعتونه مرة بأنه وحيد أبيه إبراهيم ومرة بأنه بكر أبيه . وكلا القولين فيه تجنٍ وتجاوز ومغالطة واضحة . فلا إسحاق وحيد ولا هو بكره . وإنما هو الابن الثاني لإبراهيم والأخ الأصغر لإسماعيل (عليه السلام) .

يعقوب (إسرائيل) (عليه السلام)

وهو أحد توأمين لأبيه إسحاق (عليه السلام) وقد سماه الله إسرائيل :

* وكذلك يجتبيك ربك (الخطاب ليوسف (عليه السلام) ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم (32).

* كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل (يعقوب) على نفسه من قبل أن تنزل التوراة . قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (33).

* أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجداً وبكياً (34) . واستمرت ذرية يعقوب (عليه السلام) تحمل اسمه وسماهم الله (بنى إسرائيل) إلى يوم القيامة (بالإضافة إلى تسميتهم باليهود في عهد موسى (عليه السلام) مع نزول التوراة):

* ألم تر إلى الملاء من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله (35).

* ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (36).

وهذا التفضيل المشار إليه فى الآية الكريمة مشروط بميثاقهم وعهدهم مع الله بتوحيد ألوهيته وربوبيته سبحانه :

* يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفٍ بعهدكم . وإياى فارهبون⁽³⁷⁾ .

وقد أنجب يعقوب (عليه السلام) إثنتى عشر ولداً ذكراً أحدهم يوسف (عليه السلام) . وهم الذين سماهم الله الأسباط :

* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون⁽³⁸⁾ .

* قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون⁽³⁹⁾ .

* أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى . قل ءأنتم أعلم أم الله (بل الله) ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله . وما الله بغافلٍ عما تعملون⁽⁴⁰⁾ .

* إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده . وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان . وآتينا داود زبوراً⁽⁴¹⁾ .

ونلاحظ من الآيات السابقة أن ترتيب الأسماء مقصود بعينه أى أن إبراهيم هو والد إسماعيل (الأكبر) وإسحاق (الأصغر) . ومن نسل إسحاق كان يعقوب (إسرائيل) ومن نسل يعقوب كانت الأسباط ومن نسل الأسباط كانت الفروع والذرائع التي جاء منها أنبياء بنى إسرائيل جميعهم صلى الله عليهم وسلم أجمعين . وعند أهل الكتاب أن يعقوب (عليه السلام) هو الذي أسس المسجد الأقصى (مسجد إيليا) ببيت المقدس .⁽⁴²⁾ والأسباط هم :

- (1) رأوبين (روبيل) (2) شمعون (3) لاوى (4) يهوذا (5) ويساكر (يساخر) (6) زبوع (زابلون) من ليئة، (7) يوسف (8) بنيامين من راحيل .
- (9) دان (10) نفتالى من بلها جارية راحيل . (11) جاد (12) أشير من زلفا جارية ليئة . وكلهم ولدوا في آرام (سوريا) عدا بنيامين أخى يوسف فقد ولد في كنعان (فلسطين)⁽⁴³⁾ .



يوسف (عليه السلام)

وهو الابن الأثير ليعقوب والذي ورث النبوة وعلمه الله كيفية تأويل الأحاديث والرؤى :

* ولقد جاعكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاعكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (44) .

وهو الذي ألقاه أخوته (الأسباط) فى الجُب (البئر) خلاصاً منه بعدما أدركوا وأحسوا استثنائه بحب أبيهم . فبذبت فى قلوبهم الغيرة والحقد على يوسف (وهو ما تجلى عند اجتباء الله له كنبى ورسول) فتربى فى بيت العزيز بمصر (كعبد) ثم سُجن فى تهمة ظالمة لفقتها له امرأة العزيز (يعادل منصب رئيس الوزراء أو الوزير الأول) وبعد أن فسر رؤيا الملك أفرج عنه وعينه الملك - بعد إعلان براءته مما نسب إليه - من خاصته وأكابر دولته (وزيراً للمالية وحفيظاً على خزائن البلاد) وفى سنوات القحط (سبع سنوات عجاف) استقدم أبويه وأخوته إلى مصر وأهله ويقال أن عددهم وقتئذ سبعون أو يزيد (مع ذرائعهم) قدموا فى عصر ملوك الرعاة (الهكسوس) :

* فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً (سجود تكريم وتشريف لا سجود عبادة) وقال يا أبت هذا تأويل رؤيائى من قبل قد جعلها ربي حقاً .

وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي . إن ربي لطيف لما يشاء . إنه هو العليم الحكيم⁽⁴⁵⁾.

وفى الآيتين السابقتين نلاحظ أنهم دخلوا مصر آمنين لا غزاة ولا متسربين متسللين . كما أن يوسف يقر ويؤكد أصله وأصل أهله من أنهم رعاة (وجاء بكم من البدو) .

وسورة يوسف (عليه السلام) تقص علينا حياته وابتلاءاته ومنزلته وكيد أخوته (الأسباط) له ونجاته واصطفاء الله له نبياً من نسل يعقوب بتفاصيل دقيقة وصادقة ومحكمة (على خلاف ماورد في العهد القديم) وتمكينه في الأرض .

* وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين⁽⁴⁶⁾ .

ولقد أقام يوسف (عليه السلام) وأهله الذين استقدمهم إلى مصر في أرض جاسان (جوشن أو جاشان) شمال بلبيس بمحافظة الشرقية بمصر فمكثوا بها (ذرياتهم) حتى بعثه موسى (عليه السلام) ثم خروجهم من مصر معه . والسورة (سورة يوسف) من السور المكية التي نزلت على قلب النبي (ﷺ) وهو بمكة وفيها الكثير من العظات والعبر . وهى من أحسن القصص القرآني (كل القصص القرآني حسن) كما وصفها الله تعالى :

* نحن نقص عليك (يا محمد ﷺ) أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . وإن كنت من قبله لمن الغافلين⁽⁴⁷⁾.

موسى (عليه السلام) وهارون (عليه السلام)

موسى (عليه السلام) هو أحد أولى العزم من الرسل (خمسة) وهو نبي الله المرسل بالتوراة . وهو في نظر اليهود أهم أنبيائهم ومخلصهم من عبودية فرعون مصر وبطلهم الأسطوري . وهو نبي الخروج من مصر وصاحب المعجزات العديدة (تسع آيات بينات) . وهو محطة هامة في حياة بنى إسرائيل . وهو كليم الله :

* وكلم الله موسى تكليماً (48) .

* واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا * وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً * وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً (49) *

وإذا كان غالبية بنى إسرائيل يعدون موسى (عليه السلام) قائداً عسكرياً محكماً وينكرون عليه النبوة - افتراءً وزوراً - وينسبون الرسالة إلى هارون (عليه السلام) أخيه فليس ذلك إلا لأنه كان حادثاً معهم في تطبيق الشريعة كما أنه - في أغلب الأحوال - كان يستعين بأخيه هارون ليبلغ قومه بالتعاليم المنزلة لمنزلة ومكانة هارون في قومهم :

* وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني (عوناً) إنني أخاف أن يكذبون (50) .

* واجعل لى وزيراً من أهلي * هارون أخى * اشدد به أزرى * وأشركه فى أمرى (51).

كان موسى (عليه السلام) شديد البأس والبطش وحاد الطباع فنفى عنه قومه الرسالة - فى أحايين كثيرة - ونسبوا إلى هارون الأكثر فصاحة والأكثر لئناً وحلماً . وكثيراً ما قالوا أن موسى (عليه السلام) هو القائد السياسى والعسكري وهارون (عليه السلام) هو القائد الدينى . وقد عانى موسى (عليه السلام) كثيراً من قومه ولأجلهم حتى اضطروه - لعنتهم وصلفهم وكفرهم وجحودهم - أن يدعوا عليهم بالتية :

* قالوا يا موسى إنا لن ندخلها (الأرض المقدسة) أبداً ماداموا فيها (الجبارين والعماليق) فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون * قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال (الله) فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض . فلا تأس (تأسف) على القوم الفاسقين (52) .

الميلاد :

* نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم . إنه كان من المفسدين (53) .

فلما ولدته أمه خبأته عن عيون رجال فرعون الذي أمر بقتل ذكور بنى إسرائيل واستحياء (استبقاء) إناثهم حيث سرت فى القوم نبوءة مفادها أن هلاك الفرعون سيكون على يد أحد مواليد بنى إسرائيل الذكور . وظلت

كذلك حوالي ثلاثة أشهر ثم أوحى الله إليها (ليس كوحى الأنبياء وإنما كما يوحى إلى النحل مثلاً) :

* وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه . فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين * فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً . إن فرعون وهامان (وزيره أو نائبه) وجنودهما كانوا خاطئين * وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك . لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون * وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها (بالسكينة والأمن) لتكون من المؤمنين * وقالت لأخته قصيه (تحسسى أخباره وراقبيه) فبصرت به عن جُنُبٍ وهم لا يشعرون * وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون * فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون⁽⁵⁴⁾.

* ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى * أن اقدفيه في التابوت (الصندوق) فاقدفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له . وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني * إذ تمشى أخذك فتقول هل أدلكم على من يكفله (يربيه ويرضعه) . فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن⁽⁵⁵⁾.

وبحفظ الله له وإلقاء محبته على كل من تقع عينه على موسى نشأ وترعرع في بيت عدو الله وعدو موسى وهو الفرعون . وكان الله قد حرم عليه المراضع (أئداء المراضعات كان يرفضهن) ليتم وعده بعودة موسى إلى أمه التي أرضعته وتكفلت به حتى شب عن الطوق وأخذت عن ذلك أجراً من الفرعون .

البلوغ والاستواء :

* ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً . وكذلك نجزي المحسنين (56) .

وبلغ موسى من العمر أربعين عاماً (بلوغ الأشد) . وكان قوى
البنیان . فلما استغاثه أحد العبرانيين (من بنى إسرائيل) على أحد
المصريين وكزه موسى (ضربه في صدره) فمات الرجل . فندم موسى
على ذلك . وفى اليوم التالي وجد موسى نفس الإسرائيلي يقاتل مصرياً آخر
ويطلب منه العون . فلما مد موسى يده لبيطش بالذي هو عدو لهما . قال
المصري لموسى محذراً أتريد قتلى كما قتلت مصرياً آخر بالأمس . إنك إن
فعلت ذلك أصبحت من الجبارين في الأرض لا المصلحين . فانفضح أمر
موسى . وبلغ ذلك مسامع الفرعون وجاء رجل من المدينة مهرولاً ناصحاً
موسى بالهرب من البلاد حتى لا يناله عقاب الفرعون :

* ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته وهذا من عدوه . فاستغاثه الذي من شيعته على الذى من عدوه فوكزه
(ضربه) موسى فقضى عليه . قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل
مبين * قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له . إنه هو الغفور الرحيم
* قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين * فأصبح فى المدينة
خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه . قال له موسى إنك
لغوى مبين * فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن
تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما
تريد أن تكون من المصلحين * وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا

موسى إن الملاء يأتَمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب . قال رب نجنى من القوم الظالمين (57).

فخرج موسى من مصر إلى أرض (مَدْيَن) هارباً وخائفاً من القصاص . وهروب الخائف المتعجل لا يسمح له بحمل متاع أو زاد . ووجد بئر ماء يتزاحم عليه الرعاة الذين يطلبون السقيا لهم ولمواشيهم :

* ولما توجه تلقاء مَدْيَن قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل * ولما ورد ماء مَدْيَن وجد عليه أمةٌ من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان (تمنعان أغنامهما عن الماء) قال ما خطبكما . قالتا لا نسقي حتى يصدرَ (ينصرف) الرعاء وأبونا شيخ كبير * فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلّى من خير فقير (58) .

وكان رجوعهما إلى أبيهما بسرعة غير معتادة . فسألهما . فقصا عليه من أمر الرجل القوى الذي عاونهما فأرسل إحدى ابنتيه لتستدعيه (موسى) :

* فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا . فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين * قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين * قال إنى أريد أن أنكحك (أزوجك) إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرني (تعمل عندي) ثمانى جَجَج (سنوات) فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك . ستجدينى إن شاء الله من الصالحين * قال ذلك بينى وبينك أهما الأجلين قضيت فلاعدوان علىّ والله على ما نقول وكيل (59) .

ونلاحظ هنا أن إحدى ابنتي الرجل الصالح التي ذهبت في استدعائه هي نفسها التي طلبت من أبيها استئجاره للعمل طرفهم لإعجابها بموسى الذي عبرت عنه بقولها (إن خير من استأجرت القوى الأمين) فموسى كما بدا لها قوى البنيان أميناً عليهما فلم يחדش حياءهما بقول أو فعل وهو ماجالاً بخاطر الأب حين طلب منه الزواج بإحدى الابنتين وغالباً تلك التى استدعته للمثول بين يدي أبيها وهى نفسها التي زكته ووصفته بالقوة والأمانة . ويلاحظ من الآيات أن خروج المرأتين للسقاية كان بسبب أن أبيها رجل طاعن فى السن لا يستطيع أداء الأعمال كما أنهما بحكم أنوثتهما لم يزاحما الرجال حول البئر وهما شرطان تشريعيان لخروج المرأة لأداء المهام والأعمال : الضرورة والاحتشام (عدم المزاحمة والاختلاط بالرجال). كما نجد في الآيات أيضاً أن الرجل عرض على موسى اختيار إحدى ابنتيه للزواج لا الاثنتين (أى عدم الجمع بين الأخنتين فى الزواج) وهو ما يوافق تشريع التوراة والإسلام (لم يتنزل قبل حدوث تلك الواقعة بل بعدها) . وحين عرض الرجل الصالح (ونحسبه صالحاً لا نبياً كما يقول أهل الكتاب) المهر المطلوب للزواج بأن يعمل موسى (عليه السلام) عنده ثماني سنوات وإن أتممها لعشر سنوات كان ذلك راجعاً لموسى دون مؤاخذه. وموسى أتم الأجل الأكبر والأمد الأبعد أى عشر سنوات لعدة اعتبارات منها سقوط التهمة التي تلاحقه في مصر من جراء قتل المصري خطأ وإمعاناً في رد الجميل للرجل الصالح الذي آواه وطمأنه واحتضنه وزوجه بعد أن كان موسى يعانى الخوف من القصاص الذي يلاحقه والجوع والبطالة . فمكث موسى (عليه السلام) بمدين (تقع بين جنوب فلسطين وشمال الحجاز وتسمى مدين فى العهد القديم) حتى أتم الأجل المتفق عليه يراوده حلم العودة إلى أهله وقومه بمصر .

البعثة والتكليف بالرسالة :

لما قضى موسى (عليه السلام) مدة الاتفاق مع صهره وبينما هو يسائر يرعى الأغنام والماشية في التلال والهضاب رأى ناراً في ليلة باردة . فسأل أهله الانتظار حتى يجلب لهم جذوة من النار يستدفئون بها ويستدل على الطريق (طريق العودة لداره) من أصحاب تلك النار :

* فلما قضى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا
إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبرٍ أوجذوة من النار لعلكم
تصطلون (تستدفئون) * فلما أتاه نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة
المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين (60) .

وكان ذلك إيذاناً ببداية تكليف موسى بالرسالة مباشرة من العلي القدير .
والكلام المباشر من الله جل وعلا إحدى طرق المخاطبة والوحي من الله تعالى
لعباده الذين يصطفاهم :

* وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً (بالإنشاء والإلقاء في الروح) أو من
وراء حجاب (حاجز من النار أو خلافه) أو يرسل رسولا (جبريل أمين
الوحي) فيوحي بإذنه ما يشاء . إنه على حكيم (61) .

وبدأت أوامر الله وتكليفات الرسالة :

* وهل أتاك حديث موسى * إذ رء ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست
ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاه نودي يا
موسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى * وأنا
اخترتك فاستمع لما يوحى * إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة

لذكرى * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا
يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (فتهلك) .(62)

والتكليف بالرسالة كان على ثلاثة محاور:

- (1) توحيد الله وإفراد العبودية له وحده .
- (2) التوجه بالعبادة لله وإقامة الصلاة لذكر الله .
- (3) الإيمان بالساعة والحساب .

ثم بدأت الأوامر لتحديد المهام :

إذهب إلى فرعون إنه طغى * قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي
أمرى * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي
* هارون أخي * أشدد به أزرى * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيراً *
ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤالك يا موسى (63) .

أما لماذا طلب موسى (عليه السلام) معاونه أخيه هارون (عليه السلام) ففي تبليغ
الرسالة :

* قال رب إنى قتلتهم منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصح
منى لساناً فأرسله معي ردءاً (عوناً) يصدقني . إنى أخاف أن يكذبون *
قال سنشد عضدك (سنعينك ونقويك) بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا
يصلون إليكما . بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون (64).

وفصاحة هارون تأتي من كونه ملازماً لأهل مصر فترة طويلة ، فلغته
سلسة لطول الممارسة بينما اغتراب موسى عن مصر لعشر سنوات صبغت
حديثه بلكنة من لغة أهل مَدْيَن . كما أن خوف موسى من قصاص فرعون
بسبب قتله المصري خطأ يصبح عامل توتر فلا تسعفه البديهة وحضور الذهن

والقبول لدى الفرعون عند تبليغه بالرسالة التي أنزلها الله عليه فيضيق صدر موسى لذلك. ونرفض القول بأن موسى كان يتكلم بلثغة أو أن لديه عيوب في النطق لأن الأنبياء منزّهين عن العيوب الخلقية والخلقية :

* إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تتيا في ذكرى (لا تفترا في تبليغ الرسالة) *
إذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولاً له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى * قالاً ربنا إنما نخاف أن يفرط علينا (يعجل بالعقوبة) أو أن يطغى * قالاً لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى (65).

* وإذ نادى ربك موسى أن أثت القوم الظالمين * قوم فرعون ألا يتقون * قال رب إنني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون * ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون * قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون * فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بنى إسرائيل (66).

فلما عاد موسى بأهله إلى مصر وأبلغ هارون بما كان من أمر الرسالة توجهوا إلى فرعون معاً . فما كان من فرعون إلا أن تذكر ما كان من أمر موسى (القتل الخطأ) وأخذ يعايره بما حدث ويذكره :

* قال ألم نربك فينا ولیداً ولبنث فينا من عمرك سنين * وفعلت فعلتك التي فعلت (قتل المصري) وأنت من الكافرين (67).

فنفى موسى (عليه السلام) عن نفسه تهمة الكفر واعتبر أن ما حدث هو خطأ غير متعمد (الضلال) والجهل والاندفاع بعصبية لمناصرة بنى قومه دون وعى :

*قال فعلتها إذن وأنا من الضالين *ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلني من المرسلين * وتلك نعمة تمنّاها على أن عبّدت بنى إسرائيل . (جعلتهم عبيداً لك) (68).

فانتقل الفرعون من المحاجة فى موضوع موسى الشخصي إلى موضوع الرسالة التى حملها إليه من رب العالمين :

*قال فرعون ومارب العالمين *قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين *قال لمن حوله ألا تستمعون (متعجباً) * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (مستهزئاً) *قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (69).

ونلاحظ هنا تصاعد نبرة الحوار وجِدته . وكلما صعد فرعون الموقف صعد موسى (عليه السلام) حتى بلغ الفرعون غضبه وشططه أن قال :

*قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين (70).

فأراد موسى أن يظهر له البرهان على صدق نبوته :

*قال أولو جئتك بشيء مبين * قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (71) .

ولما كان السحر منتشرًا في عصر الفرعون اعتقد أن موسى قد تعلم فنون السحر فترة غيابه (هروبه) عن مصر وأن الأمر يحتاج إلى مواجهته بسحرة قومه حتى يبطل ادعاء موسى :

* قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحّار عليم⁽⁷²⁾.

المواجهة:

* فجمع السحرة لميقات يوم معلوم * وقيل للناس هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين * فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذن لمن المقربين * قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون⁽⁷³⁾.

* قال أجنّتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرِكَ يا موسى * فلنأتيناك بسحر مثله . فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى * قال موعدكم يوم الزينة (عيد الربيع) وأن يحشر الناس ضحى * فتولى فرعون كيداً ثم أتى * قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بعداً وقد خاب من افتري * فتنّازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى * قالوا إن هذان لساحران (موسى وهارون) يريد أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقكم المُنلى (معتقداتكم) فأجمعوا كيدكم ثم أنتموا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى * قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا . فإذا

حبالهم وعصيتهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخفْ إنك أنت الأعلى (74).

ولنا أن نتخيل آلاف الحيات والثعابين تتحرك من البحر في حلبة الصراع والمنازلة وتبدو وكأنها حيات حقيقية فيها الروح (٥٠) . وللهولاء الأولى توجس موسى خوفا ورهبا إلا أن الله ناداه ألا تخف . فإنك المنتصر بإذنه :

* وألق مافى يمينك تلقف ما صنعوا . إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى (75) .

* فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (76) .

فأيقن السحرة أن تلك العصا التي التهمت حبالهم وعصيتهم (وهى على هيئة الحيات والثعابين) هي من صنع غير البشر لأنها تلتهم كل ما حولها دون أن تنتفخ أو تشبع فما كان منهم إلا السجود لله والإقرار بنبوة موسى :

* فألقى السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون (77) .

فظن فرعون أن ماحدث هو مجرد تمثيلية اتفق عليها السحرة مع موسى ليخرجوا موقفه أمام قومه وظن أيضا أن موسى هو ساحرهم الأكبر ومعلمهم الأعظم فتوعدهم بالعذاب الشديد :

(*) يقال أن السحرة كانوا يملأون الحبال التي تشبه الحيات بمادة الزئبق فإذا ما ألقوها تتحرك بحركة الزئبق داخلها فتبدو وكأن فيها الروح .

* قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . إنه (موسى) لكبيركم الذي علمكم السحر
فلسوف تعلمون * لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين *
قالوا لا ضير . إنا إلى ربنا منقلبون * إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن
كنا أول المؤمنين⁽⁷⁸⁾ .

• فألقى السحرة سُجداً . قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال (فرعون)
آمنتم له قبل أن آذن لكم . إنه لكبيركم الذي علمكم السحر . فلأقطعن
أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد
عذاباً وأبقى * قالوا لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا .
فاقض ما أنت قاض . إنما تقضى هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر . والله خير وأبقى⁽⁷⁹⁾ .

توعد فرعون لموسى وقومه بالعذاب والرجل الملو من:

بعد واقعة السحرة وإيمانهم بأن ما جاء به موسى هو من عند الله وتهديد
فرعون لهم والتكيد بهم بنقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف (قطع اليد اليمنى
مع الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى) استعداه الملائكة من قومه
على موسى وقومه الإسرائيليين:

* وقال الملائكة من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك
والهتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإننا فوقهم قاهرون * قال
موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين * قالوا أؤذينا من قبل أن تأتيانا (بالرسالة) ومن بعد ما
جئتنا (بها) . قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض
فينظر كيف تعملون⁽⁸⁰⁾ .

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين (في نظرهم موسى وقومه كفرون) إلا في ضلال * وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إنني أخاف أن يبدل دينكم (دين فرعون المشرك) أو أن يظهر في الأرض الفساد * وقال موسى إنى عزت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (81) .

ولما علت صيحات الانتقام من فرعون وملئه انبرى صوت عاقل من آل فرعون آمن بما جاء به موسى وأنه نبي مرسل من عند الله ولكنه (الرجل) كان يخفى إيمانه :

* وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب * ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا . قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (مصادراً للرأى العاقل) * وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد (يوم الحساب) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم * ومن يضل الله فما له من هاد * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك (مات) قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب * الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم . كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا . كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (82) .

لم يعجب فرعون الكلام الذي قاله الرجل المؤمن ذو الحظوة لديه (من قومه) وإن كان سمح له بالكلام في حضرته بتلك النبوة من القول (يقال أنه ابن عمه)⁽⁸³⁾ . ونادى فرعون على وزيره (أو نائبه) هامان غاضبا :

* وقال فرعون يا هامان ابن لى صرُحاً لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا . وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل . وما كيد فرعون إلا فى تباب (خسران وهلاك)⁽⁸⁴⁾ وعلا صوت الحق والعقل مرة أخرى مشفقا عليهم :

* وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار * من عمل سيئة فلا يُجْزى إلا مثله . ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزقون فيها بغير حساب⁽⁸⁵⁾ .

ولما استمر القوم على عنيتهم ورفضهم للاقتناع بما يقوله الرجل المؤمن رفع الرجل من صوته محتداً ومحذراً تحذيراً أخيراً بقوله :

* ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار * تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به مالى لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار * لاجرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله . وأن المسرفين هم أصحاب النار * فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله . إن الله بصير بالعباد⁽⁸⁶⁾ .

وحينئذ - لما فاض به الكيل - تعرض الرجل لغضب فرعون وملائه وهموا بإيذائه كما هموا بموسى من قبل ولكن الله نجاه من مكرهم :

* فوقاه الله سيئات مامكروا وحق بال فرعون سوء العذاب⁽⁸⁷⁾ .

واستخف فرعون بقومه وعقولهم المغيبة ليخرج من المأزق الذى وضعه فيه موسى والرجل المؤمن (من قومه) ولم يؤمن بموسى إلا قليل من قومه (خوفاً من فرعون) وهذا الرجل (من قوم فرعون) وامرأة فرعون (كتمت إيمانها) والرجل الذى جاء من أقصى المدينة ناصحاً موسى بالهروب (حين قتل المصري خطأ)⁽⁸⁸⁾

* فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوفٍ من فرعون وملئهم أن يفتنهم . وإن فرعون لعالٍ فى الأرض . وإنه لمن المسرفين⁽⁸⁹⁾ .

* وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين⁽⁹⁰⁾ .

وجاء وحى الله لموسى وهارون (عليهما السلام) أن يجعلوا بيوتهما وبيوت قومهم الذين آمنوا قبلةً وملاً لكل مهتد . ودعا موسى وهارون على فرعون وملئه :

* وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا (اجعلا) لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا (لجميع المؤمنين) بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين * وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك . ربنا اطمس (أهلك وأتلف) على أموالهم واشدد (اطبع) على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبك دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون⁽⁹¹⁾ .

قارون:

كان من قوم موسى (عليه السلام) ومن أغنى أغنيائهم وليس من قوم فرعون كما يشاع (يقول ابن جرير أنه ابن عم موسى ورد قول ابن إسحاق من أنه كان عم موسى)⁽⁹²⁾ . دعاه موسى (عليه السلام) للإيمان بالله فأنكر وجود الإله والرب فاستحق عذاب الله الذي نزل به :

* إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم . وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض . إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أو تيته على علم عندي . أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا . ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويا لكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا . ولا يلقاها (أى الجنة) إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا . ويكأنه لا يفلح الكافرون⁽⁹³⁾ .

* وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وماكانوا سابقين * فكلأ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا (قوم عاد) ومنهم من أخذته الصيحة (قوم ثمود) ومنهم من خسفنا به

الأرض (قارون) ومنهم من أغرقنا (فرعون وهامان) وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (94) .

— وكان موسى (عليه السلام) مرسلًا لقومه وفرعون وقومه لهدايتهم إلى طريق النجاة والرشاد وأيده الله بالمعجزات ليؤمنوا دون جدوى :

* ولقد أرسلنا موسى بآيتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب (95) .

وقارون هذا كانت مفاتيح خزائنه (المفاتيح فقط) كثيرة وثقيلة فيصعب حملها (مجتمعة) بواسطة جماعة من الرجال الأشداء .

الآيات المفصلات (تسعة) :

رغم كل ما حدث من البراهين والأدلة على صدق نبوة موسى وهارون (عليه السلام) لم يؤمن فرعون وحاشيته وقومه . ولما دعا موسى وهارون (عليه السلام) ربهما بأن يطمس على أموال الكافرين وأن يشدد على قلوبهم استجاب الله لهما وبدأت سلسلة من الابتلاءات للمصريين لعلمهم يؤمنوا بموسى ورسالته :

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين * فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منهم يضحكون * وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون * وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون * فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون * ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى مَلِكٌ مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى . أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذى هو مهين (يقصد

موسى) ولا يكادُ يبين (ليس فصيحاً عند الكلام) * فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين⁽⁹⁶⁾.

* ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحوراً * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر (آيات بيّنة للمبصر) وإنى لأظنك يافرعون مثبوراً (أى هالكا)⁽⁹⁷⁾.

* ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز (العذاب) قالوا يا موسى ادع لناربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون⁽⁹⁸⁾.

والآيات المذكورة هنا خمسة (الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم) بالإضافة إلى الأخذ بالسنين (الجذب والقحط فلا يأتى فيضان ولا تروى الأرض) ونقص من الثمرات (بتسليط الآفات الزراعية والرياح أو الحر الشديد) والعصا (التى تتحول إلى ثعبان عظيم وفيها منافع أخرى لموسى) واليد (يده التى كان يضعها فى جيبه ثم يخرجها فتكون بيضاء كالشمع من غير سوء أو مرض) . وتلك هى الآيات المفصلات (تسعة) والبراهين المتتالية الدالة على نبوة موسى وهارون (عليه السلام) ورغم توالى

حدوثها لم يؤمن فرعون ولا قومه إنما كانوا يضحكون استهزاءً وجحوداً واستعلاءً . فبعد الجَدْب والقَحْط جاء عام فيه فيضان شديد مدمر للمحاصيل وأغرق الجسور والأراضي . وكانت الزروع لا تثمر من الآفات المسلطة عليها بإذن الله تعالى ومن الرياح الساخنة والحر الشديد . وملاً الجراد الوادي فأتى على ماتبقى من الأخضر واليابس . وانتشر القمل بأنواعه قمل الشعر وقمل الجسم (مايسبب مرض الجرب) وامتلأت البيوت والشوارع بالضفادع تتقاذز هنا هناك ، وتغير ماء النهر واكتسى بالدم فعافت النفوس الشرب منه إلا اضطرارا .

وهذه الآيات والابتلاءات لم تأت دفعة واحدة وإنما على مراحل وكل مرحلة تتلوها أخرى عسى أن يؤمن القوم دون جدوى . وكان كلما حل البلاء بأهل مصر تشاءموا من وجود موسى والإسرائيليين (يطِّروا بموسى ومن معه) . ولما يسقط الأمر في أيديهم يطلبون من موسى أن يدعو الله (أدع لنا ربك . وليس ربهم أوربنا) ليرفع عنهم البلاء والعذاب على أن يؤمنوا به بعد ذلك . فيرفع البلاء وينقضوا عهدهم مع موسى ومع الله . وكانوا يظنون أن موسى قد حذق فنون السحر (يا أيها الساحر) فأصبح بارعاً في ممارسته لدرجة لا يباريه أحد فيما يفعل . وبعد عدة ابتلاءات لم يؤمنوا ولم يرسلوا بنى إسرائيل مع موسى (أى لم يطلقوا سراحهم من الأعمال المهيينة والاضطهاد) وكان ذلك استكباراً منهم :

* وألقى عصاك . فلما رآها تهتز كأنها جان ولَّى مدبراً ولم يعقب يلموسى لا تخفى
إني لا يخاف لدى المرسلون * إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوءٍ فإني غفور رحيم * وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوءٍ (موز)
في تسع آياتٍ إلى فرعون وقومه . إنهم كانوا قوماً فاسقين * فلما جاءتهم

آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (99).

* ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عـزـيز مقتدر (100).

الخروج من مصر :

صدر الأمر الإلهي لموسى وهارون (عليه السلام) أن يصحبا بنى إسرائيل للخروج من مصر ليلاً للذهاب إلى أرض فلسطين (الأرض المقدسة) تخلصاً من العبودية على يد فرعون مصر وقومه وبعدهما تبين أن فرعون وقومه لن يؤمنوا برغم كل الابتلاءات التي مرت بهم وكل الأدلة على صدق نبوة ورسالة موسى وهارون (عليه السلام) :

* وأوحينا إلى موسى أن أسر (ليلاً) بعبادي إنكم متبعون * فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون (طائفة) * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون (متأهبون لما سوف يفعلوا) (101).

* ولقد فتننا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسultan مبين * وإني عذت بربى وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لى فاعزلون * فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون * فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون (102).

أى رغم الحيلة والحذر والسير والهروب ليلا فإن آل فرعون سيتبعونكم ويطاردونكم فلا تخشوهم واثبتوا على الإيمان لأن الله ناصركم ومجيركم من القوم الظالمين . فانطلق بنى إسرائيل ليلا بعدما رفض فرعون إطلاق سراحهم وتمادى في تعذيبهم بالسخرة والضغط النفسية :

* ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين (103).

وكان أن استعار نسوة بنى إسرائيل حُلِيّاً من الذهب من نساء مصر للتزين بها في عيدهم المشرف على الحلول قبل هروبهم من مصر فكان ذلك سبباً فى ازدياد حنق المصريين عليهم واعتبروهم لصوصاً ومخادعين فرّوا بالحلي الذهبية . ولذا انطلق المصريون فى حماس مع جيش الفرعون الذى استدعاه على وجه السرعة ليلحق بالإسرائيليين الهاربين إلى شرق البلاد :

* فأتبعوهم مشرقين (104) :

ورأى الفريقان والجمعان كل منهما الآخر رأى العين عندما أشرقت الشمس عليهم . وخاف قوم موسى وهلعوا رغم أن الله أخبرهم سلفاً أنهم متبعون من جند فرعون . ولكنها الرهبة من شخصية فرعون المتجبر . وبدا أمامهم البحر وخلفهم جنود الفرعون والمصريين . فكيف الفرار وإلى أين :

* فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معى ربى سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرّق كالطود العظيم (كالجبل) * وأزلفنا ثمّ الآخرين (قربنا آل فرعون منكم وراءكم مباشرة) * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين (105) .

* ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً (أرضاً جافة) لا تخاف دَرَكاً (إدراكاً) ولا تخشى * فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم (106) .

* فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون * واترك البحر رهواً (منفجاً عن اليابسة كما هو) إنهم جند مغرقون (107) .

وكل هذه الآيات المذكورة تدل على حدوث معجزة شق البحر ووجود طريق واحد من اليابسة وسطه يسمح بالسير الآمن فوقه . والماء على الجانبين مفروق كالجبل الشامخ العظيم بأمر الله لا ينطبق إلا بعد نجاة آخر إسرائيلي فيعود الماء إلى سيرته الأولى وخاصيته الطبيعية (خاصية الاستطراق حسب نظرية الأواني المستطرقة المعروفة) فيغرق آل فرعون وجنوده وأولهم الطاغية المتأله فرعون مصر مدعى الألوهية والمصريين الذين خاضوا من ورائه في البحر . فماذا قال فرعون عند معاينة الغرق :

* وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً (ظلماً وعدواناً برغبة الفتك بهم) حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * الآن (أى أدركت ذلك الآن) وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيكَ بيدنك (بجتتك) لتكون لمن خَلَفَكَ آية (عظة وعبرة لمن كان يظن بالألوهية فرعون وعدم موته كالبشر) وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون (108) .

* فأراد (فرعون) أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً (109) .

* فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمِّ وهو مليم (فرعون لائم لنفسه) (110) .

ولنا عدة ملاحظات على واقعة الخروج كما بينتها الآيات الكريمة :

« سير بنى إسرائيل كان ليلاً ولمدة ليلة واحدة فقط (الكتاب المقدس فى عهده القديم يشير إلى أن الرحلة استغرقت بضع ليالٍ) والدليل فى نص الآيات السابقة (فأسر - فأرسل فرعون - فأخرجناهم - فأتبعوهم مشرقين - فلما تراء الجمعان - فأوحينا إلى موسى) والفاء هنا تعنى التتابع السريع للأحداث لا التراخي و البطء (فى حالة لو استخدمت كلمة ثم بدلاً من الفاء) وطبيعى أن الخوف الذى تملك من قلوب الإسرائيليين دفعهم للخروج بمنتهى السرعة . وعيون فرعون رصدت ذلك الهروب فانطلق الجيش سريعاً خلفهم . أما الدليل الذى من داخل نصوص العهد القديم (التوراة الموجودة الآن) فليس وصف الواقعة وإنها تمت على ثلاثة أيام (أو مراحل) وإنما أعنى أن العهد القديم قد ذكر أن الإسرائيليين أخذوا معهم - أثناء الهروب والخروج - خبزاً لم يتخمر قط (فطير أو خبز الفصح) حيث لم يكن لديهم الوقت الكافى لتخمر هذا العجين (الخبز) وكما نعلم فإن العجين لا يحتاج سوى لساعات قليلة ليتخمر خصوصاً وأن واقعة الخروج كانت فى شهر إبريل (نيسان) وتحديداً التاسع عشر منه وفى هذا الوقت تكون درجة حرارة الجو بمصر دافئة (تتراوح ما بين 17° و 30° مئوية) بما يكفى لتخمر العجين فى سويعات قليلة .

« عند الشروق وبعد انتهاء ليلة الخروج تراء الجمعان وعان كل منهما الآخر معاينة العلم لا الجهالة بأن فرعون بشخصه هو الذى يقود جنده وراءهم .

« خوف بنى إسرائيل من المواجهة وإدراك فرعون وجنده أنهم رغم معرفتهم المسبقة بأنهم متبعون يدل على أن هيبة الفرعون وجنده في نفوسهم كانت ما تزال كبيرة.

« مكان العبور نرجح له طرف خليج السويس شمالا بالقرب من موضع امتداده نحو البحيرات المرة غربي عيون موسى التي تقع إلى الشرق من الشاطئ الشرقي لخليج السويس حيث كان السير من الدلتا باتجاه الشرق (بعض التفسيرات تقول أن العبور كان في منطقة بحيرة المنزلة⁽¹¹¹⁾ أو منطقة الملاحات جنوبها والمسماة ببحر البوص⁽¹¹²⁾ أو يم سوف⁽¹¹³⁾ أو أنهم عبروا نهراً أو إحدى البحيرات المرة أو بحيرة التمساح أو بحيرة البردويل (سيربون) أو بحيرة قارون⁽¹¹⁴⁾ غرباً ثم الاتجاه شرقاً بعد ذلك) ومنهم من قال أن الخروج كان في منطقة عسير وجنوب الحجاز بالسعودية حيث افترض إقامتهم هناك غرب شبه الجزيرة العربية⁽¹¹⁵⁾. ومنهم من قال أيضاً أن خروج اليهود من مصر كان وقت خروج الهكسوس بافتراض أن اليهود هم الهكسوس⁽¹¹⁶⁾ أو بعد حكم إخناتون حيث الفوضى .. الخ)

« انفلاق البحر معجزة إلهية لا تقبل الشك والتشكيك حتى أن اليابسة توسطت المياه والموج توقف ليرتفع على جانبي طريق العبور كالجبل العظيم الشامخ مما يدل على وجود اتساع ملحوظ وكافي في منطقة العبور لا مجرد أمتار قليلة يتزاحم فيها بنى إسرائيل ولا مجرد موجات من المدّ والجَزْر كما قال بعض المفسرون وأفاضوا في الوصف ولا رياح موسمية كما أشاعوا .

« طريق السير وسط البحر كان طريقاً واحداً لا اثنا عشر طريقاً كما قال البعض والدليل :

*فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى⁽¹¹⁷⁾ .

« بعد عبور آخر إسرائيلي انطبق البحر وعادت لمياهه خواصها الطبيعية من الإغراق وتحرك الأمواج التي ابتلعت في جوفها جنود فرعون جميعهم والفرعون نفسه دون ناج واحد (نظرية الأواني المستطرقة) .

« توبة فرعون وقت معاناة الغرق والموت لم يقبلها الله جل شأنه منه ولا من غيره - إلى يوم القيامة - لقوله تعالى :

* فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا . سنّة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون⁽¹¹⁸⁾ .

* إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءاً بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار . أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً⁽¹¹⁹⁾ .

* قال (ﷺ) إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر^(*) .

« نجاة فرعون لم تكن نجاة حياة وإنما نجاة جسد (جثة) لا روح فيه ولا حياة حيث لفظه البحر إلى الشاطئ بملابسه ودرعه الملكي ليراه باقي

* (رواه الترمذى فى صحيحه . وقال حديث حسن ورواه ابن ماجة أيضا .

المصريين الذين صدقوا أنه إله وليعلموا أنه بشر يموت كما يموتون لا إله
كما ادعى وصدقوه.

« جثة فرعون ستبقى إلى يوم الدين آية ودليلا على قدرة الله وتنفيذ وعده
لموسى ووعديه لفرعون بالهلاك والعذاب ولتعلم الأجيال التي تليها بنهاية
الطاغية مدعى الألوهية وذلك للعظة والعبرة :

* فالיום تنجيك ببدنك (جثتك) لتكون لمن خلفك آية . وإن كثيراً من الناس
عن آياتنا لغافلون⁽¹²⁰⁾.

« لا يعنينا موضع العبور بدقة ولا اسم الفرعون المعنى في واقعة
الخروج وانفلاق البحر وغرقه لأن مناط الإيمان هو التصديق بالحدث
الذى قصه الله علينا فى كتابه الكريم صدقا وعدلا . ولا يعنينا إن كان
رعمسيس الثانى أم ابنه مرنبتاح أم سبتى الأول أم تحتمس أم غيرهم هو
فرعون الخروج وإنما يعنينا التصديق والإيمان المطلق بحدوث معجزة
انفلاق البحر وغرق الفرعون مدعى الألوهية (أى فرعون) وهلاكه .
والارتباط الشرطي بين تصديقنا بما حدث وإيماننا بالله وبين اسم ذلك
الفرعون أو مكان العبور تحديداً (وهو ما اختلف عليه أغلب المفسرون)
لن يكون سببا فى نفى المعجزة أو إنكار حدوثها كما حدث من بعضهم⁽¹²¹⁾
ودليله فى ذلك عدم وجود وثائق تاريخية مصرية تشهد بحدوث ذلك (*) .

* (إيمانويل فلايكوفسكى عالم طبيعة (فيزياء) يهودى روسى هاجر إلى أمريكا عام
1939م وعاش بها إلى أن مات عام 1980م وهو لا يؤمن بالمعجزات الإلهية وكل شىء
يعزوه للطبيعة .

والإيمان بالله لا يستلزم أن ننقب عن تفاصيل دقيقة للمعجزة (أي معجزة) ولا يتطلب معاشتها أو معاينتها رأى العين من كل متشكك ومتنطع لأن الإيمان هو الإذعان والتصديق بكل ما أخبرنا الله به وبما قصه علينا رسله جميعا عليهم أفضل الصلوات والتسليمات . ولا يمكن أو يجوز أن نعطل العمل بآية من آيات القرآن الكريم بحجة نزولها في ظروف معينة أو بسبب واقعة معينة في زمن معين (أسباب النزول) لأناس بعينهم غيرنا . وإنما آيات الله البيّنات تصلح وتسرى بجميع أحكامها دون تعطيل أو توقيف أو إحالة وعلينا التصديق بها كما أنزلت والعمل بما فيها وتدبر معانيها وأخذ العظات منها والأحكام دون مجادلة أو محاجة أو مرأى :

* ولا ينبئك مثل خبير⁽¹²²⁾ .

* لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب . ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون⁽¹²³⁾ .

« محاولة التنطع والمماحكة في تفصيلات بعينها لم تذكر في آيات القرآن الكريم (وهو القول الفصل في دراستنا هذه) واللجوء إلى تفسيرات أو مقولات أو إحالات أو افتراضات قد يودى بنا إلى الشك والتهلكة والضلال والشطط (أعاذنا الله) . فنحن في أشد الحاجة والحرص على أن ننأى بأنفسنا وعقولنا عن الدخول في مجادلات ومرأى ومحاجة مآلها الزلل والسقوط في هاوية لا يعلم مداها إلا الله :

* فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى⁽¹²⁴⁾ .

* فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون⁽¹²⁵⁾ .

« إن القرآن الذي اتخذناه فيضلاً وهدايا ومرشداً وحكماً في كل قضية نتعرض لها يقص علينا الصدق والحق والعدل ويقينا الاختلاف والشطط :

* إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون * وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين * إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم⁽¹²⁶⁾.

وسنرى بعد قليل كيف أودى التتبع والمحاكمة والمراء والمجادلة والمحاكمة ببنى إسرائيل فأوردتهم المهالك . فاستحقوا غضب الله عليهم ونقمتهم بعد أن كانوا من عباده المفضلين على غيرهم بسبب إيمانهم وطاعتهم فى البداية .

ماذا بعد النجاة من فرعون وقومه :

بعد غرق فرعون وجنده ونجاة بنى إسرائيل وضحت معالم الطريق . فقد نعموا بالحرية بعد طول كبت ومذلة وإذلال . تنفسوا الصعداء بعدما أصبح مصير فرعون معلوم ومعاین رأى العين فى الدنيا أمامهم . فقد انزاح عن صدورهم كابوس الخوف والرعبة من اسم الفرعون وبطشه إلى الأبد أما فى الآخرة فمآله النار :

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (المعجزات الواضحة) * إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون . وما أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار . وبئس الورد المورد (النار) * وأتبعوا فى هذه (الدنيا) لعنة ويوم القيامة . بئس الرُفد المرفود (اللعة)⁽¹²⁷⁾.

* واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون *
فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم . فانظر كيف كان عاقبة الظالمين *
وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار . ويوم القيامة لا يَنْصُرُونَ * وَاتَّبَعْنَاهُمْ ففى
هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (128) .

* فلما آسفونا (أغضبونا بكفرهم) انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين *
فجعلناهم سلفاً (قدوة ومثلاً للكفار) ومثلاً للآخرين (عظة وعبرة) (129) .
* فعصى فرعون الرسول (موسى) فأخذناه أخذاً وبيلاً (شديداً) (130) .

● ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآيتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز
مقتدر (131) .

وبعد. فهذا جزاء فرعون ومن اتبعه وآزره . أما بنى إسرائيل فقد
عمَّتْهم الفرحة بالنجاة ولكنهم ما إن شاهدوا - لتوهم - قوما يعبدون أصناما
وأوثاناً لهم حتى طلبوا من موسى (عليه السلام) أن يجعل لهم صنما كهؤلاء :

* وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم .
قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال إنكم قوم تجهلون * إن
هؤلاء متبرّ (مدمر وهالك) ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير
الله أبغىكم إلها وهو فضلكم على العالمين (بالإيمان والرسالة) (132) .

كان ذلك الحديث صبيحة النجاة من فرعون . وبدلاً من أن يشكروا الله
ويحمدوه ويسبحوه رغبوا ومالوا إلى الانحطاط فى مدارك الشرك بالله الواحد
الذى نجاهم لتوهم من فرعون وجنوده . ساروا قليلاً بعد توبيخ موسى (عليه السلام)

لهم ثم طلبوا منه طعاما وشرابا حيث بدأت الشمس في الاصفرار والتوهج .
تذكروا الجوع والعطش بعدما أمنوا الخوف :

* وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فاتفجرت منه اثنتا عشرة عينا . قد علم كل أناس (قبيلة أو سبط) مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين⁽¹³³⁾ .

* يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن (لتلقى الرسالة والتشريعات) ونزلنا عليكم المن والسلوى * كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي . ومن يحل عليه غضبي فقد هوى⁽¹³⁴⁾ .

لم يعجبهم المن (مادة تتجمع على أوراق بعض الشجر تشبه العسل وقيمتها الغذائية عالية) والسلوى (طائر السمان الشهي الذي كان يتساقط بين أيديهم) . لم يعجبهم ذلك فقد ألفوا طعام أرض مصر التي غادروها منذ سويحات وطلبوا من موسى طعاما تعودوه وألفوا طعمه :

* وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك (لاحظ ربك وليس ربنا) يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها (البقول) وقثائها (الكوسه) وفومها (الثوم) وعدسها (العدس) وبصلها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير . اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم⁽¹³⁵⁾ .

حذرهم موسى ^{عليه السلام} بأن تلك الأطعمة موجودة بأرض مصر الزراعية في وادي النيل والدلتا وليست متوافرة في الصحراء ولا الجبال (أرض سيناء التي دخلوها) فإن رغبتم في تلك الأطعمة واشتقتم لها فعودوا إلى مصر حيث الأرض المنبسطة والوادي المنخفض وزراعات الري لا المطر

(اهبطوا مِصْرًا) إن كنتم تفضلون هذا الأكل مع الإذلال والقهْر والاستعباد وذكريات فرعون وجنده على النجاة والحرية وعبادة الواحد الأحد الذي نجاكم من عدوكم وسقاكم من فضله (عيون مياه تفجرت من بين الحجارة الصلدة) لكل سِبْطٍ وقَبِيلَةٍ عَيْنًا من الماء العذب حتى لا يحدث نزاحم (بعكس أثناء عبور البحر كان الطريق واحداً كناية عن المصير والهدف المشترك ولعدم الحاجة لطرق كثيرة يتجادلون عندها أيها يخص كل قبيلة أو سِبْط) .

واشتدت حرارة الشمس بمضي الوقت . فطلبوا من موسى (عليه السلام) أن يستظلوا من الشمس الحارقة في تلك الصحراء الموحشة . فدعا الله الذي منّ عليهم :

* وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمما . وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا . قد علم كل أناس مشربهم . وظللنا عليهم الغمام (السحاب) وأنزلنا عليهم المّن والسلوى . كلوا من طيبات ما رزقناكم . وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (136) .

ومن الله عليهم بالخيريات عوضاً عما تركوه بمصر (إن كان هناك ما يستحق) وأورثهم مقاما خيراً منه :

* كم تركوا من جنات وعيون (فرعون وجنوده) * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين (بنى إسرائيل) (137)

* فأخرجناهم (آل فرعون) من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بنى إسرائيل (138) .

*وأورثنا القوم (بنى إسرائيل) الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها . وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا . ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه . وما كانوا يعرشون (المباني وغيرها) (139) .

ويثور سؤال ملح . كيف أُورث بنو إسرائيل النعم والكنوز وهم فى الصحراء الجرداء . هكذا كان تساؤلهم - وغيرهم - ونسوا أن الحلي والأقراط والذهب الذي استعاره الإسرائيليون من المصريين قد استولوا عليه جميعه وهم خارجون من مصر . أخذوه على سبيل الإعارة فتملكوه دون صك بالبيع أو الهبة . وأصبح ميراثهم الجديد (منحة وعطية من الله الكريم) ليبدأوا به حياتهم الجديدة في سيناء ومن بعدها الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم . وكلتا الأرضين كانتا تحت هيمنة وسيطرة ملوك مصر الفراعين ومن الولايات التابعة لمصر . أورثوها وزالت سيطرة الفراعين عنها (مملكة داود وسليمان في أرض فلسطين) .

ومن سياق الآيات وكلماتها المحكمة نجد أن الله تعالى ذكر تدمير ما كان يصنعه الفرعون وقومه في مصر وما كانوا يعرشون من مباني وآثار ومعابد وأبنية وقصور وبالطبع فإن التدمير يعنى الخراب والهدم واندثار الآثار التي تدل - إن وجدت على حالتها سليمة - على من يكون ذلك الفرعون تحديدا . وحكمة الله فى ذلك - كما سبق وأشرنا - هى أن أسماء الطغاة ليست الفيصل فى تصديق المعجزة أو وقوع العذاب بقدر ما أن الخراب والتدمير دليل على الطمس والتكيل والخسف (كما حدث لقارون وداره وممتلكاته وكنوزه) . والعبرة والعظة إنما فى الحدث والوقائع لا فى الأسماء والشواهد البادية التي يبصرها كل متشكك فى كل زمان . فالمعجزة

- أى معجزة - مرهونة بوقت معين حدثت فيه و غرض وهدف محدد لحدوثها . إلا المعجزة الباقية التى أرادها الله سبحانه إلى يوم القيامة شاهداً على حكمته وعلمه وقدرته ألا وهى القرآن الكريم الذى تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين لأن شريعة القرآن هى المهيمنة على ما قبلها وما عداها ورسالة محمد (ﷺ) هى الرسالة الخاتمة حيث تنتهى الضرورة - حتى قيام الساعة - وتنتفى الحاجة إلى ابتعاث أنبياء جدد أو إرسال رسل للبشرية .

نزول الألواح (النوارة) :

بعد النجاة من الأعداء وبعد الأكل والشراب والاستغلال من حر الصحراء ولفحة شمسها تبقى شىء هام . تبقى تنظيم حياة ذلك الشعب بما يكفل أن يكون أهلاً للتفضيل كما أراد الله له . شرائع وعبادات تكفل الاستقامة ورضا الرب والفلاح فى الدنيا والآخرة ليكون بحق شعب متميز ومختار بين أقرانه :

* ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين * ولقد اخترناهم على علم على العالمين (فى زمانهم وأممهم التى تعاصرهم) * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين⁽¹⁴⁰⁾.

ذلك الاختيار لم يكن مطلقاً بلا قيد أو شرط . واستمرارية التفضيل والتميز على باقى الأمم تحكمه عوامل كثيرة أهمها الإيمان بالله وإفراده بالعبودية والامتثال لأوامره ونواهيه وطاعة الرسل والكف عن إيذاء الغير والكيد له وعدم الاستكبار والبغى والظلم . والوفاء بعهدهم مع الله وميثاقه الذى واثقهم به :

* يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفى بعهدي وإياي فارهبون⁽¹⁴¹⁾ .

* واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله. إن الله عليم بذات الصدور⁽¹⁴²⁾ .

* ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ويعتثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وآمنت برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل⁽¹⁴³⁾ .

وعند الإخلال بتلك الشروط وعصيان الله فيما أمر يصبح أمر التفضيل على العالمين كأن لم يكن . تزول النعم وتزداد النقم وينزل بهم غضب الرب وتُسلب منهم ميزة التفضيل . فالوفاء بعهودهم مع الله يتبعه وفاء الله بعهده معهم بأن يكونوا مفضلين ومتميزين على سائر الشعوب والأمم .

(وهي نفس الشروط أيضاً لتفضيل الله للأمة المسلمة لتكون خير أمة أخرجت للناس . طاعة وإيمان وامتنال وتقوى وأمر بمعروف ونهي عن منكر) .

وبعد واقعة النجاة من فرعون وقومه والخروج من مصر استعداداً لدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم بدأت المرحلة العملية للتمحيص والاختبار . من يظل على الدرب ومن يحد عنه . من يصلح للاقتداء ومن لا تكن له الأهلية. من يستطع حمل التكاليف الشرعية فيظل ناجياً طوال حياته وفي أخراه ومن ينكص على عقبيه . من يظل ثابتاً على المبدأ ومن يتلون

ويتغير حسب الأحوال والظروف . من يتمسك بالهدى والرشاد فلا يكل ولا يفتر ومن يخرج عن حظيرة الإيمان مع أول ابتلاء واختبار :

* ومن الناس من يعبد الله على حرف (شك وتردد) فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين⁽¹⁴⁴⁾ .

جاء الأمر لموسى (عليه السلام) أن يذهب لميقات ربه ليتلقى الرسالة والشريعة وتعاليمها ليبلغها إلى قومه وينظم بها شئون حياتهم فى الدنيا والآخرة (على مدى أربعين ليلة حيث نزلت التوراة كلها فى تلك الليالى) :

* ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان (التوراة) وضياء وذكراً للمتقين * الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون⁽¹⁴⁵⁾ .

• وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة . وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين * ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك . قال لن ترانى . ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين * قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين * وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظةً وتفصيلاً لكل شىء . فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها (وكلها حسن) سأوريكم دار الفاسقين * سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . وإن يروا كلاً آية لا يؤمنوا بها . وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل

الغى يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم . هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (146) .

ولنا ملاحظات بتدبر الآيات السابقة :

« ميقات موسى (عليه السلام) مع الله أربعين ليلة تلقى فيها التوراة كاملة (القرآن نزل متفرقا على مدار ثلاثة وعشرين عاما) .

« استخلف موسى (عليه السلام) أخاه هارون (عليه السلام) فى قومه وأوصاه بالصلاح وعدم اتباع أهواء المفسدين المغرضين من قومه .

« طلب موسى (عليه السلام) رؤية الله تعالى هو طالب حب وخشية وتبذل وشوق لا رؤية تيقن من وجوده جل شأنه ولا رؤية اطلاق على شكله ومعاينة كنهه حاشا لله :

* ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (147) .

وكان طلب موسى الرؤية كطلب ابراهيم (عليه السلام) من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى :

* وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى . قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى (148) .

« تجلي رب العزة للجبل جعله دكا (متفتتا) برهان ودليل على أن قدرة الجبل (مقارنة بقدرة الانسان) لا تتحمل التجلي . فما بال الإنسان

الأضعف فى تلك الحالة :

* وخلق الإنسان ضعيفا (149) .

* لاتدركه الأبصار (سبحانه) وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (150)

٢٠ صَعَقَ موسى (ﷺ) ليس إماتة لأن بعد الإماتة بُعثَ أما بعد الصَّعَقِ (خَرَّمْغَشِيًّا عَلَيْهِ) إفاقة .

٢١ ما جاء في الألواح المنزلة هو موعظة وتفصيل كل شيء . أى تفصيل الأوامر والنواهي وأحكام الشريعة والوصايا (الوصايا العشر) وهى ألواح لم يكتبها موسى وإنما بلغته مكتوبة بلغة قومه أنزلها الله عليه . وخامة هذه الألواح وعددها لا يغير فى الأمر - والإيمان بها - شىء . سواء كانت هذه الألواح من الحجر أو الاردوز أو البرونز أو غيرها من الخامات والمعادن ولا ينبغى لنا التفرع فى استشفاف كنه تلك الألواح والمادة المصنوعة منها ونوع الحبر المستخدم ومن أين أتت . وهل كانت الكتابة بالحفر الغائر أم البارز أم بالمداد ومالون ذلك المداد . الخ . كل ذلك تتطع لا يجوز ولا ينبغى لمؤمن المجادلة فيه بل الإيمان والتصديق .

٢٢ حذرهم الله جل شأنه فى الألواح أن الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق والذين لا يؤمنون بآيات الله والذين يعرضون عن سبيل الرشاد ويتمسكون بالغي والضلال والفساد كطريق لهم ومنهاج لحياتهم . فإن فعلوا كانوا من الغافلين عن الهداية والرشد والفلاح . وكانوا من المكذبين الذين سيحبط الله أعمالهم حتى ولو كانت صالحة . فالصلاح فى العمل وحده لا يكفى للقبول وإنما الإيمان شرط أصيل لذلك . ومع إحباط الأعمال يكون الشقاء فى الدنيا والآخرة . ويكون الصغار والبذلة والطرد من رحمة الله ونزع المهابة والمكانة وحط المنزلة وتحقير الشأن واللعة والغضب من الله :

* إنما يتقبل الله من المتقين (151) .

« تشير الآيات إلى لقاء الآخرة والحساب بعد البعث والنشور وفي العهد القديم الذى بين أيدينا الآن لا نجد إشارات إلى القيامة ولا إلى الحساب بعدما حذفها الوضّاعون والمؤلفون الذين كتبوه بأيديهم . يظنون أنهم تبعاً لما كتبوه فلن يحاسبوا . وهذا محض وهم وافتراء :

* ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات . وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون (152).

* فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . فويل لهم مما كتبت أيديهم . وويل لهم مما يكسبون * وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون (153) .

عبادة العجل :

فى أثناء غياب موسى (عليه السلام) عن قومه لتلقى الوحي والتوراة ورغم التحذير والنصائح عادت فكرة صناعة وثن يعبدہ الإسرائيليون إلى الالحاح بشدة فصادفت دعوة السامرى قبولاً من القوم . وصنع لهم السامرى عجلاً من الذهب (الذى استعارته النساء من أهل مصر) ولكنه حاذقاً فى صناعة الحلى (لعله كان فناناً تشكيمياً أو صائغاً) فقد صنعه بالحجم الطبيعى وجعله مجوفاً من الداخل وله فتحات لدخول الهواء وخروجه حتى إذا تعرض العجل المصنوع لتيار من الهواء (رياح مثلاً) يصدر صوتاً كخوار الثور الحقيقى (كما يحدث ذلك بالنفخ فى ماسورة معدنية أو عوداً من البوص) فيظن القوم

أن التمثال فيه حياة . وقد أقنعهم السامري بذلك الصنيع قائلاً لهم أن الحلي التي معهم هي أوزار (آثام وتبعات) لأنهم فى حكم اللصوص . فلامهم يستطيعون ردها إلى أهل مصر (خشية أن يقبضوا عليهم ويعذبوهم مرة أخرى) ولا يصح لهم أن يحتفظوا بها بعد نجاتهم من الفرعون وجنوده . ولذلك تخلصوا منها بإلقائها فى النار التى أعدها السامري لصهر الذهب الحرام (فى كل الأحوال) . ثم تمت السامري بكلمات على الذهب المصهور وألقى فيه قبضة من التراب المقدس الذى سار عليه موسى (ﷺ) المبارك فيهم وكأنما بترديده تلك التعاويذ (التى عرفها من أهل مصر) يطهرهم من ذنوبهم وآثامهم ويطهر أيضا ذلك الذهب من حرمة فيصبح حلالا للاستخدام . ولم يجد السامري شيئاً أفضل - فى تصويره - من تحويل الذهب المنصهر إلى معبود مقدس ليتم التطهير تماماً وشكل السامري الذهب المنصهر على هيئة عجل أبيس الذى يعرفه منذ وجود بنى إسرائيل بمصر (وهو عجل مقدس عند المصريين القدماء) وأراد بفعلته تلك أن يسلب زعامة هارون (ﷺ) فى القوم وأن ينافسه على التودد إلى قومهم الذين مازالوا يميلون إلى الانقياد لمن يسوسهم .

وعند عودة موسى (ﷺ) من ميقات ربه عاتب هارون على صمته على تلك الفعلة النكراء فدافع هارون (ﷺ) عن نفسه بأنه خشى حدوث فرقة وشقاق فى بنى إسرائيل فيكون فريق معه وفريق مع السامري المشعوذ المشرك . ودافع بنى إسرائيل عن أنفسهم بما سبق وقاله لهم السامري من أن تلك الحلي ماهى إلا أوزار ينبغي التخلص منها . وادعى السامري - تملصاً من المسؤولية - أنه أخذ قبضة مباركة من أديم الأرض التى سار عليها موسى (ﷺ) ليظهر بها الذهب المسروق ويطهر بها قومه . وكان عقاب موسى

للسامري هو العزل فلا يكلم أحداً ولا أحد يكلمه حتى يموت . أما العجل
الذهبي فيكون مصيره إعادة صهره وحرقه وإلقائه في البحر .

وبعد تنفيذ ماقرره موسى (عليه السلام) قال لقومه :

*إنما إلهكم الذي لا إله إلا هو . وسع كل شيء علماً (154) .

ويقص رب العزة تلك الواقعة فيقول جل شأنه :

*واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار . ألم يروا أنه لا
يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً (كمعبود) . اتخذوه وكانوا ظالمين * ولما سُقط في
أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
الخاسرين * ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً (حزينا بعدما أعلمه
الله بما حدث من قومه) قال بئسما خلفتموني من بعدي . أعجلتم أمر ربكم .
وألقى الألواح (حسرةً وغضباً لما حدث) وأخذ برأس أخيه يجره إليه .
قال (هارون) ابن أم (أخى) إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا
تشتبى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين * قال رب اغفر لى ولأخى
وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين * إن الذين اتخذوا العجل سينا لهم
غضبٌ من ربهم وذلةٌ فى الحياة الدنيا . وكذلك نجزي المفترين *
والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا . إن ربك من بعدها لغفور
رحيم * ولما سكث عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى
ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (155) .

*وما أعجلك عن قومك يا موسى (كان الميقات ثلاثين ليلةً أضيف إليها
عشر أخرى فتعجل موسى العودة بعدما علم بعبادة قومه للعجل) * قال هم
أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى * قال فإنا قد فتننا (ابتلينا) قومك

من بعدك وأضلهم السامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا . قال
ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفتال عليكم العهد (الزمان) أم أردتم أن
يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي (بعدم الثبات على الهداية) *
قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا (غصبا عنا) ولكنّا حملنا أوزاراً من زينة القوم
(الحلي المستعارة) فقذفناها فكذلك ألقى السامري (مثلنا) * فأخرج لهم
عجلاً جسداً له خوار (عجلاً مجسداً من الذهب له صوت كالبقرة) فقالوا هذا
إلهكم وإله موسى فنسي (نسوا عهدهم مع موسى ومع الله بعدم الشرك) *
أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً (بعكس الإله
الحق) * ولقد قال لهم هارون من قبل (قبل صنع العجل) ياقوم إنما فتنتهم
به (بالسامري) وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى * قال يا هارون ما منعك إذ
رايتهم ضلوا * ألا تتبعن أف عصيت أمري * قال يابن أمّ (يا أخي) لا
تأخذ بلحيتي ولا برأسي . إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم
ترقب قولي * قال فما خطبك (ما موضوعك وحجتك) يا سامري * قال
بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول (موسى)
فبذتُها (ألقيتها في الذهب المنصهر) وكذلك سولت لى نفسى * قال
فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس (منبوذ لا يتعامل معك أحد) وإن
لك موعداً لن تخلفه (في الآخرة) . وانظر إلى إلهك الذي ظَلَمْتَ عليه
عاكفاً (مصرّاً ومتعبداً) لنحرقنه ثم لننصفه في اليم نسفا * إنما إلهكم الله
الذي لا إله إلا هو . وسع كل شيء علماً (156) .

وهكذا أنهى موسى قضية العجل الذهبي بصهره مرة أخرى وإلقائه في
البحر . فغير ما بقومه قولا وفعلا دون إبطاء أو تهاون وكان غضبه لله
ولنصرة دين الله .

المِيقَات - القِرْبَة - السَّبْت :

* واختار موسى قومه سبعين رجلاً لمِيقَاتنا . فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي . أهلكنا بما فعل السفهاء منا . إنْ هي إلا فتنتك (ابتلاءك) تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هُذُنَا إليه . قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسِعَتْ كل شيء . فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيَاتنا يؤمنون⁽¹⁵⁷⁾.

وكان هذا المِيقَات لإعلان توبتهم بعد حادثة العجل وطلب المغفرة لبني إسرائيل مما وقعوا فيه من الكفر والمعصية . وأنه تكفيراً لذلك أمرهم الله أن يقتل المطيع والتقى منهم المسيء الذي عصى الله وعبد العجل :

* وإذْ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون * وإذْ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون * وإذْ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم . ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم . إنه هو التواب الرحيم * وإذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ⁽¹⁵⁸⁾.

وقد قتل التقاة العاصين منهم فتاب الله عليهم . ثم كان اختيار السبعين من شيوخهم وخيرتهم . ولكن هؤلاء الأكثر تقى تشككوا فيما أبلغهم به موسى - عن رب العزة بالمغفرة وبما جاء فى التوراة . فطلبوا منه رؤية الله جهرة رأى العين حتى يؤمنوا إيماناً قويا لا شبهة فيه فأخذتهم الصاعقة والرجفة

فصاروا موتى . ورغبتهم تلك ليست كـرغبة موسى (ﷺ) حين طلبوا رؤية الله تعالى لأنهم قرنوا إيمانهم وتصديقهم برؤية الله تعالى جهره . فلما صعدوا وماتوا توسل موسى (ﷺ) إلى الله تعالى ودعاه أن يكشف غضبه عن القوم حتى لا يقال أن موسى قد ساق خيرة قومه إلى حتفهم وأنه يتخلص من شعبه واحداً تلو الآخر . فبعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون ويحمدون الله ويصدقون بموسى كرسول ونبي يبلغهم عن رب العزة وأن ما جاء به هو الرسالة والتشريع من لدن الخالق الأحد الذي بين لهم أنه يمنح رحمته ويهبها لمن اتقاه وخشيته وآمن به وأنفق من ماله طهرةً وزكاةً لمن يستحق من الفقراء والمساكين وغيرهم .

ثم تجيء الإشارة والبشارة بخاتم النبيين محمد (ﷺ) :

* واكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنا هدنا إليك . قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء . فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي (محمد (ﷺ)) الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة (شريعة موسى) والإنجيل (شريعة عيسى) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . ويضع عنهم إصرهم (عهدهم بالعمل بما في التوراة) والأغلال التي كانت عليهم (التكاليف الشاقة في التوراة) . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه (القرآن) أولئك هم المفلحون (159) .

وبعث الله القوم الموتى (السبعين رجلاً) وبين أن هناك من قوم موسى من ياتمر بالحق ويتمسك بالعدل فيما بينهم :

* ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون⁽¹⁶⁰⁾ .

وأمر الله الإسرائيليين أن يسكنوا إحدى القرى ويدخلوها ساجدين شاكرين لله على نعمائه عليهم بإحيائهم من الرجفة والتوبة عليهم بعد اتخاذهم العجل إلهاً يتعبدونه في غيبة موسى (عليه السلام) وبعد نعمته عليهم بتفجير عيون الماء لكل سبط (قبيلة) منهم عيناً تخصه حتى لا يتزاحموا أو يتقاتلوا فيما بينهم . وأنزل عليهم المن والسلوى وأظلمهم بالغمام (السحاب) في نهار سينا الحار والشمس ونجاهم من قبل من فرعون وملئه . بعد كل هذه النعم أمرهم بدخول القرية متواضعين ومستغفرين سجداً واتخاذها سكناً ومقاماً :

* وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة (أى حطت خطايانا) نغفر لكم خطاياكم . وسنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً (عذاباً) من السماء بما كانوا يفسقون⁽¹⁶¹⁾ .

فكان العذاب هو جزاء الذين استهزأوا بكلام الله وأوامره وبدلوا وحرفوا الكلمات التي لقنها لهم ليقولوها عند دخول تلك القرية . وبعدما سكنوا تلك القرية الساحلية عاد فريق منهم إلى الاعتداء على حرمة الله رغم أنهم هم الذين طلبوا من الله أن يجعل لهم يوماً للعبادة يتفرغون فيه من مشاغل الدنيا . وكان هذا اليوم هو يوم السبت من كل أسبوع:

* وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر (قرية ساحلية) إذ يعدون في السبت (يعتدون بالصيد المحرم في يوم السبت) إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم (يوم العبادة) شرعاً (ظاهرة وكثيرة) ويوم لا يسبثون (خلاف أيام السبت) لاتأتئهم . كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما

الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون * فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس (شديد) بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نهوا عنه (تحايلوا وعصوا) قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين (أذلاء منبذين) (162) .

وكان بنو إسرائيل قد طلبوا من موسى (عليه السلام) أن يجعل الله لهم يوماً للراحة كل أسبوع يتخذونه للعبادة والاستغفار والتبئل إلى الله ولا يشتغلون فيه بشئون المعاش وأمور الدنيا . فجعل الله لهم يوم السبت من كل أسبوع واشترط عليهم في يوم السبت ألا يمارسوا الصيد وإنما مسموح لهم بالصيد طوال أيام الأسبوع وأخذ عليهم الميثاق في ذلك. ثم ابتلاهم الله واختبرهم فجعل الأسماك تتقافز أمامهم وتصعد إلى سطح الماء بكثرة في أيام السبت أما باقى أيام الأسبوع فهي لا تفعل ذلك بل يقل ظهورها وعددها. وفكر شياطينهم في حيلة متظاهرين أنهم لا يخالفون ميثاق الله معهم ولا يعصونه . فكانوا يوم السبت يقيمون الحواجز في البحر ويضعون الشباك ولا يسحبونها إلا في اليوم التالي (الأحد) مدعين أنهم بذلك غير آثمين لأنهم لم يصطادوا الأسماك ويسحبونها خارج المياه إلا في يوم الأحد. وقالت الجماعة الواعية (التقاة) منهم أن ذلك يغضب الرب ويستوجب نقمته عليهم لأن في ذلك تحايل واضح على تعاليم الرب . ومضى فريق ثالث (الفريق الثاني هم العصاة) يعاتب الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (التقاة) ليتركوهم وشأنهم لله إن شاء الله عذبهم أو عفا عنهم خصوصاً وأن أولئك العصاة لا يرتدعون ولا يستجيبون للنصح. ثم وجهوا نصيحهم للجماعة الأولى (التقاة) بأنهم قد أدوا واجبهم من النصيحة مرة فلا داعي للتكرار لأنه لن يجدي مآدام الفريق العصاة لا يستجيب لهم وانقسمت الأمة إلى ثلاث فرق :

1- متحايلون على شرع الله وميثاقه (عصاة) .

2-آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر (التقاة) .

3-متفيقهن ومتحذلقون (منافقون) .

وجاء حكم الله العادل على كل طائفة منهم :

1-العصاة : حل بهم العذاب الشديد (البئيس) وأصبحوا كالقردة فى تصرفاتهم وتفكيرهم مُبَعدين عن باقي الأمة ومنبوذين ومطرودين من رحمة الله .

2-التقاة : كُتبت لهم النجاة من عذاب الله الذي حل بأهل هذه القرية .

3-المنافقون : شملهم العذاب لكونهم متعاطفين مع العصاة . ولم يذكرهم القرآن تبكيًا لهم . حيث لم ينج إلا التقاة .

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين(163) .

وأصبح المسخ على هيئة القردة والخنازير تصرفا وطباعا عقوبة كل عاص من بنى إسرائيل وذلك ليتعظوا ويعتبر الملتمزمون التقاة .

نتق الجبل:

* وإذ نتقنا الجبل (رفعناه) فوقهم كأنه ظلّة (سقف أو سحاب) وظنوا أنه واقع بهم . خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون(164) .

* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور (جبل الطور) خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون * ثم توليتم من بعد ذلك فلولاً فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين(165) .

وكان رفع جبل الطور فوق رؤوسهم حقيقة لا مجازاً وتهديداً بالهلاك والافناء لهذا الشعب المتحاييل والمتخاذل والناكث لعهود الله ومواثيقه . ولأنه سبحانه يعلم طباع خلقه والذين جبلوا على النكوص والخذلان والغلظة فرفع جل شأنه فوقهم جبل الطور ليعلموا أنه سبحانه قادر على تنفيذ وعيده لهم كما يهبهم وعوده وفضله إذا ما أطاعوه واتفقوه :

* يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم . وأوفوا بعهدى أوفى بعهدكم وإياى فارهبون⁽¹⁶⁶⁾ .

قصة البقرة :

* وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا ألتخذنا هزوا . قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ماهي . قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض (المسنة العجوز) ولا بكر (فتية) عوان بين ذلك (متوسطة العمر) . فافعلوا ما تؤمرون * قالوا ادع لنا ربك يبين ما لونها . قال إنه يقول (سبحانه) إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي . إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون * قال إنه (سبحانه) يقول إنها بقرة لاذلول (ليست سهلة الانقياد) تثير الأرض (لا تعمل فى حرث الأرض) ولا تسقى الحرث (ولا تستعمل فى رى الحقول) مسلمة لا شية فيها (غير معيبة ولا علامة فيها من لون آخر) . قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا يفعلون * وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها (تخاصمتم فيها) والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها (بجزء من البقرة المذبوحة) . كذلك يحيى الله الموتى . ويرىكم آياته لعلمكم تعقلون⁽¹⁶⁷⁾ .

فى هذه الآيات الكريمة نجد صفة غالبية من صفات بنى إسرائيل وهى المماحكة والتكؤ فى الاستجابة للتكاليف وتلمس الحجج والمعاذير للهروب من الالتزام والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وغلظته وسلطنة اللسان . فعندما أمرهم موسى (عليه السلام) بذبح بقرة امتثالا لأمر الله فكان ردهم بسفاهة وسوء أدب مع نبيهم وقائدهم وزعيمهم اتهاماً له بأنه يهزأ بهم ويلهو معهم بطلبه هذا . وعليه فلا استجابة إلا بعد التأكد من أن ذلك الأمر هو من عند الله لا من عند موسى (عليه السلام) . ولما أجابهم وطمأنهم أنه لا يهزأ بهم وأن الأمر الإلهى يستوجب الطاعة والامتثال (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) عادوا للمماطلة والمماحكة فطلبوا منه أن يسأل الله ربه (ولم يقولوا ربنا) عن أوصاف البقرة (ماهى) فبين باختصار أنها بقرة متوسطة العمر وأن عليهم الطاعة والتنفيذ (فافعلوا ما تؤمرون) ولما كانوا بطبعهم قوم خصمون يحبون الجدل والمراء والمحااجة طلبوا منه المزيد من الأوصاف (مالونها) فأجابهم بأن الله بين أنها صفراء تسر الناظرين إليها . وضيقوا بذلك على أنفسهم . ولكنهم عادوا للتطع والتقعر بأن تلك الأوصاف غير كافية فليأتهم بأوصاف أكثر دقة لا تحتمل اللبس لأن البقر - فى نظرهم - متشابه . وجاءهم الجواب بأن الله يشترط أن تكون بقرة لا تعمل فى حرث الأرض أو سقايتها ولونها شديد الصفرة ليس فيه علامة من أى لون آخر هنا فقط - لما أسقط فى أيديهم - أجابوا أنك يا موسى قد جئت الآن بالحق (وكأن ما سبق من الأوصاف ليس بحق أو يقين) فبحثوا عن بقرة تتوافق فيها تلك الصفات (فذبحوها وما كادوا يفعلون) وهنا كشف موسى (عليه السلام) عن الغرض من ذلك الأمر بأن أخذ قطعة من البقرة المذبوحة وضربوا بها قتيلاً منهم (اختلفوا فى قاتله) فأحيا الله القاتل ليخبرهم بقاتله ليتم القصاص وتبطل الاتهامات المتبادلة والشكوك وليرى القوم بأعينهم كيف يحيى

الله الموتى لعلمهم يعقلون ويقدرّون قدرة الخالق العظيم . ويقال أنهم بتشددهم فى موضوع البقرة تلك شدد الله عليهم فلم يجدوا تلك الأوصاف إلا فى بقرة عند رجل منهم أبى أن يعطيهم إياها بالثمن المعروض فيها فزادوا الثمن حتى بلغ سعرها عدة أضعاف وزنها ذهباً (عشرة أضعاف) (168) . ولا يغيب عن فطنة المؤمن العاقل أن الله سبحانه وتعالى قادر على إحياء الموتى دون وسيلة أو سبب (ضرب القتل بجزء من البقرة المذبوحة) ولكنه الأمر الإلهى الذى يميز به الخبيث من الطيب والطائع من العاصى وكان الله يشدد عليهم فى الصفات كلما تلكأوا وتمردوا على الامتثال والطاعة كعادتهم دائماً حتى أن الله تعالى طبع على قلوبهم بالقساوة وكأنها كالحجارة أو أشد قسوة :

* ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الماء (عيون موسى الإثني عشر) وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء (العيون المعدنية وغيرها) وإن منها لما يهبط من خشية الله (الجبل الذى اندك عندما تجلى رب العزة له) . وما الله بغافل عما تعملون (169)

قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح:

* وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين (ملتقى النهر والبحر) أو أمضى حَقْباً * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سرباً (مسلكا ومنفذا) * فلما جاوزا (المكان) قال لفتهاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (تعباً وإعياء) * قال أرايت إذ أؤينا (التجأنا) إلى الصخرة فإني نسيت الحوت (السمكة) وما أنسا نيه إلا الشيطان أن أذكره . واتخذ سبيله فى البحر عجباً * قال ذلك ما كنا نبغ

(العلامة التي ننتظرها) . فارتدا على آثارهما قصصا (يقصان آثارهما) * فوجدا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلماها من لدنا علماً * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً (صواباً) * قال إنك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً (علماً ومعرفة) * قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً * قال فإن اتبعتنى فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها . لقد جئت شيئا إمرا (منكراً) * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً (مشقة) * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله . قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً (فظيماً) * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً (استنفذت الأعذار) * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما (يطعموهما) فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض (يتهدم) فأقامه . قال لو شئت لتخذت عليه أجراً * قال هذا فراق بيني وبينك . سأنبئك بتأويل (تفسير) ما لم تستطع عليه صبراً * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (يصادرهما) * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (رشدتهما) ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً (170) .

ولنا ملاحظات على هذه القصة :

« مجمع البحرين أراه ملتقى نهر ببحر (مصب النهر في البحر) ولا يوجد لذلك سوى ثلاث أماكن مقترحة . الأول فى شمال سيناء ، وهو موضع التقاء فرع النيل القديم البليوزى بالبحر المتوسط (بالقرب من العريش) والموضع الثانى هو موضع التقاء أحد فروع النيل القديمة (متفرع بالقرب من بابلون أو عين شمس الحالية) بالبحيرات المرة ماراً بتل المسخوطة . والموضع الثالث عند التقاء فرع النيل القديم بشمال خليج السويس (غرب عيون موسى) . والموضع الثالث هو المرجح لقربه من مكان إقامة موسى (شرق الخليج) وقومه بسيناء (حول جبل الطور) .

« اسم العبد الصالح لايهم هل هو الخضر أم غيره . هل هو نبي أو رجل ذو كرامات (كما يقال) أو .. الخ . إن ما يهمنا هو الحدث والعبرة المستخلصة منه .

« الأرجح أن السمكة (الحوت) التى اصطحبها موسى (ﷺ) معه كانت معدة وجاهزة للأكل (مشوية أو مملحة) وأن إحياءها واتخاذها سبيلاً إلى البحر كان آية من آيات الله لموسى (ﷺ) وعلامة يعرف بها موسى (ﷺ) أنه سيجد العبد الصالح عندها (عند الصخرة) .

« لما جاوز موسى وفتاه المكان (بعد تسرب السمكة إلى البحر دون أن يدري بأمرها) وطال به الزمن أراد أن يتأكد من وجود السمكة بالسلة من عدمها فطلب الغداء من فتاه (لايهم أهو يوشع بن نون أم غيره) .

« اصطحب موسى (عليه السلام) العبد الصالح وحده وترك فتاه الذى لم يصحبهما في رحلتها (قال جل شأنه فانطلقا ، ركبا ، لقيا ، أتيا .. وهى كلمات تدل على المثني لا الجمع ولو كان معهما الفتى لكانت الكلمات على النحو التالي : فانطلقوا ، ركبوا ، لقوا ، أتوا .. الخ) .

« لا أرى فيما روى عن موسى (عليه السلام) والعبد الصالح من قصص مملوءة بالإسرائيليات والخرافات مجالاً للتصديق أو إعادة ترديدها فيكفيها ما جاء في النص القرآني الواضح فهو الأحق بالتصديق والاعتماد عليه .

« جاء لفظ وصفة (عبداً من عبادنا) أنه عبد صالح تقى نسبه الله تعالى لذاته العلية لكونه صالحاً ومؤمناً وتقياً . وهذا العبد الصالح آتاه الله رحمة من عنده وعلمه علماً فيه حكمة وصبر وتواضع لله وتصرفاته كانت وحيّاً من الله له وإلهاماً (مثل وحي الله لأم موسى ووحى الله للنحل) .

« لا يوجد هناك ما يسمى بالعلم اللادني كما يدعى البعض ويروج له . فكلية (لَدْن) تعنى لدى أو من عند . ولو كان هناك ما يدعيه البعض من اختصاص الله لبعض خلقه بذلك العلم لكان الأنبياء والرسل هم الأولي بذلك . لأن ذلك العلم - فى عرْفهم - علم بالغيب والمستقبل من الأحداث .

والله جل شأنه نفى عن خاتم المرسلين (صلى الله عليه وسلم) أنه يعلم الغيب أو يدري ما سوف يحدث :

* قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (171) .

وإذا كان ما يدعيه البعض من وجود ذلك العلم (العلم اللادنى) لكان هناك أيضاً ما يسمى (العذر اللادنى) ورائده فى ذلك موسى (عليه السلام) (قد بلغت من لدنى عذرا)⁽¹⁷²⁾ . وكان يحيى (عليه السلام) نتاج (الانجاب اللادنى)⁽¹⁷³⁾ و (الحنان اللادنى)⁽¹⁷⁴⁾ وكان هناك أيضاً (الرزق اللادنى)⁽¹⁷⁵⁾ و (الأجر اللادنى)⁽¹⁷⁶⁾ و (النذير اللادنى)⁽¹⁷⁷⁾ . وكان النبى ﷺ رائداً (للذكر اللادنى)⁽¹⁷⁸⁾ وهكذا .. وكلمة (لَدْنٌ) ظرف مكان أو زمان مبنى على السكون وإذا اتصلت به ياء المتكلم فصلت بينهما نون تُدْغَم فيها نون لدن فتصبح (لدْنى) ويجزّ بمن فقط (من لَدْن) وقد تضاف الكلمة إلى اسم ظاهر⁽¹⁷⁹⁾ أو إلى ضمير المفرد المخاطب⁽¹⁸⁰⁾ . أو إلى ضمير المتكلمين⁽¹⁸¹⁾ . أو إلى ضمير المفرد الغائب⁽¹⁸²⁾ . أو إلى ياء المتكلم⁽¹⁸³⁾ .

٢٠ القصة فى سياقها تبين أن هناك أمراً إلهياً لموسى (عليه السلام) بالذهاب إلى ذلك المكان ليلتقى بذلك العبد الصالح وليسمع منه وليتعلم عنه وأن يكون صبوراً على كل ما يشاهده ويسمعه فلا يسأل عن شئ حتى يأتيه الجواب فيما بعد. وكما نعلم فإن موسى (عليه السلام) من بني إسرائيل اصطفاه الله بالنبوة والرسالة. والطبيعة البشرية الغالبة لهذا الشعب أنه كثير المراء والمجادلة وكل أمر يأتيه يطلب تفسيراً وتوضيحاً قبل الأخذ به أو اتباعه. وموسى (عليه السلام) له بعض تلك الصفات فهو سريع الانفعال والاندفاع (قتله للمصري المتعارك مع الإسرائيليين - إلقاؤه ألواح التوراة لما وجد قومه يعبدون العجل الذهبى الذى صنعه لهم السامرى - جذبته لهارون (عليه السلام) من شعره ولحيته أثناء عتابه له فى تلك الواقعة - قصة

البقرة - دعاؤه على قومه بالتيه كما سيأتى بعد قليل) . والله جل شأنه أراد بحكمته فى هذه المرحلة أن يدرّب موسى (عليه السلام) على المزيد من الصبر والتخلى عن الاندفاع فى شتى الأمور لأنه بالنسبة لبني إسرائيل هو النبي والرسول والقدوة والإمام . فكما يلومهم على كثرة أسئلتهم وفضاضتهم (ادع لنا ربك) وتسرعهم وعدم صبرهم فعليه أن يوطن نفسه على التريث والصبر الجميل وعدم الاندفاع والحمية . وعليه أن يرتقى ويسمو بنفسه إلى مكانة أرادها الله تعالى له . ورغم هذا لم يتخل موسى (عليه السلام) عن تلك الطبيعة التي تلازمه . فكان سريع الانفعال مع كل أمر يأتى به العبد الصالح (أخرقتها لتغرق أهلها . لقد جئت شيئا إمرا - أقتلت نفساً زكية بغير نفس . لقد جئت شيئا نكراً - لو شئت لتخذت عليه أجراً) . رغم أن العبد الصالح قد حذره ونبهه قبل بداية الرحلة العجيبة بأنه لن يستطيع الصبر معه . واللفظ (لن) يفيد القطع والجزم بأنه لن يستطيع الصبر على ما سوف يراه ويعاينه (ولم يقل له مثلاً إنك لا تستطيع معي صبرا) وأكد العبد الصالح كلامه بثلاث طرق (إنك لن تستطيع معي صبرا) & (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) & (فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) .

ولما سار الاثنان وأتى العبد الصالح بأول تصرف وهو خرق السفينة اندفع موسى منكراً عليه ما فعل (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) ولما ذكره العبد الصالح ، قال له موسى (عليه السلام) (لاتؤاخذنى بما نسيت) . وعندما قتل العبد الصالح الغلام اشتد غضب موسى (عليه السلام) كعادته (أقتلت نفساً زكية بغير نفس . لقد جئت شيئا نكراً) ولما عاتبه العبد الصالح بدرجة أشد مما كان فى المرة الأولى (ألم أقل لك) تذكر موسى (عليه السلام) شروط

الصحبة والرحلة فأبدى أسفه واعتذاره للمرة الأخيرة (إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبني) لأنه استنفذ جميع الأعذار التي تذرع بها في كل مرة . إذن فهي رحلة تدريب وتعليم وتهذيب تليق بالأنبياء والمرسلين . وتليق بمكانة موسى (عليه السلام) أحد أولى العزم من الرسل وكان اختيار الله سبحانه للعبد الصالح لما يتمتع به من التقوى والصلاح والعلم والرحمة والتأدب في الحديث وتنفيذ ما يوحى إليه من ربه حرفياً فلا يجور أو يتمادى ولا يستعرض منة الله عليه فيتكبر على موسى (عليه السلام) أو يتعالى ويتفاخر عليه بما أوتى من قبل الله تعالى .

٢٠ كل الأمور العجيبة التي فعلها العبد الصالح فسرّها لموسى (عليه السلام) بعدما تعذرت المصاحبة أكثر من ذلك (هذا فراق بيني وبينك) .

وبعد تفسيرها لم يقل لموسى (عليه السلام) هاأنذا أعلم منك أو أنك لا تصلح لأن تكون قائداً وقدوة لشعبك أو أنا الأحق منك بالنبوة والرسالة . ولم يبيّته أو يتفاخر عليه أو يزدريه فيقلل من شأنه . لم يحدث ذلك مطلقاً وإنما قال له :

* وما فعلته عن أمري (184) .

أى أن الأفعال كلها لم يفعلها من تلقاء نفسه (ادعاءً للمفاخرة على موسى (عليه السلام) أو على هواه ورغبته (فيتمادى العبد بإتيان أشياء أخرى لم توحَ إليه) وإنما كان الأمر كله واعترافه بذلك أنه كان وحياً وإلهاماً من قبل الله العليم الخبير عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو . وكان دور العبد الصالح لا يتعد تنفيذ أوامر الله التي بلغته . أفعّل كذا ففعل نفس الأمر بحذاقيره ولم يزد عليه أو ينقص منه . ولأنه كان عبداً لله فقد صدق القول والفعل ونسب العلم والغيب لله وحده (وما فعلته عن أمري) عالم الغيب والشهادة .

الوصايا العشر :

هي الوصايا التي نزلت على موسى (عليه السلام) في التوراة وهي ليست كل التوراة المنزلّة وهي تشتمل على التوحيد (العقيدة) والعبادات والمعاملات . وقد وردت في العهد القديم كما يلي :

* لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يبصر من نطقه باسمه باطلا . أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذي داخل أبوابك . لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح في اليوم السابع (*) لذلك بارك الرب يوم السبت وقده . أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك . لا تقتل . لا تزني . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتّه ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا لقريبك (185) .

أى أن تلك الوصايا العشر هي :

- (1) احفظ السبت (بالعبادة) .
- (2) لا يكن لك إلها آخر أو تقسم به باطلا . (عقيدة وتوحيد) .
- (3) بر الوالدين . (معاملات) .
- (4) لا تقتل . (حدود) .
- (5) لا تزني .

* (هذا افتراء وبهتان لا يجوز في حق الخالق قيوم السماوات والأرض الذي لا تأخذه سنة ولا نوم أى لا يستريح ولا ينام .

(6) لا تسرق .

(7) لا تشهد بالزور .

(8) لا تشته مَلِكَ غيرك (لا تحسد أو تحقد) .

(9) لا تتعامل بالربا .

(10) لا تأخذه رِشْوَةٌ .

* إن أقرضت فضة لشعبي الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا . إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له . لأنه وحده غطاؤه . هو ثوبه لجلده . فى ماذا ينام (186) .

* ولا تأخذ رِشْوَةً . لأن الرِشْوَةَ تُعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار (187) .

أى تحريم الربا من اليهودي فقط والأجنبي مباح للتعامل بالربا معه . وفى القرآن الكريم جاء ذكر تلك الوصايا وغيرها . فهي وصايا لعباد الله الذين يبتغون مرضاته ورضوانه في كل زمان ومكان :

* قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ (فقر) نحن نرزقكم وإياهم . ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . لا تكلف نفساً إلا وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا . ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم ربكم عن سبيله : ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون (188) .

* لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتتعد مذموماً مخذولاً * وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً . ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا * وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً * ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك (كناية عن البخل) ولا تبسطها كل البسط (كناية عن التبذير) فتتعد ملوماً محسوراً * إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ (فقر) نحن نرزقهم وإياكم . إن قتلهم كان خطئاً كبيراً * ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً * وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً * ولا تَقْفُ (تتبع) ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً * ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً (189) .

وجاهته موسى (عليه السلام) :

* يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً (190) .

* وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . والله لا يهدي القوم الفاسقين (191) .

في الآية الأولى (من سورة الأحزاب) نجد أن هناك أناسا من قوم موسى (عليه السلام) قد تقولوا عليه (فبرأه الله مما قالوا) وآذوه بالعمل بعد القول وفي الآية الثانية (من سورة الصف) عاتب موسى قومه — (لم تؤذونني) رغم علمهم أنه رسول الله إليهم . (قد هنا تعني التوكيد وليس الاحتمال) ومن الآيتين نخلص أن هناك إيذاء وقع على موسى (عليه السلام) بالقول والفعل . وهذا الإيذاء قد بينه الله تعالى في القرآن الكريم في آيات أخرى متفرقة في سور القرآن المختلفة . وقع إيذاء من قومه (كلهم أو بعضهم) عليه وهو منقذهم من فرعون وملئه . ورسولهم وقائدهم ومعلمهم . وكان الإيذاء متعدد الألوان والصور . وجهاد موسى (عليه السلام) في تقويم اعوجاجهم جهاد مضى عسير وطويل وشاق . وقد برأه الله ونجاه من إيذائهم له في كل مرة :

ومن صور هذا الإيذاء :

١ - قال عليه قارون أنه ساحر وكذاب . وقارون من قوم موسى كما نعلم :

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب (192) .

2- قالوا له عندما طلب منهم الصبر والاستعانة بالله على أذى فرعون وملئه أنه سيب نكباتهم ومصائبهم :

* قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا (بالرسالة) ومن بعد ما جئتنا (بها) (193)

3- بعد الخروج من مصر مباشرة والنجاة من فرعون وجيشه طلبوا (صنماً) يعبدونه كغيرهم :

* وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (194)

4- ما كاد موسى يذهب لميقات ربه على الجبل ليتلقى ألواح التوراة حتى أضلهم السامري بعبادة (عجل من الذهب) صنعه لهم من الحلي المستعارة من أهل مصر :

* واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً . اتخذوه وكانوا ظالمين (195) .

* فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا . قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً . أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم (أهل مصر) ففذفناها فكذاك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى (196) . (نسوا تحذير موسى لهم من الشرك بالله) .

5- تسخطوا على الطعام الشهي المنزل عليهم (المن والسلوى) وطلبوا من موسى الطعام الذي ألفوه وتعودوا عليه وهم في مصر :

*وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقبائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى (الطعام الذي طلبتموه) بالذي هو خير (المن والسلوى) (197) .

6- في حادثة القتل الذي اختلفوا فيمن هو قاتله (قصة البقرة) أكثروا من فظاظتهم مع موسى وتعمدوا إيذاءه بكثرة سؤلهم عن أوصاف البقرة المطلوبة :

*وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا أتناخذنا هزوا (198) .

*قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي (199).

*قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها (200).

*قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا (201)

وفي نهاية المماثلة والمماحكة والمجادلة ذبحوا البقرة المطلوبة (وما كادوا يفعلون) .

7- طلبوا من موسى (ﷺ) يوماً أسبوعياً للراحة يتفرغون فيه لعبادة الله . فلما أجيئوا إلى طلبهم اعتدوا في ذلك اليوم المقدس (السبت) بالصيد المحرم .

*وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون (يعتدون بالصيد المحرم في يوم السبت) في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون (202) .

8- لما طلب منهم موسى (ﷺ) أن يدخلوا القرية الساحلية ساجدين لله شكراً وحمداً - ولقنهم كلمات - من الله - يقولونها عند دخولهم فبدلوا القول :

* وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة (أى حطت خطايانا) وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم . سنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم⁽²⁰³⁾ .

9- * وإذ قلت يا موسى لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون⁽²⁰⁴⁾

10- * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا⁽²⁰⁵⁾ .

11- لما طلب منهم موسى (ﷺ) أن يدخلوا الأرض المقدسة التي وعدها الله لهم تباطأوا وامتنعوا عن تنفيذ الأمر الإلهي :

* قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون⁽²⁰⁶⁾ .

* قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقَاتِلَا . إنا هاهنا قاعدون⁽²⁰⁷⁾ .

فلما أصرروا على عدم مقاتلة الأعداء وتبجحوا على موسى (ﷺ) وتمردوا على الأمر الإلهي بالجهاد دعا موسى عليهم بعد ما فاض به الكيل منهم رغم أنه كان في كل مرة يخطئون أو يعصون الله يدعوا الله أن يغفر لهم :

* قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين⁽²⁰⁸⁾ .

فحرم الله عليهم دخول الأرض المقدسة وشتتهم في صحراء وجبال
سيناء أربعين سنة (التيه) :

*قال فإنها محرمة عليهم . أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على
القوم الفاسقين(209) .

ثم شتتهم الله بعد ذلك في شتى بقاع الأرض (الشتات):

* وقطعناهم في الأرض أمما(210):

كل هذا الأذى وغيره من التبجح والتعنت في طاعته والتمرد على
أوامره التي هي من عند الله وسوء أدبهم مع نبيهم ومع الله والتطاول على
الذات الإلهية وأنهم لن يؤمنوا بموسى ونبوته حتى يروا الله جهرة . بل
والتشكيك في نبوة موسى (عليه السلام) حيث اعتبروه قائداً سياسياً وعسكرياً
وأنكروا نبوته التي نسبوها لأخيه هارون (عليه السلام) .

وبعد وفاة موسى (عليه السلام) بدلوا وحرفوا وأضافوا للتوراة ما ليس فيها
. وكانت تبرئة الله لموسى (عليه السلام) في كل المواقف أن جعله وجيهاً في الدنيا ذا
جاه وقدر ومنزلة ومكانة وجعله الله أحد أولى العزم من الرسل . وفضله جل
شأنه بالكلام المباشر معه :

*وكلم الله موسى تكليماً(211).

*فبرأه الله مما قالوا . وكان عند الله وجيهاً(212)

*قال ياموسى إنى اصطفيك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن
من الشاكرين(213).

وجعله مستجاب الدعوة فى كل المواقف التى مر بها فى حياته وأيده بالمعجزات الكثيرة (تسع آيات) ضد أعدائه أعداء الله وأرسله بالتوراة وصنعه جل شأنه على عينه (أى برعايته سبحانه) .

لأنرى أى داع لترديد خرافات عن موسى (عليه السلام) مما ورد فى العهد القديم والإسرائيليات التى أشارت إليها وذكرت بعض التفاسير وكتب الحديث⁽²¹⁴⁾ (قالوا إن بنى إسرائيل ادعوا أن موسى به عيب بدنى ولما كان ذات يوم يستحم بالخلاء خلف حجر وضع ثيابه على الحجر ولكن الحجر جرى بثيابه ليكشف اليهود عورة موسى فيرونها أحسن ما يكون مبرأ مما اتهموه به .. الخ) .

وهذه الإسرائيليات لا تليق بنبى من أولى العزم من الرسل وهم (وكل الأنبياء) الذين برأهم الله من النقائص والعيوب لأنهم من المصطفين الأخيار . وترديد تلك الخرافات والقصص ما نجنى من ورائها أية فائدة تذكر بل هى إساءة لأنبياء الله ورسله .

الأمم بدخول الأرض المقدسة :

* وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً (أحراراً عندكم ما يكفيكم لا تحتاجون أحداً) وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين * يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا يا موسى إنا لن ندخلها

أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون * قال رب إنى لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق (افصل بحكمتك) بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرمة عليهم . أربعين سنة يتيهون في الأرض . فلا تأس على القوم الفاسقين (215) .

ذَكَرَ موسى (عليه السلام) قومه بنعم الله الكثيرة عليهم من نجاتهم من فرعون وملئه . ومن وجود أنبياء بينهم ومن بنى جلدتهم (موسى وهارون ومن قبلهم يعقوب ويوسف) وجعلهم أحراراً لا يتسولون معاشهم . وآتاهم من النعم ما لم يؤت أحداً من العالمين (فى زمانهم) بنزول التوراة التي تفاخروا بها على الأمم التي كانت تعاصرهم (ومازالوا يدعون إلى عصرنا الحالي أنهم شعب مختار مميز على باقى الأمم) . وبعد بث روح التفضيل بالنعم الكثيرة قال لهم موسى أن الله قد كتب لهم دخول الأرض المقدسة ليكون لهم شأن عظيم إذا فعلوا وأطاعوا . وحذرهم من النكول والارتداد على الأعقاب حتى لا ينالهم الخسران المبين . فقالوا لموسى إن فيها قوما جبارين من الكنعانيين والفلسطين وغيرهم وأنهم - لخوفهم الشديد منهم - لن يدخلوا تلك الأرض حتى يخرج أولئك القوم منها . أى إنهم اشترطوا على موسى ما لا يمكن تحقيقه أو وقوعه . فهل يخلى الناس - أى أناس - أرضهم ويهجروا مساكنهم وممتلكاتهم طواعية ويفسحوا الطريق لقادمين يرثوها دون مقابل أو عناء أو تضحية وجهاد. شىء لا يقبله المنطق والعقل كان طلبهم ذلك.

وانبرى رجلان منهم أنعم الله عليهما بالسكينة بعد الخوف . والشجاعة بعد الجبن . والقوة بعد الضعف. فقالا إن القوم إذا دخلوا على الأعداء الباب (*) فالغلبة ستكون لهم لأن هذا الوعد من الله القادر العليم .

* كانت المدن قديما لها أسوار وأبواب للحماية من الأعداء تُغلق وقت الحاجة .

وطلب الرجال من قومهم أن يتوكلوا على الله إن كانوا حقاً مؤمنين كما يعلنون ويشيعون . ولكن القوم عادوا يتعللون ويتباطأون في تنفيذ الأمر ثم أعلنوها بلا مواربة لموسى (عليه السلام) أنهم لن يدخلوا تلك الأرض أبداً مهما كان فيها من خير ومهما كان هناك وعد من الله بالغبلة والفوز ومهما كانت المغريات . وحجتهم في ذلك أنهم يخشون قتال الجبارين والحقيقة أنهم يهابون الموت . وتناولوا على الله خالقهم وعلى موسى نبيهم وقالوا :

*إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (216) .

ونلاحظ أنهم يقولون دائماً (ربك) لا ربهم أو ربنا . وكأنهم من جنس آخر وعالم آخر . يريدون المكاسب والغنائم والخيرات دون أدنى مجهود أو تضحية بالنفس أو المال . يريدونها غنيمة بلا مقابل . وأدرك موسى (عليه السلام) أنهم بذلك التعنّت الشديد والتبجح الواضح لن يصلحوا للمهمة التي أمرهم الله بها ولا يستأهلون بالتالي أية مكاسب دون جهاد . لحظة عانى موسى (عليه السلام) فيها من الألم والصدمة التي لم يتوقعها من قومه الجاحدين . فدعا الله أن يفصل بينه وبين قومه الفاسقين لأنه لا يملك سوى نفسه وأخيه هارون (عليه السلام) من دون ذلك الشعب صلب الرقبة (نفس الصفة التي وردت في العهد القديم حرفياً في سفر الخروج) (217) الذي لم تعد تجدي معه حيلة أو نصح أو طلب هداية . صدمة لن يتراجع عنها موسى (عليه السلام) بندم لاحق ولا أسف آت ومقبل . وكانت استجابة الله له :

* فإنها محرمة عليهم . أربعين سنة يتيهون في الأرض . فلا تأس على القوم الفاسقين (218) .

فلا تأسف على حالهم ياموسى بعد ذلك أبدا . فقد قضى الله عليهم
بالتيه فى دروب الصحراء دون هدى . حيرة وضلالة وزيف . كالأنعام
الشاردة لا مأوى لها ولا رابط بينها . كأنهم بذلك الموقف الذى كتب عليهم فى
ساعة قيامه :

* لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (219) .

وقد كان . فقد فني الجيل المتخاذل في فترة التيه (أربعين عاما) ونشأ
جيل جديد لم يعاصر مذلتهم على يد فرعون مصر وملئه . جيل ترعرع فى
كنف الصحراء بخشونتها وطبيعتها . جيل صلب العود قوى المراس يستطيع
تحمل المشاق والتكاليف وتنفيذ أمر الله المؤجل :

* ولقد كتبنا فى الزبور (رسالة داود) من بعد الذكر (توراة موسى) أن
الأرض يرثها عبادي الصالحون (220) .

وقضى موسى وهارون (عليهما السلام) نحبهما دون أن تقر أعينهم بدخول
الأرض المقدسة ودون أن يسعدا بثمره جهادهما مع بنى إسرائيل . الإبن
العاق الذى استحق غضب العبد والرب .

جماعة من أنبياء بني إسرائيل

عدد الأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن الكريم على التعيين وبالإسم هم ستة وعشرون نبياً ورسولا . نصفهم (ثلاثة عشر) أرسلوا إلى بني إسرائيل (ذرية يعقوب عليه السلام) . وهناك أنبياء ومرسلين وردت سيرتهم دون ذكر أسمائهم وآخرين لم يذكروا ولم ترد سيرتهم .

ونلاحظ أن كتاب العهد القديم قد ذكروا عشرات الأسماء (*) واعتبروهم أنبياء ومرسلين من عند الله . فجعلوا القواد والملوك أنبياء وأنكروا نبوة بعض رسل الله الكرام . ومنحوا القداسة والنبوة للنساء (أستير ويهوديت وخَلْدَة) في الوقت الذي أنكروا فيه قداسة غيرهم (مريم ابنة عمران) . تصرفوا على هواهم دون ضابط أو رابط ودون وازع من إيمان بالله ورسله . والقرآن الكريم الفيصل في دراستنا هذه يقص الحق من عند الله ويهدي السبيل :

*وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه . نرفع درجات من نشاء . إن ربك حكيم عليم * ووهبنا (لإبراهيم) له إسحاق ويعقوب . كلا هدينا . ونوحاً هدينا من قبل . ومن ذريته (ذرية إبراهيم) داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون . وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . كلٌ من الصالحين * وإسماعيل وإسحاق ويونس ولوطاً . وكلاً فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم (اصطفينا منهم أيضاً) وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم

(*) أحصى عددهم بعض المدققين فوجدوهم حوالى خمسين نبيا ورسولا .

الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة . فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده . قل لا أسألكم عليه أجراً . إن هو إلا ذكرى للعالمين⁽²²¹⁾ .

المذكورون فى الآيات السابقة ثمانية عشر نبياً ورسولا . اصطفاهم الله واختارهم وأيدهم بالآيات والمعجزات . فلا يجوز أن نخلع النبوة على أحد من الناس لم يختره الله ولم يوكله برسالة .

* يا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح . وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . إن ربى رحيم ودود * قالوا يا شعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك (أهلك وعشيرتك) لرجمناك . وما أنت علينا بعزيز⁽²²²⁾ .

وفى الآيات السابقة ذكر الله أسماء ثلاثة أنبياء (هود وصالح وشعيب) . فيصبح العدد الآن واحداً وعشرين نبيا ورسولا .

* وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين⁽²²³⁾ .
* وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم . يضاهون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون⁽²²⁴⁾ .
وأصبح العدد الآن أربعة وعشرين نبياً ورسولا .
* إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين⁽²²⁵⁾ .
* وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل⁽²²⁶⁾ .

*سأل أبو ذر رسول الله (ﷺ) عن آدم :

أكان نبياً مرسلًا . قال نعم . قيل : لمن كان رسولا ولم يكن في الأرض أحد . قال : كان رسولا إلى أبنائه (227) .

ولأن آدم هو أول النبيين والمرسلين ومحمد (ﷺ) آخر المرسلين فيصبح العدد المذكور ستة وعشرين نبياً ورسولا .

وبخلاف الأسماء المذكورة من أنبياء الله ورسله توجد مجموعات أخرى من الأنبياء :

* ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله . جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم (عضوا أناملهم من الغيظ والحنق على الرسل) وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب(228) .

* واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون(229) .

* ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (أمينا) وقال الله (لبنى إسرائيل) إني معكم لئن أقمتם الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي (إليكم) وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (230) .

وهؤلاء النقباء الاثنا عشر هم رؤساء الأسباط (أو ممثلوهم) :

* قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون⁽²³¹⁾.

* ألم تر إلى الملاء من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين⁽²³²⁾ .

* ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك (لم تذكر أسماءهم) . وكلم الله موسى تكليماً⁽²³³⁾.

وهناك من المرسلين والأنبياء أرسلوا لأقوام آخرين . ولم يُرسلوا تحديداً لبنى إسرائيل (مثل شعيب وأيوب ويونس) ولذا فلن نتعرض لهم في دراستنا هذه (رغم أنهم كانوا معاصرين لبنى إسرائيل) .



إلياس (عليه السلام)

* وإن إلياس لمن المرسلين * إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بَعْلًا (اسم صنم) وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إلياسين (آل إلياس) إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين (234) .

ويقول أهل الكتاب عنه أنه النبى (إيليا) المذكور عندهم فى العهد القديم (235) .

وكان قوم إلياس يعبدون صنما يسمى (بعل) فعاتبهم إلياس (عليه السلام) لأنهم تركوا عبادة الله الواحد الأحد أحسن الخالقين وتوجهوا إلى صنم لا يسمع ولا يضر ولا ينفع يعبدونه من دون الله خالقهم وخالق آبائهم الأولين . ولكن القوم أبوا إلا التكذيب والشرك وقليل من القوم تذكروا النصيحة وعملوا بها فهؤلاء هم الذين يستحقون الإحسان لإحسانهم وإفرادهم الله بالعبادة الحقّة .
*وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصالحين (236) .



اليسع (عليه السلام)

* وإذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل . وكلُّ من الأخيار (237) .

* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا . وكلًّا فضلنا على العالمين (238) .

ويقول أهل الكتاب أنه هو النبي (اليسع) المذكور عندهم في العهد القديم (239) . وفي الآية أجمل الله تعالى سيرته وذكر أنه من الأخيار والمختارين . اصطفاه الله تعالى مثلما اصطفى إسماعيل (عليه السلام) وذا الكفل . وأنه من المفضلين على العالمين مثله في ذلك مثل إسماعيل ويونس ولوط (عليه السلام) . ولا نتعرض لما جاء في العهد القديم لأن الأنبياء معصومون برحمة الله ومعيته معهم . وأيضا لا نخوض في أحاديث الإسرائيليات عن نبي الله اليسع (عليه السلام) .



ذو الكفل (عليه السلام)

* واذكر إسماعيل وإلياس وذو الكفل . وكلٌّ من الأخيار (240) .

* وإسماعيل وإدريس وذو الكفل . كلٌّ من الصابرين * وأدخلناهم في رحمتنا
إنهم من الصالحين (241) .

وقال أهل الكتاب عنه أنه تكفل لأحد أنبياء بني إسرائيل في أن يخلفه في قومه
بعد وفاته على أن يتكفل بثلاثة أمور (242) :

1- أن يقوم الليل .

2- أن يصوم النهار .

3- ألا يغضب في القضاء .

والله جل علاه يصفه بأنه من المصطفين الأخيار وأنه كان من
الصابرين على الابتلاءات وكان صالحاً تقياً . ولذا فقد استحق رحمة الله
ومعيته ومنته عليه .

وما ورد في العهد القديم نتنزه عن ذكره لأن أنبياء الله معصومون
عن الخطيئة والخطأ .



داود (عليه السلام)

* أم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم . والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم . والله يؤتى ملكه من يشاء . والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت (صندوق التوراة) فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة . إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود (انفصل عن بيت المقدس) قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده . فشربوا منه إلا قليلا منهم . فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله . وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين (243) .

يقص الله جل شأنه علينا قصة بنى إسرائيل من بعد موسى بزمان طويل حيث طلبوا من نبي لهم (كما طلبوا من موسى من قبل) أن يبعث الله لهم ملكاً قائداً يقاتلون تحت إمرته جهاداً في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد ومحاربة الوثنية. والباطل وأنهم عازمون على هذا الجهاد بصدق . ولما أراد نبيهم أن يستوثق من صدق نيتهم ويتأكد من قوة عزيمتهم وتصميمهم على النهوض بتبعة الجهاد سألهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال إلا تقاتلوا) خاف أن يخذلوه وقت الجد حينما يعلن الحرب والتعبئة والجهاد . ولكنهم أجابوا بحماسة منقطعة النظير (ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله) والأسباب التي ساقوها في معرض تصميمهم على الجهاد هي (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فقد طردوهم من ديارهم وأسروا أبناءهم وسلبوا نقودهم وشردوهم فلا مجال إذن للمهادنة والنكوص . وكما توقع نبيهم لما فرض عليهم الجهاد وأعلنه ولّوا على أدبارهم ونقضوا عهدهم إلا قليلاً منهم . كان صياحهم مجرد شعارات جوفاء لم تصمد عند أول تكليف طلبوه بإلحاح . وهذه سمة لبنى إسرائيل : نقض العهود وفرارهم من الموت وخشيتهم من لقاء أعدائهم . ووصفهم الله بأنه بنكوصهم ظلّموا أنفسهم أولاً ثم ظلّموا نبيهم وخدعوه بعد أن وثق في كلامهم رغم أنهم قالوا أنهم على حق وعدوهم على باطل والجهاد مشروع ومطلوب . وقال نبيهم للفئة التي ثبتت على الحق ومضت معه أن الله تعالى قد اختار لهم طالوت (شاول) ملكاً وقائداً عليهم . فجادل القوم في هذا الاختيار في محاولة منهم لتأجيل المعركة برمتها . فقالوا كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق منه بذلك . كما أنه - في نظرهم - لم يؤت سعة من المال . يظنون أن الثراء شرط للقيادة . ولا يهم أهلية القائد ولا خبرته . فعدّد لهم نبيهم أسباب الاختيار الإلهي بأن الله اصطفاه واختاره لعلمه - جل شأنه - بأهليته للمنصب والقيادة وفوق ذلك فقد زاده الله بسطة في العلم (المهارة)

فهو أذكى وأحذق وأمهر منهم وزاده أيضا في القوة البدنية التي تؤهله لتحمل المشاق . والله قبل وبعد هذا حرٌّ في الاصطفاء والاختيار (والله يؤتى ملكه من يشاء) لأنه جل شأنه (واسع عليم) وأيضا رحمته مطلقة وواسعة . فتظاهر القوم بالاعتناع - على مضض - وقال لهم نبيهم حينئذ أن دليل اختيار الله لطالوت هو أن الله سيعيد لهم التوراة المحفوظة (التابوت) والتي سُلِّبت منهم وبعض مقتنيات موسى وهارون تحمله الملائكة فتغشاهم الرحمة والسكينة من ربهم فتقوى العزائم وتثبت القلوب في مواجهه الأعداء . وتحققت الآية من الله كما وعد . وبدأ طالوت (شاول) في قيادة ما تبقى من قومه ليحارب جيش جالوت (جوليأت) وجهاز جنوده وحثهم على الضبط والربط والطاعة والامتثال لأوامره . وطلب منهم عند اجتياز النهر ألا يشربوا منه وأن يتحملوا العطش حتى لا تفتر عزيمتهم وتسترخى أبدانهم فنتقّل خطاهم وتكون الهزيمة من نصيبهم . ولما عبروا النهر شرب الجنود منه بكثرة إلا قليلا منهم (أى أن عدد الجنود يتناقص بالتدرج قبل المعركة) . وبعد العبور قال المؤمنون الذين صمدوا معه أن عددهم أصبح قليلا ولا طاقة لهم بعدو يفوقهم عدداً وعدة . وانبرى صوت صادق بالإيمان قوى العزم أن الله لطالما نصر الفئة القليلة المؤمنة والصابرة على الكثرة الكافرة بإذنه تعالى . وأن معية الله مع الصابرين فامتلات قلوب المؤمنين منهم بالنقّة والرغبة ودعوا الله بالنصر (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) وكان الله لدعائهم الصادق مجيباً فكان النصر المؤزر حيث بارز داود جالوت المدجج بالسلاح والدروع ورمى داود الجندي المؤمن راعي الغنم فاقد الخبرة القتالية حجارة مقلّاعه (يشبه النبلة) نحو جالوت الذي سخر منه لأنه بلا سلاح أو دروع سوى الحجارة . وقال له أنه هالك لا محالة (كان من عادة الجيوش قديما أن يتبارز رجلان يمثلان الجيشين

المتحاربين قبل بداية الالتحام لأن في هذه المبارزة مؤشرات على خط سير المعركة ولمن تكون الغلبة في النهاية) لم ينل الخوف من (داود) الإسرائيلي وهو مقدم على مبارزة قائد العدو شخصياً فقد كان الإيمان يملأ قلبه بأن الله سينصره وكان صابراً على سخرية خصمه . ثابتاً بفضل الله واثقاً من معيته وعونه . تقدم داود بخطى ثابتة راسخة نحو جالوت . وضع الحجر المدبب في مقلاعه وصوبه نحو رأس خصمه . رمى متوكلاً على الله فجاءت الإصابة مباشرة ومؤثرة وقاتلة :

*ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى (244) .

وسقط جالوت على الأرض مُضرحاً في دمائه . وحدث هرج ومرج في صفوف الأعداء لمقتل قائدهم والتحم الجيشان . قلة مؤمنة صابرة واثقة في نصره الله ضد فئة كثيرة مغرورة غير مؤمنة (كافرة) قد تسالل الخوف في قلوب جنودها بعد مقتل القائد . وتحقق النصر بإذن الله (فهزموهم بإذن الله) وأفاء الله على عبده داود بالملك (أصبح قائداً للجيش الإسرائيلي) والحكمة (اصطفاه الله نبياً في قومه) وعلمه مما يشاء (علمه صناعة الدروع القوية والخفيفة بعد ما ألان له الحديد) وورث داود الملك من طالوت وأسس (ومن بعده ابنه سليمان (عليه السلام)) مملكة بنى إسرائيل التي مازال يتغنى بها اليهود إلى اليوم :

*ولقد أتينا داود منا فضلاً . يا جبال أوبي معه والطير (رجعى ورددى تسبيحه وصلواته) وألنا له الحديد (بصره) . أن أعمل سابغات (دروعاً) وقدر في السرد (يحكم الصنعة ويتقنها) واعملوا صالحاً . إنى بما تعملون بصير (245) .

* اصبر على مايقولون . واذكر عبدنا داود ذا الأيد (صادق العبادة) إنه
أَوَّاب (دائم الرجوع إلى الله) * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي
والإشراق * والطير محشورة كُلُّ له أَوَّاب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
(النبوة والعلم) وفصل الخطاب (الفصل بين المتخاصمين) (246) .

* وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث (الزرع) إذ نفشت فيه غنم القوم
(أكلته) وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان . وكلا آتينا حكما وعلما
وسخرنا مع داود الجبال يسجن والطير وكنا فاعلين * وعلّمناه صنعة لبوس
لكم (الدروع) لتحصنكم من بأسكم (فى الحرب) فهل أنتم شاكرون (247) .

* وربك أعلم بمن فى السماوات والأرض . ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض . وآتينا داود زبوراً (248) .

* ولقد آتينا داود وسليمان علما . وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من
عباده المؤمنين * وورث سليمان داود (فى النبوة) وقال يأيها الناس عُلِّمْنَا
مَنْطِقَ الطير (فهم لغة الطيور) وأوتينا من كل شئ . إن هذا لهو الفضل
المبين (249) .

* ولقد كتبنا فى الزبور (رسالة داود) من بعد الذكر (توراة موسى) أن
الأرض يرثها عبادي الصالحون (250) .

* يادَاوُد إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما
نسوا يوم الحساب (251) .

* لَعَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (252).

ولنا عدة ملاحظات فى سيرة نبي الله داود (عليه السلام) :

« مَنْ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ بِالْكَثِيرِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي هُوَ أَهْلُهَا بِسَبَبِ صِدْقِ إِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ :

- (أ) آتاه الله الملك فأصبح قائداً لشعبه .
- (ب) آتاه الحكمة (النبوة) وفصل الخطاب (بين المتخاصمين أى قاضيا) .
- (ج) علمه صناعة الدروع الحديدية خفيفة الوزن وسهلة الحركة وقوية الحماية .
- (د) ألان له الحديد وعلمه كيفية صهره وتشكيله وتطويعه .
- (هـ) أنزل عليه الرسالة (الزبور) وهى تعاليم وحكم ومواعظ وتسييحات لله .
- (و) منحه الله صوتاً رخيماً رائعاً . فكان يسبح الله ويذكره فتردد معه الجبال والطير ذلك التسبيح .
- (ز) أعلمه الله لغة (منطق) الطير فيفهم ويتخاطب معها .
- (ح) حشر له الطير (كلُّ له أبواب) لتسبح وتردد معه صلواته وكانت تؤانسها .
- (ط) قوى الله ملكه بأسباب القوة كلها (شددنا ملكه) .
- (ي) جعله خليفة فى الأرض يدعو شعبه لتوحيد الله وعبادته .
- (ك) سخر له الجبال والطير فيسبحون الله معه .
- (ل) آتاه الله من كل شئ يتمناه (وأوتينا من كل شئ) .

(م) وهبه سليمان وجعله وارثا للنبوّة من بعده (وورث سليمان داود) .
(ن) حب الله لداود (ﷺ) وحب داود لله جعل الناس يحبونه وكذلك الطير والجمال وأصبح له القبول والمحبة عند الناس والمخلوقات (نعم العبد إنه أواب) .

« كانت فترة حكم داود وملكه ومن بعده سليمان من أزهى عصور بنى إسرائيل التي لم ولن تتكرر بإذن الله (رب هب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى) .

« امتدح النبى محمد (ﷺ) نبى الله داود (ﷺ) وقال عنه :

* أفضل الصيام صيام داود . كان يصوم يوما ويفطر يوما (253).

* قال رسول الله (ﷺ) : أحب الصيام إلى الله صيام داود . وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود . كان ينام نصفه (الليل) ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما (254) .

* أفضل الصيام صيام داود . وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكون فيها وكانت له ركعة يبكى فيها ويبكى ببكائه كل شيء . ويصرف بصوته المهموم والمحموم (255) .

فترّة داود :

* وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب * إذ دخلوا على داود ففزع منهم . قالوا لا تخف . خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط (لا تجور أو تظلم) واهدنا إلى سواء الصراط (الحق) *

إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (طلب تنازلي عنها بإلحاح) * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه . وإن كثيراً من الخلطاء (الشركاء) ليغني بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم . وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً (سجد) وأناب (تاب) * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى (مكانة ومنزلة) وحسن مآب (عاقبة) (256) .

وهذه هي قصة ابتلاء داود التي نسجت حولها اليهود أساطير مريبة وخرافات وافتراءات تسيء إلى نبيهم داود (عليه السلام) . فقالوا وتقولوا عليه الأقاويل أنه انتهى امرأة أحد الجنود فأرسله إلى ميدان الحرب ليلقى حتفه . وداود (عليه السلام) براء من هذا الافتراء . والقضية كما جاءت في القرآن الكريم نقص عن وجود خصمين احتكما لداود . أحدهما (الشاكي) يمتلك نعمة واحدة ادعى أن الخصم الآخر الذي يمتلك تسعا وتسعون نعمة طلب منه ضم نعجته الوحيدة إلى نعاجه وألح في الطلب والمحالة حتى كان له ما أراد . فانفعل داود (عليه السلام) لشكوى الضعيف وحكم على الغني بأنه ظالم دون أن يستمع لدفاع المشكو في حقه . ونسى داود (عليه السلام) تعليم الله له في كيفية الفصل في الخصومات والمنازعات وهو ألا يستثار من الخصوم فيحكم بسرعة وتعجل بما لا يرضى الله ودون أن يستمع إلى دفاع الطرف الآخر . لأنه ربما يكون الشاكي أحسن عرضاً لشكواه ودعواه مع أنه هو الظالم والآثم . والمشكو في حقه لا يحسن الدفاع عن نفسه لأنه أقل حكمة وحجة فيبدو - وهو المظلوم - وكأنه هو الظالم الجائر . ولما اختفى الخصمان من المحراب بعد عرض الشاكي وحكم داود بسرعة ظن داود أن ذلك ابتلاء من الله وامتحانا له فخرّ ساجداً مستغفراً منيباً إليه بعدما أدرك الفتنة . وكان عتاب الله له :

*ياد اود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهوى فىضلك عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نَسُوا يوم الحساب (257).

أى أنه كان من الأجدر أن تترىث فى الحكم وتستمع إلى جميع أطراف
النزاع حتى تتبين الحقيقة كاملة . أما اتباع الهوى والانفعال فىحيد بك عن
الحق والعدل ومآل الضالين عذاب شديد من الله لغفلتهم وجورهم وحساب الله
مع القضاة المفترض فيهم العدالة أشد لأنه بدون العدل تصبح أحكام القضاء
مضرة بالظلم الذي هو ظلمات :

*قال رسول الله (ﷺ) : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة (258).

ولذا فطن داود (عليه السلام) ولكن بعد فوات الأوان وعلم أنه مر بفتنة وابتلاء من
الله فاستغفر الله كثيراً وأتاب إليه .



سُلَيْمَان (عليه السلام)

* ولقد آتينا داود وسليمان علما . وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء . إن هذا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (259) .

* ووهبنا لداود سليمان . نعم العبد إنه أواب (260) .

وورث سليمان (عليه السلام) مُلْكُ أَبِيهِ داود (عليه السلام) وعمله وورثه في النبوة وقاد شعبه من بعد أبيه . ورث علم داود (عليه السلام) وعبادته . فعلم لغة الطير وأوتي من كل شيء يعينه على عبادة الله والدعوة إليه . تعلم صناعة الدروع الحديدية وكيفية صهر الحديد وتطويعه وتشكيله ليصبح درع المقاتل خفيف الوزن وسهل الحركة وشديد المقاومة لأسلحة ذلك الزمان (السيف والرمح والمطرقة والجنزير والمقلع .. الخ) وأصبح جيش سليمان من أقوى الجيوش في المنطقة . وورثة الأنبياء لا تكون في المال إنما تكون في العلم والنبوة :

* قال النبي (ﷺ) : نحن معشر الأنبياء لا نورث . ما تركنا فهو صدقة (261) .

* عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : .. إن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر (262) .

وكان سليمان (عليه السلام) - كأبيه - متبتلاً ومسبحاً لله تعالى ويعز عليه أن يكون هناك من يعبدون الأصنام والكواكب والشمس وغيرها . وكان يتمنى أن يكون جميع الناس مؤمنين خاضعين لله تعالى منكبين على طاعته وعبادته وشكره . وهو حين يدعو الله بملك واسع ومتنوع لا يبغي عرض الحياة الدنيا وإنما ليكون هذا الملك عوناً له ووسيلة تمكنه من إخضاع الوثنيين لعبادة الله تعالى :

*قال رب اغفر لي وهب لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهاب(263) .

فاستجاب له رب العزة لعلمه بمقصده ونواياه وبارك توجهه ولبي دعوته :

*فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاءً (طائفة منقادة) حيث أصاب (يريد) * والشياطين كل بناء وغواص (يستخرجون اللؤلؤ وغيره) * وآخرين مقرنين في الأصفاد (مقيدين في الأغلال) * هذا عطاؤنا فامنن (فأرسل) أو أمسك (أقبض) بغير حساب (دون مؤاخذه) * وإن له عندنا لزلفى (قربى) وحسن مآب(264) .

فبعد أن أعطاه الله نعمة فهم لغة الطير وتسبيح الطير والجبال معه (كما كان لأبيه) منحه الله نعمة تسخير الرياح فيوجهها حيث أراد الاستفادة بها في الزراعة والملاحة ونقل الأخبار دون أن تعصى له أمراً . وكذلك تسخير الشياطين في تأدية الأعمال الشاقة وبناء الدور والعمائر وخزانات المياه (لتجميع ماء المطر) وحفظها وغير ذلك من الأعمال . ومن يعصه يقيده في الأغلال والسلاسل :

*ولسليمان الريح غدّوها شهر ورواحها شهر (مسيرة شهر) وأسلنا له عين القطر (فينصهر النحاس ويصبح كنجع الماء) ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه . ومن يزغ منهم عن أمرنا (يهرب أو يتراخي) نذقه من عذاب السعير * يعملون له ما يشاء من محاريب (قصور ومعابد) وتماثيل (من النحاس) وجفان كالجواب (قصعة كبيرة كالحوض الكبير) وقدور راسيات (على المواقد) . اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور (265) .

وكان الله تعالى قد منح سليمان ذكاءً شديداً منذ صباه :

*وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً علماً . وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلّمناه (داود) صنعة لبّوس لكم لتحصنكم من بأسكم (دروع الحرب) . فهل أنتم شاكرون * ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركناها فيها (أرض فلسطين) وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يخوضون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين (من الزيف عن أمر سليمان ومن إفسادهم للناس) (266) .

كان حكم داود (عليه السلام) في قضية رعى غنم أحد الأشخاص في أرض لا يملكها ودون قصد منه أو علم أن يقوم صاحب الغنم بإعطاء غنمه لصاحب الأرض المزروعة تعويضاً عن تلف زراعته . وكان ذلك - من حيث القيمة المادية - عدلاً لا غبار عليه. ولكن الله أوحى إلى سليمان برأى آخر (ففهمناها سليمان) حيث أشار على أبيه داود (عليه السلام) أن يصوب الحكم ويجعله أكثر إيجابية بأن يجعل صاحب الغنم يقوم بفلاحة الأرض حتى تنبت زرعاً جديداً بدلاً من الذي أكلته أغنامه وأن يأخذ صاحب الأرض الغنم ينتفع من لبنها وصوفها إلى أن ينمو الزرع ويصبح كما كان . ثم تعود الغنم لصاحبها وتعود

الأرض بزرعها إلى مالکها . وهو ما يسمى بالعدل الإيجابي لكلا المتخاصمين . فلا يفقد صاحب الغنم ما يملك لذنب ليس له يد فيه . ولا يفقد صاحب الأرض زرعه بعدما أفنى جهده فى فلاحته ورعايته حتى يثمر .

وادی النمل :

* وحُشِر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون (يتوقف أولهم حتى يلحق بهم آخرهم فينتظم الصف) * حتى إذا أتوا على وادی النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى (ألهمنى) أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه . وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين (267).

فى استعراض مهيب للجنود التى حشرت لسليمان (عليه السلام) من الجن والإنس (النّقلين المكفين من خلق الله .وتقديم الجن على الإنسان لأنه يسبقه فى الخلق) والطير بأنواعه تقدم هذا الحشد ومر بوادی النمل فسمع سليمان (عليه السلام) نملة كانت مكلفة بالحراسة والمراقبة وهى تحذر قومها (ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم) ليختبأوا فى أعشاشهم تحت الأرض حتى لا يحطمهم جنود سليمان ويدهسونهم وهم لايشعرون بوجود النمل صغير الحجم لأن سليمان وجنده مشغولون بالتجهز لمعركة من المعارك وهم فى سيرهم غير عابئين بما دق حجمه من المخلوقات . فكان رد فعل نبي الله سليمان (عليه السلام) بعد أن فهم كلام النملة اليقظة أن تبسم دون قهقهة ودعا الله أن يعينه ويوفقه على حمده

وتسبيحه وشكره على نعمائه التي مكنته من فهم كلام النملة وأن يكون دائماً سباقاً لفعل الصالح من الأعمال ليكون في معية الله تعالى ورحمته .

ونلاحظ من سياق القصة أن النملة المراقبة علمت أن هذا الجند هو جند سليمان نبي الله وأنه بالقطع سيفهم كلامها وتحذيرها إلى قومها ولذا فهي تقصد أن تنبه سليمان (عليه السلام) أكثر مما تنبه قومها .

قصة الهدد وملكته سبا :

وبعد هذا الموقف النبيل من سليمان (عليه السلام) نحو النمل حيث نبه جيشه بوجود مملكة النمل في طريقهم فليحترسوا من إهلاكهم . تذكر سليمان غياب طائر الهدد عن بقية الحشد ولم يره وسط الجنود وهو يتفقدهم :

*وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين * لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين (مايرر عذره وغيابه) * فمكث غير بعيد فقال (الهدد) أحطت بمالم تحط به وجئتكم من سبا بنياً بقين * إني وجدت امرأة تملكهم (تترأسهم) وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء (المستور) فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (ماذا يكون رد فعلهم على خطاب التوحيد) (268).

. تفقد سليمان الجنود وتمّ عليهم فلم يجد الهدد بينهم وتساعل إن كان غائبا من بداية الاستعراض أم أنه متخفٍ لأمرٍ ما . فإن كان غيابه دون عذر مقبول فلسوف يعذبه عذابا شديدا (نوع العذاب لا يهم فى الموضوع) أو ليذبحنه وينتهى من أمره كلية إلا أن يأتيه بحجة وعذر قهرى وسبب يبرر غيابه الذى يُشتم منه رائحة التسيب والاستهزاء بسُلطان سليمان (عليه السلام) عليه . أو لعله يستهين بطابور الاستعراض والضبط والربط فوضويا لا يعبأ بالنظام (يحدث فى الفرق العسكرية والجيش على مستوى العالم أن يكون هناك أوامر بالضبط والربط والنظام وتوقيع الجزاءات المختلفة على الغائب عن الخدمة والمتهاون . وتترج تلك العقوبات إلى أن تصل إلى الإعدام فى حالة الهروب من الميدان وقت العمليات الحربية) .

وبعد فترة لم تطل بلغ فيها غضب سليمان (عليه السلام) مبلغه وصل الهدد إلى المجلس. والهدد فى جيش سليمان يمثل فرع الاستطلاع والمراقبة والمخابرات. وحينما مر بوادى النمل أعجب سليمان بيقظة النملة الحارسة والتي تقوم بالمراقبة حين حذرت قومها. والهدد عليه أن يقوم بنفس المهام ولكنه بدا متراخيا ومتهاونا ومقصرا فى واجباته حيث غاب عن موقعه فى الجيش . وبمقارنة سريعة من سليمان (عليه السلام) أدرك عظم الذنب الذى اقترفه الهدد ولذا كانت دهشته من غيابه وغضبه الشديدة لعدم أخذ الإذن منه قبل الغياب .

وصل الهدد وبادر بالإعلان عن وصوله بطريقة فرضتها ظروف تغير قسما وجه نبي الله سليمان (عليه السلام) وظهور الغضب على محياه فبادره بقوله :

* أحطت بما لم تحط به .

كلمات حاسمة تعنى الكثير والخطير من الأمور وتلقى بالكرة فى موقع المحاكمة. وبيان حاسم بأن الهدهد قد أحاط علما بما لم يحط به سليمان الذى أوتى من كل شىء ولديه الكثير من الجند المسخر فى خدمته وطاعته. فكيف لم يصل أسماعه ذلك الذى علمه الهدهد فى الأطراف القصية والمتاخمة لمملكة سليمان (عليه السلام) . وحين يعلن الهدهد ذلك الخبر على مسمع سليمان (عليه السلام) فإن الأمر جد خطير . إذن لم يكن لاهيا ولم يكن الهدهد متهاونا ولم يكن متهربا من الخدمة والمهام الملوك بها . وأردف الهدهد بشجاعة وحسم بقية الخبر:

*** وجئتك من سبأ نبأ يقين .**

ودليل براعته قبل أن يسمع دعوى الاتهام ضده وأهمية ما حصل عليه من معلومات يبدأ الهدهد فى سرده تفصيليا :

*** إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم .**

أسباب هامة ومعلومات خطيرة . ففى (سبأ) وجد الهدهد امرأة تحكم شعبها . وهذا فى حد ذاته شىء مثير للعجب والدهشة . وأن يكون عندها من النعم والرياش والمباهج ما يعجز الوصف والتبيان فهذا فى حد ذاته أمر مثير للفضول. وأن يكون لها عرش عظيم مطعم بالذهب والجواهر فذلك شىء يدعو لإثارة المقارنة بين ما تملك تلك المرأة وما هو عند نبي الله سليمان (عليه السلام) . ويستمر الهدهد فى القص ويلقى بالمفاجأة الكبرى :

*** وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله . وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .**

فهنا تتعقد الألسنة وتشهق الصدور وتجحظ العيون دهشة واستككاراً لما يحدث . فقيادة امرأة لقوم شيء عجيب ونادر ولكنه من ناحية المضمون مقبول بدرجة ما . وأن يكون لها ثروات ورياش فهو أمر وارد . وأن يكون لها عرش فخيم ليس له مثيل فذلك محتمل . أما أن يحدث بعد ذلك جحود وكفران بالمنعم الإله رب العالمين بدلا من الشكر وعبادة المنعم فذلك هو غير المقبول مطلقا . وأضاف الهدهد أن ما يثير ضيقه وحقه من هذه الملكة أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الخالق الرازق إذ كيف يتأتى لها ولقومها أن يضلوا هكذا بعد تقدمهم العلمى ورجاحة عقولهم الذى يدل عليه ما وصلوا إليه من تقدم فى شتى الفنون والعلوم كيف يغويهم الشيطان إلى هذه الدرجة فيغفلون عن الحقائق ويضلون عن سبيل الله رغم كل هذه النعم التى أنعم الله بها عليهم . وتسأل الهدهد مستكرا :

* ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

أليس فى القوم من يعقل ولديه الرشد والهداية ليدلهم على منعم النعم وصاحب وخالق تلك الآلاء . إنه الله قيوم السماوات والأرض الذى يعلم السر وأخفى والذى بيده ملكوت كل شيء وله العرش الأعظم والأجل وهو المليك بحق . مالك هذا الكون الفسيح الأرجاء . عرشه ليس كعرش ملوك الأرض . فهو وحده الخالق الرازق ذو القوة المتين . اعتملت المعلومات التى سردها الهدهد فى قلب وعقل سليمان (عليه السلام) وبدلاً من أن يخلع النياشين والأنواط على الهدهد تريث قليلا وهو يفكر . فقد تعلم ألا يكون متسرعاً كوالده داود (عليه السلام) فى إصدار الأحكام (واقعة الخصمين الذين تسوروا المحراب & واقعة الغنم والحرث) وأمعن سليمان مفكراً ثم قال :

* سننظر . أصدقت أم كنت من الكاذبين .

فربما تكون تلك القصة مختلفة من أساسها ادعاها الهدد لينجو بنفسه من العقاب والعذاب أو تكون بها بعض المبالغات والتهويلات للإثارة ولفت الانتباه (سننظر) أى سوف يرى مدى صدق الرواية والخبر . وأعطى سليمان (عليه السلام) الهدد خطاباً موجزاً إلى تلك الملكة ليلقيه على عرشها بين يديها (فى مجلسها) ثم ينتظر رد الفعل على أن يبلغ سليمان بعد ذلك ليتخذ مايراه على ضوء رد الفعل .

* إذهب بكتابتى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون .

وعليك أيها الهدد بمراقبة وقع الخطاب عليهم وتصرفهم إزاءه :

* قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلى كتاب كريم * إنه من سليمان . وإنه (يفتتح بـ) بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلق على وأتوني مسلمين * قالت يا أيها الملأ أفتوني فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون (تشيرون على) * قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد (فى الحرب) والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وكذلك يفعلون * وإنى مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (269).

وقع خطاب سليمان (عليه السلام) بين يدي ملكة سبأ (باليمن) وهى لا تعلم من الذى ألقاه وأتى به (ألقى إلى . بصيغة المبني للمجهول) وتصف الكتاب (الخطاب) بأنه (كتاب كريم) من هيئته وشكله ومحتوياته التى بدأت باسم الله الرحمن الرحيم . ولما كانت لا تعبد الله وإنما تعبد الشمس ووجدت اسم

المرسل منه أنه سليمان أحست بالخطب الجلل لأنها سمعت عن سليمان كثيراً
وتعلم نوعية جيشه وجنوده :

* إنه من سليمان . وإنه (يفتتح بـ) بسم الله الرحمن الرحيم .

تلك الافتتاحية التي لم تعدها من قبل . وقرأت على مسامع حاشيتها
نص الخطاب وفحواه :

*ألا تعلوا علىّ وأتوني مسلمين.

أمر فيه حزم وجزم بأن يعلنوا دون إبطاء استسلامهم لسليمان
وخضوعهم لسلطان الله جل شأنه وإسلامهم وانقيادهم له . وطلبت الملكة
الرأى والمشورة من أعضاء مجلسها وحاشيتها وأوضحت أنها لن تقطع برأى
حتى يشيروا عليها بما ينبغى عمله . ورد الملاء (الحاشية) بأنهم تحت إمرتها
فيما ترى . فهم أهل قتال ونزال ولكن أمر إعلان الحرب لا يملكون صدوره
دون أن تكون لها الكلمة الأولى والأخيرة . وإذا ما رأت وجوب القتال فهم
على أتم الاستعداد لذلك وإذا رأت غير ذلك فلها ماترى .

وعادت الملكة تفكر ملياً وبعمق فى فحوى الخطاب وتدرس
الاحتمالات المختلفة ورأت بفطنتها أن تبدأ باللين مع سليمان فلعلّه أرسل
خطابه طمعاً فى هدايا أو فرض جزية (إتاوة) على مملكته كما يفعل الملوك
الأقوياء عادة . فهى تجنباً لحرب قد تخسرها سترسل إليه بهدية لتلين قلبه
وترققه وتهدئ من حدة خطابه لأن (الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا
أعزة أهلها أذلة) فتلك هى عادة الملوك الأقوياء المنتصرين . يجعلون أعزة
القوم (رأس الدولة والحاشية) أذلة مهانين ويفسدوا فى الأرض بالتقتيل
والخراب والدمار والهدم لا يردعهم وازع من رحمة أو رادع من ضمير .

ويصل الرسل بالهدايا إلى سليمان فيغضب غضبا شديداً لأنه - كما بدا وقتئذ -
لم تع الملكة مضمون الرسالة :

* فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمالٍ فما آتاني الله خير مما آتاكم . بل أنتم
بهديتكم تفرحون * إرجع إليهم (بالهدايا) فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (مأسورون) * قال ياأيها الملأ أياكم
يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (مستسلمين) * قال عفريت من الجن
أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك (مجلسك) وإنني عليه لقوى أمين * قال
الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (نظرك) .
فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر . ومن
شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم * قال نكروا (غيروا
معالمه) لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت
قيل (لها) أهكذا عرشك . قالت كأنه هو . وأوتينا العلم من قبلها وكننا
مسلمين * وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين *
قيل لها أدخلی الصرح (الباحة أو الساحة) فلما رأته حسبته لجة (مغمور
بالماء) وكشفت عن ساقها (كيلا تبذل من الماء) . قال إنه صرح ممرد من
قوارير (مغطى بالبلور الشفاف) قالت رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع
سليمان لله رب العالمين⁽²⁷⁰⁾.

لما وصلت الهدايا لسليمان (عليه السلام) رفضها لأن مآربه غير المال وبدا
له أن الملكة لم تفهم رسالته جيداً . فالمال لديه منه الكثير والوفير ويزيد عنهم
أنهم كافرين وعنده الإيمان . ماعنده النبوة بفضل الله وماعندهم الدنوة .
مايرجوه الآخرة ومايرجونه عرض الدنيا . رفض الهدايا وأعادها للملكة مع
رسلها وأجزم أنه سوف يذهب إليهم بجنود لا يعرفونها ولا يألونها ولا قبل

لهم بها (جنود من الطير والجن والإنس) وعقد العزم على إذلّالهم واستعبادهم وأسرهم لإصرارهم على الكفر والشرك. وطلب من حاشيته بأن يأتوا إليه بعرشها قبل أن يأتوا إليه مستسلمين . كان واقفاً من النصر ومعينة الله أنها معه . وخصوصاً أن رجوع الهدايا للملكة وردّها ثانية لا تعنى سوى الحرب عليها وعلى مملكتها :

* قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها .

فرد أحد جنوده من الجن (عفريت من الجن) بأنه يفعل ذلك فى غضون فترة وجيزة وسيكون ماثلاً بين يدي سليمان دون كسر أو تلف أو نقصان (قوى أمين) قبل أن يقوم من مجلسه . ونظر سليمان إلى باقى الجند لأنه استبطأ الزمن الذى عرضه عفريت الجن فقال له أحد الموجودين بالجلسة أنه قادر على التنفيذ فى برهة من الزمن (قبل أن يرتد إليك طرفك) أى قبل إرتداد البصر (رمش العين) . ولا يهمنا فى هذا المقام تعيين المتكلم أهو من الجن أم الإنس أم الطير (نرى استبعاد حدوث ذلك بواسطة ملاك كما تقول معظم التفاسير والإسرائيليات لأن مجلس سليمان وحاشيته هى من الجن والإنس والطير فهؤلاء هم الذين سخرهم الله لسليمان . ولم يسخر له ملائكة) وهذا الذى أتى بالعرش فى لمح البصر لم ينتظر رأى سليمان (عليه السلام) بل فعل فى الحال بأقصى سرعة . وعلمه المشار إليه (علم من الكتاب) سواء كان هذا الكتاب هو التوراة أو الزبور أو أى كتاب آخر (كتاب علوم أو فيزياء أو تكنولوجيا) لا يمنع أو يعطل حدوث المعجزة والخرقة كما وصفتها آيات القرآن الكريم . ولنرجع بالذاكرة إلى الوراء قليلاً (فى عهد موسى) حيث العبد الصالح الذى أتى بأعمال غريبة وعجيبة وخرقة للعادة نسبها فى نهاية الرحلة مع موسى بقوله :

*وما فعلته عن أمرى (271) .

فهذا العالم الذى أحضر عرش ملكة سبأ لم يفعل ما فعل عن قدرة ذاتية محضة . وإنما ذلك بأمر من الله جل علاه وشأعت قدرته أن يتم بتلك الكيفية . ولما رأى سليمان (عليه السلام) العرش مستقراً عنده وماثلاً أمامه بأبهته نسب الفضل كله لله (هذا من فضل ربي) ولم ينسبه للعالم (الذى عنده علم من الكتاب) لأنه على يقين بأن الله هو وحده القادر وما على المخلوق إلا أن يأخذ بالأسباب . وفطن سليمان (عليه السلام) بأن ما حدث فتنة وابتلاء تستوجب شكر المنعم جل جلاله على نعمائه التى لا تُعد ولا تُحصى (ليبلونى وأشكر أم أكفر) ومع الامتناع عن الشكر يكون الكفر بالنعم هو البديل الطبيعى. والشكر والحمد لله جل شأنه يعود على المخلوق بالنفع :

*لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد (272).

وطلب سليمان (عليه السلام) من حاشيته أن يغيروا بعض معالم عرش الملكة حتى إذا ما جاءت (كان واثقا من حضورها) سبرى إن كانت ستتعرف على عرشها أم لا (ننظر أنهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) . فلما وصلت الملكة كما توقع رأت عرشها ولكنها لم تبد أى رد فعل وظلت على ثباتها ورباطة جأشها إلى أن سألها سليمان (عليه السلام):

*أهكذا عرشك . قالت كأنه هو (يشبهه) .

لأنها تعلم أن عرشها قد تركته منذ فترة بسيطة بالمملكة وهو من الضخامة بحيث يصعب نقله . كما أنها ظنت أن صانع عرشها قد صنع لسليمان عرشاً مثله ولا غرابة فى ذلك . ولكن التطابق يصبح مستحيلاً مهماً فعل الصانع ولما أدرك سليمان (عليه السلام) أنها متشككة فى موضوع العرش أراد

أن يبهرها بما لديه من نعم فطلب منها ارتياد الباحة أو الساحة حيث المجلس لبدأ المشاورات والمباحثات المفترضة . فلما نظرت الملكة إلى أرضية الصرح (الساحة) ظنت أنها مغمورة بالمياه فخشت أن تبث ملابسها فرفعتها (وكشفت عن ساقها) فأجابها سليمان (عليه السلام) بأن الأرضية مصنوعة من الزجاج الكريستال والبلور الشفاف والسميك الذي لا يحجب ما تحته من مياه البحر بأسمائها وشعابها المرجانية . هنا أيقنت الملكة أن سليمان الذي سمعت عنه كثيراً ليس ملكاً من ملوك الدنيا ترضيه الهدايا (التي رزها عليها من قبل) وليس جباراً في الأرض أو طاغية يفرض هيمنته على الشعوب والأمم والممالك . وإنما هو نبي مرسل آتاه الله الملك والحكمة والنبوة لانتشال البشر من الوثنية وجهالتها وأن الذي منعها - سابقا - من عبادة الله وحده أنها نشأت في قوم كافرين بالله وتثنين مشركين . وأن النعم والثراء بلا إيمان وتوحيد لا قيمة لها لأنها في زوال تحت أي ظرف من الظروف . كأن يعتدى عليهم آخرون فيخربون ويهدمون ويسلبون . أما الإيمان والإسلام لله فهو الحصن الحصين . ولذا فقد نطق الملكة بما كان يعتل بصدرها ويدور بخلدائها من فترة (رد الهدايا وخطاب سليمان وطلبه إليهم بإعلان إسلامهم) وتغلبت الفطرة السليمة على ماذرجت عليه ونشأت من الجهالة والوثنية والشرك . أعلنت صادقة وباعت بذنبها وآثامها واعترفت بأنها ظلمت نفسها كثيراً في حياتها الماضية . أعلنت إسلامها لله وحده مع سليمان لا له . وختمت حياتها بإسلامها وإيمانها بنبوة سليمان (عليه السلام) وبالله رب العالمين أجمعين خالق البشر وواهب النعم والآلاء وهنا صدق حس سليمان (عليه السلام) بإيمان الملكة وإسلامها لله هي وقومها لا رجماً بغيب وإنما باستقراء الأمور وثقة في أن الهدى من الله وما علينا إلا الأخذ بالأسباب . ومن ناحيتها - الملكة - كانت موقنة أنها لا تتعامل مع أحد الملوك الجبابرة بدليل أن الرسالة الأولى من

سليمان إليها كانت مفتتحة باسم الله الذى صفاته أنه رحمن ورحيم . وأنه دعاها - فى نفس الخطاب - بعدم الاستعلاء والتكبر ودعاها للإسلام برب العالمين . وعندما اقترحت إرسال هدايا إليه لتتيقن أنه نبي مرسل أو ملك جبار من ملوك الدنيا الذين يفسدون فى الأرض ولا يهتمهم إلا توسيع سلطانهم وتدمير القرى والممالك حتى يكونوا - وحدهم - المتمتعون بالرقى والرخاء والرفاهية دون غيرهم من الشعوب، ولما عاد رسلها بالهدايا تأكدت من ظنونها ولم تعلن التعبئة أو الحرب بل ذهبت للتأكد بنفسها من منزلة سليمان وحقيقة دعوته بالإسلام دون خشية الوقوع فى الأسر لأنها باتت أقرب لليقين منها إلى الشك فى دعوة سليمان (عليه السلام) ونبوته . أما حاشيتها فكما قص علينا القرآن يأتَمرون بأمرها (الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) أى أنها صاحبة الكلمة الأخيرة فى موضوع الحرب - وغيره - وإن كان ذلك لا يمنعها استشارة حاشيتها . ولأن الله أراد لها الاسلام ديناً فقد يسر لها السبيل وهياً لها الأسباب لأنه وحده رب الأسباب والمسببات كلها.

السحر :

ومع موقف آخر لنبي الله سليمان (عليه السلام) نعيش حول ما نسجه المخرفون والمزورون والمدعون حيث نسبوا إليه تعليم الناس السحر وأنه كان ساحراً حاذقاً :

* ولما جاءهم (اليهود) رسول من عند الله (محمد) مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (بشارة مقدم النبي ﷺ) * واتبعوا ما تتلوا الشياطين (من الكذب والسحر) على ملك سليمان (ادعاءً عليه) . وما كفر سليمان ولكن

الشياطين كفروا (وكذبوا) يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه (ابتلاء) فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم . ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق (نصيب من الخير) . ولبئس ما شروا به أنفسهم (باعوا) لو كانوا يعلمون * ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبةً من عند الله خير . لو كانوا يعلمون .⁽²⁷³⁾

لقد أخلف اليهود عهدهم مع النبي (ﷺ) إثر قدومه إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة . وهو العهد الذي وادعهم فيه بشروط معينة بينما كانوا هم أول من أعان عليه أعداؤه . وأول من عاب دينه وحاولوا بث الفرقة والفتنة في الصف المسلم مخالفين ما عاهدوا المسلمين والنبي (ﷺ) عليه . وكان من مظاهر نقض عهودهم ومواثيقهم أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ عليهم ميثاقاً أن يؤمنوا بكل رسول يبعثه وأن يحترموه وينصروه ويؤيدوه :

* ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه⁽²⁷⁴⁾ .

* ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (أمينا) وقال الله إنى معكم . لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل⁽²⁷⁵⁾ .

* ولما جاءهم كتاب من عند الله (القرآن) مصدق لما معهم (التوراة) وكانوا من قبل يستفتحون (يستنصرون ببعثة النبي ويستبشرون به على الوثنيين)

على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به . فلعلنا الله على الكافرين (276).

وهذا الميثاق يشمل أيضا النبيين جميعهم :

* وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول (أى رسول) مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري (عهدى) قالوا أقررنا . قال فاشهدواوأنا معكم من الشاهدين (277) .

إذن فعهد بنى إسرائيل مع الله وهو مماثل لعهد النبيين مع الله جل وعلا أن يؤمنوا بأى نبي أو رسول يبعثه الله لأن هذا النبى وذاك الرسول إنما جاء مصدقاً لما معهم من الكتب والرسالات . وعليهم بالتالى نصرته وتأييده فيما يأتى به من عند الله . ولما جاءهم محمد (ﷺ) بالقرآن الكريم وبدلائل نبوته ورسالته نبذ فريق منهم كتاب الله (القرآن) وطرحوه وراء ظهورهم ونقضوا عهودهم مع الله برغم أن فى كتبهم البشارة والدليل على بعثته وصدق الرسالة التى جاء بها . ورغم هذا أنكروا وجحدوا كل شىء بل وأنكروا ما سطر فى كتبهم (التوراة والزبور والإنجيل) وكأنهم لا يعلمون شيئاً مما هو مكتوب ومسطور فى كتبهم . وليس هذا فقط وإنما اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتقصه على مملكة سليمان (عليه السلام) وعنه . الشياطين التى زينت لهم الخرافات والأساطير الكاذبة عن ملك سليمان ونبوته ورسالته وحكمته . تلك الأساطير والخرافات التى لا تستند إلى ذرة واحدة من الحقيقة وتدعى بهتانا وزوراً أن سليمان (عليه السلام) كان ساحراً ماهراً وحاذقاً سخر ما عنده من الجن والطير والإنس بطرق سحرية خاصة لا يعلمها إلا هو . وينفى الله جل شأنه تلك الفرية والتهمة البشعة عن نبيه سليمان (عليه السلام) فيقول

سبحانه (وما كفر سليمان) وكلمة (ما) نافية لكل ما يروجون له ويدعون به . ولكن الذين كفروا هم الشياطين الذين زينوا للناس أعمالهم . لأن من مارس سحراً أو لجأ إلى ساحر أو كاهن فقد كفر بالله:

* قال رسول الله (ﷺ) : اجتنبوا السبع الموبقات (المهلكات) .

قالوا يارسول الله : وما هن . قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف (الفرار من المعركة) وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات . (متفق عليه) (278) .

* عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : اجتنبوا الموبقات (المهلكات) الشرك بالله والسحر (279) .

ولكن لا عجب لأن هؤلاء القوم - اليهود - قد درجوا على الإيمان والتصديق بالكهانة والسحر والنبوءات والتنجيم والترويح لها منذ إقامتهم بمصر القديمة ومخالطتهم السحرة والكهّان:

* ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجِبْتِ (ما يعبد من دون الله والسحر والكهانة) والطاغوت (الشيطان أو الساحر) ويقولون للذين كفروا هؤلاء (السحرة والطواغيت) أهدى من الذين آمنوا سبيلاً (280) .

(وما كفر سليمان) بممارسة السحر لأنه نبي مرسل ويعلم أن ممارسة السحر والكهانة كفر بالله ولكن الشياطين هم الذين كفروا وزينوا للناس السحر يمارسونه ويعزون إليه الخوارق (المعجزات) من الأمور ولا يؤمنون بآيات الله التي يؤيد بها رسله (المعجزات) .

والله جل شأنه ينفى مرة أخرى نزول السحر من عنده (وما أنزل على الملكين) وإنما كان هذين الملكين (هاروت وماروت) فتنة وابتلاء من الله لأهل بابل فيذهبون إليهما طالبين تعلم السحر وفنونه . والسحر ليس من عند الله ولم ينزله على الملكين (وما أنزل) لأن الله لا يأمر بفحشاء أو كفر :

*قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله ما لاتعلمون (281).

وإذا ما عدنا بالذاكرة إلى أيام (السبى البابلى) وما كان فيه من ذل واضطهاد لبنى إسرائيل . وما كان فيه من وضع وتأليف لأسفار العهد القديم بمعرفة (عزرا ونحميا) بعد نزول التوراة بأكثر من سبعمائة سنة سندرك فى الحال أن ادعاءات اليهود بكهانة سليمان (عليه السلام) وممارسته السحر ما هى إلا سلسلة من الافتراءات اليهودية ضد أنبيائهم الكرام .

وكلما تعلم بعض الناس من الملكين (هاروت وماروت) شيئاً من السحر والكهانة يحذرونهم من ممارسة ذلك السحر لأنه كفر بالله جل شأنه (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر) ولكن أولئك الذين رغبوا عن هدى الله واستمروا الكفر بممارسة السحر وتعلموا (مايفرقون به بين المرء وزوجه) . أى إشاعة الشحناء والبغضاء بين الأزواج بدلا من المودة والسكن والرحمة التى أودعها الله بين الأزواج :

*ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (282).

ورغم تعلمهم السحر وممارسته فإن ضرره يتوقف على مشيئة الله شأنه فى ذلك شأن كل الأمور الأخرى :

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى (ﷺ) يوما (على دابته) فقال يا غلام إني أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك (معك) . إذا سألت فأسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف (283).

وفى تعلمهم السحر رغبة دفينة للضر لا النفع . الضرر لغيرهم ولهم لأنهم جنوا الذنوب والخطوب التى توردهم موارد التهلكة والكفر بتعلم وممارسة السحر . وهم يعلمون ذلك (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) ويعلمون أنهم فى الآخرة سينالون الحساب والجزاء (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) ورغم هذا يصرون على المعصية والضلالة . وإنه لأمر عجيب من هؤلاء الناس أن يشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) وبالطبع فهم يعلمون ولكنهم يحددون بآيات الله ويكفرون بها ولا يصدقون وعيد الله والعذاب الذى أعده لكل كفار عنيد من المهانة فى الجحيم . ولو أن هؤلاء القوم عقلوا ما هم فيه وارتدعوا عن غيهم وسعيهم للشر والضلالة ما كان مصيرهم كذلك (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) .

ونخلص مما سردناه إلى أن من نبذ ونقض وأعرض عن كتاب الله وهديه وراء ظهره وسعى للضلالة والاضلال والإفساد بين الناس وادعى ماليس له به علم على عباد الله وصفوتهم وهم الأنبياء فإنما اختط لنفسه طريقا لا رجعة فيه ولا نجاة منه (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أما من احترز واحترس أن تزل قدماء فى ذلك الطريق الوعر وسعى بإيمانه وتقواه إلى

مرضاة الله والتصديق بما جاء به الرسل والأنبياء دون ابتداع ودون ادعاء ضمن لنفسه السلامة والنجاة وجزاؤه عند الله ثواباً ورحمة خير مما ينتظر ويتوقع . ولنعلم أن الله يؤيد رسله وأنبياءه بالآيات والمعجزات وتأيد الله لا يكون إلا بخير . فلا ينبغي لنا أن ننساق وراء أباطيل وخرافات ابتدعتها وافترأها اليهود على أنبيائهم فلم يسلم منهم أحداً (فريقتا كذبوا وفريقا يقتلون) . والقرآن الكريم المنزل من عند الله ليس فيه دليل واحد على مفترياتهم بل العكس فيه الحق والصدق :

* إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل الذي هم فيه يختلفون * وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين⁽²⁸⁴⁾.

الصفات الجياد :

* ووهبنا لداود سليمان . نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشي الصفات الجياد * فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق⁽²⁸⁵⁾.

يقص سبحانه وتعالى قصة ابتلاء وقعت لسليمان (عليه السلام) ابن داود (عليه السلام) . فقد كان كل منهما يداوم على تسبيح الله جل شأنه في العشي والإبكار :

* إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق⁽²⁸⁶⁾.

أى أن موعد تسبيح الله وتنزيهه كان من الصباح إلى غروب الشمس . ولما عرضت الجياد على سليمان (عليه السلام) ليراجعها ويتأكد من تجهيزها لمعركة وشيكة طاف عليها يمسح سوقها وأعناقها مباركا إياها لأنها معدة

هامة من معدات الحرب (فى تلك الأزمنة وفى زمن بعثة النبى (ﷺ) أيضا كان من المألوف عند التجهيز لمعركة وشيكة أن يتم التأكد من سرج الخيل ورباطها والأسلحة والمؤن . وكذلك إطعام الجياد وتدريب سوقها وعضلاتها وأعناقها لتكون على أهبة الاستعداد لخوض المعارك . ويحدث فى عصرنا الحديث أشياء مشابهة لتلك التجهيزات . فالطائرات والدبابات والمركبات لا تنطلق فجأة فى ساحة القتال وإنما يتم تسخين وإدارة محركاتها حتى يتسنى اصلاح العيوب قبل بدء المعركة كما أن مواتير تلك المركبات تعمل بكفاءة أكبر إذا ما كانت ساخنة عنها وهى باردة . وأيضا تتم الآن عمليات الصيانة الدورية للمعدات والأسلحة حتى لا يصبها العطب وقت العمليات العسكرية) .

وبعد أن قام سليمان (عليه السلام) بتفقد الجياد وتدريب عضلاتها بنفسه (بعد تدريب الجنود لها قبله) للمزيد من الحيطة والتأكد من سلامتها ومراجعة كل شىء قبل بدء المعركة (ولنتذكر الآن مشهد استعراض سليمان (عليه السلام) لجنوده من الجن والإنس والطير وهم سائرون فى وادى النمل وافتقاده للهدد رغم أنه جندى واحد ضمن فيالق وفرق كثيرة من الجيش . فبحث عنه وسأل عن سبب غيابه عن قوات الاستعراض) وتلك هى سمات القائد الناجح الذى لا يعتمد على مجرد التقارير وهو جالس فى مكتبه وإنما عليه تفقد حالة الجنود والأسلحة والمركبات والمؤن على الطبيعة حتى تكون رؤيته شاملة ودقيقة وخططه نابغة من واقع حالة القوات فعليا .

تفقد سليمان (عليه السلام) الجياد ومسح (ذلك) بيده سوقها وأعناقها . وبعدها أتم ذلك جعلها تنطلق (للتدريب والتدريب والمناورة) حتى اختفت عن ناظره . ثم عادت إليه بعد حين ليعاود مسح السوق والأعناق مرة أخرى والفترة التي انقضت بين تجهيز الجياد وانطلاقها ثم عودتها والاطمئنان عليها

مرة أخرى وتذكرك سوقها وأعناقها (لكل الجياد) واضح أنها استغرقت الوقت المخصص لتسبيح الله فترة العشي (إذ عُرِضَ عليه بالعشي الصافنات الجياد) فلما تنبه سليمان (عليه السلام) أنه بانشغاله بالجياد أغفل دون عمد (سهواً ونسياناً) التسابيح التي كان يقوم بها منزلها الله ومسبحاً ذاته العلية وشاكراً نعمه عليه . تذكر سليمان أن موعد التسبيح بالعشي قد انقضى دون أن يفعل . وبالرغم أنه كان في حالة إعداد الجياد للجهاد في سبيل الله وفي معية الله ومراقبته فإنه اتهم نفسه بالتقصير الشديد على غفلته وسهوه فاستغفر ربه على ما حدث . (حدث ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) عندما كان يقوم وأصحابه بحفر الخندق حول المدينة المنورة فنسى صلاة العصر حتى غربت الشمس فصلاها بعد الغروب وقبل صلاة المغرب) (287).

وهذه شيمة المخلصين والأتقياء . كلما فعلوا خيراً يتهمون أنفسهم بالتقصير حتى ولو كان الفعل العارض مساوٍ أو يفوق الفعل الأصلي الذي انعقدت عليه الرغبة والعزم في البدء . وكان السهو والنسيان سبباً في تأدية عمل دون آخر . ونربأ بأنفسنا وبنبي الله سليمان (عليه السلام) من الإسرائيليات التي قيلت في هذا الموضوع وغيره فلا نذكرها أو نناقشها لتفاهة ما فيها ولتجنّي رواتها على المصطفين من عباد الله .

فترة الكرسي :

* ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب (وتاب) * قال رب أغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (288).

وهذا ابتلاء آخر وامتحان لسليمان (عليه السلام). ابتلاه الله بمرض أعاقه عن ممارسة مهامه وإدارة شئون مملكته فحزن لذلك كثيراً ولجأ إلى الطبيب بالأدوية والأعشاب دون تحسن ملموس . وابتلاء الإنسان بالمرض يتم بين الحين والآخر فيصبر من يصبر ويقتط من يقتط . وقنوط سليمان ليس نِقْمَةً على الابتلاء إنما هو شعور انتابه لإحساسه بالعجز عن الجهاد في سبيل الله والمجاهدة في إعلاء كلمة التوحيد . و (ألقينا) تعنى (ألقيناه) على كرسيه كالجسد الهامد بلا نشاط كما اعتاد وكأنه فاقد للحياة (نعبّر في كثير من الأحيان عن الإرهاق الشديد وأداء المهام الشاقة بأن الإنسان قد أصبح كالجثة لا حراك فيها ولا حياة والمقصود فقدان النشاط البدني والحيوية المعتادة نتيجة تفكك العضلات واجهاد الأربطة والمفاصل) . وكما نعلم أن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء كما روى عن النبي (ﷺ):

* عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : قلت : يا رسول الله أى الناس أشد بلاءً ؟ . قال : الأنبياء ، ثم الأمتل فالأمتل . يبتلى الرجل على حسب دينه (289) .. الخ .

* عن العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد . قال : سئل رسول الله (ﷺ).

أى الناس أشد بلاءً ؟ . قال : الأنبياء . ثم الأمتل فالأمتل . يبتلى الناس حسب دينهم . فمن ثخن دينه (عظم) اشتد بلاؤه . ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ماعليه من خطيئة (290).

* عن أبى سعيد أنه دخل على رسول الله (ﷺ) وهو موعوك (محموم) عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك (الحمى) يا رسول الله . قال : إنا كذلك (الأنبياء) يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر . ثم

قال : يارسول الله من أشد الناس بلاءً ؟ قال : الأنبياء . قال : ثم من ؟ قال :
العلماء قال : ثم من ؟ قال الصالحون . (291)

وابتلاء نبي الله سليمان (عليه السلام) بالمرض الذي أقعده استوجب منه
الاستغفار والإنابة إلى الله كي يرفع عنه البلاء والمرض ليعاود تأدية مهامه
فى سبيل إعلاء كلمة الحق فى الأرض (وحدث أن أصيب النبى (ﷺ)
بالحمى فى مرض الوفاة وكان كلما أفاق من غيبوبة مرضه يقوم ليصلى
بالناس وإذا اشتد عليه المرض يغيب عن الوعى وهكذا على نوبات متقطعة)
 . وحين من الله على سليمان (عليه السلام) بالشفاء دعا ربه أن يهبه ملكا يعينه على
أداء رسالته لا يحق لأحد من بعده :

*قال رب اغفر لي (على ما أحسبه خطأ وتقصير) وهب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب.

وفاته:

*فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض (حشرة تأكل
الخشب) تأكل منسأته (عصاه) . فلما خر (سقط) تبينت الجن أن لو كانوا
يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين (292) .

وتجىء الخاتمة فى قصة نبي الله سليمان (عليه السلام) باكتشاف وفاته .
بعد عمر طويل حافل قضاءه فى الدعوة إلى الله وعبادته مؤيداً من عنده
بالآيات (الريح - الجن - الإنس - الطير .. الخ) التى تيسر مهمته فى تبليغ
دعوة الله والجهاد فى سبيله حين انقضى الأجل توفته الملائكة طيبا :

*قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (293).

وكان لآخر لحظة فى حياته متبتلاً ومسبحاً لله . وبلغت مملكته فى عهده مرحلة لم ولن تتكرر فى عمر بنى إسرائيل بإذن الله تعالى . مرحلة من الثراء المادى والروحى، حشر الله له الجن والإنس والطير فهم يوزعون (ينتظر أولهم ليلحق بهم آخريهم وينتظم الحشد) ومنحه العديد من النعم التى تعينه على تبليغ رسالة الله إلى قومه . فلما انقضى أجله (قضينا عليه الموت) قبضت روحه الطاهرة وهو متكئ على عصاه فى معبده (الهيكل) . كانت الجن تقوم بالأعمال المنوطة بها دون عصيان أو تمرد . ومن يتمرد منهم ويزغ عن التكاليف كان مصيره القيود والأغلال (وآخرين مقرنين فى الأصفاد & ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) . والجن لم تُخلق لعمارة الأرض وخلافتها (بعكس الإنسان) ولكنهم كانوا مسخرين للعمل تحت إمرة سليمان (عليه السلام) فيعملون له المحاريب (دور العبادة) والقصور والتماثيل النحاسية والأحواض الضخمة (جفان كالجواب) وقدور ضخمة (راسيات) على مواقد وهى قدور لا يستطيع حملها الناس . قبضت روح سليمان (عليه السلام) وهو متكئ على عصاه فى مجلسه بالهيكل فظنت الجن أنه يراقبها فيما تعمل فلم تعص الأوامر ولم تتخل عن الاستمرار فى العمل . وأوحى الله جل علاه وأصدر أوامره لحشرة الأرضة (دابة الأرض) أن تأكل وتتخر عصا سليمان (عليه السلام) التى يتكى عليها . فاختلف توازن الجسد المسنود على العصا (فلما خر) ثم سقط على الأرض . حينئذ علمت الجن بموت سليمان . ورغم فرحتها وسرورها بالخلاص من الأعمال الشاقة (العذاب المهين) التى كانت تقوم بها إلا أنها تأثرت - بالقطع - لموت نبي الله سليمان (عليه السلام) . النبي الكريم الذى انتهى بموته عصر المملكة الموحدة لبنى إسرائيل .

ونخلص من قصة حياة سليمان (عليه السلام) بالعظات الآتية :

(أ)- كل مخلوق له أجل إذا وافاه لا مرد له من أمر الله سواء كان هذا المخلوق إنساً أو طيراً أو حيواناً .. الخ . نبياً مرسلأً أو بشراً . صغيراً أو كبيراً . غنياً أو فقيراً . معافاً أو مريضاً ومعتلاً .

(ب)- لأن الإنسان وكل مخلوق لا يعلم متى يحين أجله فعليه أن يظل على جهده مع الله لآخر لحظة في حياته فيموت على الطاعة لا المعصية . يحمده على نعمائه ويعبده ولا يشرك به شيئاً .

(ج)- استخدام عطايا الله ونعمه في طاعة الله هو أفضل ما يتمناه ويصبو إليه المؤمن .

(د)- برغم نعم الله الكثيرة وتسخير بعض المخلوقات في خدمة سليمان (عليه السلام) لتعمل تحت إمرته لم يدفعه ذلك للغرور والجود والاستعلاء على الناس . بل زاده ذلك إيماناً وطاعة ابتغاء مرضاة الله :

*رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (294).

(هـ)- لم يفتخر سليمان (عليه السلام) بهدية ملكة سبأ وكانت غضبته في الحق لله حينما علم أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .

(و)- الجن ليسوا أقوى بأساً من البشر ولا باقي المخلوقات كما يتخيل الكثير من الناس (وكما قال الجن عن نفسه متفاخراً أنه مخلوق من النار بخلاف الإنسان الذي خُلق من التراب والطين) ودليل ذلك أن الذي أتى بعرش ملكة سبأ ليس من الجن (عفريت قوى من الجن) بل عبد لله أنعم الله عليه

بالإيمان والعلم فأنجز المهمة كأحسن وأسرع ماتكون (أنا آتيك به من قبل أن يرتد إليك طرفك).

(ز)- الجن مخلوق - كباقي المخلوقات - لا يعلم الغيب بدليل أن موت سليمان لم يدر به الجن إلا بعد أن أكلت (دابة الأرض) أى حشرة الأرض العصا الخشبية لسليمان (عليه السلام) والتي كان يتكى عليها (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) وأيضاً الملائكة والرسل لا يعلمون الخيب :

*قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء⁽²⁹⁵⁾ .

(ح)- نفى الله سبحانه وتعالى السحر عن سليمان (عليه السلام) كما ادعى اليهود واقتروا عليه. وتعليم السحر وممارسته هو من الكفر (وما كفر سليمان) والسحر كله ضر لا نفع فيه وإلا كان أول المنتفعين به هو من يمارسه فيجلب لنفسه الثراء والعافية والقوة وغيرها من الخيرات . وحتى الضر المفترض وقوعه من ممارسة السحر لا يحدث إلا بإذن الله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم). وجنود سليمان (الجن والإنس والطير) كانت مسخرة بأمر الله لسليمان ولم يسخرها سليمان لنفسه بطرق سحرية كما يدعون .

(ط)- ابتلاءات سليمان (عليه السلام) (وغيره من الأنبياء) هى ابتلاءات تليق بالأنبياء والمرسلين : فلا يصح الانسياق وراء الأساطير والخرافات التى تملأ - للأسف - كتب التفاسير والسيرة والمرويات التوراتية فيما ذهبت إليه .

(ي) - إذا ماكُفَّ أحدٌ بالقضاء والحكم فليكن حكمه بالعدل ولا يتبع الهوى (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ومن شروط العدل الاستماع لكافة الأطراف المتخاصمة دون تحيز أو مجاملة أو ميل مع تمحيص الاتهامات والشكايا والدفع والنثبت منها دون تسرع.

(ك) حين ابتلى الله سليمان (عليه السلام) بالمرض الشديد لم يجزع ولم ينقلب على وجهه كما يحدث لكثير من الناس بل صبر ودعا الله أن يكشف عنه الضر ويعينه على تبليغ دعوته للناس وأن يمنحه التأييد والتعزيد . وفي الحديث :

* عن أبي يحيى صهيب بن سنان قال : قال رسول الله (ﷺ) :

عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خير . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء (مايسره) شكر . فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر (مايضره) فكان خيراً له (296).

* ومن الناس من يعبد الله على حُرف (شك وتزلزل في الدين) فإن أصابه خيرٌ اطمأن به . وإن أصابته فتنة (ابتلاء) انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (297) .

ونرى أن نبي الله سليمان (عليه السلام) كان من الصابرين (نعم العبد إنه أواب) فاستحق رضوان الله فعافاه و غفر له وأعطاه الكثير من النعم .

(ل) . تجهيز القوات والمعدات والمؤمن قبل المعارك أمر ضروري . والتأكد من حالتها وصلاحياتها وصيانتها من مسؤولية القادة ولا يعهد بها إلى التقارير وحدها دون المراجعة العملية على أرض الواقع حتى لا يكون التقصير وعدم الصيانة سبباً للهزيمة .

(م) - الضبط والربط من العوامل الأساسية في نجاحات الجيوش وكل فرد مكلف بأداء عمل بعينه عليه الالتزام والاخلاص (حراسة - مراقبة - استطلاع) .

(ن) - الثقة في نصر الله لعباده المؤمنين الطائعين من شروط النجاح :

* إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (298).

(س) - الصديق منجاة دائما من الوقوع في الأخطاء والتعرض للعقاب . وانا في قصة الهدهد المثل الواضح (وجئتكم من سبأ نبأ يقين) .

(ع) جميع المخلوقات هي أمم أمثالنا . مسخرة لما اقتضته حكمة الله :

* وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم (299).

فلانهزأ أو نسخر من أصغر المخلوقات أو أضعفها . فالأمراض العضال الصعبة الشفاء لا يسببها إلا ميكروبات وفيروسات دقيقة الحجم جدا . والهدهد قام بدوره كما ينبغي وكذلك النملة التي حذرت قومها من جيش سليمان .

(ف) - الأرض يرثها عباد الله الصالحون . فصلاح سليمان (عليه السلام) ومن آمن معه مكن لهم في الأرض فكانت نصرتهم على الوثنيين ووراثتهم أرضهم :

* ولقد كتبنا في الزبور (رسالة داود) من بعد الذكر (توراة موسى) أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (300).

(ص) - لا يجب تمنى الثروة أو الجاه أو السلطان لأن الحصول على ذلك ابتلاء لا يقدر عليه كثير من الناس . وعلى قدر الثروة - مثلاً - يكون الحساب :

* ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض . ولكن ينزل بقدر ما يشاء . إنه بعباده خبير بصير (301).

وتمنى سليمان (عليه السلام) ملكا لا ينبغي لأحد من بعده لا يقدر عليه عامة البشر لأن الأنبياء والمرسلين مؤيدون من قبل الله ومعصومون من الزلزال والدنيا من الأمور .

(ق) - تدبر آيات القرآن الكريم وفهم مرادها يحول دون الانزلاق إلى خرافات وتأويلات فاسدة تحط من قدر عباد الله الصالحين وأنبياء الله المخلصين . وليس كل ما هو شائع ومألوف من الروايات والسير والتأويلات والتفسيرات هو الصواب بعينه . علمنا الله وفقهنا فى دينه :

* أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (302) .

(ر) - من صفات ملوك الدنيا أنهم يفسدون فى الأرض إذا ماقدروا أما أنبياء الله وعباده الصالحون فليس فى طبعهم ولا شيمهم الإهلاك والإفساد فى الأرض :

* إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة (303) .

(ش) - يجب أن ننأى بأنفسنا عن الرواية الإسرائيلية التى تدعى أن لسليمان (عليه السلام) زوجات وجوارى ومحظيات تزيد على السبعمئة فى رواية وروايات أخرى تقول أنهن سبعون أو مائة أو ألف .. الخ وأيضا تلك التى تصف كنوز

سليمان وخاتم سليمان وبساط سليمان . وكلها أساطير وأباطيل لا تمت للحقيقة بصلة . ونحن لا نهون ولا نهول في ذات الوقت عما كان لدى نبي الله سليمان (عليه السلام) من الثروة والممتلكات . وإنما نتلمس الحقيقة في آيات القرآن الكريم ولا نزيد أو ننقص .

(ت) - نحن نرفض أى مساس بأنبياء الله المكرمين أولئك الذين قصهم علينا رب العزة تبارك وتعالى فى كتابه الكريم ولا نتقوّل عليهم كما يتقوّل الآخرون ولا ننسب إليهم أباطيل وهرطقات . وهم لدينا نحن معشر المسلمين قمة الصفاء والنقاء البشرى خُلُقًا وخُلُقًا وعملا وتقوى وهم جميعا من المصطفّين الأخيار الذين اختارهم الله على علم ليكونوا أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين للناس الذين أرسلوا إليهم . ونحن لا نفرّق بين أحد منهم ونحن لله مخلصون ومصدقون ومؤمنون بما جاءوا به :

*قل (يا محمد أنت وأمتك) آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون⁽³⁰⁴⁾.



عَزِيزٌ (الْعَلِيَّةُ)

*وقالت اليهود عَزِيزٌ ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون (305).

وهذه هى الإشارة الوحيدة فى القرآن الكريم لنبي الله عَزِيزٌ . والآية تدلنا على أنه من اليهود (بنى إسرائيل) وأن له منزلة كبيرة عندهم بدليل أنهم رفعوه إلى مصاف الآلهة ووصفوه أنه ابن الله - حاشا لله - وأنه جاء بعد سنين طويلة من بعد موسى (وقالت اليهود) . لأن التسمية باليهود إنما هى ابتداء من موسى (الْعَلِيَّةُ) وهم - اليهود - يماثلون ويشابهون ما ادعته النصارى من أن عيسى ابن الله - حاشا لله أن يكون له ولد - وسبب ادعائهم هذا الله تعالى أعلم به. وإن كانت هناك روايات عنه فى الأسفار التوراتية (العهد القديم) ينسبون فيها إليه أن له معجزات شفاء الأعمى (قالوا أنه شفى خادمة له كانت ضريرة) وإحياء الموتى (قالوا أنه مات مائة عام أو يزيد ثم بُعث مرة أخرى بنفسه أو بفضل الله عليه) وقالوا أنه هو الذى جدد لهم كتابة التوراة بعدما فقدت حيث يدعون أنه كان يحفظها عند احتراق جميع النسخ وإتلاف الموجود منها مع اليهود إبان الغزو البابلى ثم السبى . وقالوا عنه أنه (عَزْرَا) الذى كتب التوراة فى فترة السبى البابلى . وقالوا عنه الكثير من القصص والروايات والمعجزات ما أنزل الله بها من سلطان . وقالوا أنه صاحب القرية المذكورة فى سورة البقرة :

*أو كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها . فأما الله مائة عام ثم بعثه . قال كم لبثت . قال لبثت يوماً أو

بعض يوم . قال (الله) بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك . ثم يتسنّه (لم يتغير أو يتلف) وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس . وانظر إلى العظام كيف ننشزها (نرفعها من الأرض لنولفها) ثم نكسوها لحماً . فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير⁽³⁰⁶⁾ .

وكل هذه الأقاويل ليس لها سند من القرآن الكريم أو السنة بأنه هو المقصود والمعني بتلك الأحداث ولا نزيد على ما جاء في الآية المذكورة من سورة التوبة بأن قومه اعتبروه إبناً لله - تعالى سبحانه عما يقولون - كما قتت النصراني عن عيسى نفس المقولة . وكلاهما (اليهود والنصارى) يشابين بادعائهم هذا قول الذين كفروا من قبل وهم :

ثالث المصريين القدماء (إيزيس وأوزيريس وحورس) والينود (براهما وفشنوا وسيفا) والآشوريين (مردوخ الذى يقولون عنه أنه ابن الله البكر) والإغريق (يقولون بإلهه المثلث الأقانيم) والعرب القدامى (اعتبروا الملائكة إبنائاً وأنهن بنات الله) حاشا لله عن كل هذا الزيف والافتراء وكل تلك العقائد الشّركية الفاسدة صبغت معتنقيها ووصمتهم بالكفر والإلحاد والشرك بالعلی الكبير . فمن قال ذلك وروج له فهو كافر بالنص القرآنى بعد سطوع الحق وتبينه على يد أنبياء الله ورسله :

*قالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه هو الغنى . له ما فى السماوات وما فى الأرض
إن عندكم من سلطان بهذا . أتقولون على الله ما لا تعلمون⁽³⁰⁷⁾ .



زكريا (عليه السلام) ويحيى (عليه السلام)

كهيعص ذَكَرُ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكْرِيَا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (ضائع السعى) * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي (عصبته وأقاربه وكانوا من أشرار اليهود) وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدنك ولياً (إنا يلىنى) * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (مرضيا عندك) * يَا زَكَرِيَا إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ اِسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (طعن سنى) * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيِّئٍ (يسير على الله) وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً (علامة بالبشرى) . قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ (المصلى) فَأَوْحَى (أشار بيده) إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ (التوراة) بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ (النبوة) صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (308):

- وَزَكَرِيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ (شفيناها من عقمها) * إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (309):

* إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض . والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً (متفرغاً للعبادة وخدمة الهيكل) فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى (مريم) والله أعند بما وضعت وليس الذكر كالأنثى . وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا (يرعاها) . كلما دخل عليها زكريا المحراب (المصلى) وجد عندها رزقا قال يا مريم أتئى لك هذا قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب * هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن اته يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحسوراً (منزهاً عن المعصية) ونبياً من الصالحين * قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتي عاقر . قال كذلك الله يفعل ما يشاء * قال رب اجعل لى آية (علامة بالبشرى) . قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً (بالإشارة) واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار (310).

* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . كلٌ من الصالحين (311).

هذه الآيات وردت فى القرآن الكريم لتقص علينا الصدق والحق عن زكريا (عليه السلام) حينما بلغ المشيب دون أن ينجب ولما كان زكريا من ذرية يعقوب (عليه السلام) فقد كان متشوقاً لأن تكون له ذرية ترث النبوة والدعوة إلى الله وخدمة الهيكل المخصص للعبادة فى بنى إسرائيل . تشوقاً غريزياً للذرية والنسل وهو العبد الطائع لله والدائم التسبيح والدعاء والحمد . دعا زكريا ربه دعاءً فيه خشوع وحياء وضراعة وتبتل وابتهال ومناجاة . دعاءً خفيض

الصوت يبعث فيه - سبحانه - شكواه وحاجته ورغبته وهمه الذى يتقل صدره
وبدعائه المتكرر والمتواصل لله لم يكن ضائع السعى فاقدا الأمل قانط الصدر
بل كان دعاءً يرضى الله عز وجل وفيه وثوق من استجابة الله له . لأن دعاء
الأنبياء لا يردّ ومستجاب . ورحمة الله تعم جميع المخلوقات ويؤكد لها ما ارتآه
زكريا (عليه السلام) من الرزق الذى يفيض على مريم وهى تصلى فى المحراب .
وهو الرزق الذى لا ينبغي أن نخوض فى كينونته لأن رزق الله ونعمه لا يمكن
احصاؤها . (ولا نؤيد ما يقوله المفسرون أن فاكهة الصيف كانت تأتيها شتاءً
وفاكهة الشتاء كانت توجد عندها فى الصيف . لأن مريم كانت تتعبد فى
المحراب وقُدس الأقداس ولا تأكل طعاماً فى تلك الأماكن المقدسة المخصصة
للعباداة والتسبيح) ونعتقد أن هذا الرزق هو فيض من الرحمن تضاء به
القلوب والابصار . إشراق يملأ المحيّا . نضارة ووضاءة وتواضع يزيد لها -
مريم - بهاءً ونوراً لأنها فى صحبة الملائكة وحضرة رب الكون كله . وكما
دخل عليها زكريا المحراب رأى ذلك وأحسه وشعر بوجوده فسألها مصدر كل
هذه الفيض النورانى والكرم الإلهي فأجابته متواضعة ومقرة (هو من عند
الله) . نسبت الرزق للوهاب وحده وأردفت مؤكدة (إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب) . فى هذه اللحظة تذكر زكريا (عليه السلام) مسأله التى تراوده بين
الحين والحين . فدعا ربه خاشعاً متيقناً من الاستجابة قائلاً (رب هب لى من
لدىك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) . فاستجاب له رب الخلائق أجمعين
وواهب النعم . فأصلح له زوجه العاقر وجعلها مهية لتلقى الحمل والإنجاب
والإرضاع بإذنه رغم كبر سنّها وعقمها الذى يلزمها منذ بلغت المحيض .
تماماً مثلما حدث مع سارة زوجة إبراهيم (عليه السلام) . فقد كانت قبلها ومثلها
(عجوز عقيم) . ولأن زكريا وزوجه (كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا
رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) فقد بشرته الملائكة (وهو قائم يصلى فى

المحراب) أن الله قد استجاب لدعائه ويبشره بسلام سيولد له بإذن الله واسمه يحيى ، وهو اسم لم يتسم به أحد من قبل . (لم نجعل له من قبل سمياً) فهو ليس مولوداً عادياً بل مميزاً . فالتسمية من عند الله . ومؤيداً من الله (مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحضوراً ونبيّاً من الصالحين) . طلب زكريا (عليه السلام) الذرية لتكون امتداداً له فى طاعة الله وخدمة هيكل العبادة فجاءته البشـرى بما يفوق الرغبة. حيث سيكون المولود سيداً فى قومه ومنزهاً عن ارتكاب المعاصى التى يفعلها أقرانه ونبيّاً من الصالحين . والنبوة سنأتيه وهو صغير السن قبل بلوغ الأشد (أى دون الأربعين مثلاً حدث لعيسى (عليه السلام)) وحينئذ نطق زكريا بعد أن ألجمته المفاجأة (أنى يكون لى غلام) نطق تعجباً واستكثاراً أن يأتيه الخير هكذا كالسيل الجارف . وتذكر ما يحدث لمريم والخير الذى يفيض عليها من عند الله (كذلك يفعل الله ما يشاء) وطلب إشارة أو علامة تفيد بدء البشارة بحدوث الحمل ليطمئن قلبه . فجاءه الجواب بأن لسانه سينعقد عن النطق دون مرض أو علة (خرس) لمدة ثلاثة أيام متواليات . وفى تلك الأثناء سيكون حديثه بالإشارة فيشير إلى قومه بأن يسبحوا الله صباحاً ومساءً ويذكروه جل شأنه منعم النعم . وأن يستمر زكريا (عليه السلام) كعادته فى صلاته لله وتسبيحه (بالعشى والإبكار) .

وتم الإنجاب بفضل الله . وتمت التسمية من عند الله تعالى . وترعرع الطفل واشتد عوده وصار صبياً . فتعلم التوراة ووعاها كشأن أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى. وأخذ مافيهما بقوة وعزم دون تهاون (خذ الكتاب بقوة) وآتاه الله الحكمة (الحكمة) وهو ما يزال صبياً . وأسبغ عليه حنانه الذى يقربه إلى الناس فيألفونه ويحبونه (وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقياً) . وظهرت وعفة القلب واللسان متنزهاً عن النزوات والرزايا والمعاصى التى يقترفها من هم فى مثل سنه (سن المراهقة) وكانت تقواه موصولة بالله خالقه وباريه وكن

من طباعه البر والاحسان إلى أبويه وطاعتها في كل أمر وصلاحه في كل شأن ومصدقاً ومؤيداً بكلمة من الله تعالى وكلماته المنزلة (التوراة) ومن الصالحين في كل أعماله حيث جُبل على فعل الخيرات . ولم يكن جباراً في الأرض ولا متعنتاً قاسياً في أقواله أو أفعاله ولم يكن عصياً لله أو لوالديه . لأن الله جل علاه قد اصطفاه وصنعه بعنايته ورعايته ومنحه ما يجعله متميزاً على أقرانه ومتفوقاً عليهم بالخلق القويم والحكمة السابغة من قبل الله . ولذا فقد استحق سلام الله عليه وقت ميلاده المبارك ويوم وفاته ويوم البعث والنشور :

*وسلامٌ عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يُبعث حياً⁽³¹²⁾ .

وتحدثنا الروايات أن يحيى (عليه السلام) قد مات مقتولاً على يد بنى إسرائيل كما حدث لأبيه أيضاً (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) وكان يدعى (يوحنا) عند أهل الكتاب وأيضاً يُطلق عليه (يوحنا المعمدان) لأنه كان يقوم بتعميد الناس (أى يغسلهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا) وقد اعتمد منه المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) . ولما بلغ المسيح أن يحيى (عليه السلام) قد قُتل . جهر بدعوته وقام في الناس واعظاً . ولن نخوض في الإسرائيليات الكثيرة حول حياة زكريا ويحيى (عليه السلام) ونكتفي بما جاء في القرآن الكريم وهو الحق .



عيسى ابن مريم (عليه السلام)

هو كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه . وهو عبد الله ورسوله . وهو آخر أنبياء بني إسرائيل . وهو أحد أولى العزم من الرسل . ذكر اسمه فى القرآن بلفظ (المسيح) تارة وهو لقب له . ولفظ (عيسى) وهو اسمه . وبكنيته (ابن مريم) . واسمه بالعبرية (يشوع) أى المخلص وعند النصارى يسمى (يسوع) . وأمه (مريم ابنة عمران) رضوان الله عليها . الصديقة . حملت به بكلمة من الله وروح منه دون زوج ودون معاشرة لرجل . وكان ذلك إعجازاً من العلى القدير وبأمره النافذ بين الكاف والنون (كن فيكون) مثلما خلق آدم من قبل بلا أب أو أم وسماه الله - عند البشارة به لمريم - (المسيح ابن مريم) .

معجزة الميلاد والبشارة :

بدايات قصته تبدأ مع ميلاد أمه (مريم ابنة عمران) :

* إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض . والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى . وإنسى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها

بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأُنْبِئْتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ⁽³¹³⁾.

ثم تبدأ قصة عيسى والبشارة به بعد ذلك في نفس السورة الكريمة :

* إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ (كُنْ فَيَكُونُ) إِسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا (ذَا قَدْرٍ وَشَرَفٍ) وَالْآخِرَةِ وَمَنْ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ . إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ⁽³¹⁴⁾.

* وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا (انْفَرَدَتْ) مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا (جِبْرِيلُ) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (طَاهِرًا وَمَبْرَأًا) * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ (أَمْرٌ سَهْلٌ وَيَسِيرٌ) وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ (مَعْجَزَةً) وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ (فَوْرًا) فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا * فَنَادَاهَا (الْمَسِيحُ) مِنْ تَحْتِهَا (مَوْلُودَهَا) أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (شَرِيفًا وَعَظِيمًا) * وَهَزَّتْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا (عَنِ الْكَلَامِ) فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ سِيًّا⁽³¹⁵⁾ .

نذرت أم مريم (امرأة عمران) مافى بطنها لله وحده لخدمة الهيكل وعبادة الواحد الأحد . وعندما وضعت مولودها تبينت أنه أنثى فتوجهت إلى الله وكأنها تعتذر عما أنجبت (وهو شيء قدره الله لحكمة) وأن الأنثى لا تستطيع أن تخدم الهيكل كالذكر وأنها راغبة فى الوفاء بنذرها وعهددها مع الله الذى قطعته على نفسها . وسمت ابنتها (مريم) وطلبت من الله ودعته أن يعيذها من الشيطان الرجيم هى وذريتها ومن كل شر وسوء . ولأن أم مريم كانت صادقة فيما نذرت وأوفت بنذرها قدر جهدها فقد كانت استعاضتها بالله وحده دليل إيمان صادق يملأ قلبها رضى بما قسم الله لها . وتقبل الله منها النذر والدعاء قبولاً حسناً فأُنبت مريم وأنشأها فى كفالة ورعاية زكريا (عليه السلام) رئيس الهيكل اليهودى فكان أميناً عليها يقوم برعايتها وتصريف شئونها وحمايتها . وكان اصطفاء الله لمريم أن جعلها مطهرة من كل رجس وادعاء بخطيئة وبرأها سبحانه من الزور والبهتان وأحصنها وجعلها وابنها آية ومعجزة للعالمين :

* وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (316) .

وذكر الله الاصطفاء هنا مرتين للتأكيد على اختيارها دون غيرها لتكون وابنها معجزة وآية للعالمين وليس لبنى إسرائيل وحدهم :

* وجعلنا ابن مريم وأمه آية . وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار (أمن) ومعين (إمام جار) (317) .

وجعل حياتها وقرة عينها فى الطاعة والعبادة والركوع والسجود .
(الصلاة) وحياة موصولة بالله أهلتها وهيئتها بعد ذلك للبشارة بالمولود العظيم والمعجزة الخارقة فى بنى إسرائيل الذين تعودوا وألفوا ألا يؤمنوا هكذا إلا فى وجود المعجزات والخوارق . ولكن تلك المرة كانت المعجزة على غير هواهم فأنكروها ورموها بالبهتان والزور بغير علم وبدون دليل غير هرطقات ذكروها فى (عهدهم القديم) حيث نسبوا (فى التلمود) عيسى (ﷺ) إلى يوسف النجار تارة وتارة أخرى لبندارا الجندى الرومانى . وذلك ترويجا لخطيئة تمت بين مريم الطاهرة البتول والعفيفة الشريفة وبين يوسف النجار أو بندارا كما يدعون افتراءً .

كانت مريم تتعبد فى المحراب . تسبح بحمد ربها وتنزهه . واتخذت لذلك مكانا خلويا منعزلا وبعيداً عن أعين الرجال (مكانا شرقيا) ومخالطتهم فى الهيكل . ولكن الله قضى أمراً (أمراً مقضيا) فبعث إليها جبريل (ﷺ) فظهر على صورته البشرية (فتمثل لها بشراً سويا) . حيث لا يتسع المكان لجبريل فى هيئته الملائكية كما أن الأمر الإلهى استدعى ظهوره كبشر . فزعت مريم العذراء رضوان الله عليها لما وجدت رجلاً غريباً فى مكان خلوتها وصلاتها وتعبدتها فاستعادت بالله تعالى منه (إني أعوذ بالرحمن منك) . فطمأنها وهدأ من روعها وأفهمها أنه رسول من عند الله تعالى وأنه جاء إليها ببشارة وتكليف (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) وازداد انفعال البتول واحمر وجهها خوفاً وخجلاً وحرجا (أننى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً) وهى أسباب منطقية ووجيهة فى نظرها . وجاءها الرد من جبريل (ﷺ) أن ذلك أمر قضاه الله وقدره ولا مرد لأمر الله (قال كذلك قال ربك) فهذا أمر هين على قيوم السماوات والأرض وخالق كل شىء فهو الذى - سبحانه - خلق آدم من قبل ولم يكن شيئاً (أى من العدم) . وبين

لها أمين الوحي جبريل (عليه السلام) حكمة الأمر الإلهي (ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً) فهذا الأمر لا رجعة فيه ولا مجادلة أو مناقشة (كذلك الله يخلق ما يشاء . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) وصفات هذا المولود المبشر به (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) ومعجزته أنه (يكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) . وإرسال جبريل لمريم كي تعلم ما يجري لها وحولها وحتى تبلغ قومها بمعجزة خلق عيسى (عليه السلام) بدون أب . وأنه لأمر هين على الله ويسير أن يحدث الحمل والإنجاب دون تنبيه أو ابلاغ. ولكن الله جل علاه إنما أراد أن يسوق لمريم أسباب ما يحدث لها وهو رب الأسباب كلها والمسببات وحتى لا تفجأ بحملها دون أن تعلم سبب ما حدث لها وكيفيته وحكمته . والقصة من بدايتها إلى نهايتها معجزة وخرقة من الله العلي القدير . أرسل إليها الروح الأمين جبريل (عليه السلام) . نفخ فيها من روح الله (من روحنا) لأن الإحياء والإماتة والخلق والأمر بيد الله وحده . فحملت مريم مباشرة وفورا . واكتمل الجنين في الحال فتحت بحملها مكانا بعيدا . وجاءتها آلام المخاض . ووضعت مولودها . كل ذلك في زمن يسير وهين على الله (زمن الحمل والولادة المعتاد في البشر من ست إلى تسع شهور) ودليل التتابع وسرعة الحدوث لتحقيق المعجزة هو حرف الفاء الذي يعنى التتابع السريع لما حدث (فحملته - فانتبذت - فأجاءها المخاض - فنادها من تحتها) على غير السياق المألوف والنمط المعتاد .

وليس لنا أن ننساق مع الروايات (خصوصا الإسرائيلية) التي تصف الحدث بأنه استغرق تسعة شهور وبذلك تنتفي المعجزة كما بينها الله جل شأنه ثم بعد ذلك توضع الروايات بأن الحمل حدث من معاشره مريم ليوسف النجار أو بندارا وفي ذلك افتراء وبهتان . وغرض اليهود من ذلك إنكار حدوث معجزة في الحمل والولادة وهو ما بينها منذ قليل في معنى وجود حرف الفاء

الداخل على الكلمات التي ذكرناها من قبل . ويجب علينا أن نربأ بأنفسنا من الدخول فى جدل عقيم حول كيفية النفخ . وكم مضى من الزمن بين النفخ والحمل . وهل استسلمت مريم طواعية أم تمنعت وأبت وقاومت . وكيف . ولم . ولماذا ؟ .. فكل هذه أسئلة تخرجنا من نطاق المعجزة إلى التصور والقياس البشرى كما فعل اليهود . ولنا ملاحظات نسوقها فى تلك المناسبة :

٢٠ إن جبريل (عليه السلام) لم يظهر فى صورته الملائكية لبشر قبل أو بعد مريم رضى الله عنها إلا لخاتم النبيين والمرسلين محمد (ﷺ) . وكان ذلك لمرتين فقط وباقي المرات (عند تبليغ الوحي ومدارسة القرآن) كان فى هيئته البشرية .

٢١ رآه النبي (ﷺ) على صورته الملائكية أول نزول الوحي عليه وهو فى الغار (ولقد رآه بالأفق المبين) (*) والمرة الثانية ليلة الإسراء (ولقد رآه نزلةً أخرى) (**) لأن جبريل (عليه السلام) فى صورته الملائكية يفوق التخيل من حيث الحجم والشكل والإشراق والضياء . والأمر لا يستدعى ظهوره على حالته الملائكية لمريم أو غيرها كذلك الحاليتين التى رآه فيها النبي (ﷺ) وإذا كان ظهوره لمريم على هيئته البشرية وهى فى المحراب (المكان يضيق ولا يتسع لهيئة جبريل الملائكية) .

٢٢ مريم رضى الله عنها لم تكن نبية أو رسولة لأن الله سبحانه وتعالى يخص بالنبوة الرجال من خلقه لأسباب عديدة :

(*) سورة التكوين : 23 .

(**) سورة النجم : 13 .

* ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ (كسائر البشر) . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (318).

ومريم هى صِدِّيقَةٌ صَدَّقَتْ بكلمات ربها وكتبه ولم تُكَلِّفْ بنبوة أو رسالة :

* ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (319).

وعودة إلى حالة الوجل والخوف الذى انتاب مريم رضى الله عنها نجد أنها تمنّت - وهى فى حالتها تلك - أن تكون شيئاً مهملًا منسياً لا يعرفه أحد من البشر وتمنت الموت قبل حدوث ما حدث لها (ياليتنى مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً) لأنه بحكم كونها من آل عمران نسل يعقوب أى من بنى إسرائيل فهى تعرف قومها جيداً وهم لن يصدقونها مهما أقسمت ودلت على أن ما حدث هو بأمر الله فهم قوم سوء متشككون وفاسقون . تعلم أنهم سيرمونها بالزنا وينعتونها بأشد الألفاظ إيلا ما . فهم قوم خصمون لا يتورعون عن اللعان والرمى بالبهتان والزور ولذا فهى تمنّت حينئذ لو أنها ماتت قبل حملها وإنجابها عيسى أو كانت امرأة نكرة ولا يعرفها أحد من الناس كعامّة القوم . فهى لكونها ابنة عمران الرجل الصالح وأمها الصالحة ولكونها تنتسب إلى نبي الله هارون (عليه السلام) (يا أخت هارون) ولكونها المتبذلة والمسبحة والذاكرة الله كثيراً والعفيفة دائماً والمتفرغة نذراً لخدمة الهيكل فإن الألسنة ستلوك سيرتها حتماً بالسوء والبهتان وبما ليس فيها إطلاقاً (ياليتنى مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً

منسبًا) . ولكن استمراراً لتأكيد المعجزة الإلهية ولتنبؤاً مكانتها ومنزلتها التي أراد الله لها نادى عليها وليدها الذي وضعته تَوْأً دون مساعدة من أحد إلا من عناية ورعاية خالقها . نادى عليها مواسياً لها ومطمئناً (ألا تحزني) فإن الله قد هباً لها الرزق المناسب لها بعد الجهد والعناء من عملية الحمل والولادة المعجزة . هباً لها الماء والطعام الذي يقيم أودها ويذهب بوهنها وضعفها ويعيد انقباض رحمها إلى وضعه الطبيعي (قد جعل ربك تحتك سرياً) أى ماء ررقاقاً وعيناً نقيّةً وغلماً عظيماً وشريفاً (وهزى إليك بجذع النخلة تتساقط عليك رطبا جنياً * فكلى واشربي وقرى عينا ..) أى تقوتى بالغذاء والشراب الذى هبأه الله لك إعجازاً ومنةً منه لتتأهبي وتتأهلى لما سوف يأتى . و نلاحظ أن ميلاد عيسى (عليه السلام) كان في غير أوان إثمار البلح أو نضجه حتى يصبح رطبا طرياً سهل الجني والمضغ والهضم . وكيفية الحصول على ذلك الرطب كما أخبرها وليدها مجرد هزة ضعيفة من جسد منهك لشجرة باسقة راسخة فى الأرض تتساقط ثمار البلح الناضجة الرطبة . ووجود نخلة بعينها فى تلك البقعة من الأرض التى تفتقر إلى النخل معجزة إلهية . إثمار تلك النخلة فى غير أوانها ونضج بلحها حتى أصبح رطبا طرياً معجزة . تدفق مصدر ماء (نبع أو غدير) فى متناول يدها نقياً لتشرب منه معجزة . هزة بسيطة للنخل يتساقط بعدها الرطب معجزة . حديث وليدها الذى لم يرضع بعد معجزة . إعجاز تلو الإعجاز للتسرية عن مريم الطاهرة العفيفة وكل شىء هين ويسير على الله يتحقق بأمر الله وتقديره :

* الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل * له مقاليد السموات والأرض (320).

* إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (321).

ويعقب الله جل شأنه على ميلاد عيسى (عليه السلام) بقوله :

* إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين (غير المصدقين الشاكين) * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (322) .

ولقد ذم الله سبحانه أهل الكتاب بتقولهم على مريم وبادعاءاتهم الباطلة بما لا يليق بصديقة وأم آخر أنبياء بنى إسرائيل قائلاً :

* ويكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً (323).

ونظراً لمعجزة خلق عيسى (عليه السلام) فقد تطاول أهل الكتاب وغالوا فى ادعاءاتهم على نبي الله ورسوله عيسى ابن مريم (عليه السلام) فقالوا أنه بذلك الميلاد المعجز فهو ابن الله (تعالى عن ذلك سبحانه) . بل المولى عز وجل :

* سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (324).

وقالوا عنه أنه ابن الله (حاشا لله) :

* ما كان لله أن يتخذ من ولد . سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (325).

* وقالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه . بل له مافى السموات والأرض كلُّ له قانتون
*بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (326).

* يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح
عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته (كن فيكون) ألقاها إلى مريم وروح منه
(دبت فيه الروح بأمر الله) فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً
لكم . إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له مافى السموات ومافى
الأرض . وكفى بالله وكيلاً * لن يستكف (يستكبر) المسيح أن يكون عبداً لله
ولا الملائكة المقربون . ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه
جميعاً (327).

*لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . قل فمن يملك من الله شيئاً
إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً . والله ملك
السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء . والله على كل شىء قدير (328).

*لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يابنى
إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
ومأواه النار وما للظالمين من أنصار *لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
(إشارة إلى عقيدة التثليث : الأب . الإبن . الروح القدس) وما من إله إلا إله واحد
 . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (329).

* ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (بشر) وأمه صديقه
كانا يأكلان الطعام (كسائر البشر . لا إله ولا ملاك) . انظر كيف نبين لهم
الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (يحيدون عن الحق والمنطق) (330).

*إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم (ابن امرأة من البشر) هل يستطيع ربك (اعتراف بأنه بشر وعبد لله) أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (331).

*وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله (هل أنكرتم أنكم بشر) . قال سبحانه . ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . إنك أنت علام الغيوب *ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد (332) .

*وقالت اليهود عزيز ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم . يضاهئون (يشابهون) قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (يشرعون لهم) والمسيح ابن مريم (بادعائهم أنه إله) . وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو . سبحانه عما يشركون (333).

*وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم . وخرقوا (اختلقوا) له بنين وبنات بغير علم . سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (زوجة) . وخلق كل شىء . وهو بكل شىء عليم (334).

*وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم . كبرت كلمة (قبحت) تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (335).

* قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا (336).

* ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (يجادلون ويفترون) *
ما كان لله أن يتخذ من ولد . سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (337).

* وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدا (فظيعا ومنكرا) * تكاد
السموات يتفطرن منه (يتفتتن) وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن
دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من فى
السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا * وكلهم آتية يوم القيامة
فردا (338).

* تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * الذى له
ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل
شياء فقدره تقديرا (339).

* إن هو (المسيح) إلا عبد أنعمنا عليه وجعلنا مثلا (آية) لبني
إسرائيل (340).

* وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم (بشرا
رسولا) مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه
أحمد (من البشر أيضا) (341).

* قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا
أحد (342)

ويبين رب العزة تبارك وتعالى أن أنبياءه ومرسله إلى البشر هم من البشر يؤتيهم النبوة والرسالة والكتب من عنده تعالى ليبلغوا ذلك كله للناس دون ادعاء أو استعلاء ودون تفريط أو إحجام عن التبليغ . ورسالات الله وكتبه المنزلة لا تدعوا ولا تأمر إلا بوحداية الله لا الكفر والشرك وعليه فإن أى أمر بشرك أو كفر أو فحشاء يكون من صنع البشر لا من عند الله :

* ماكن لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين (علماء وفقهاء فى الدين) بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . أياًمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (343).

المواجهة بين مريم وقومها :

* فكلى وأشربي وقرّى عينا . فإما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوماً (سكوتا وصمتا) فلن أكلم اليوم إنسيا * فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جنّتِ شيئا فرّيا (منكرا) * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا (تمارس الرذيلة) * فأشارت إليه . قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا (رضيعا) * قال إني عبد الله آتاني الكتاب (الإنجيل) وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (لا معتد ولا تعس) * والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (يوم القيامة) (344).

بعدما طمأنها وليدها ساعة مولده ألا تحزن وألا تخشى ما حدث لها لأن الأمر كله بيد الله وحده وهو أمر نافذ لحكمة أرادها الله . ثم وجهها لأن تهزّ النخلة التي وجدت بها بجوارها وتأكّل ما يتساقط منها من الرطب الشهي وتروى ظمأها من الماء الذي أجراه الله تحتها وفي متناول يدها وأن تهناً بالاً وتقرّ عيناً بوليدها الذي بشرها الله به على لسان الروح الأمين جبريل (عليه السلام) بأن سيكون نبياً مباركاً . أشار عليها وليدها عيسى بالآلا تحدّث القوم بقصته لأنه سيقوم بالرد عليهم وما عليها إلا التزام الصمت والصوم عن الكلام مهما سألوا أو تطالوا عليها بالقول . ورغم كل ما قاله لها رضيعها وطمأنها به كانت مريم تشعر بالحرّج والتوتر . وجاءت قومها وهي تحمل عيسى بحب عميق ووجل فلما رأوها على حالتها تلك إيقنوا أنها تحمل وليدها لا وليد غيرها . فبادروها بالتقريع والتأنيب والسباب (قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فرياً) وسألوها من أين أتت بهذا الغلام الذي تحتضنه بأمانة واضحة . وذكروها بأن أبوها ما كان سيئاً لأنه ينتسب إلى نبي الله هارون (عليه السلام) وأنها بانقطاعها في عبادتها في الهيكل وسيرتها المعروفة عنها لا يمكن أن تمارس الرذيلة ولا أمها (ياأخت هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أمكِ بغياً) . فكيف رغم ذلك يتأتى عليها أن تتجب بغير زواج وهي من النسل الشريف العفيف . تعجبوا وتناولوا وصورت لهم عقولهم المريضة أن سبب ما يرونه بأعينهم وجود فاحشة ورذيلة والنتيجة الحتمية لذلك هو جسم الجريمة الذي تحمله بين يديها . وخوفها وتوترها سببه خوفها من العقاب الذي يستوجب تطبيق الشريعة عليها (شريعة التوراة) أي الرجم حتى الموت . وتذكرت نصيحة إبنها لها بالصمت والصوم عن الكلام . ولما زادت نبرة استنكارهم أشارت إلى ابنها ليتولى الرد عليهم (فأشارت إليه) . وازداد حنق القوم عليها وجهالتهم وتناولهم وغيظهم وظنوا أنها تسخر منهم وتهزأ بهم (قالوا

كيف نكلم من كان فى المهد صبياً) . ولأن الله قد صنعه على عينيه ويجهزه لمهمة خاصة والتي من أجلها خلق فقد أنطقه الله أمامهم ليسمعوا ويعوا بأذانهم وأفئدتهم وعقولهم . وعلا صوت الرضيع لا باكياً كأقرانه من الأطفال بل متحدثاً لبقاً (قال إني عبد الله) افتتح كلامه بأنه عبد الله ولم يقل أنه ملاك أو ابن الله أو هو الله فى صورة بشرية (تعالى الله عن ذلك) . أقر بعبوديته لله الواحد الأحد الذى خلقه وسواه وصوره ووهب له الحياة لمهمة خاصة (آتاني الكتاب وجعلني نبياً) ولم يقل أن ذلك الكتاب هو الإنجيل لأنه لم يكلف بعد بالرسالة والنبوة . وإنما يقصد أن الله اصطفاه واختاره ليكون رسولا إليهم ومعه كتاب ورسالة من عند خالقه وربهم أجمعين . وأردف عيسى قائلاً (وجعلنى مباركا أين ما كنت) فتحل البركة فى أى مكان يتواجد فيه وأن الله قد أوصاه بالعبادات (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً) . لأن الصلاة هى صلة بين العبد والرب بما فيها من ركوع وسجود وتسبيح وتكبير وتوحيد لله رب العالمين . وأوصاه بالزكاة التى فيها الطهر فى المال والنفس مادام ينعم بالحياة . (وبَرّاً بوالدتي ولم يجعلنى جباراً شقياً) فلا يكون بجبروته واستعلائه شقياً تعيساً فى حياته وإنما هو يتحلى ويتصف بالرحمة والمودة والبر والإحسان . وإذا ما بلغ عيسى هذا الشأ وتلك المنزلة من التقى والورع والطهر والإحسان والبر فإنه يستحق السلام والأمن يوم مولده ويوم مماته ويوم البعث والنشور . وينتهى الموقف والمواجهة دون أن نعلم رد فعل اليهود لمولد عيسى وحديثه معهم وهو فى المهد رضيعاً . وإن كان ذلك مفهوم ضمناً حيث أن اليهود قد جُبلوا على التكذيب والافتراء والتطاول . وطُبعوا على الزور والبهتان والادعاء بالباطل . فكما بادروا مريم بالاتهام دون أن يسمعوا منها كذبوا - بالتأكيد - حواسهم وما سمعوه بأذانهم من الرضيع عيسى ابن مريم كمعجزة أفحمتهم وأجمت ألسنتهم الناطقة بالسوء

والفحشاء . ووارد أيضا إنكارهم نبوته ورسالته التي أعلمهم بأن الله سيمن بها عليه حين يصبح رجلا مكتملا لأن من طباع قومه الإنكار والتكذيب حتى لأنبيائهم :

* لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا. كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون⁽³⁴⁵⁾.

وذلك على الرغم أن التوراة التي بين أيديهم تبشر بعيسى ونبوته :

* فقال : جاء الرب من سيناء (بعثة موسى (عليه السلام)) وأشرق لهم من سدير (بعثة عيسى (عليه السلام)) وتلأأ من جبل فاران (بمكة . يعنى بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم))⁽³⁴⁶⁾ .

بعثة عيسى (عليه السلام) وتكليفه بالرسالة :

* ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول . وآتينا عيسى ابن مريم البينات (المعجزات) وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون⁽³⁴⁷⁾.

* تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . منهم من كلم الله (موسى) . ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (جبريل) ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا . فمنهم من آمن ومنهم من كفر . ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد⁽³⁴⁸⁾ .

*إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده.وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان .وآتينا داود زبوراً⁽³⁴⁹⁾.

*ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأجلّ لكم بعض الذي حُرِّم عليكم . وجئكم بآية من ربكم . فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم⁽³⁵⁰⁾ .

*وقفنا على آثرهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة . وآتيناه الإنجيل فيه هدىّ ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىّ وموعظة للمتقين⁽³⁵¹⁾ .

* إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد (المعجزة) وكهلاً (بالإنجيل) وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل⁽³⁵²⁾.

أى علمه الله التوراة الأصلية (التى أنزلت على موسى) كشأن كل أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى (عليه السلام). ورغم هذا لم يأخذ اليهود إلا بالتوراة التى كتبها (عزرا) .

*وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . كل من الصالحين⁽³⁵³⁾.

*وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً⁽³⁵⁴⁾.

وهؤلاء المذكورون هم أولو العزم من الرسل (خمسة) أصحاب الرسالات والشرائع الرئيسية :

* شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (الميثاق الغليظ) . كبر على المشركين ما تدعون إليه . الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (355).

* ولما جاء عيسى بالبينات (المعجزات) قال قد جئكم بالحكمة (النبوة) ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم (356).

* وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (357) .

لقد بعث الله عيسى (عليه السلام) نبيا ورسولا إلى بنى إسرائيل مصداقاً لما نزل من التوراة . لا ينكر ما فيها ولا ينقضها ولا ينسخها . جاء مكملًا ومخففاً عنهم بعض التحريمات (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) وليصحح لهم مفاهيم الشريعة التي جاء بها موسى (عليه السلام) بعد أن انحرفوا بها وعنوا وبدلوا وغيروا . وشددوا على أعدائهم ومبغضيههم وخففوا على أنفسهم وأعفوها من التبعات والمحاسبة . تشددوا في تنفيذ أوامر التوراة نصاً لا روحاً في بعض المسائل وتحالوا عليها في أمور أخرى بعدما تفرقوا شيعاً وأحزاباً . كانوا يحرقون لحوم القرابين والأضحيات فيذهب لحمها دخاناً في الهواء وهناك آلاف الفقراء يموتون جوعاً خارج المذبح . وكانت أغلب تلك اللحوم تتسرب إلى بيوت الكهنة ودكاكينهم - سراً - لبيعها بعد ذلك . أفهم المسيح قومه أن الإنسان لا يصير إنساناً إلا إذا انخلع من ذاته وأنانيته وأحب

الآخرين . وكلما ازداد ذلك الحب . والتسامح إزداد الأمن والأمان والسلام بين
الناس وازدادت المودة والرحمة :

*سمعتُم أنه قيل فلتحب قريبك ولتُبغض عدوك . أما أنا فأقول لكم أحبوا
أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكُم . وصلُّوا من أجل الذين
يسيئون إليكم ويطردونكم (358).

تميزت دعوة عيسى (عليه السلام) بالشفافية والنقاء . دعوة تستهدف خلاص الروح
وتقويم السلوك الفردي لينصلح بعدها سلوك المجتمع وحاله . كان زاهداً متبتلاً
مسامحاً لكل المسيئين . جاء لتصحيح مفاهيم قد اعتورتها مفاصد الضمائر
والنفوس . والمقاصد التي انحرفت عن الشريعة الموسوية التي شابها الكثير
من التبديل والتحريف .

*لا تظنوا أني جئت لأُنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأُنقض بل لأُكمل .
(359)

*احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم . وإلا فليس لكم
أجر عند أبيكم الذي في السماوات . فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك
بالبوق كما يفعل المراءعون في المجمع وفي الأزقة لكي يمجّدوا من
الناس (360) .

*ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فإنهم يحبون أن يصلّوا قائمين في
المجاميع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس (361) .

*لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقّب
السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس
ولا صدأ وحيث لا ينقّب سارقون ويسرقون (362) .

*لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . ولا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

إن الشريعة الموسوية كانت تلزم الإبن أن يعول والديه في حالتى الحاجة والشيخوخة . ولكن الفريسيين كانوا يتيحون للأبناء فرصة التهرب من هذا الالتزام بحيلة بسيطة . أن يتفق الإبن مع الكهنة ويوقف كل أمواله وممتلكاته على الهيكل . وعندئذ يعجز الوالدان عن أخذ أى شىء منه حتى يياسوا ويتوقفوا عن مطالبته بالنفقة . ثم يذهب الإبن ويسترد كل ممتلكاته من الكهنة نظير دفع نسبة معينة من المال . فيستمر الوقف سوريا فقط وغير نافذ المفعول (363).

كانت قشرة المجتمع اليهودى تلتنم على مجتمع قد تهرأ تماما من الداخل وساده نفاق لا مثيل له . ورغم أن الناس كان يتبعون التعاليم الحرفية للشريعة فقد كانت القلوب تموج بالشر وتضطرب بالكراهية . كما كانت العقول موانئ تستريح فيها سفن الخرافات والأساطير والأكاذيب والافتراءات . إن الصدوقين والفريسيين يتعاملون فى الهيكل وكأنهم داخل سوق يستغلونه للإثراء على حساب الضحايا الذين يوقعهم حظهم العاثر فى دخوله . وكثيرا ما كان الصدوقيون والفريسيون يتشاجرون فى أمور الشريعة العليا . فقد كان الفريسيون يرون أنه يجب شراء الأضاحى (التى تُقدم يوميا) من مال الهيكل . على حين يرى الصدوقيون أن مال الهيكل من حقهم . كذلك كان الفريسيون يوجبون حرق الضحية على المذبح . أما الصدوقيون فكانوا يأخذون تلك الأضاحى لأنفسهم ثم يبيعونها فى حوانيت يمتلكونها . وعمدوا إلى مضاعفة المناسبات التى ينبغى فيها تقديم الطيور (الحمام) ذبيحة . ولما لاحظ الفريسيون الشراء الذى أصابته طائفة الصدوقيين أفتى أحد شيوخ الفريسيين (سمعان بن عمالئيل) بتقليص

المناسبات التى يُقدّم فيها الحمام ذبيحة فانخفض سعر الحمام إلى أقل من عشر ثمنه (364).

وهكذا كان الفساد ينخر فى المجتمع اليهودى حين بدأت دعوة عيسى (عليه السلام) ورسالته تملأ الأسماع والآذان التى لا تغى والقلوب الغلف والأفئدة الخاوية من الرحمة والمودة والسماحة كانت الشريعة الموسوية (التوراة) تنص على القصاص :

*وكتبنا عليهم فيها (فى التوراة) أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص (365).

وكان اليهود يطبقون القصاص كما يحلو لهم . إذا كان المجنى عليه قادراً نسب بيت الجانى ودمره . وإن لم يكن قادراً صمت وامتلأ قلبه حقدا .

كانت الكراهية هى المرفأ الذى رست فيه شريعة موسى (عليه السلام) رغم أنه كان من رجال الحب الإلهى الكبار (أحد أولى العزم من الرسل) ولكن شريعته انتهت بها الأمر بين اليهود لترسو فى موانئ الحقد والكراهية حيث القلوب ماتت والضمائر فنت والعقول تحجرت . جاء عيسى (عليه السلام) ليبعث الروح فى الشريعة من جديد ليهدى قومه الذين ضلوا وأضلوا :

*وقال لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة (366) .

*لا تدينوا لى لا تدانوا . لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم . ولم تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها (367) .

* هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع
أثماراً رديئة(368).

* فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على
الصخر . فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت
فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر . وكل من يسمع أقوالى هذه ولا
يعمل بها يشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرمل . فنزل المطر وجاءت
الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيماً (369).

* ولكن ويل لكم أيها الفريسيون . لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل
(بقول) وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا
تتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجمع
والتحيات فى الأسواق . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون . لأنكم
مثل القبور المخفية والذين يمشون عليها لا يعلمون(370).

* الحق أقول لكم . إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية
ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة (371) .

* فقال وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالاً عسرة الحمل
وأنتم لا تمشون الأحمال بإحدى أصابعكم . ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء
وآبائكم قتلوهم (372).

* لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم . لذلك أيضاً قالت حكمة الله أنى
أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون . لكى يطلب من هذا الجيل
دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم . من دم هابيل إلى دم زكريا الذى
أهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم إنه يطلب من هذا الجيل . ويل لكم

أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم . والداخلون منعتموهم (373).

* وكان في النهار يعلم (الناس) في الهيكل وفي الليل يخرج ويبني في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون . وكان كل الشعب يكرّون إليه في الهيكل ليسمعوه (374).

معجزات عيسى (عليه السلام) إلى قومه :

وهي المعجزات السبع التي أيد الله بها نبيه عيسى (عليه السلام) بعد أن أيدته بروح القدس عسى أن يؤمن قومه بنبوته وبما جاء به :

(1) كلامه في المهد رضيعاً :

* ويكلم الناس في المهد وكهلاً (375).

* إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً (376).

(2) تعليمه التوراة والإنجيل :

بعدما نزعَت التوراة من القلوب وحرفها اليهود وبدلوها . علمها الله له دون معلم وآتاه الإنجيل . فلماذا أصر اليهود على التوراة التي كتبوها بأيديهم دون النص الإلهي :

* ويعلمه الكتاب (الكتابة) والحكمة والتوراة والإنجيل (377) .

* وإذ علمتكم الكتاب والحكمة (الفقه) والتوراة والإنجيل (378).

(3) خلق الطير بإذن الله :

* أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله (379)

* وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى⁽³⁸⁰⁾.

(4) إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله :

وهما اللذان لا شفاء لهما : المولود ضريباً والمريض بالبرص دون جدوى علاج.

* وأبرئ الأكمه والأبرص⁽³⁸¹⁾.

* وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى⁽³⁸²⁾.

(5) إحياء الموتى بإذن الله :

* وأحي الموتى بإذن الله⁽³⁸³⁾ .

* وإذ تخرج الموتى بإذنى (من قبورهم)⁽³⁸⁴⁾.

(6) الإنباء بالمستور والخفى بإذن الله :

* وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم⁽³⁸⁵⁾.

(7) إنزال مائدة من السماء :

على أنصاره وحواريه لما طلبوا منه ذلك تأكيداً لصدق نبوته وأنه مستجاب الدعوة :

* إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك . (معجزة) وارضقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم (بعد ذلك) فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين⁽³⁸⁶⁾.

جاءت المعجزات منذ ولادة عيسى (عليه السلام) عسى أن يؤمن قومه .
فكلهم وهو رضيع وبين أنه عبد لله علمه التوراة وآتاه النبوة والحكمة
والإنجيل المتمم للتوراة والمفسر والميسر لبعض أحكامها . وبإذنه - تعالى -
كان يخلق ويصور من الطين على هيئة الطير ثم ينفخ فيه بإذن الله لتصبح
طيراً حياً . وكان يشفى الأمراض العضال بإذن الله دون دواء (كان يدعوا الله
تعالى أن يكشف الضر والمرض) فيبرئ المولود ضريراً والأبرص الذى لا
شفاء له ولا دواء يجدى مع مرضه . ويحيى الموتى من قبورهم بإذن الله
وينبئهم بما يأكلون وبما يدخرون فى بيوتهم من مال ومؤمن وخلافه .

لم يكن عيسى (عليه السلام) ليعلم الغيب ولم يكن بخالق . ولم يكن بشاف
وإنما كان منفذاً لإرادة الله وأمر الواحد القادر . وفى الآيات القرآنية نلاحظ
تكرار كلمة (بإذنى) & (بإذن الله) خصوصاً فى موضوع الخلق والإحياء
للموتى . والتكرار مقصود (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فننفخ فيها
فتكون طيراً بإذنى) وذلك لنفى شبهة قدرة عيسى (عليه السلام) على إحياء الموتى
أو الخلق من تلقاء نفسه أو حينما يرغب فى ذلك . إنما الأمر ابتداءً وانتفاءً
مرهون بإذن الله . وبأمر الله له (تصريح منه فى كل حالة على حده لينفذ
الأمر) . فيكون تأييد الله له بتلك المعجزات سبباً مباشراً لإيمان قومه بنبوته
وتصديقه فيما يبلغ عن ربه . وفى طلب حواريه وأنصاره أن ينزل الله عليهم
مائدة من السماء لم يقصدوا أن الله جل علاه غير قادر على إتيان ذلك إنما
مقصدهم هو هل عيسى (عليه السلام) قريب من الله حقاً فيستجيب الله لدعائه مهما
كان ذلك الطلب . وموضوع طلب المائدة ليس تعجيزاً فى حد ذاته إنما هم
(الحواريون) أرادوا بذلك أن يرى جملة القوم معجزة لعيسى بتأييد من الله
(تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك) كان الشك يساورهم رغم أنهم
(الحواريين) هم خلصاء القوم والمؤمنين فيهم وصفوة المصدقين وصحابة

عيسى (عليه السلام) ولكن كدأب بنى إسرائيل كان إيمانهم يتأرجح بين الشك واليقين (لأن الشك والريبة صفة تلازمهم) وكان معجزات عيسى المتتالية لا تكفيهم ليزدادوا يقينا . طلبوا شيئا يملأ بطونهم ويستمر فيها لفترة . شيئا يشعرهم بالامتلاء ويشبع شهوة الأكل ونهمهم له (لتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) . ثلاثة أسباب - فى نظرهم - لطالب تلك المائدة الفريدة وإن كان هناك سبباً رابعاً سبق تلك المبررات الثلاثة وهو (نريد أن نأكل منها) . كان جَل همهم وليمة تملأ بطونهم التى لا تشبع ونفوسهم النهممة وأفئدتهم الشرهة لشهوات البطن . قبل نبوة عيسى (عليه السلام) كان الكهنة فى المعابد اليهودية يتمتعون بأعلى وأشهى الأطعمة على حساب قومهم (القرابين والذبائح) والحواريون لم يفارق وجدانهم ذلك أبداً بل طلبوا تميزاً خاصاً لهم وطعاماً يشفى غليل صدورهم التى حرمت من خيرات الهيكل بعدما آمنوا بعيسى (عليه السلام) وقوله تعالى (إني منزلها عليكم) تأكيد على تنفيذ الطلب والرغبة بعدما دعا عيسى (عليه السلام) ربه بإنزال مائدة السماء ليس للحواريين وحدهم وإنما لجموع الشعب (تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك) وتلك المعجزة هى رزق من عند الله خير الرازقين . واستجابة الله كانت بشرط ثبات الإيمان بعد معاينة اليقين فلا تكون هناك ردة أو نكول عن طاعة الله وتصديق رسالة عيسى (عليه السلام) إليهم (الإنجيل) التى هى تصديق لما بين أيديهم من التوراة المنزلة على موسى (عليه السلام) من قبل (فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) .

وعلى قدر المعجزات والآيات المتتالية يكون الحساب والمواخذة من الله (بدءاً من معجزات موسى (عليه السلام) وحتى نبوة عيسى (عليه السلام) . ولكن طبيعة الشعب الإسرائيلي لا تتغير وأخلاقه لا تتبدل إلا بالنذر اليسير ولفترة محدودة من الزمن ثم تعود كما كانت صفات الشك والتكذيب ونعوت الفساد

والضلال . فساد العقول وضلال الأفئدة . وتحققت الآية ونزلت المائدة من السماء وكانت عيداً لبنى إسرائيل استجابة لدعاء عيسى (عليه السلام) عبد الله ورسوله إلى ربه . وجملة (هل يستطيع ربك) إنما تدل منهم على بشرية عيسى وهى إقرار واعتراف منهم بأنه عبدٌ لله . مخلوق لا حول له ولا قوة إلا بإذن الله . فمن أين جاء التأليه وادعاء بنوته لله جل علاه . تحققت المعجزات السبع فى قوم غشيتهم فلسفات الإغريق والرومان . كل شىء يتطلب علة للحدوث . بيئة سادت فيها الماديات وطغت على الروحانيات فجاءت المعجزات بما يصوّب المفاهيم ويقوّم العقول والفكر . (خلق عيسى من غير أب - إحياء الموتى بإذن الله - إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله - خلق الطين كهيئة الطير ثم تدب فيها الروح بإذن الله) كلها دلائل على قدرة الخالق المصور . وعلى الإمامة والإحياء والبعث للحساب بعدما أنكر قومه ماجاء فى التوراة الأصلية (التى تعلمها عيسى من الله جل شأنه) عن البعث والنشور والحساب وحذفوا ما يشير إلى ذلك فى أسفارهم التى كتبوها بأيديهم بعدما أضافوا إليها ما ليس فيها :

*وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (387).

الإنجيل:

هو رسالة الله المنزلة على عيسى (عليه السلام) . ومعناه البشارة . ويقال أن لفظة (إنجيل) باليونانية مركبة من كلمتين (ايف) ومعناها جيد أو خير وصدق و (انجيليون) ومعناها الإخبار بشىء . والمعنى إجمالاً يكون الإخبار بالخير أو الخبر الحسن . والله يبين لنا أن الإنجيل كتاب تضمن الهدى

والنور وتصديق ما قبله وما بين يديه (التوراة) والتبشير بما بعده من مجيء
نبي آخر الزمان (محمد ﷺ) :

* نزل عليك الكتاب (القرآن) بالحق مصداقاً لما بين يديه . وأنزل التوراة
والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (القرآن وكل ما يفرق بين
الحق والباطل) (388) .

* وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه
الإنجيل فيه هدى ونور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة
للمتقين (389) .

والإنجيل المنزل فيه هدى لمن أسلم وجهه وكيانه ووجدانه وقياده لله
رب العالمين . نور يضيء البصائر والقلوب ويهديها إلى الطريق المستقيم
كيلا تزيع أو تضل أو تتعثر في طريق الهداية والإيمان . وموعظة للمتقين
الذين ترسموا خطي الهداية بعدما أضاعت كلمات الله لهم بصيرتهم . وقبل كل
هذا فالإنجيل مصدق لما بين يديه من شريعة التوراة وأحكامها . وقد جعل الله
الإنجيل منهج حياة وشريعة حكم لبني إسرائيل :

* وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله . فأولئك
هم الفاسقون (390) .

تحذير وأمر بوجوب الحكم بما جاء من عند الله وبما أنزله الله في
الإنجيل لا اتباعاً لهوى ولا ابتداءً لشرع ولا تحريفاً لمقصد :

* ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (كناية عن البركة فى الرزق) .منهم أمة مقتصدة (معتدلة وهم الذين أسلموا) وكثير منهم (المكذبون والمغالون) ساء ما يعملون (391).

* قل يا أهل الكتاب لستم على شيء (لستم على هدى وإيمان حق) حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم (دون تبديل ولا تحريف) وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك (القرآن) من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس (تحزن) على القوم الكافرين (392).

فالاتباع وحده هو النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . وكونهم ليسوا على هدى وإيمان حق إنما ينبع من تحريفهم التوراة وما أنزله الله من الشريعة وتبديلهم الكلمات والمعاني إلى أخرى يجنون من ورائها - فى نظرهم - التيسير والهروب من التبعات والعقاب . وفى حقيقة الأمر إن ما يفعلونه هو التشديد على أنفسهم لا التيسير (مثلما فعلوا فى التلمود) وذلك هو الهروب إلى عذاب الله لا الهروب منه . لأن المخالفة والتعمد فى إضلال نفوسهم وتضليل غيرهم إنما جعلهم على لاشيء . أفئدتهم هواء وضمايرهم مطموسة وعقولهم مغيبة عن الحق الذى أنزل عليهم . الحق الذى لو اتبعوه بصدق وإيمان لجاءتهم الخيرات والبركات من كل مكان وفاضت عليهم من حيث لا يتوقعون ولكنهم تفرقوا إلى فرق وشيع . فمنهم أمة معتدلة (مقتصدة) آمنت بالأصول والكلام المنزل . فهؤلاء أسلموا وضمنوا رضوان الله عليهم وجزاءه الوفير على التزامهم واحتكامهم إلى الشريعة المنزلة. قولا وعملا وصدقا ونصا وروحا . أما الكثير منهم فقد باعوا بالخسران لأنهم أساءوا لأنفسهم بما عملوا وفعلوا وهؤلاء الكثرة ضلالتهم لأنفسهم لا يضررون بها من اهتدى والتزم .

والتحذير تلو التحذير من العلى القدير والحكيم الخبير بأنهم لو لم يقيموا شرائع وتعليمات التوراة والإنجيل وما أنزله الله من الهدى فلا يستحقون الانتساب والانتماء إلى ملة موسى (عليه السلام) ولا ملة عيسى (عليه السلام) لأنهم ينتسبون وينتمون إلى أهوائهم التى أوردتهم المهالك والعذاب . وتأكيذاً لمصير المؤمنين من شعورهم بالأمن فى الدنيا والآخرة لا الخوف الذى يصيب الكثرة الكافرة والفئة العاصية فانه يقول :

* إن الذين آمنوا والذين هادوا (اليهود) والصائبون (عبدوا الله دون شريعة) والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (393).

ويشهدنا الله ويبصّرنا بأسباب هلاك الآخرين فيقول جل شأنه:
*لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (394).

ويتبادر إلى الذهن سؤال . لماذا يوجد الآن بيننا أربعة أناجيل (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) وليس إنجيلا واحداً كما نزل على عيسى (عليه السلام) . وما الاختلاف الحادث بين تلك الأنجيل وغيرها . وأيهم أصدق وأيهم نأخذ به ومنه . وأسئلة أخرى كثيرة (يمكن الرجوع لكتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي وكتاب هداية الحيارى لابن القيم) :

يقول الإمام الشيخ (محمد أبو زهرة) (395) :

إن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى تأخذ بها فرق قديمة وتروج عندها . ولا تعتقد كل فرقة إلا فى إنجيلها . وأجمع مؤرخو المسيحية على كثرة الأنجيل كثرة عظيمة ثم أرادت الكنيسة فى

أواخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل القرن الرابع الميلادى (*) أن تحافظ على الأنجيل الصادقة فى اعتقادها فاخترت الأنجيل الأربعة (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) من الأنجيل الرائجة إبان ذلك فصارت هذه الأنجيل الأربعة هى المعتمدة عندهم دون سواها . غير أن هناك إنجيلا جديداً كشف عنه البحث العلمى وقد حمل من الإشارات ما يدل على أنه يمتد بنشأته إلى أبعد أعماق التاريخ المسيحى . وهو يشبه الأنجيل القائمة فى أنه يحكى قصة السيد المسيح منذ ولادته إلى اتهامه . ويحكى محاوراته ومناقشاته وخطبه . ولكن الكنيسة لم تعترف به وأنكرته . فليس معتبراً عند المسيحيين مصدراً دينياً ولكنه متداول بين علماء الأمم الأوروبية . وقد اتجهوا إليه بالبحث والعناية والاهتمام . ولم يمنعهم من ذلك إنكار الكنيسة له . ذلك الإنجيل هو (إنجيل برنابا) (396) . ومن الحق علينا أن ندرسه ونعرف رأى المسيحيين فيه . وما يؤدى إليه النظر العلمى من غير افتيات عليهم ولا تهجم . ومن غير أن نقم أنفسنا فيما ليس لنا من إملاء عقيدة على القوم فى دينهم .

إن (برنابا) قديس من قديسى المسيحيين باتفاقهم . ورسول من رسلهم . وركن من الأركان التى قامت عليها الدعاية للمسيحية الأولى . وقد وُجد إنجيل بإسمه يدل على أنه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى إليه والتقرب منه وملازمته فى سرائه وضرائه . ولكن كتب المسيحيين غير هذا الإنجيل لا تعده من هؤلاء الحواريين وإن كانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين فى هذا الدين بعد المسيح . ومهما يكن من شىء فى هذا الأمر وهو كونه من الحواريين أو ليس منهم فإن (برنابا) حُجّة عند المسيحيين وهو من الملهمين فى اعتقادهم (397) . فإن صحت نسبة هذا الإنجيل إليه كان ما يشمله حُجّة عليهم . يدعوهم إلى أن يوازنوا بين

(*) عند تولى الامبراطور قسطنطين عرش الرومان عام 332م.

ما جاء فيه وما جاء في غيره من كتبهم . ويؤخذ بما هو أقرب إلى التصور والتصديق وأصحّ سنداً وأقرب إلى المسيحية الأولى رحماً .

واتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية . عثر عليها (كريم) أحد مستشاري ملك بروسيا وذلك في سنة 1709م . وقد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة 1738م إلى البلاط الملكي بفيينا . وكانت تلك النسخة هي الأصل لكل النسخ لهذا الإنجيل في اللغات التي تُرجم إليها . ولكن في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي وجدت نسخة أسبانية ترجمها المستشرق (سايل) إلى اللغة الإنجليزية . ولكن لم يُعلم من تلك النسخة وترجمتها إلا شذرات أشار إليها الدكتور (هوايت) في إحدى الخطب . وقد قيل إن الذي ترجم النسخة الأسبانية إلى تلك اللغة مسلم نقلها من الإيطالية إلى الأسبانية .

ولقد رجح المحققون أن النسخة الإيطالية هي الأصل للنسخة الأسبانية . وذلك لأنها قدمت بمقدمة تذكر أن الذي كشف النقاب عن النسخة الإيطالية التي كانت أصلاً للنسخة الأسبانية راهب لا تينى اسمه (فرامينو) وأنه يقص فيقول : إنه عثر على رسائل (لإيريانوس) وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه (بولس) الرسول ويسند تنديده إلى (إنجيل برنابا) . وقد وصل إلى مبتغاه لما صار أحد المقربين إلى البابا (سكتس الخامس) فإنه عثر على ذلك الإنجيل في مكتبة هذا البابا وطالعه فاعتنق الإسلام . ويظهر أن تلك النسخة هي نفس النسخة التي عثر عليها عام 1709م .

ويقول الدكتور (خليل سعادة) (*) :

وإذ تحرّيت التاريخ وجدت أن زمن البابا (سكتس الخامس) نحو مغيب القرن السادس عشر . وقد علمت مما مر بك بيانه أن نوع الورق الذى سطر فيه إنما هو ورق إيطالي يمكن تعيين أصله من الآثار المائية التى فيه والتى يمكن اتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الإيطالية . والتاريخ الذى يحدسه العلماء من كل ما تقدم بيانه يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الإيطالية هي عنها التي اختلسها (فرامينو) من مكتبة البابا على ما مرت الإشارة إليه (398).

وبيان هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة فى عدة أمور جوهرية :

- 1- قوله أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من ستمائة ألف جندي وسكان اليهودية من رجال ونساء وأطفال .
- 2- أن الإبن الذى عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق .
- 3- أن مسيا أو المسيح المنتظر expected Messiah ليس هو يسوع بل محمد (ﷺ) وقد ذكر اسمه باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذبول .
- 4- أن يسوع لم يُصلب . بل حمل إلى السماء وأن الذى صُلب إنما يهوذا الخائن الذى شُبّه به .

فجاء إنجيل برنابا مطابقا للقرآن فى تلك الأمور الأربعة .

* (مترجم إنجيل برنابا إلى العربية .

وهذا الإنجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة وطرز راق من الفلسفة الأدبية وأساليب تسحر الأبواب ببلاغتها السامية على مافيها من البساطة فى التعبير وهى ترمى إلى ترقية العواطف البشرية إلى أفق سام وتنزيهاها عن الشهوات البهيمية أمراً بالمعروف ونهاياً عن المنكر وحثاً على الفضائل مقبهاً للردائل . داعياً الإنسان إلى تضحية نفسه فى سبيل الإحسان إلى الناس حتى يزول منه كل أثر للأنانية ويحيا لنفع إخوانه⁽³⁹⁹⁾ .

ويقول العلامة الشيخ (محمد رشيد رضا) فى تقديمه للترجمة⁽⁴⁰⁰⁾ :

إن إنجيل المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) واحد . وهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليتم دين الله الذى شرعه على لسانه وعلى السنة الأنبياء من قبله . وإنما كثرت الأناجيل لأن كل من كتب سيرة عيسى (عليه السلام) سماها إنجيلاً لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس .

ومن تلك الأناجيل (إنجيل برنابا) . وبرنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل . صحبه (بولس) زمناً بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعدما اهتدى بولس ورجع إلى أورشليم . فلعل تلاميذ المسيح (الحواريون) ما كانوا ليثقوا بإيمان بولس بعدما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا . ويذهب بعض علماء الإفرنج إلى أن إنجيل (مرقس) وإنجيل (يوحنا) من وضع بولس الذى انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح رغم أن إنجيل (بولس) اشتهر وصار عماد النصرانية كما تقول دائرة المعارف الفرنسية .

وقد دحض الدكتور (مرجليوث)⁽⁴⁰¹⁾ الانجليزى شبهة من قال إن لهذا الإنجيل - برنابا - أصلا عربيا وإنه من وضع المسلمين . وأن الدكتور (خليل سعادة) هو الذي فند رأس المستدل على كونه من وضع القرون الوسطى . ويرى الإمام الشيخ (محمد أبو زهرة)⁽⁴⁰²⁾ :

أن المسيحيين قد أنكروا (إنجيل برنابا) ورفضوه لأنه خالف أناجيلهم ورسائلهم فى مسائل جوهرية فى العقيدة المسيحية وهى الأمور الأربعة التى أشار إليها د. خليل سعادة من قبل . وتفصيلا نقول عن تلك الأمور الأربعة :

(1) - إنسانية المسيح (بشريته) :

*أيها الأعزاء . إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى . مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله . ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما . مجوزين كل لحم نجس الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى . وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكن الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله (يوم القيامة والحساب) وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا ولكن الله العظيم معكم وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر آمين⁽⁴⁰³⁾.

*أجاب الكاهن : أن اليهودية قد اضطربت لآبائك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله . فاضطربت بسبب الشعب إلى أن أتى إلى هنا مع

الراى الرومانى والملك هيرودوس . فخرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التى ثارت بسببك . لأن فريقا يقول إنك أنت الله وآخر يقول إنك ابن الله ويقول فريق إنك نبى . أجاب يسوع : وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة . وهل جننت أنت أيضا . هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً . أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان (404) .

* ولما قال يسوع هذا عاد فقال : إنى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قال الناس عني أنى أعظم من بشر . لأننى بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله . أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام. لعمر الله الذى تقف نفسي بحضرته إنك أنت أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذى قلته . ليأطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نعمة عظيمة لهذه الخطيئة (405).

*إلعن إلى الأبد كل من يفسد إنجيلى الذى أعطيتنى عندما يكتبون أنى ابنك (406).

* وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فيلبس فسأل تلاميذه (حواريه) أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذى نجم بين العامة قائلاً : ماذا يقول الناس عني . أجابوا : يقول البعض إنك إيليا وآخرون إرميا وآخرون أحد الأنبياء . أجاب يسوع : وما قولكم أنتم فى . أجاب بطرس إنك المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلاً : اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسىء إلى . ثم هدد الأحد عشر (باقى الحواريين) قائلاً : ويل لكم إذا صدقتم هذا لأنى ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا (407).

* ثم قال يسوع : إذا كان إلها لم يرد أن يظهر نفسه لموسى عبده ولا لإيليا الذى أحبه كثيراً ولا لنبي ما . أتظنون أن الله يظهر نفسه لهذا الجيل الفاقدين الإيمان . بل ألا تعلمون أن الله قد خلق بكلمة واحدة كل شيء من العدم وأن منشأ البشر جميعهم من كتلة طين . فكيف إذن يكون الله شبيهاً بالإنسان . ويل للذين يدعون الشيطان يخدعهم (408).

(2) - رؤيا الذبيح والفداء:

المذكور فى التوراة (العهد القديم) أن الذى رأى إبراهيم (عليه السلام) فى المنام أنه يذبحه هو إسحاق (على خلاف ما ذكر فى القرآن) وما جاء فى إنجيل برنابا يماثل ماورد فى القرآن الكريم :

*فأجاب الملاك جبريل انهض يا يسوع واذكر إبراهيم الذى كان يريد أن يقدم ابنه الوحيد إسماعيل ذبيحة لله ليتم كلمة الله فلما لم تقوَ المدينة على ذبح ابنه قدم عملاً بكلمتي كبشاً (409).

*فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً : خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة (قربان) . فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين (410).

(3) البشارة بالنبي محمد (ﷺ) :

* الحق أقول لكم إن كل نبي جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أرسلوا إليه . ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمته لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه . وسيأتي بقوة على الظالمين ويبعد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان . لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً : انظر فأنى بنسلك

أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيمًا هكذا سيفعل
نسلك (411) .

* أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيب الطريق لرسول الله الذي سيأتي
بخلاص للعالم . ولكن احذروا أن تُغشوا لأنه سيأتي أنبياء كَذِبَةٌ كثيرون
يأخذون كلامي وينجسون إنجيلي . حينئذ قال أندرواس : يا معلم أذكر لنا
علامة لنعرفه أجاب يسوع : إنه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين
حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنًا . في ذلك الوقت يرحم الله
العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد
مختاري الله (*) . وهو سيظهره للعالم وسيأتي بقوة عظيمة على الفُجَّار
ويبيد عبادة الأصنام من العالم . وإني أُسرُّ بذلك لأنه بواسطته سيعلن
وَيَمَجِّدَ الله ويظهر صدقي . وسينتقم من الذين يقولون إني أكبر من
إنسان (412) .

* (هذه كلمات يهوذا الخائن) : ولكن إذا صار الرجل (يقصد المسيح)
ملكًا فلن يُسترضَى إلا إذا رأى عبادة الله كما كتب موسى . وأنكر من ذلك
أنه يقول أن مسيَّا (النبي محمد ﷺ) لا يأتي من نسل داود (كما قال لنا
أحد تلاميذه الأخصاء) بل يقول إنه يأتي من نسل إسماعيل . وأن الموعد
(الذبح والفداء) صنع بإسماعيل لا . بإسحاق (413) .

* أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي أني لست مسيَّا الذي
تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلا : بنسلك أبارك كل
قبائل الأرض . ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى
هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادَمَ (أى عديم) التقوى على الاعتقاد بأنني الله

(*) تعرف عليه وتبأ ببعثته ورقة ابن نوفل .

وابن الله فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً . حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله الذي سيأتي من الجنود بقوة وسيبيد الأصنام وعبداء الأصنام . وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلص الذين يؤمنون به وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً . (414)

* حينئذ قال التلاميذ (الحواريون) يامعلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد (الذبح والفداء) صنع بإسحاق . أجاب يسوع متأوهاً : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ولا يسوع بل أحبارنا الذين لا يخافون الله (415) .

* ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . صدقوني أني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي . لأن الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلاً : يا محمد ليكن الله ويجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك . لأنني إذا قلت هذا صرت نبياً عظيماً و قدوس الله (416) .

(4) - رفع المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) :

* ولما دنت الجنود مع يهوذا (الاسخريوطي) من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوَّ جمٍّ غفير . فلذلك انسحبت إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياما (الحواريون الاثنا عشر عدا يهوذا الخائن) . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل (وميكائيل) ورفائيل (إسرافيل) وأوريل (عزرائيل) سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء (417) .

(نلاحظ هنا وجود (عزرائيل) ملك الموت مع باقى الملائكة حيث يقوم بقبض روح عيسى قبل الرفع) .

* ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أٌصعدَ منها يسوع وكان التلاميذ (الحواريون) كلهم نياما . فأتى الله العجيب (القدير) بأمر عجيب . فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتى اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا . أنسيتنا الآن (418) .

* الحق أقول أن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه (الحواريون) والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا وأنه إنما فعل الآيات التى فعلها بصناعة السحر (419) .

وهذه هى نقاط الخلاف الجوهرية بين (إنجيل برنابا) والأنجيل المتداولة حاليا . وهذا الإنجيل دحض وأنكر ألوهية عيسى (عليه السلام) وهدم عقيدة التثليث وبنوة المسيح . وهو يوافق ماجاء فى آيات القرآن الكريم وغيرها من القضايا والتى سنتعرض لها الآن بالنص القرآنى :

(1) - بشريته المسيح (عليه السلام) :

* إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (المتشككين) (420) .

* لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم (421) .

* ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام (كسائر البشر) . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنسى يؤفكون (422).

ويقول (أبو عثمان الجاحظ) (423): إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير أب (كما تقول بعض النصارى) فأدم وحواء إذ كانا من غير أب وأم أحق بذلك من عيسى (عليه السلام) أن كانت العلة في اتخاذها ولداً أن الله خلقه من غير أب .

(2) - رؤيا الذبح والفداء :

* وقال (إبراهيم) إني ذاهب إلى ربى سيهدين * رب هب لى من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم (إسماعيل) * فلما بلغ معه السعى قال يابنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما (الاثنين) وتلاه للجبين (أضجعه على جبينه) * ونادياه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا . إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما (إبراهيم وإسحاق) محسن وظالم لنفسه مبين (424).

فى الآيات السابقة نرى أن الله جل شأنه قد بشر إبراهيم (عليه السلام) أولاً بغلام حليم هو إسماعيل وهو الذى بلغ السعى (صبيا يمشى ويلعب) ثم حدثه برؤياه . ورؤيا الأنبياء حق تستوجب تنفيذ ما جاء فيها من الأوامر والتوجيهات وكان رد إسماعيل أن على أبيه تنفيذ الأمر الإلهى دون إبطاء

وأنه (أى إسماعيل) سيكون بإذن الله من الصابرين (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) والصبر والحلم صفتان متشابهتان (غلام حلیم - من الصابرين) ثم بعد الامتثال وتهيئة إسماعيل للذبح جاء الفداء من رب العالمين بعد الابتلاء والامتحان العظيم الذى تعرض له الأب والابن (وفديناه بذبح عظيم) . (إن هذا لهو البلاء المبين) أى الامتحان العسير الذى أوشك الأب أن يفقد ابنه الوحيد الذى رُزق به على الكبر وأصبح يملأ عينه وهو يسعى ويمشى ويلعب أمام ناظريه وامتدح الله تعالى إبراهيم الذى صبر فى تلك المحنة وذلك الاختبار العظيم . (سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين) ثم بشره الله بعد ذلك بأنه سيرزق بـ **غلام عليم** من زوجته الأولى (ساره) (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) وهذا الغلام صفته أنه **عليم** وكانت تلك البشرى فى معرض نزول الملائكة لتدمير قوم لوط الذين يمارسون الفاحشة :

● فأوجس (إبراهيم) منهم خيفة (من الملائكة) قالوا لا تخف وبشروه بـ **غلام عليم** (425) :

ولو أن إسحاق (عليه السلام) كان هو الذبيح فلماذا بشره به الله بعد واقعة الذبح . وأيضا فى سورة الأنبياء ما ينم عن صفة إسماعيل ونعته **بالصبر** كما وصف نفسه بأنه سيكون من **الصابرين** وذلك مما ورد فى سورة الصافات (آية 107) وفى سورة الأنبياء :

* وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . كلٌّ من الصابرين (426) .

وكما سبق وبينا فإن صفة **الحلم** (غلام حلیم) تترادف وتماثل صفة **الصبر** (من الصابرين) وكما هو معروف فإن إبراهيم (عليه السلام) أنجب إسماعيل أولا (الابن البكر) وكان وحيداً وقت واقعة الابتلاء بالذبح والفداء .

وإسماعيل يكبر إسحاق بحوالى سبع سنوات أو يزيد . وإسحاق هو البكر لآمه
(سارة) .

وفى الآية (54) من سورة مريم :

*واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا .

وصدق الوعد المذكور فى الآية يشير إلى مقالته إسماعيل لأبيه
إبراهيم (عليه السلام) حين عرض عليه الرؤيا بالذبح (سورة الصافات) فكان
جوابه ووعد الصادق (ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من
الصابرين) .

(3)- البشارة بالنبي محمد (ﷺ) :

* وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما
بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين (427) .

والمعروف فى اللغة العربية أن أحمد ومحمد ومحمود هى من صفت
الحمد والثناء بصيغ مبالغة متردفة ومتماثلة فى المعنى .

* وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
(محمد ﷺ) مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه. قال ءأقررتم وأخذت على
ذلك إصرى (عهدي) قالوا أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين *
فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (428) .

*واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك . قال عذابى أصيب
به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء . فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة

والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم (عهدهم بالعمل بما فى التوراة) والأغلال (التكاليف الشاقة فى التوراة) التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون (429).

(د) - عقيدة التثليث :

وهى عقيدة نشأت فى حضن الفلسفة الإغريقية (فلسفة الاسكندرية) وتكاملت آخر القرن الرابع الميلادى :

* يا أهل الكتاب لا تغلوا (لا تتجاوزوا الحد) فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً لكم . إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً (430).

* لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله وربي وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماؤه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (431) .

* قالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه هو الغنى . له ما فى السموات وما فى الأرض . إن عندكم من سلطان (برهان ودليل) بهذا . أتقولون على الله ما

لأتعلمون * قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم
إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (432) .

(5) وفاة المسيح ورفعه :

* ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيت
ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (433) .

لقد دبر اليهود قتل عيسى (عليه السلام) بالوشاية عند الحاكم الروماني
(بيلاطس) وادعوا أنه يقول أنه سيكون ملكاً عليهم وينزع الملك من
الرومانيين واتهموه بالكذب والشعوذة بعدما فضح عقائدهم الفاسدة ومخالفته
للتوراة والإنجيل الذي جاء به بأكلهم أموال الناس بالباطل وانتشدهم في تطبيق
الشريعة على قومهم وهم - الكهنة - يتحررون ويتحللون من تطبيق على
أنفسهم . بالإضافة إلى طبيعتهم الدموية وقتلهم الأنبياء بغير الحق وتكذيب
خوفاً من اندحار سلطانهم على الناس وكأنهم هم وحدهم حراس الشريعة
والقائمين عليها والمحافظين على تعاليمها . وقال الكهنة أن عيسى (عليه السلام)
يدعى الألوهية والنبوة (إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأنبرص .. الخ) .
ولما جاء الجنود الرومان للقبض على عيسى (عليه السلام) كن تدبير الله تعالى
أكبر من فكر اليهود (ومكروا ومكر الله) فقد حفظ لنبيه ومصطفاه عيسى
(عليه السلام) مقامه وطهارته ومنزلته من دنس أعدائه وتدبيرهم لقتله والخلاص
منه كما سبق وتخلصوا من يحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء فتوفاه الله

وقبض روحه كسائر البشر :

*قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (434).

فلم يمكن الله منه أعدائه وأعداء الدين وألقى شبهه على شخص آخر (يهوذا الاسخريوطى) ظنوا أنه عيسى فقبضوا على الشبيه وصلبوه وقتلوه واستراحوا - كما خيل إليهم - لنيلهم من عيسى (عليه السلام). وبعد أن توفاه الله رفعه الله إليه تكريماً وعلو منزلة وقدر. وكيفية ذلك والزمن الذى تم فيه القبض (قبض الروح) والرفع. وهل كان الرفع بالروح أم بالجسد. كل هذه أمور غيبية لا يعلمها إلا الله ولا نؤمن إلا بما أخبرنا الله تعالى فى قرآنه الكريم (المرجع الأخير والعيارى لدراستنا هذه) حيث يقول جل شأنه :

• وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه . ما لهم من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا (حقيقة) * بل رفعه الله إليه . وكان الله عزيزاً حكيماً (435).

فلم يرد سبحانه بتدبيره وحكمته أن ينالوا منه بأيديهم . فما قتلوه وما صلبوه كما تخيلوا وظنوا ولكن الشبيه (أحد تلاميذه من الحواريين الذى خانهُ) هو الذى فعلوا به القتل والصلب وظنوا أنهم فعلوا بعيسى (عليه السلام) ما فعلوا (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) وما قتلوه حقيقة كما تظنون . بل رفعه الله إليه بعد ما توفاه . وعصمه منهم وطهره من الذين كفروا فلم يخضبوا أيديهم بدمه الزكى الطاهر . رفعه الله كما يرفع الشهداء الذين جاهدوا فى سبيله فيصبحون أحياء عند ربهم يرزقون :

*بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون (436).

*بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون (437).

وإمعانا فى تكريم عيسى (عليه السلام) من قِبَل الله تعالى أن جعل المؤمنين به كبشر نبى ورسول يدعوا إلى الله. المؤمنين بتعاليمه والإنجيل الذى جاء به . جعل أتباعه فوق الذين كفروا به وكذبوه وظنوا بصلبه وقتله إلى يوم القيامة . وتلك هى مِنة الله على عباده المؤمنين :

*إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِلٌ فَبِمَا كَفَرْتُمْ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلٌ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (438).

*ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (439) .

وفى هذا المقام لن نعرض لما كتبه وأشاعه أهل الكتاب عن قتل عيسى بعد صلبه وما قالوه عن عقيدة الفداء للبشرية جمعاء بصلبه وأنه مازال حياً بجسده إلى يوم القيامة وأنه سينزل آخر الزمان مرة أخرى . الخ . لأن كل ذلك مردود عليه بوضوح بما جاء فى آيات الله المحكمة فى كتابه الكريم وهى الآيات التى سبق أن ذكرناها وسنذكرها فى موضعها المناسب (الفصل التاسع) وهى تنفى وتدحض كل الشبهات وترد على كل المفتريات والأباطيل والترهات . وعيسى ابن مريم (عليه السلام) براء من كل الأساطير والادعاءات والخرافات .

(6) مشهد من يوم القيامة :

* وإذ قال الله (يوم القيامة) يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه . ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . إنك أنت علام الغيوب * ما قلت إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم . وكنت عليهم شهيداً (مراقبا وراقبا) مادمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شىء شهيد * إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . رضى الله عنهم ورضوا عنه . ذلك الفوز العظيم * لله ملك السماوات والأرض وما فيهن . وهو على كل شىء قدير (440).

أنعم الله علينا جل شأنه بمشهد صدق وموقف صدق سيحدث بإذنه تعالى يوم القيامة. يوم يقوم الناس لرب العالمين ويقوم الأشهاد للحساب والجزاء . يوم تبلى السرائر وتكشف البصائر ويصبح البصر حديد . وما يقصه الله علينا جل شأنه حق وصدق. فسيخاطب الله العليم الخبير رسوله ونبيه عيسى ابن مريم (عليه السلام) على رءوس الأشهاد والخلائق جميعا يوم القيامة والحساب ويسأله إن كان قد قال للناس أنه إله أو ابن الله وأنه طلب لذلك تأليه أمه مريم ابنة عمران ليكونا إلهين من دون الله رب العالمين . فيأتى الجواب من عبد الله ورسوله عيسى (عليه السلام) (سبحانه) أى ننزهك يا الله عن هذه الفرية والادعاء لأنه ما ينبغى ولا يحق لى أن أقول ما ليس بحق أو صدق . ونفيا عن نفسه وما ألصقه به المؤمنون به والتابعون إلى يوم الدين (الدينونة) يستشهد عيسى (عليه السلام) بالله وحده فى أنه ما قال ذلك (إن كنت

قلته فقد علمته) وأنه برىء مما افتراه قومه وتابعيه وأنه قام بتبليغ رسالة الله (الإنجيل والتوحيد) كما أمره الله علام الغيوب، وأنه دائماً كان يؤكد على بشريته وأنه خرج من رحم امرأة إنسانة من البشر تأكل وتشرب كسائر البشر . وأنه عبد لله ورسول إلى قومه (ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) . وكان حريصاً طوال حياته على تأكيد هويته وبشريته، وكان ينسب المعجزات التي أتى بها قومه لله وحده، وكان ينفي ادعاء الألوهية والبنوة لله عن نفسه، وكان حريصاً على تصحيح مفاهيم قومه ومراقباً لهم فيما يقولون (وكنت عليهم شهيداً مادمتم فيهم) . كان مراقباً ورفيقاً عليهم خشية الافتتان به وعبادته من دون الله، فلما توفاه الله جل شأنه وأماته وقبضه كان الله وحده هو الرقيب والشهيد على قومه فعلم سبحانه بما أحدثوا من بعده وبما غيروا وبدلوا. (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد) . وبعد وفاته لم يعد لعيسى (عليه السلام) أى سلطان على قومه وهو ينكر ادعاءهم هذا ويتبرأ مما قالوه وفعلوه ويفوض أمرهم إلى الله خالقهم. (إن تعذبهم فإنهم عبادك) الذين يستحقون العذاب جزاء الشرك بالله والكفر بقدرته على الخلق . ويعتمل بعض الأمل فى صدر عيسى (عليه السلام) من أن يعفو الله عنهم ويرحمهم ويسامحهم (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) :

* وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (441).

ولكنها رحمة الأنبياء بأقوامهم وأسفهم عليهم لأنهم حذروهم دائماً من الشرك بالله وعصيانه تعالى . ثم يفصل الله الحكم العدل - يوم القيامة - فى تلك القضية ويبرىء عيسى (عليه السلام) من ادعاء قومه (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) . ويجازى جل شأنه المدعين والمفتريين بالباطل على الله ثم

على رسوله إليهم وأن مصيرهم إلى النار ماله من ناصرين. أما من آمن بالله ونبه عيسى (عليه السلام) دون شرك فأولئك هم الصادقون (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) .خلود أبدى فى جنات تجري من تحتها الأنهار فيها من كل الثمرات وكل الخيرات التى بشرهم بها أنبياء الله ورسله . وقبل هذا وذاك رضوان من الله عليهم ورحمة (رضى الله عنهم) بأن أدخلهم جنته وغفر لهم وهداهم للإيمان . وتهنأ النفس المؤمنة الصادقة وترضى عن مصيرها الرائع الذى عملت لأجله فاستحققت ذلك الفوز والفلاح (ورضوا عنه . ذلك الفوز العظيم) . رضوا عن الجنة التى أعدت للمتقين المؤمنين وحمدوا الله كثيراً على نجاتهم من عذابه وتفضله عليهم بالرحمة والرضوان .

هذا هو المشهد العظيم الذى سيقع بإذن الله يوم الحساب والجزاء يقصه علينا رب العزة تبارك وتعالى لنعلم ونتأكد ماهية عيسى (عليه السلام) وكونه من البشر. وأنه عبد لله وليس إلها أو ابناً لله الواحد الأحد كما يدعى بذلك المشركون ويفترى الأثمون . وكما كتبوه بأيديهم وحرفوه بقلوبهم قبل أقلامهم . فإنجيل عيسى (عليه السلام) إنجيل واحد منزل من عند الله تعالى وليس مجموعة من الأناجيل . فتلك الأناجيل التى بين أيديهم الآن ماهى إلا روايات لبعض القديسين عن قصة وحياة نبى الله عيسى (عليه السلام) . وفيها التضارب والتعارض والاختلاف فيما بينها . فكل كتب الله المنزلة على عباده ورسله لا تدعى الألوهية لغير الله جل وعلا . ولا تفترى على الله الكذب . ولا تهذى بضلال ولا تقص المفتريات والأساطير والخرافات . ولا تعارض بعضها بعضاً . لأن مصدر التشريع والدين واحد وهو العلى العظيم رب الخلق أجمعين . أما تلك المفتريات والأباطيل فهى من صنع البشر على مدار الزمان ولمن أراد المزيد من التفاصيل فى هذا الشأن عليه بالرجوع إلى كتاب (محاضرات فى النصرانية) للإمام الشيخ (محمد أبو زهرة) وكتاب (إظهار

الحق (للشيخ العلامة (رحمة الله الهندي) ففيهما ما يشفى الصدور ويجلى الأبصار ويميز الخبيث من الطيب لقوم مؤمنين يخافون الله ويرهبون عذابه ويطمعون فى رحمته ورضوانه .

(7) - لعنة الكافرين وجزاء الملقين :

*قل لى أيها الأخ . أخطر فى بالك لماذا أتيت لتسألني فى الهيكل إن الله قد بعثنى (تعود على عيسى عليه السلام) لأبىد الشريعة والأنبياء . من المؤكد أن الله لا يفعل هذا لأنه غير متغير (لم يخلق الله أحد فهو لم يلد ولم يولد) فإن ما فرضه الله طريقا لخلاص الإنسان هو ما أمر الأنبياء بالقول به . لعمر الله الذي تقف نفسي فى حضرته لو لم يفسد كتاب موسى مع كتاب أبيينا داود بالتقاليد البشرية للفريسيين الكذبة والفقهاء لما أعطاني الله كلمته . ولكن لماذا أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود . فقد فسدت كل نبوة حتى أنه لا يطلب اليوم شىء لأن الله أمر به . بل يُنظر إذا كان الفقهاء يقولون والفريسيون يحفظونه كأن الله على ضلال والبشر لا يضلون . فويل لهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعه دم كل نبي وصديق مع دم زكريا بن برحيا الذي قتلوه بين الهيكل والمذبح . أى نبي لم يضطهده . أى صديق تركوه يموت حتف أنفه (ميتة طبيعية دون قتل) . لم يكادوا يتركوا واحدا . وهم يطلبون الآن أن يقتلوني . يفاخرون بأنهم أبناء إبراهيم وأن لهم الهيكل الجميل مَلْكا . لعمر الله إنهم أولاد الشيطان . فلذلك ينفذون إرادته . ولذلك سيهدم الهيكل مع المدينة المقدسة تهدماً لا يبقى منه حجر على حجر من الهيكل (442).

وكل ذلك مذكور فى أناجيل :

متى : 22 : 40 & 23 : 35 & 5 : 17

يوحنا : 8 : 39 - 44

لوقا : 19 : 44 & 21 : 6 .

وهدم المدينة المقدسة (القدس) والهيكل تم بالفعل عام 70م وعام 135م.

ولنا وقفة للتدبر مع آيات الله وكلماته الهادية إلى سواء الصراط :

*ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون (يشكون) * ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (443) .

*ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئكم بالحكمة (النبوة) ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم . فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون(444).

*وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم الفاسقون (445) .

و تجيء اللعنة على بنى إسرائيل على لسان أنبيائهم لما فعلوا وبما أحدثوا :

*لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن

سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (446).

وعقاب الله الذى توعده للنصارى الذين نسوا وتناسوا تعاليم عيسى (عليه السلام) الحقيقية ورسالته الحقّة :

* ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (447) .

ولماذا كان ذلك العقاب الالهى :

* قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم
* قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم (لا تغالوا) غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل (448).

وهل أصبح كل النصارى يستحقون اللعنة والطرده من رحمة الله مثلاً

حدث لبنى إسرائيل من قبل :

* من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون* يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات . وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه (سينالون ثوابه) والله عليم بالمتقين (449).

* وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً . أولئك لهم أجرهم عند ربهم . إن الله سريع الحساب (450).

*لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا (من المسلمين) اليهود والذين أشركوا. ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول (محمد ﷺ) ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك جزاء المحسنين * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (451).

وكيف يصل أهل الكتاب إلى منزلة المتقين ويفوزوا برضوان الله وجنته :

*قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم . وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا . فلا تأس على القوم الكافرين * إن الذين آمنوا (من المسلمين) والذين هادوا (اليهود) والصابئون (عبدوا الله بدون أنبياء فيهم) والنصارى من آمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (452) .

ويقول النبي (ﷺ) في الحديث المروى عنه :

*من آذى - ظلما - يهودياً أو نصرانياً كنت خصمه يوم القيامة . قد يدوم الملك على الكفر ولكنه لا يدوم على الظلم (453) .

و أوصى النبي (ﷺ) بالنصارى خيرا . وتزوج من مارية القبطية (المصرية) . وقد أمر الرسول (ﷺ) بالرفق بأهل الكتاب (اليهود والنصارى) وعدم تكليفهم - من الأعمال - فوق ما يطيقون . ومن حق أهل

الكتاب أن يمارسوا شعائرهم الدينية فلا تُهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب . ويقول الرسول (ﷺ) :

* اتركوهم وما يدينون⁽⁴⁵⁴⁾.

بل ومن حق زوجة المسلم (اليهودية والنصرانية) أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد ولا حق لزوجها منعها من ذلك . وأباح الإسلام زيارتهم وعبادة مرضاهم وتقديم الهدايا لهم ومبادلتهم البيع والشراء . وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه : ابدأ بجارنا اليهودي⁽⁴⁵⁵⁾.

وكان الرسول (ﷺ) قد عقد مع نصارى نجران عقداً مع بقائهم فى أماكنهم وإقامتهم فى ديارهم دون أن يكون معهم أحد من المسلمين . وينص العقد على :

لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبی رسول الله (ﷺ) على ماتحت أيديهم من قليل أو كثير . لا يتغير أسقف من أسقفية . ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته . وليس عليه دنية (أى لا يعامل معاملة الضعيف ولا دم الجاهلية) ولا يخسرون ولا يعسرون ولا يطاء أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف . غير ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل ربا من ذى قبل (أى فى المستقبل) فذمتى منه بريئة . ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر . وعلى مافى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبی الأمى رسول الله أبدا . حتى يأتى الله بأمره⁽⁴⁵⁶⁾.

(8) - رؤيتا المسيح قبل الموت :

*وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (457)

فى الآية السابقة لتلك الآية الكريمة يبين لنا رب العزة تبارك وتعالى حقيقة موت عيسى (عليه السلام) ورفعته إليه سبحانه. وقد بينا موضع الإمامة والرفع فى البند رقم (5) وقلنا أن الإمامة سبقت الرفع إلى السماء وأن كونه حياً فى السماء يماثل ما يحدث للشهداء حين يرفعهم الله إليه ويقول عنهم :
* ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا . بل أحياء عند ربهم يُرزقون (458) .

وعيسى (عليه السلام) يرتقى ويسموا كما يسموا الشهداء . وهم جميعا عند ربهم أحياء يُرزقون حتى تقوم الساعة. وعيسى (عليه السلام) رابع أولى العزم من الرسل . وهو آخر رسل بنى إسرائيل . تعرض لاضطهاد قومه وعنتهم . وصادف منهم شروراً كثيرة . وحين دبروا لقتله ومكروا للفتك به لا لشيء سوى أنه يدعو إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراده بالعبادة والتشريع . انقلبوا - اليهود - عليه لأنه يسلبهم سلطانهم المهترئ . ومنزلتهم المزعومة . وكهانتهم المزورة . دبروا ومكروا ولكن تدبير العلي القدير كان أكبر منهم وأحكم وأمضى . فقد شُبّه لهم وعليهم حيث ألقى الله شبهه على أحد تلاميذه (حواريه) الذى خانته وأبلغ عنه ودبر للقبض عليه ليقتلوه . وحين أخذوا ذلك الخائن المرتد (يهوذا الاسخريوطى) على أنه عيسى (عليه السلام) صلبوه وقتلوه ظناً منهم أنهم قد نالوا من عيسى (عليه السلام) أخيراً (وما قتلوه يقيناً). فارتد العديد منهم بدعوى أن عيسى (الأصلي) كان ساحراً تقمص شخصية عيسى المصلوب وخدعهم وادعى أنه نبي وارتد آخرون عن دينهم

وإيمانهم بعيسى الذى اعتقدوا أنه إله لا يموت فكيف يُصلب ويُقتل أمام أعينهم . ولكن تدبير الله أن نجّى عيسى (عليه السلام) منهم فلم يدنسوه بأيديهم المخضبة بدماء الأنبياء الذين قتلوهم من قبل . وقبض روحه الزكية الطاهرة وأماته ثم رفعه إليه كما يرفع عباده الصالحين البررة الشهداء (أحياء عند ربهم يرزقون) ثم حكم الله تعالى على قومه وأتباعه إلى يوم القيامة أن يؤمنوا ويعاينوا بأعينهم حقيقة نبيه ورسوله عيسى (عليه السلام) قبل موتهم هم فرادى وجماعات ويعلمون أنه نبي مرسل من عنده وأنه بشر . وأنه لم يُصلب ولم يُقتل بمعرفتهم أو بأيديهم أو أمامهم يقينا . يرون ويعاينون كل تلك الحقائق وهم فى سكرات الموت وحشرجته والغرغرة الأخيرة فيعلمون أنه كان بشراً رسولاً . ورسالته التى جاء بها (الإنجيل) الحق من عند الله ليس فيها ما ينبئ ولا يشير إلى ألوهيته كما زعموا وآمنوا . وأن الحقيقة التى طمسوها كبراً وعناداً وشكاً . وكفروا وتمادوا فى إعلانها والدفاع عنها دون برهان أو دليل وأنكروا كل ماعداها من كلمة التوحيد والصدق واليقين . كل ذلك سيكون ماثلاً أمام أعينهم عند موتهم هم لا هو . لحظة انكشاف البصر والبصيرة وحيث لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً :

*يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً⁽⁴⁵⁹⁾.

وقتها لا ينفع إيمان ولا توبة ولا تكون هناك رجعة للتصحيح.

* إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءاً بجهالة ثم يتوبون من قريب . فأولئك يتوب الله عليهم . وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن . ولا الذين يموتون وهم كفار . أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً (460).

* حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعوني * لعلني أعمل صالحاً فيما تركت . كلا إنها كلمة هو (الله) قائلها . ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون (حاجز يحول دون الرجعة) (461) .

هذا ما يحدث عند معاينة الموت وقت الحشجة وغرغرة الموت . حيث كل واحد من أهل الكتاب (وإن من) يؤمن ببشرية عيسى (عليه السلام) ورسالته وصدقه . (إلا ليؤمنن به) وهو تأكيد بالحدوث (قبل موته) أى موت كل منهم . ثم يوم القيامة يكون نبي الله عيسى (عليه السلام) (شهيداً عليهم) أى شاهداً عليهم بصدقه وأنه لم يأمرهم - كما يدعون - بتأليهه وإنكار بشريته :

* وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال سبحانك . ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب (462) .

وتكون شهادة عيسى (عليه السلام) تبرئة لنفسه وتبرؤاً منهم ومما أحدثوه . كما آذوه وتبرأوا من نبوته وبشريته ورسالته التي حرفوها وأخفوا ما فيها من التوحيد .

الترغيب والترهيب : (المنذرى) المجلد الرابع ص 522 - 524

- 292 (سورة سبأ : 14 .
293 (سورة السجدة : 11
294 (سورة النمل : 19 .
295 (سورة الأعراف : 188
296 (صحيح مسلم : 53 - كتاب الزهد والرقائق حديث (64) طبعة (مؤسسة
التاريخ العربى) .
مسند الإمام أحمد : ج5 ص 24 (طبعة الحلبي) .
297 (سورة الحج : 11
298 (سورة غافر : 51
299 (سورة الأنعام : 38
300 (سورة الأنبياء : 105 .
301 (سورة الثورى : 27 .
302 (سورة محمد : 24 .
303 (سورة النمل : 34 .
304 (سورة آل عمران : 84 .
305 (سورة التوبة : 30
306 (سورة البقرة : 259 .
307 (سورة يونس : 68 .
308 (سورة مريم : 1-15
309 (سورة الأنبياء: 89، 90
310 (سورة آل عمران: 32 - 41 .
311 (سورة الأنعام : 85 .

-
- 312 (سورة مريم : 15
- 313 (سورة آل عمران : 34 - 37.
- 314 (سورة آل عمران : 45 - 48
- 315 (سورة مريم : 16 - 26
- 316 (سورة آل عمران : 42 ، 43.
- 317 (سورة المؤمنون : 50
- 318 (سورة المائدة : 75
- 319 (سورة التحريم : 12
- 320 (سورة الزمر : 62 ، 63.
- 321 (سورة يس : 82 ، 83 .
- 322 (سورة آل عمران : 59 - 61.
- 323 (سورة النساء : 156
- 324 (سورة الإسراء : 43.
- 325 (سورة مريم : 35.
- 326 (سورة البقرة : 116 ، 117 .
- 327 (سورة النساء : 171 ، 172
- 328 (سورة المائدة : 17.
- 329 (سورة المائدة : 72 ، 73.
- 330 (سورة المائدة : 75.
- 331 (سورة المائدة : 112.
- 332 (سورة المائدة : 116 ، 117
- 333 (سورة التوبة : 30 ، 31
- 334 (سورة الأنعام : 101 .

-
- 335 (سورة الكهف : 5،4 .
- 336 (سورة مريم : 30 .
- 337 (سورة مريم : 34 ، 35 .
- 338 (سورة مريم : 88 - 94 .
- 339 (سورة الفرقان : 1،2 .
- 340 (سورة الزخرف : 59 .
- 341 (سورة الصف : 6 .
- 342 (سورة الإخلاص : 1-4 .
- 343 (سورة آل عمران : 79 ، 80 .
- 344 (سورة مريم : 26-33 .
- 345 (سورة المائدة:70
- 346 (سُفَرِ التَّنْثِيَةِ : 33: 2
- 347 (سورة البقرة : 87 .
- 348 (سورة البقرة:253 .
- 349 (سورة النساء : 163 .
- 350 (سورة آل عمران : 50 ، 51 .
- 351 (سورة المائدة : 46 .
- 352 (سورة المائدة : 110 .
- 353 (سورة الأنعام : 85 .
- 354 (سورة الأحزاب : 7 .
- 355 (سورة الشورى : 13 .
- 356 (سورة الزخرف : 63 ، 64
- 357 (سورة الصف : 6

- 358 (إنجيل متى : 5 : 43 ، 44 .
- 359 (إنجيل متى : 5 : 7 .
- 360 (إنجيل متى : 6 : 1 ، 2 .
- 361 (إنجيل متى : 6 : 5
- 362 (إنجيل متى : 6 : 19 ، 20
- 363 (إنجيل متى : 6 : 24 .
- 364 (أنبياء الله : (أحمد بهجت) ص 323 ، 324 .
- 365 (سورة المائدة : 45 .
- 366 (إنجيل متى : 15 : 24 .
- 367 (إنجيل متى : 7 : 1 - 3
- 368 (إنجيل متى : 7 : 17 .
- 369 (إنجيل متى : 7 : 24 - 27 .
- 370 (إنجيل لوقا : 11 : 42 - 44 .
- 371 (إنجيل يوحنا : 5 : 24 .
- 372 (إنجيل لوقا : 11 : 46 ، 47 .
- 373 (إنجيل لوقا : 11 : 48 - 52
- 374 (إنجيل لوقا : 21 : 27 ، 28 .
- 375 (سورة آل عمران : 46 .
- 376 (سورة المائدة : 110 .
- 377 (سورة آل عمران : 48 .
- 378 (سورة المائدة : 110
- 379 (سورة آل عمران : 49
- 380 (سورة المائدة : 110

- 381 (سورة آل عمران : 49 .
- 382 (سورة المائدة : 110 .
- 383 (سورة آل عمران : 49 .
- 384 (سورة المائدة : 110 .
- 385 (سورة آل عمران : 49 .
- 386 (سورة المائدة : 112 - 115 .
- 387 (سورة النمل : 14 .
- 388 (سورة آل عمران : 4، 3 .
- 389 (سورة المائدة : 46 .
- 390 (سورة المائدة : 47 .
- 391 (سورة المائدة : 66 .
- 392 (سورة المائدة : 68 .
- 393 (سورة المائدة : 69 .
- 394 (سورة المائدة : 70 .
- 395 (محاضرات فى النصرانية : (الإمام محمد أبو زهرة) ص 47 وما بعدها .
- 396 (نفس المصدر السابق : ص 66 .
- 397 (نفس المصدر السابق : ص 69 ، 70 .
- 398 (نفس المصدر السابق : ص 71 .
- انجيل برنابا : مقدمة المترجم (د. خليل سعادة) ص 14 ، 15 .
- 399 (إنجيل برنابا : (ترجمة د. خليل سعادة) المقدمة ص 16 .
- 400 (إنجيل برنابا : ص 17 (تقديم الشيخ محمد رشيد رضا)
- 401 (إنجيل برنابا : المقدمة (الشيخ محمد رشيد رضا) ص 21 .

-
- 402 (محاضرات فى النصرانية : (محمد أبو زهرة) ص75.
- 403 (إنجيل برنابا : المقدمة : 2-10)
- 404 (إنجيل برنابا : 93 : 18 - 23
- 405 (إنجيل برنابا : 94 : 1-4
- 406 (إنجيل برنابا : 212 : 5
- 407 (إنجيل برنابا : 70 : 1-7
- 408 (إنجيل برنابا : 70 : 12 - 15
- 409 (إنجيل برنابا : 13 : 15 ، 16
- 410 (إنجيل برنابا : 44 : 10 ، 11
- 411 (إنجيل برنابا : 43 : 13 - 19
- 412 (إنجيل برنابا : 72 : 10 - 17
- 413 (إنجيل برنابا : 142 : 16 - 18.
- 414 (إنجيل برنابا : 96 : 8 - 15 .
- 415 (إنجيل برنابا : 44 : 1-5.
- 416 (إنجيل برنابا : 44 : 27 - 31
- 417 (إنجيل برنابا : 215 : 1-6
- 418 (إنجيل برنابا : 216 : 1-7
- 419 (إنجيل برنابا : 217 : 80 ، 81
- 420 (سورة آل عمران : 59 ، 60
- 421 (سورة المائدة : 72.
- 422 (سورة المائدة : 75.
- 423 (المختار من كتاب (الرد على النصارى) : (الجاحظ) ص24.
- 424 (سورة الصافات : 99 - 113 .

-
- 425 (سورة الذاريات : 28 .
- 426 (سورة الأنبياء : 85 .
- 427 (سورة الصنف : 6 .
- 428 (سورة آل عمران : 81 ، 82
- 429 (سورة الأعراف : 156 ، 157 .
- 430 (سورة النساء : 171 .
- 431 (سورة المائدة : 72 ، 73 .
- 432 (سورة يونس : 68 - 70
- 433 (سورة آل عمران : 54 ، 55
- 434 (سورة السجدة : 11
- 435 (سورة النساء : 157 ، 158 .
- 436 (سورة آل عمران : 169 .
- 437 (سورة البقرة : 154 .
- 438 (سورة آل عمران : 55 .
- 439 (سورة النساء : 141 .
- 440 (سورة المائدة : 116 - 120 .
- 441 (سورة المائدة : 72 .
- 442 (إنجيل برنابا : 189 : 6 - 17 .
- 443 (سورة مريم : 34 - 37 .
- 444 (سورة الزخرف : 63 - 66
- 445 (سورة المائدة : 47 .
- 446 (سورة المائدة : 78 - 81 .
- 447 (سورة المائدة : 14 .

- 448 (سورة المائدة: 76 ، 77 .
- 449 (سورة آل عمران : 113 - 115 .
- 450 (سورة آل عمران : 199 .
- 451 (سورة المائدة : 82 - 86 .
- 452 (سورة المائدة : 68 ، 69 .
- 453 (أنبياء الله : (أحمد بهجت) ص 368 .
- 454 (فقه السُّنة : (الإمام الشيخ سيد سابق) المجلد الثالث ص 14
- 455 (نفس المصدر السابق : المجلد الثالث ص 14 ، 15 .
- 456 (نفس المصدر السابق : المجلد الثالث ص 72 .
- 457 (سورة النساء : 159 .
- 458 (سورة آل عمران : 169 .
- 459 (سورة الأنعام : 158 .
- 460 (سورة النساء : 17 ، 18 .
- 461 (سورة المؤمنون : 99 ، 100 .
- 462 (سورة المائدة : 116 .
- 463 (مسند الإمام أحمد : الجزء الثاني ص 123 (طبعة الحلبي) .
- سنن الترمذی : 45 - كتاب الدعوات & 98 باب فضل التوبة والاستغفار
- (عن إبراهيم بن يعقوب) .
- 464 (سورة الأنبياء : 115 .
- 465 (سورة المائدة : 15 ، 16 .

الفَصِيحُ السَّابِعُ

وَعَدُ أَوْ لَا هُمَا

مقدمة

كانت الدنيا تتوق شوقاً إلى مولد وبعثة النبي الخاتم الذي بشرت به الكتب السابقة (التوراة والإنجيل) . فقد مرت حوالي ستة قرون على مولد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) وعلى بعثته ووفاته . ابتعد المسيحيون فيها عن تعاليم الحب والنقاء وطهارة الضمير وتسلمت العقائد الوثنية إلى بعض فرقهم وشاب صفاء التوحيد دنس عظيم . هجر اليهود وصايا موسى (عليه السلام) وعادوا لعبادة المال والهوى وأصبح لكل منهم إلهه الخاص به وأغارت الوثنية على الأرض كفرت بالعقل ونسيت الله واستسلمت للدجالين من الكهنة والكتبة وأصيب قلب الدنيا بالجفاف واشتدت حاجة البشر للمخلص (المسيا) المبشر به في التوراة والإنجيل . نبي آخر الزمان الذي يأتي في ملكوت الله ويصير النور وإعلان أمره في المدينة (يثرث) . ولأجل تلك البشارات جاء اليهود إلى المدينة (يثرث) وتيماء ووادي القرى وفدك وخيبر واتخذوا تلك الأمكنة مقاما وجعلوها دار قرارهم وأثاروها وعمروها وبنوا فيها المصانع والحصون المنيعة . واستقر من قبائلهم هناك بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ويهود خيبر . وكان نزوحهم (اليهود) من فلسطين إلى تلك البقاع في أرض الحجاز لسببين :

(1)-بعد إغارة طيطس (تيطوس) الامبراطور الروماني على فلسطين وتدميره الهيكل عام 70م . ومن بعده الامبراطور (هيريانوس) عام 175م وإعمال القتل والتخريب والتشريد فيهم .

(2)-البشارات التي بين أيديهم في التوراة والإنجيل بمبعث النبي الخاتم وإعلان أمره في (يثرث) . فتمنوا أن يكون هذا النبي منهم ومن نسلهم

ليتناصروا به وسط الشعوب ويعيد إليهم أمجادهم المفقودة . وقد جاء في سفر
إشعيا :

* غنوا للرب أغنية جديدة . تسبيحة من أقصى الأرض . أيها المنحدرون في
البحر وملؤه والجزائر وسكانها . لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار سكنها
قيدار . لتترنم سكان سالع (جبل يثرب) من رعوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا
الرب مجداً ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه⁽¹⁾.

وسالع هذه التي يدعوها (إشعيا) للابتهاج ليست سوى جبل سلع
غربي يثرب (يقع جبل أحد في شرقي يثرب) والأغنية الجديدة يقصد بها
الدين الجديد الذي يعلن توحيد الله وإفراده بالعبادة ويكون حرباً على الأصنام
التي تعبد من دون الله :

* قد ارتدوا إلى الوراء يخزي خزيا . يكون على المنحوتات (التماثيل)
القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا⁽²⁾.

ولم يأت نبي بعد (إشعيا) كان حرباً على الأصنام وعبادتها وأعلن
ثورته عليها حتى أبادها من بلاده سوى محمد (ﷺ) . ولهذا جاء اليهود إلى
يثرب حيث شريعة الله الجديدة المتوقعة والنبي القائم بها . وهاجس في نفوس
كهنتهم وكتبتهم أن يكون منهم النبي الذي تنبّهج به سالع (يثرب) . والنبوءة
الثانية وردت في سفر التثنية :

* وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته
فقال جاء الرب من سيناء (كلم موسى على جبل طور سيناء) وأشرق لهم
من سعين (الناصرة بالجليل - عيسى (عليه السلام)) وتلاً من جبل فاران (بمكة)

وأتى من ربوات القدس (هيكـل داود وسليمان) وعن يمينه نار شريعة لهم⁽³⁾.

وفى إنجيل (برنابا) النصوص الصريحة المتكررة والفصول الكاملة التي يذكر فيها اسم محمد (ﷺ) في عرضها ذكراً صريحاً. ويقول إنه رسول الله (انظر الفصل السادس - عيسى ابن مريم (عليه السلام) - الإنجيل) ولا نرى داعياً لتكرار تلك الفصول . وقد نقل الشيخ (محمد بيرم) عن رحالة إنجليزي أنه رأى فى دار الكتب البابوية فى الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحُميرى قبل بعثة النبي (ﷺ) وفيها يقول المسيح صراحةً وبالنص (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وذلك موافق لنص القرآن الكريم بالحرف⁽⁴⁾.

وفى (انجيل يوحنا) جاء بالنص :

*إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الأب (أي الله) فيعطىكم فارقليط آخر (رسول آخر غيري) ليثبت معكم إلى الأبد⁽⁵⁾ .

*فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق (أي من عند الله) الذي من الأب ينشق وهو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون معي من الابتداء⁽⁶⁾.

*لكنى أقول لكم الحق . إنه خير لكم أن أنطلق . لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط . فأما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم . أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى . وأما على البر فلأني منطلق إلى الأب (أي الله) ولستم ترونني بعد . وأما على الحكم فإن رئيس هذا العالم قد دين . وإن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم . ولكنكم

لستم تطبقون حملة . وإذا جاء روح الحق (أي القرآن) ذاك . فهو يعلمكم جميع الحق . لأنه ليس ينطق من عنده (لا ينطق عن الهوى) بل يتكلم بكل ما يسمع (من الوحي) ويخبركم بما سيأتي وهو يمجدني . لأنه يأخذ مما هو لي . ويخبركم جميع ما هو للأب فهو لي . من أجل هذا قلت : إن مما هو لي يأخذ ويخبركم (أي يبلغكم الوحي) (7) .

ويلاحظ أن لفظ (فارقليط) يوناني الأصل (لنتذكر معا الآن الترجمة اليونانية للتوراة ثم الإنجيل في العصر الروماني) . قيل أصله باراكلي طوس بمعنى المعزى والمعين والوكيل والشافع . وقيل بير كلوطوس فيكون من معنى محمد وأحمد . وكان نصارى العرب يستعملون اسما (أحمد) يقترب في المعنى من محمد لتسمية البراكلية به بمعنى صاحب الحمد . ويمكن الرجوع إلى كتابي (أعلام النبوة) للماوردى و (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي . ففيهما الكثير من الأدلة والشروح للبشارات الموجودة في التوراة والإنجيل . وقد شهد بتلك النبوءات والبشارات وعرفها العديد من الأبحار في عهد النبي (ﷺ) وفي القرن الأول الهجري أمثال : (من اليهود) عبد الله بن سلام . ابني سعية . بنيامين مخبريق . كعب الأبحار . ومن (النصارى) ورقة بن نوفل . بحيرا . نسطور الحبشي . ضغاطر الرومي . الجارود . النجاشي . السوس . الرهبان الذين جاءوا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة . وأيضا هرقل (قيصر الروم) . المقوقس (عظيم قبط مصر) . ابن صوريا وغيرهم . كل تلك البشارات والنبوءات وغيرها مما ورد في العهد القديم والجديد . كلها بشرت بمقدم النبي (ﷺ) وأنه هو نبي آخر الزمان وأنه سيكون وبالا على الأصنام يحطمها تحطيمًا كما فعل أبيه الأكبر إبراهيم (عليه السلام) جد الأنبياء الأكبر .

وجاء نبي آخر الزمان . خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله (ﷺ) جاء بالرسالة الخاتمة والرحمة المهداة للعالمين أجمعين . ولَدَّ عام الفيل (واقعة محاولة أبرهة وجيشه من الفيلة هدم الكعبة المشرفة) وُبُعِثَ النبي محمد (ﷺ) وهو بمكة المكرمة حين بلغ الأربعين من عمره . جاء ليتمم مكارم الأخلاق وليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون . ولو كره المشركون . جاء بكلمات الله التامة وهديه العظيم إلى يوم الدين . جاء بمعجزة القرآن الكريم الرسالة الباقية أبد الأبدن وإلى يوم الدين . إلى قيام الساعة . الرسالة التي تخاطب العقول قبل الأفتدة . لتخرج الناس من ظلمات الجهالة والشرك إلى نور الإيمان والإسلام والتوحيد . تدعو العالم أجمع والبشر جلهم إلى أفراد العبودية لله تعالى . جاءت الرسالة الخاتمة لتخرج الناس جميعا من عبادة وتأليه البشر والمخلوقات إلى عبادة رب الكائنات جميعا . جاءت الرسالة بالمبادئ السمحة والرحمة :

*وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين⁽⁸⁾.

كل الرسائل السابقة كانت لأقوام بعينهم إلا الرسالة الخاتمة فهي للناس كافة:

*وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽⁹⁾

لا يعلمون أنه مرسل إليهم جميعا إلى يوم القيامة . وكما هو المبدأ والناموس الذي ينزل بلسان القوم الذي يُبعث فيهم الرسول . فإن الرسالة الخاتمة وهى القرآن نزلت بلسان العرب الذين بُعث فيهم النبي (ﷺ) :

*وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم⁽¹⁰⁾ .

* وإنه لتنزِيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين (جبريل) * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زُبر الأولين (مبشّر به في الكتب السابقة) * أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل * ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (11) .

* ولو جعلناه قرآناً أعجمياً (بلغة غير العربية) لقالوا لولا فُصِّلَت آياته (بُيِّنَت ووضّحت) ءأعجمى وعربي . قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء . والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرُّ وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد (12) .

* قرآنا عربيا غير ذى عوج (لا اختلال فيه ولا تعارض) لعلهم يتقون (13) .

* شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك . وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (14) .

ولم يكن طريق الدعوة مفروشا بالرياحين والورود رغم أن الناس كانوا فى حاجة إلى رسالة من الله تهديهم إليه وتخرجهم من الظلمات إلى النور ورغم أن الناس - وأولهم اليهود - كانوا يتشوقون لخروج النبي الخاتم وبعثته إلا أنهم كانوا أول المكذبين والكائدين له . غيرةً وحقدًا وحسدًا من عند أنفسهم . فقد كانوا يتمنون ويتوقعون النبوة الخاتمة أن تكون فيهم رغم أن البشارات التي في التوراة تؤكد لهم أن النبوة الخاتمة ليست فى نسل إسحاق ويعقوب (إسرائيل) بل فى نسل إسماعيل (عليه السلام) . رغم كل هذا فقد شكك اليهود فى صحة نبوة ورسالة محمد (ﷺ) . وتجلى ذلك بصورة واضحة عند تحويل قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة :

* وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (15) .

* سيقول السفهاء من الناس (اليهود) ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (16).

وحين دعاهم النبي (ﷺ) للإيمان به وتصديق رسالته لكونهم أهل كتاب وأعلم من المشركين بوحدانية الله وكتبه ورسله وأجدر بالاستجابة أخذتهم العزة بالإثم وناصبوه العداء علواً واستكباراً وحقدًا وتطاولاً . رغم أن الدعوة الإسلامية قامت على الوسطية في كل شيء . فلا غلو ولا تفريط :

* وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (17).

أمة وسط بين مادية اليهود المفرطة ورهبانية النصارى بما فيها من الغلو حيث ابتدعوا فيها الانقطاع عن الدنيا والتكر لما فيها ورفضه :

* ثم قفينا على آثارهم برسلنا (بعد موسى) . وقفينا (أُتبعنا) بعيسى ابن مريم . وآتيناه الإنجيل . وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة . ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (18) .

هي رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم . ولكن حين ألزموا أنفسهم بها صاروا مطالبين أمام الله بحسن رعايتها والمحافظة على مقتضياتها من التطهر والترفع والقناعة والعفة والذكر والتسبيح والعبادة مما يقربهم إليه بتلك الأعمال . ولكنهم أخذوا من تلك الرهبانية شكلها الخارجي لتصبح طقوساً وشعائر خالية من الروح وأصبحت مظهراً عارياً من الحقيقة لم يصبر على

تكاليفها إلا عدد قليل منهم . كانوا يقصدون من وراء تلك الرهبانية التشبه بنبي الله عيسى (عليه السلام) إلا أنهم انحرفوا بها وتألّوها بها على الناس يشرّعون لهم من دون الله فيحلوا الحرام ويحرموا الحلال :

* اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله⁽¹⁹⁾.

تلك الرهبانية التي انحرفوا بها عن مسار الدين الذي ارتضاه الله لعباده. مع الخلط الذي ابتدعوه وافتروه على المسيح ابن مريم وعقيدة التثليث التي أنكرها عليهم عيسى (عليه السلام). فالدين من قِبَل الله واحد . لأن مصدره واحد . والدين الذي جاء به الأنبياء جميعا هو دين الإسلام :

*إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم (حسداً وطلباً للرياسة)⁽²⁰⁾.

والإسلام هو الاستسلام لله وحده بالطاعة والعبادة واتباع المنهج الرباني وتحكيم كتاب الله في أمور العباد . بمعنى توحيد الألوهية والربوبية . فالله جل شأنه له صفات الجلال ونعوت الكمال . ليس كمثله شيء ولا يشبهه أيّاً من خلقه . ولا يتجسد ولا يحل - سبحانه - في أي من خلقه . وله ملكوت السماوات والأرض القائم على شئون خلقه بنفسه (الألوهية):

* الله لا إله إلا هو الحي القيوم . لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم⁽²¹⁾ .

*الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل * له مقاليد السماوات والأرض . والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون (22) .

*مالهم من دونه من ولي . ولا يشرك في حكمه أحدا (23) .

*قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد (24)

و (الربوبية) لله وحده فهو الرزاق والوهاب . الشافي والضار .
الباسط والقابض . المحي والمميت . له الأسماء الحسنى جل شأنه :

* فإنهم عدو لي إلا رب العالمين * الذي خلقتني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيي (25) .

إذن لا مباحكة ولا ادعاء ولا تأويل بعد كلمات الله الواضحة الصريحة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاء العلم بغيا بينهم) . فهذا الاختلاف لم يكن عن جهل بل عن علم جاء أهل الكتاب في الكتب المنزلة عليهم (التوراة - الزبور - الإنجيل) . وفيه الاختلاف وكل الكتب السماوية والرسالات الإلهية للبشر فيها الأمر القاطع بوحداية الله وتفرده بالألوهية . ولم البغي والاعتداء على حق الله وظلم عباده الموحدين والحيدة عن العدل والالتزام في العقيدة والشريعة . ليس بعد ذلك البغي والاختلاف فيما بينهم - برغم العلم لا الجهل - سوى الكفر والإلحاد والشرك من مصير . وحينئذ يستحقون عذاب الله وغضبه ولعنته :

*إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً (ظلماً وحسداً) بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (26) .

وسرعة حساب الله تتمثل - دون إهمال - في الاقتتال فيما بينهم بعدما اختلفوا:

*وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (جبريل).ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات (الرسالات الواضحة) ولكن اختلفوا . فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد (27).

*ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا (أجرينا وهيجنا) بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (28).

*وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (29).

وانحراف طوائف من أهل الكتاب عن الدين القويم الذي جاء به موسى وداود وعيسى (عليه السلام) هذا الانحراف وراء كل جدال ومراء ومحااجة فيما بينهم.وبينهم وبين عباد الله المؤمنين في كل زمان ومكان . وحين نزلت الرسالة الخاتمة على قلب النبي محمد (ﷺ) ازداد الجدل والمراء رغم علمهم بأن تلك هي الرسالة الخاتمة التي تجيء من عند الله . فقد سبق وأن بشّروا بها في كتبهم التي بين أيديهم.. ولكن الهدف المستور هو اضلال الجماعة المؤمنة :

*ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون⁽³⁰⁾.

تلك الرغبة في الإضلال هي رغبة ليست حبيسة النفس فقط بل ملؤها الحقد والشر والكيد والتلبيس. رغبات بقصد إثارة الشك في نفوس المؤمنين عما في أيديهم وما في أيدي المسلمين . أيهما أحق بالاتباع وأيها أحق بالتصديق ويظنون بذلك الإضلال والبلبله فيما أنزل الله . وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون أنهم قد ازدادوا ضلالا على ضلالتهم وأصبحوا هم في دائرة الشك والريبة لأنهم - بداية - قد انصرفوا وبغوا وضلوا عن صراط الله المستقيم :

*والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم⁽³¹⁾ .

*يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ⁽³²⁾.

ولكن هل توقفت تلك المحاولات والرغبات واستكانت حملاتهم وكيدهم للجماعة المؤمنة وللمسلمين خاصة . لا . فهم مازالوا يحاولون الدس وإثارة اللبس والتشكيك فيما نزل من عند الله في قرآنه الحكيم وفي سيرة رسول الله (ﷺ) وحديثه النبوي الشريف وفي التفسير القرآني والتراث الإسلامي بصفة عامة . فقد نشطت حملاتهم المستمرة لدس الإسرائيليات في الدين الإسلامي . ومازالت محاولات المستشرقين والمستعربين وتلاميذهم تدور في ذلك الفلك . يعلنون إسلامهم ويدسون السم في العسل على علم منهم بالحقيقة . ولكن نفوسهم وأفئدتهم لا تسعى إلى التجرد لله وحده - كما يقولون - ولا إلى الدعوة لدين الله الخاتم وإنما هم يحاولون بدأب وإصرار دون كلل، وإعمال معاول

الهدم والتخريب والإضلال تحت مسميات البحث العلمي والتدقيق والدراسات المقارنة . وإظهار وإشهار وإعلان إسلامهم ثم يرتدون بعد فترة كما حدث في صدر الدعوة الإسلامية وإلى الآن في محاولة منهم لإثبات قصور وعجز الدين الإسلامي - كما يظنون ويتوهمون - عن مسايرة التطور العلمي المتنامي بخطى لاهثة والنظريات البشرية التي تتغير من آن لآخر . ويعقدون المقارنات بين نظريات العلم ونتائج البحوث وبين آيات القرآن الكريم في محاولات مستميتة لإيجاد الثغرات ومواطن خلل ليست في دين الله وإنما في عقولهم المريضة وقلوبهم ونفوسهم الخاوية لتحقيق أغراضهم المشبوهة :

*يا أهل الكتاب لم تلبسون (تخلطون) الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار (أول الأمر) واكفروا آخره لعلهم يرجعون (عن دينهم)⁽³³⁾.

وتجيء كلمات الله الدامغة لمقولة اليهود بأنهم (شعب الله المختار) إلى الأبد مهما فعلوا وأحدثوا وبدلوا وحرفوا وعصوا . فيقرر الله تعالى أن ذلك التفضيل مرهون بوفاء عهودهم مع الله . فلما نقضوا تلك العهود والمواثيق خرجوا من معية الله وتفضيله لهم إلى الغضب عليهم ولعنهم :

*يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم . وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإيّاي فارهبون⁽³⁴⁾.

*يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين⁽³⁵⁾

وعهد الله وميثاقه مع بني إسرائيل ليكونوا مفضلين على العالمين (في زمانهم) هو :

* وآمنوا بما أنزلت (القرآن) مصدقاً لما معكم (التوراة) ولا تكونوا أول كافر به . ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين⁽³⁶⁾.

* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون⁽³⁷⁾.

* وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبإيالي أحسابنا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون * وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون⁽³⁸⁾.

* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا. قالوا سمعنا وعصينا وأشرّبوا في قلوبهم العجل بكفرهم . قل بنسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين⁽³⁹⁾.

* أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم . بل أكثرهم لا يؤمنون⁽⁴⁰⁾.

* ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين⁽⁴¹⁾.

* ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين

(المسلمين) سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين⁽⁴²⁾ .

* الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم . فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين⁽⁴³⁾ .

* وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . فبئس ما يشترون⁽⁴⁴⁾ .

* ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً * فبما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف . بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا⁽⁴⁵⁾ .

* ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل * فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية . يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم (خيانة وغدر) إلا قليلا منهم . فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين * ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون⁽⁴⁶⁾ .

*لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون⁽⁴⁷⁾.

*وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون * فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب (التوراة) يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى (عَرَضَ الدنيا) ويقولون سَيَغْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ . أَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ . وَالِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁽⁴⁸⁾.

هذه هى عهودهم ومواثيقهم مع الله . لم يحفظوها ولم يتمسكوا بها بل نقضوها :

* فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية⁽⁴⁹⁾ .

وكان لزاما أن يأتى الله بقوم يحبهم . يطيعون رسوله الذى أرسله إليهم ويؤمنون بما جاء به . يهتدون بهدى الله ولا يحرفون كلماته . ووقع اختيار الله جل شأنه على الأميين (العرب المعاصرين للنبي ﷺ) لتتنزل عليهم الرسالة الخاتمة والكتاب السماوى الأخير والدائم التشريع إلى يوم القيامة :

* هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين⁽⁵⁰⁾.

تلك هى الأمة الفضلى عند الله بشروط كتلك التى أخذها الله ووافق بها بنى إسرائيل :

*كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله . ولو آمن من أهل الكتاب لكان خيراً لهم . منهم المؤمنون
وأكثرهم الفاسقون⁽⁵¹⁾.

تلك هي شروط الاختيار للأمة المسلمة لتكون خير أمة أُخرجت للناس :

1- تأمرون بالمعروف .

2- تنهون عن المنكر .

3- تؤمنون بالله .

والإيمان سابق ولاحق على شرطي. الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر . فغيره لا يكون شياً. وإن وُجدَ ذلك الشيء فإن الله لا يقبله بدون
إيمان وتصديق :

*إنما يتقبل الله من المتقين⁽⁵²⁾.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون من ملحد أو مشرك ولا
يعنى ذلك ولا يساوى شيئاً عند الله فلا يقبل ذلك العمل إطلاقاً :

*وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً⁽⁵³⁾.

ولكن مع الإيمان يقبل الله العمل . وكذلك أيضاً إن كان هناك إيمان
بدون عمل فالأمر سيان كالعمل بلا إيمان . فهو لا يقبل أيضاً . وعلى هذا
فإذا افتقد المسلمون والمؤمنون أيّاً من تلك الشروط السابق ذكرها فإن اختيار
الله وتفضيله يتجمد ويتوقف وينتهي . ولا يكون هناك وزن لهم أو قيمة أو
منزلة ومكانة عند الله وعند الناس .

وكان انتقال الاختيار بالأفضلية من بنى إسرائيل-بعد ما عصوا وكذبوا واعتدوا- إلى الأمة المسلمة سبباً رئيسياً وهاماً لتملئ قلوب اليهود ومن على شاكلتهم من أهل الكتاب بالحقد والحسد والبغضاء تجاه الأمة المسلمة :

* ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل * والله أعلم بأعدائكم . وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً⁽⁵⁴⁾.

* وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ⁽⁵⁵⁾.

* ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (كل ما يعبد من دون الله) ويقولون للذين كفروا (من العرب) هؤلاء (المشركين والكفرة) أهدى من الذين آمنوا سبيلاً⁽⁵⁶⁾ .

ولماذا قالوا ذلك ؟ لأنهم كرهوا أن يؤمن مشركوا العرب بالرسالة الجديدة فنفروهم منها حينما سألوهم عن الدين الجديد ومدى موافقته لشريعة موسى (عليه السلام) التي يعرفها اليهود . كان جوابهم يقطر غلاً وحسداً وحقداً لأنهم لم يشرفوا بحمل الرسالة الخاتمة . فوصموها - لعنهم الله - بالباطل . وقالوا إن الشرك الذى عليه العرب - وقتئذ - هو أهدى مما جاء ونزل على أولئك المسلمين :

* أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة (النبوة) وآتيناهم ملكاً عظيماً⁽⁵⁷⁾.

ولكى ينعم أهل الكتاب - وغيرهم - برضوان الله فعليهم أن يتطهروا من الحقد والحسد وأن يقيموا شريعة الله فيهم فالشريعة التى بين أيديهم - فى جوهرها - لاتخالف شريعة القرآن :

*قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم . وليزیدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا . فلا تأس (تحزن) على القوم الكافرين⁽⁵⁸⁾.

وهذا هو قدر الأمة المسلمة التي اختارها الله لتكون طليعة وقائدة لباقي الأمم والشعوب . ولأن القيادة تكون للأفضل وللأخير فهي لا تكون أبداً للأكثر شراً وإضلالاً وإفساداً وظلماً . ولكون الأمة المسلمة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر فإن تلك الميزة - مع الإيمان - يؤهلها لكي تهض بالبشرية وترتقى بها على مبادئ المحبة والرحمة والعدل دون غيرها من الأمم التي تدعى لنفسها الأفضلية وتزكى نفسها دون سند أو برهان ودليل :

*وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا . قل بل ملة (شريعة) إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين⁽⁵⁹⁾.

والحنيفية السمحاء هي الميل عن الشرك والباطل إلى اتباع الدين الحق .

* وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير⁽⁶⁰⁾ .

*ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون⁽⁶¹⁾.

*وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين⁽⁶²⁾.

يظنون أنهم ملكوا بأيديهم ملكوت السماوات والأرض فيقسمون رحمة الله بالناس على هواهم وينتحلون لأنفسهم القيادة - بعدما سألها الله منهم - والخصوصية والأفضلية والتفرد :

* قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير⁽⁶³⁾ .

فقد شاعت قدرة الله تعالى أن يسلبهم الأفضلية والتميز بعدما نكصوا على أعقابهم في هاوية^١ الشرك والكفر وعصيان الله تعالى واهب النعم . وأصبحت تلك الفئة الآثمة من أهل الكتاب تظهر المودة أحيانا وتبدى أفواههم البغضاء دائما . أما صدورهم فتخفى الكثير والكثير . ويحذر الله المسلمين من ذلك :

*يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً (فئة تخصوصهم بأسراركم) من دونكم لا يألونكم خبالا (لا يتورعون عن إفساد دينكم) . ودّوا ما عنيتم (يحبون مشقتكم) قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله (كل الكتب السماوية) وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلّوا (بأنفسهم) عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم . إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسّسكم حسنة تسؤهم . وإن تصبّكم سيئة يفرحوا بها . وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئا . إن الله بما يعملون محيط⁽⁶⁴⁾ .

وهنا يبين الله العليم الحكيم أن أشد وألد أعداء الإسلام والمسلمين هم اليهود فهم الأعداء الطبيعيين للفئة والأمة المسلمة لأنهم ظنوا وروّجوا

وصدقوا بعد ذلك أن هؤلاء المسلمين قد انتزعوا منهم - اليهود - حقاً كانوا هم الأولى به ألا وهو قيادة البشرية بالرسالة الخاتمة .

ولذا فنراهم قد توددوا للفئة المسلمة في المدينة المنورة - وفي كل مكان أيضاً - لا حباً فيهم وإنما ليعرفوا أسرارهم ويقعوا على مصالحهم وخبائهم . ويتظاهرون للمسلمين - في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم - بالمودعة فيخدع المسلمون فيهم ويمنحونهم الود والثقة فيسرون إليهم بدقائق أمورهم وأسرارهم . وعلى الجانب الآخر تجد اليهود يضمرون لهم الشرور والحقـد ويحاولون إثارة الاضطراب وإفساد إيمان المسلمين وشريعتهم بالدس واللبس وإثارة السخط بينهم والإعنات والمشقة في طريق دعوتهم وإيمانهم بالله . فيقولون لو أن الله والرسول يحبكم كما تدعون وتظنون لما كانت تلك القيود والشروط الكثيرة في كل أمر من أمور الدين والشريعة القرآنية . وأن في شريعتهم - التوراة والإنجيل - ما هو أيسر على البشر . يخذع بعض المسلمين بهم فيتقربون منهم ويودونهم بينما يبادلهم اليهود ذلك الحب بالكره والبغضاء بدليل التآمر على الأمة المسلمة كلما سنحت لهم الفرصة التي يسعون إليها بدأب ودون كلل أو ملل . وإذا ما لقوا المؤمنين قالوا لهم آمنا بكم ومثلكم بما تؤمنون به . وإذا انفردوا بأنفسهم بعيدا عن أعين المسلمين عضوا أناملهم من الكمد والغيط على رفعة المسلمين وعلى تمسكهم بدينهم وثقتهم في نصره الله لهم . إن أصاب المسلمين ملّة أو مصيبة فرح اليهود لذلك وتمنوا زوال المسلمين وهلاكهم وإن أصاب المسلمين فضل من الله وخيراً اغتموا لذلك وأقاموا المآتم في صدورهم وازداد حقدهم وكيدهم والله يعلم خباياهم ومافى صدورهم مهما حاولوا إخفاء شعورهم . ورغم هذا لا يقابل المسلمون تلك الإساءات إلا بالإحسان والسماحة والعفو . معينهم في ذلك الصبر الجميل وتقوى الله حيث يصبح كيد اليهود هباءً منثوراً لا ضرر

منه بإذن الله العليم بحالهم الرعوف بهم. وقد أنصف النبي (ﷺ) أحد اليهود - رغم مكائدهم وكيدهم له - فى اتهام ظالم له بقتل مسلم ورد له اعتباره دون النظر إلى جنسه أو ديانته أو كيدته السابق واللاحق . وذلك امتثالاً لأمر الله وتنفيذاً لشرعه بالعدل فى الأحكام بين المتخاصمين :

*ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً⁽⁶⁵⁾ .

ولكن هل صفت قلوب اليهود للنبي (ﷺ) ولأمة المسلمة التي تعاملهم بسماحة وعدالة وحب ورحمة . الجواب هو النفي .

وجاء فى الحديث الشريف :

*من ظلم معاهداً (من أهل الذمة والكتاب) أو كلفه فوق طاقته فأنا حججه⁽⁶⁶⁾ .

وجاء فى السيرة أن جاراً يهودياً كان يؤذى النبي (ﷺ) بوضع الأذى (البراز) فى طريقه وهو خارج من بيته. فلما افتقده النبي (ﷺ) ذات يوم زاره فوجده مريضاً وتأثر اليهودي لتلك المعاملة الحسنة فأعلن إسلامه بين يدي رسول الله (ﷺ). ورغم هذا ومما ترويه لنا كتب السيرة فإن اليهود هم أول من اصطدم بالدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة وكان ذلك لأسباب كثيرة :

فقد كان لليهود فى يثرب (المدينة المنورة) مركزاً ممتازاً لكونهم أهل كتاب بين الأميين الوثنيين من العرب (الأوس والخزرج) ومع أن مشركى العرب لم يظهروا ميلاً لاعتناق الديانة الموسوية (التوراة) إلا أنهم - اليهود - كان يُعدّون أعلم منهم وأحكم بسبب مآلديهم من التوراة . وكان هناك ظرفاً

مواتيا لليهود فيما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام . وهى البيئة التى يرتع فيها اليهود ويصولون . فلما جاء الإسلام بالقرآن الذى كان مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنا عليه . آخى النبي (ﷺ) بين قبيلتي الأوس والخزرج بعد دخولهما الإسلام وأزال الفرقة التى كان ينفذ من خلال اليهود للدس والكيد وجر المغام (كانوا يبيعون السلاح لكلا الطرفين المتقاتلين) . ووحد الصف المسلم . وأصبح الأوس والخزرج هم الأنصار الذين أووا المهاجرين (من المسلمين) من مكة . وكان من الطبيعى أن يدعوا

رسول الله (ﷺ) اليهود لتصديق دعوته والإيمان برسالاته بحكم كونهم أهل كتاب وأجدر بالاستجابة من المشركين لدعوة الإسلام . كما أن كتبهم بشرت بالنبي الخاتم ورسالاته الخاتمة إلا أنهم وقفوا موقف العداء والكيد منذ اللحظة الأولى لتواجدهم فى المدينة المنورة وهجرتهم إليها . ولئن آمن بعضا من أهل الكتاب (عبد الله بن سلام - أسد بن عبيد - ثعلبة بن شعبة - كعب بن مالك) . إلا أن الغالبية العظمى من اليهود ظلوا على عدائهم للإسلام لآخر لحظة من تواجدهم بتلك البقاع . وكان بعض المسلمين ما يزلون على صلات منوعة بيهود المدينة . صلات اقتصادية وغيرها . ولم تعرف اليهود - ولن تعرف - الأمن إلا فى ذمة المسلمين وجوارهم . فهم حين يدخلون فى ذمتهم تُعصم دماءهم وأموالهم إلا بحقها . وينالون الأمن والطمأنينة داخل المجتمع المسلم . ولكن اليهود لم تعاد أحداً فى الأرض عداءها للمسلمين . ولم تضم شرا مثلما تبطنه للمسلمين فاليهود فى المدينة المنورة لم يهادنوا الإسلام بعد وفوده عليهم مع هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة إلا فترة قصيرة . وكان الرسول (ﷺ) قد عقد معهم مهادنة أول مقدمه إلى المدينة أوجب فيها النصر والحماية مشروطا عليهم ألا يغدروا ولا يفجروا ولا يتجسسوا ولا يعينوا عدواً ولا يمدوا أيديهم للمسلمين بأذى .

التوكيد والإبرام والنفاذ (وقضينا) . وهذا القضاء جاء ذكره في القرآن (في الكتاب) . وجاءت كلمة (تفسدن) بصيغة الاستقبال بمعنى لسوف تفسدن في الأرض . واللام هنا للتوكيد هي والنون . وأيضاً جاءت كلمة (ولتعلن) بنفس الكيفية . توكيد بصيغة الاستقبال بمعنى ولسوف تعلن (اللام والنون للتوكيد) ثم يجيء توكيد آخر للعلو والإفساد بصيغة المبالغة (علواً كبيراً) .

أى أن قضاء الله وأمره النافذ في بنى إسرائيل أن يكون هناك إفساد بعد علو مرتين في حياتهم اللاحقة لنزول تلك الآيات من القرآن . وكما هو معلوم فإن سنة الله في خلقه دائماً وعلى مر العصور هي :
كل علو يتبعه إفساد تكون العقوبة هي التدمير .

وعلو بنى إسرائيل يشتمل على العلو الاقتصادي والمالي والعسكري والسياسي وخلافه . علو منزلة وقدر وقدره . هذا العلو إن اشتمل على الإيمان وكان فيه استمساك بشريعة الله المنزلة فلا غرو . ويكون معه التمكين في الأرض (شأنهم في ذلك شأن كل أصحاب الديانات والشرائع) أما إذا واكب هذا العلو إفساد وضلال فالنهاية المحتومة هي الهلاك والتدمير . ولما كان بنو إسرائيل قد تماردوا في إفسادهم قبل وبعد العلو المشار إليه وذلك بقتلهم الأنبياء بغير حق . وبالاقتراء على الله كذبا وبالطعن في ذات الله عليه حيث قالوا :

*إن الله فقير ونحن أغنياء⁽⁷¹⁾.

*وقالت اليهود يد الله مغلولة . غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء⁽⁷²⁾.

وكان كيدهم للجماعة المسلمة في كل مكان . وتعرضوا للنبي بالاستهزاء والتطاول عليه حينما دعاهم للإسلام وتصديق نبوته ورسالته وأنها هي الرسالة الخاتمة للبشرية جمعاء . وهو الكيد الذي لم يسلم منه المسلمون حتى الآن .

تمادى اليهود وتحذوا الرسول الكريم (ﷺ) وهم جواره في المدينة المنورة ونقضوا موافيقهم معه ومعاهداتهم التي قطعوها على أنفسهم بعدم التعرض للمسلمين وإيذائهم أو التحالف ضدهم . وغدروا بهم فأوجب ذلك قتال النبي (ﷺ) والمسلمين لهم وإخراجهم من المدينة المنورة أولاً ثم من باقي الجزيرة العربية إلى داخل حدود الشام في سلسلة متواصلة من المواجهات والمعارك المظفرة .

(فإذا جاء وعد أولاهما) أي إذا حدث هذا الإفساد بعد العلو فإن وعد الله الأول الذي كتبه عليهم واقع لا محالة ومنفذ بأيدي عباد ابتعثهم الله لهذا الهدف (بعثنا عليكم عبداً لنا) . وانتساب صفة العبودية لله جل شأنه لا تكون إلا لعباد مؤمنين بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر . هؤلاء العباد هم (عباد الرحمن) كما وصفهم الله تعالى في سورة الفرقان وبين صفاتهم الحميدة :

*وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً * إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل

عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيماً *
ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً * والذين لا يشهدون الزور
وإذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها
صُمّاً وعمياناً * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرّة أعين
واجعلنا للمتقين إماماً (73).

وصفاتهم أيضاً تكررت في كثير من آيات القرآن الكريم وهم
الموحدون المؤمنون الطائعون والواقفون في نصرته لأنهم نصروا الله في
أنفسهم أولاً :

*ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (74) .

ولقد وقع كثير من المفسرين والكتاب في خطأ كبير عند تفسيرهم
(عباداً لنا) حيث قالوا إن بنى إسرائيل قد تعرضوا للتدمير من قبل أكثر من
مرة وعدوا تلك المرات من التدمير الأول والثاني الذين ذُكِّروا في سورة
الإسراء موضوع التفسير وقالوا إن التدمير قد حدث على يد الملك الآشوري
(سرجون الثاني) عام 722 ق.م ثم على يد الملك البابلي (نبوخذ نصر) عام
586 ق.م ثم على يد القائد الروماني طيطس أو (تيطوس) عام 70 م . وأخيراً
على يد الامبراطور الروماني هدریان أو (هدريانوس) عام 135 م .

وظنوا بل أكدوا أن التدمير في تلك المرات هو المحكي عنه والمقصود
في آيات القرآن الكريم .

وكل تلك الاجتهادات والفتاوى لم تصب كبد الحقيقة من قريب ولا من
بعيد لسببين هامين :

الأول :

إن هؤلاء الملوك والقواد والأباطرة وجنودهم كانوا من الوثنيين والملاحدة والمجوسيين ولم يكونوا أبداً مؤمنين . ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون من كانوا بتلك الصفات من الشرك والكفر أن يكونوا هم المعنيون في آيات الإسراء . وإنما المعنيون بعباد الله هم الموحدون المؤمنون . أي عباد الرحمن كما سبق وأشرنا .

الثاني :

آيات سورة الإسراء المشار إليها نزلت قبل الهجرة بحوالي العام وكلماتها كما وضحنا تفيد الاستقبال لا الماضي . أي أن الأحداث المعنية بالعلو والإفساد والتدمير لم تكن قد حدثت بالفعل بل هي آتية في المستقبل كما بينا (وقضينا - لتفسدن - ولتعلن) . ولنتأمل الآية التالية :

*فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا⁽⁷⁵⁾ .

فنرى كلمة (إذا) وهي أداة شرط تدل على أن الفعل سوف يأتي في المستقبل لا الماضي . والحال المستقبل المقصود في الآية الكريمة هو ما كان بعد نزولها لا قبلها . أي (إذا) حدث ذلك العلو والإفساد . (سيكون) أمر التدمير مقضيا ووارداً حتماً .

وهذا هو ما حدث بالفعل بعد الهجرة حيث دارت أحداث الوعد الأول من الله على اليهود . فقد كان العلو من اليهود في يثرب (المدينة المنورة) واقعا قبل الهجرة وبعدها . وجاء الإفساد ضد الجماعة المسلمة والدين الجديد من طوائف اليهود المتعددة في المدينة وما حولها .

وبالرغم أن آيات سورة الإسراء قد نزلت على قلب النبي (ﷺ) وهو بمكة المكرمة قبل الهجرة إلا أن الصدام لم يحدث في مكة لسبب بسيط جداً . وهو أن اليهود كانوا أصلاً متمركزين في جنوب اليمن بعيداً عن مكة وكذلك أيضاً في الشمال في وادي فُذَك وتيماء ووادي القرى ويثرب (المدينة) وخيبر . ووجودهم في مكة لم يكن وجود تجمعات أو طوائف أو مجتمعات ذات شأن بل فرادى متناثرين . ونزول آيات سورة الإسراء في مكة وقبل الهجرة كان إعداداً من الله العليم الحكيم التقدير للفئة المسلمة المجاهدة لما سوف يلاقونه من يهود المدينة ليكونوا على حذر منهم وليعلموا أنهم منصورون عليهم بإذن الله إذا ما ظلوا متمسكين بدينهم وإيمانهم لأن شريعتهم (الإسلام) هي المهيمنة على ما قبلها من الشرائع وكتابهم (القرآن) هو المهيمن والقائم على ما سبقه من الكتب التي أنزلت من قبل . وكان التحذير والإعداد الإلهي لتقوى شوكة المسلمين المهاجرين منهم والأنصار وليتمسكوا ولينتفوا حول حبل الله المتين وقرآنه الكريم ليشتد ساعدتهم وتقوى شوكتهم فيستطيعون مواجهة طوائف اليهود طائفة تلو الأخرى. ولذلك عقد النبي (ﷺ) بعد الهجرة مباشرة المعاهدات والمواثيق مع اليهود بعدم الاعتداء والممالة لتأمين ظهر المجتمع المسلم حيث كان اليهود في يثرب وما حولها يتحكمون في الاقتصاد والمال - كعاداتهم وسعيهم - ويحتكرون صناعة الأسلحة . وكان المسلمون قليلي العدد والعتاد والمؤنة . وكان جل همهم العدو الرئيسي الذي تركوه خلفهم في مكة - بعد الهجرة - وهم مشركو مكة وما حولها الذين ما فتأوا يناوشون المسلمين ليقتلوا عليهم وينتهوا من أمرهم بمعونة المنافقين واليهود. ولقد استقبل اليهود الجماعة المسلمة في بادئ الأمر بالتوجس والريبة والمكر والدسائس والفتن التي يلقونها في الصف المسلم . فشككوا في نبوة النبي (ﷺ) ورسالته رغم أنهم يعرفون صفاته من كتبهم والبشارات التي

جاءت فيها . واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات والتهم والأكاذيب حول كل ما ينزل من القرآن والشرع القويم ولم يتركوا فرصة واحدة دون استغلالها أسوأ استغلال في ترويج أباطيلهم وسمومهم وافتراءاتهم على الدين الجديد نذكر على سبيل المثال ما حدث عند تحويل القبلة في الصلاة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة . وحادث الإفك الذي اتهمت فيه أم المؤمنين وزوج رسول الله (ﷺ) عائشة بأبشع المفتريات وأحقرها . هذا بخلاف التحالف المستمر بينهم وبين منافقي المدينة ومشركي العرب رغم المواثيق والعهود التي عقدوها مع المسلمين بعدم الاعتداء وعدم الممالة وعدم الغدر وعدم إيذاء المسلمين . ولأن وعد الله نافذ :

* والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽⁷⁶⁾ .

فإن النصر والتمكين للفئة المسلمة نافذ وواقع لا محالة مهما أخذ اليهود أهبتهم واستعدادهم ببناء الحصون المنيعة وتكديس السلاح والمؤن والسيطرة على الاقتصاد وشئون التجارة والمال . هذا هو الوعد الذي أمضاه الله عليهم على مراحل هي سلسلة متتالية من المعارك بالتمكين والنصرة على اليهود بما يضمن توالي اشتداد ساعد المسلمين وتنامي قدراتهم وقوتهم حتى وصل ذلك إلى الذروة في غزوة خيبر حيث تم إجلاء اليهود تماما من الجزيرة العربية بعدما غنم المسلمون الغنائم وقتلوا محاربيهم وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم التي جمعوها وكنزوها . ومن تبقى من اليهود كان لا حول لهم ولا قوة . سلسلة من الانتصارات المتتالية جاس فيها المسلمون الموحدون (عباد الله) خلال ديار الشرك والإفك والبهتان . وكان وعد الله مفعولا . لم تستطع قوة اليهود ولا أموالهم ولا سلطانهم أن يوقفوا تيار المد الدافق بإذن الله حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون .

كَانَ الْجَنْدُ الْمُسْلِمُ الْمُؤْمِنُ الْمَوْحِدُ هُمْ جُنْدُ اللَّهِ وَأَدَاتُهُ وَعِبَادُهُ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا شَرَفَ الْإِنْتِسَابِ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ . وَكَانُوا أَوْلَى بِأَسْ شَدِيدٍ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . جَاسُوا خِلَالَ دِيَارِ الْيَهُودِ وَمَمْتَلَكَاتِهِمْ وَحَصُونِهِمْ وَمَقْدَسَاتِهِمْ . وَكَانَ الرَّعْبُ الَّذِي قَذَفَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْيَهُودِ أَحَدَ تَجَلِيَّاتِ اللَّهِ جَلَّ عِلَاهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . كَمَا تَجَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ مِنْ قَبْلِ . وَكَانَ نَصْرُ اللَّهِ الْمُبِينِ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

*فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا . وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ⁽⁷⁷⁾ .

*إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (الْقِيَامَةُ)⁽⁷⁸⁾ .

تِلْكَ السَّلْسَلَةُ الْمُتَّصِلَةُ الْحَلَقَاتِ بِدَأَتْ بِغَزْوَةِ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَانْتَهَتْ بِيَهُودِ خَيْبَرَ وَمَا حَوْلَهَا مَرُورًا بِيَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ لَيْتَمَ وَعَدَ اللَّهُ الْأَوَّلَ . وَكَانَ خَيْرُ يَهُودِ بَنِي قَيْنِقَاعَ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى . وَغَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدَ . وَغَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْدَ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ (الْخَنْدَقِ) وَغَزْوَةِ خَيْبَرَ وَمَا حَوْلَهَا بِدَأَتْ فِي الْعَامِ السَّابِعِ مِنَ الْهَجْرَةِ .



خبر يهود بنى قينقاع

بعد انتصار المسلمين بقيادة النبي (ﷺ) في غزوة بدر الكبرى (العام الثاني من الهجرة - شهر رمضان) ذلك الانتصار المؤزر من الله تعالى ومن ملائكته الكرام الذين أوحى إليهم الله أنه - سبحانه - معهم ومع المؤمنين . وكان أمره إلى الملائكة أن تثبتوا الذين آمنوا في معركة الفصل والفرقان بين الحق والباطل . بعد هذا الانتصار كره اليهود المسلمين وحقدوا عليهم وخافوا أن يؤدي ذلك إلى إضعاف مركزهم في المدينة المنورة بقدر ما يقوى مركز المسلمين . وبلغ الرسول ما يتهمس به اليهود ويفكرون فيه من الشر فذكرهم العهد الذى قطعه عليهم وحذرهم من مغبة نقض الميثاق معه فزادهم ذلك حنقا وغيظا حتى أنهم ردوا على النبي (ﷺ) رداً فيه غلظة وتهديد . فقالوا :

إنك لترى أنا قومك (أي لسنا كأهل مكة ضعفاء) . لا يغررك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصببت منهم فرصة . إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس (أى سوف تعلم أننا الرجال والمحاربون الأشداء) .

كان ذلك الحوار فى سوق بنى قينقاع رداً على قول النبي (ﷺ) لهم :

يا معشر يهود . احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة واسلموا . فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم (79) .

كان ردهم على النبي (ﷺ) وغلظتهم ثم تحرشهم بالمسلمين هي بداية النهاية لبنى قَيْنَقَاع أشجع يهود المدينة وأمرهم في القتال.

وقد كان من أمر بنى قَيْنَقَاع بعد ذلك أن امرأة من المسلمين قدمت بجلب لها (بضاعة) فباعته بسوق بنى قَيْنَقَاع . وجلست إلى صائغ لتشتري حلية منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبى . فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فحqqه إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها (عورتها) وجسدها فضحكوا بها . فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا . فشددت اليهود على الرجل المسلم فقتلوه . فاستصرخ أهل الرجل المسلمين على اليهود . فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قَيْنَقَاع⁽⁸⁰⁾ وحاصروهم الرسول حتى نزلوا على حكمه بالقتل فيهم لأنهم بذلك نقضوا عهدهم مع النبي (ﷺ) وآذوا المسلمين وقام عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين حين أمكن رسوله منهم وقال :

- يا محمد . أحسن في موالي (وكانوا حلفاء الخزرج) .

فأبطأ الرسول (ﷺ) عليه في الإجابة . فقال ابن سلول مرة أخرى :

- يا محمد أحسن في موالي .

فأعرض عنه رسول الله (ﷺ) . فأدخل ابن سلول يده في جيب درع

رسول الله (ﷺ) فقال له النبي (ﷺ) :

-أرسلني (أى اتركني) .

وغضب النبي (ﷺ) حتى رأوا لوجهه ظللا . وقال لابن سلول :

-ويحك . أرسلنى .

قال ابن سلول :

- لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي . أربع مائة حاسر . وثلاث مائة دارع (مسلح) قد منعوني من الأحمر والأسمر (أي كانوا يحمونهم من أعدائه) تحصدهم في غداة واحدة . إني والله أخشى الدوائر (أي عاقبة ذلك) .

فقال له الرسول (ﷺ) :

- هم لك (81).

وكان عبد الله بن أبي ابن سلول لا يزال صاحب شأن في قومه . وكان في حقيقة الأمر منافقا يوالى اليهود . وقبل النبي (ﷺ) شفاعته في بنى قينقاع على أن يجلوا عن المدينة (أي النفي بدلاً من القتل) وأن يأخذوا أموالهم ومتاعهم إلا السلاح . ورحلوا إلى الشام (أُذْرُعَات) . ونزلت فيهم الآية الكريمة :

*كمثل الذين من قبلهم قريباً (المشركين في بدر) ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (82).

وتخلص المسلمون بذلك من طائفة يهودية ذات قوة عظيمة وشر ومكيدة .



غزوة بنى النضير

وقد وقعت فى السنة الرابعة من الهجرة بعد غزوة أحد وقبل غزوة الأحزاب . ذهب رسول الله (ﷺ) إلى حى بنى النضير مع عشرة من كبار أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم جميعاً يطلب منهم المشاركة فى أداء دية قَتِيلَيْن قَتْلًا خطأ من قبيلة بنى عامر حليفة بنى النضير بحكم ماكان بينه وبينهم من عهد يستوجب ذلك . فاستقبله يهود بنى النضير بالبشر والترحاب ووعدوا بأداء ما عليهم . وقالوا له (83) :

- نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا :

- إنكم لن تجدوا الرجل (يقصدون النبى (ﷺ) على مثل حاله هذه . فمَنْ رجلٌ يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟

وكان النبى (ﷺ) جالساً إلى جدار من بيوتهم . وانتدبوا لتنفيذ تلك المؤامرة رجل منهم يدعى عمرو بن جحاش بن كعب فقال لهم :

- أنا لذلك .

فصعد ذلك اليهودي ليلقى عليه صخرة كما قال . فألهم النبى (ﷺ) من الله تعالى ما يبيته اليهود من غدر . فقام كأنما ليقضى أمراً . فلما غاب استبطأه من معه من الصحابة فخرجوا من المكان يسألون عن النبى (ﷺ)

فعلموا أنه دخل المدينة . فلما بلغوه أمرهم بالتهيو للحرب ضد بنى النضير
لظهور الخيانة منهم ونقض عهد الأمانة الذي بينه وبينهم . وكان قد سبق هذه
المؤامرة إقذاع كعب ابن الأشرف النضري (اليهودي) في هجاء رسول الله
(ﷺ) وتأليب الأعداء عليه . وما قيل من أن اتصال كعب ورهط (جماعة)
من بنى النضير بقريش اتصال تأمر وتحالف وكيد ضد النبي (ﷺ) رغم
سريان العهد بين النبي وبين بنى النضير مما جعل النبي (ﷺ) يأذن لمحمد
بن مسلمة في قتل كعب ابن الأشرف فقتله . فلما كانت نية الغدر مبيتة
برسول الله (ﷺ) وهو في مَحِلَّة (ساحة أو حي) بنى النضير لم يبق مفر من
نبد عهدهم (المسلمين) إليهم (اليهود) كما أعلمهم الله بذلك في قوله تعالى:

* وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم (تحرر من عهدك معهم) على
سواء إن الله لا يحب الخائنين⁽⁸⁴⁾.

تجهز النبي (ﷺ) وحاصر مَحِلَّة بنى النضير وأمهلهم ثلاثة أيام -
وقيل عشرة أيام وقيل خمس عشرة ليلة⁽⁸⁵⁾ - ليفارقوا جواره ويجلوا عن
المَحِلَّة على أن يأخذوا أموالهم ويقيموا وكلاء عنهم على بسايتهم ومزارعهم .
ولكن المنافقين في المدينة وعلى رأسهم عبد الله ابن أبي سلول أرسلوا
إليهم يحرضونهم على الرفض والمقاومة :

- اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم . إن قوتلتم قاتلنا معكم . وإن أخرجتم
خرجنا معكم .

فتحصن اليهود في الحصون التي أعدها من قبل - كعادتهم - فأمر
النبي (ﷺ) بقطع نخيلهم والتحريق فيها . فنادوه برجاء فيه غطرسة :

شئ قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . واتقوا الله إن الله شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصادقون * والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم (الأنصار) يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة (حزاة) مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (احتياج) ومن يوق شح نفسه (بخلها) فأولئك هم المفلحون * والذين جاءوا من بعدهم (التابعين) يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا . ربنا إنك رؤوف رحيم * ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود) لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً . وإن قوتلتهم لننصرنكم . والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار (قبلهم) ثم لا ينصرون * لأنتم (المسلمين) أشد رهبة في صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون * لا يقاتلونكم (اليهود) جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر (حصون) . بأسهم بينهم شديد . تحسبهم جميعا (يد واحدة عليكم) وقلوبهم شتى (متفرقة) ذلك بأنهم قوم لا يعقلون * كمثل الذين من قبلهم قريبا (يهود بنى قينقاع ومشركي العرب في بدر) ذاقوا وبال أمرهم (عاقبة كفرهم) ولهم عذاب أليم⁽⁹⁰⁾.

ونلاحظ في حالة غزوة بنى النضير لم توزع الغنائم كما في حالة بدر :

*واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل⁽⁹¹⁾.

لأن في غزوة بدر كان هناك برّحال وركوب خيل وجمال وقتال وعناء
ومشقة أما في حالة غزوة بنى النضير فلم يكن الأمر كذلك حيث قذف الله
تعالى في قلوبهم الرعب فطلبوا الجلاء الذي كتبه الله عليهم . ولذا فقد وزع
وقسم الرسول الفداء الذي أفاءه الله جل وعلا على المؤمنين واختص به
المهاجرين دون الأنصار الذين آثروهم على أنفسهم من قبل في بداية الهجرة -
حيث أشركوهم في تجارتهم وبيوتهم وزوجوهم منهم - بل وعرضوا استمرار
مشاركة المهاجرين لهم في ديارهم وأموالهم كما كان الوضع قبل غزوة بنى
النضير . وكان أمر الله في توزيع الفداء هو ما قام به الرسول الكريم (ﷺ)
دون حزازة أو حسد من الأنصار . اللهم ما حدث من بعض المنافقين من
تذمر مقصود به شق الصف المسلم .



غزوة بنى قريظة

كان نفر من اليهود من سلام ابن أبى الحقيق وحَيّ ابن أخطب وكنانة بن أبى الحقيق وهودّة بن قيس وأبو عمار فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل . وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله (ﷺ) (فى سنة خمس من الهجرة) وقالوا لهم⁽⁹²⁾ :

- إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

قالت لهم قريش :

- يا معشر يهود . إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه .

قالت لهم اليهود :

- بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه .

فسرت قريش من ذلك ونشطوا لدعوة اليهود لمحاربة الرسول (ﷺ) .

وخرج بعد ذلك أولئك نفر من اليهود حتى جاءوا غطفان - من قيس عيلان - ودعواهم إلى حرب الرسول (ﷺ) وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشاً تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه . فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب (ولم يكن قد أسلم بعد) وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن فى بنى فزارة والحارث بن عوف من بنى مرة ومسعر بن ربيعة فيمن تابعه من قومه من قبيلة أشجع . فلما سمع بهم رسول الله (ﷺ) وما جمعوا لهم من الأمر ضرب الخندق حول المدينة المنورة فعمل فى الخندق رسول

الله (ﷺ) وعمل معه المسلمون فيه بدأب وجد وأبطأ عن رسول الله (ﷺ) وعن المسلمين في ذلك العمل رجال من المنافقين . وحين فرغ النبي (ﷺ) ومعه المسلمون من حفر الخندق حول المدينة أقبلت قريش في عشرة آلاف من الجنود . ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة . وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد . وخرج الرسول (ﷺ) في ثلاثة آلاف من المسلمين وجعل الخندق بينه وبين الأحزاب الذين تحزبوا وتجمعوا بغية الخلاص والقضاء على الجماعة المسلمة وخرج عدو الله حُيَي بن أخطب (زعيم بنى النضير) حتى أتى كعب بن أسد (زعيم بنى قريظة) وكان كعب قد وادع النبي (ﷺ) وعاهده على عدم الغدر به أو خيانته . ولكن حُيَي بن أخطب ظل يراود كعب حتى استماله إلى جانب الأحزاب لبضع وعشرين ليلة لم تكن بينهم وبين المسلمين حرب إلا الرمي بالنبال والحصار . فلما اشتد على الناس البلاء بعث النبي (ﷺ) إلى عِيْنَةَ بن حصن وإلى الحارث ابن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى الصلح عن ذلك كلاما وعندما كتبوه في صحيفة وأشار الرسول (ﷺ) على سعد بن معاذ (سيد الأوس) وسعد بن عباد (سيد الخزرج) بما انتواه رفضا التنازل عن ثمار المدينة لتلك القبائل المشركة وقالوا :

- والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فناول الرسول (ﷺ) الصحيفة لسعد بن معاذ فمحا ما فيها من الكتاب . وقيض الله نعيم بن مسعود بن عامر (من غطفان) ليسلم بين يدي رسول الله (ﷺ) ويعرض خدماته على النبي . فقام ببث الشك بين اليهود وبين الأحزاب ويوقع بينهم - دون أن يعرفوا بإسلامه - ويفسد الثقة بينهم حتى أوجس كل

طرف من الآخر الخيفة والظنون . وسلط الله أحد جنوده (الرياح) فى ليلة شتائية شديدة البرودة فجعلت تكفاً قدورهم وتطرح أنيتهم⁽⁹³⁾ :

*يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها⁽⁹⁴⁾ .

فجعلت تكفاً قدورهم وتطرح خيامهم ونثير الزوابع وسط الخيل والجمال فتفرع وتهرب منهم وتطفئ نارهم حتى قام أبو سفيان بن حرب قائلاً فى القوم :

-يا معشر قريش . إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام . لقد هلك الكراع والخف (الخيل والجمال) وأخلفتنا بنو قريظة . وبلغنا عنهم الذي نكره⁽⁹⁵⁾ (نقضهم لتحالفهم وعهودهم معهم) ولقينا من شدة الريح ماترون . ما تطمئن لنا قدر . ولا تقوم لنا نار . ولا يستمسك لنا بناء (خيام)⁽⁹⁶⁾ فارتحلوا فإني مرتحل⁽⁹⁷⁾ .

وقال تعالى فى ذلك :

*ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قوياً عزيزاً⁽⁹⁸⁾ .

وارتحل الأحزاب إلى حيث أتوا و انتهت أيام الخوف والترقب وانتظار النصر بالمسلمين . وسرعان ما توجه النبي (ﷺ) والمسلمون معه إلى بنى قريظة لاستئصال شأفتهم لما بدر منهم أثناء غزوة الأحزاب (الخنق) حيث نقضوا عهودهم مع النبي (ﷺ) وتحزبوا مع المشركين والمنافقين ضد الجماعة المسلمة . وكان نقض العهد من بنى قريظة أشد وطأة على المسلمين من حصار الأحزاب خارج المدينة المنورة حول الخندق .

وحينما أرسل النبي (ﷺ) وفداً منه لبني قريظة ليوقف على الحقيقة قالوا للوفد (سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم) (99) :

-من يكون رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد .
وحين أبلغ الوفد رسول الله (ﷺ) بما حدث قال لهم النبي (ﷺ) :
-الله أكبر . أبشروا يا معشر المسلمين .

وذلك تثبيتاً منه للمسلمين من وقع الخبر السيئ أن يشيع في صفوف المسلمين فتتأرجح قواهم المعنوية . ولما أيد الله تعالى نبيه بالنصر ورد أعداءه بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ورجع المسلمون إلى داخل المدينة مهللين ومكبرين (لا إله إلا الله وحده . نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده) وبعد أن وضعوا أسلحتهم جاء الروح الأمين جبريل (عليه السلام) بالأمر الإلهي للنبي (ﷺ) :

- إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة .

وكانت على بعد أميال من المدينة . فسار الركب المبارك إلى دار بني قريظة متعجلاً المسير لبلوغ الهدف ولتنفيذ الأمر الإلهي . ولما وصل اليهود الخبر تحصنوا في حصونهم وأغلقوا أسوارهم وطال الحصار لخمس وعشرين ليلة⁽¹⁰⁰⁾ حتى جاهدتهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب . فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ (زعيم الأوس) لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية . واعتقدوا أنه سوف يحسن إليهم كما فعل عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق في مواليه بني قينقاع حتى استطلقهم من رسول الله (ﷺ) وأجلاهم عن المدينة . ولم يعلموا أن سعداً (رضي الله عنه) كان قد أصابه سهم في

أَكْثَلَهُ أَيَّامَ الْخَنْدَقِ⁽¹⁰¹⁾ (وَهُوَ عَرَقٌ رَئِيسِي لَا يَبْرَأُ مِنْهُ الْمَصَابُ إِذَا قُطِعَ) فَكَوَاهِ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي أَكْثَلِهِ وَأَنْزَلَهُ فِي قُبَّةٍ فِي الْمَسْجِدِ لِيُزَوِّدَهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ . وَلَكِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) انْطَلَقَ مِنَ الْخَنْدَقِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ . وَكَانَ سَعْدٌ قَدْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَسْتَبْقِيَهُ حَيًّا لَتَقَرَّ عَيْنُهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذِينَ خَانُوا الرُّسُولَ وَخَانُوا اللَّهَ بِمَوَالِيهِمْ لِلْأَحْزَابِ ضِدَّ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ رَغْمَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَاقِفٍ .

وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْزِلَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى الْحُكْمِ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ بِاخْتِيَارِهِمْ . طَلَبَا مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ وَبِتَدْبِيرِ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ . وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ يَسْتَدْعِيهِ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ الرِّكْبَ جَعَلَ الْأَوْسُ يَلُودُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ لَهُ⁽¹⁰²⁾ :

يَا سَعْدُ إِنَّهُمْ مُوَالِيكَ . فَأَحْسَنَ عَلَيْهِمْ .
يَرْقُقُونَهُ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَغْفِفُونَهُ وَهُوَ صَامِتٌ لَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ
قَالَ لَهُمْ :

-لَقَدْ آتَى سَعْدٌ أَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ .
فَلَمَّا دَنَا سَعْدٌ مِنَ الْخِيْمَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) :
-قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ .

فَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فَأَنْزَلُوهُ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا فِي مَحَلٍّ وَلَا يَتَهُ . فَلَمَّا
جَلَسَ قَالَ لَهُ الرُّسُولُ (ﷺ) :

-إِنْ هَؤُلَاءِ (وَأَشَارَ إِلَى الْيَهُودِ) قَدْ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ . فَاحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا
شِئْتَ .

فقال سعد رضى الله عنه :

-وحكمي نافذ عليهم (يقصد بنى قريظة) ؟

قال له النبي (ﷺ) : نعم

قال سعد مستدركاً :

-وعلى من في هذه الخيمة (يقصد المسلمين)؟

قال النبي (ﷺ):نعم

قال سعد وهو يشير إلى الجانب الذي فيه النبي (ﷺ) وهو معرض

بوجهه عن الرسول (ﷺ) إجلال وإكراما وتعظيما:

-وعلى من هاهنا .

قال له النبي (ﷺ) : نعم

فأجرى الله جل شأنه على لسانه الحكم قائلا :

- إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم (كل من يستطيع حمل السلاح) وتسبي ذريتهم
وأموالهم (تنفى النساء والأطفال والشيوخ ويغنم المسلمون أموالهم) .

فقال له الرسول (ﷺ) :

- لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة (سماوات).

ثم أمر النبي (ﷺ) بحفر أخاديد في الأرض (خنادق طويلة) وجرىء
باليهود مكثفين بالحبال والقيود ووضعوا في تلك الأخاديد وضربت أعناقهم
وكان عددهم يتراوح بين السبع مائة والثمان مائة . وسبي من لم يبلغ (الغير
قادر على حمل السلاح) مع النساء والأموال وكان ممن نفذ فيهم الحكم حبي
ابن أخطب وكان قد دخل معهم في حصنهم كما عاهدتهم من قبل .

ومنذ ذلك اليوم ذلت اليهود وضعفت حركة النفاق فى المدينة لأنهم فقدوا مواليتهم . وتبع ذلك أن المشركين لم يعودوا يفكرون فى غزو المسلمين بل أصبح المسلمون هم الذين يغزونهم حتى كان فتح مكة والطائف . وكان طرد اليهود وإجلائهم عن المدينة نهاية عهد وبداية عهد جديد فى الدعوة الإسلامية .

وقد يقول قائل لماذا كان تقتيل اليهود وضرب أعناقهم بعد استسلامهم ونزولهم على حكم سعد بن معاذ ؟ ألم يكن من الرحمة إجلاؤهم عن المدينة وكفى وأخذ أسلابهم وأموالهم عوضاً عما فعلوه (بمولاة الأحزاب) كما سبق وجرى ذلك ليهود بنى قينقاع وبنى النضير ؟ .

وعن ذلك نقول . ماذا لو أن الأحزاب قد تمكنوا من هزيمة المسلمين بمعاونة اليهود كما كانوا يخططون ؟ . ما هو مصير زعماء المسلمين وعلى رأسهم النبى (ﷺ) هل كان يهود بنى قريظة - أو غيرهم من الأحزاب - سيرحمونهم ويطلقون سراحهم ويجلونهم خارج المدينة وكفى أم أن التقتيل والذبح وضرب الأعناق كان هو الذي سيحدث ؟

إن ما فعله يهود بنى قريظة وقت العمليات الحربية هو بمثابة خيانة عظمى وقت الحرب ليس لها عقاب إلا الإعدام فى ميدان القتال كما يحدث الآن فى العصور الحديثة . حيث يتم إعدام الخونة والجواسيس برميهم بالرصاص دون أن تأخذ القادة شفقة أو رحمة بهؤلاء . بل إنه فى أوقات السلم يتم إعدام الجواسيس دون هوادة رداً لمن تسول له نفسه خيانة الوطن . وقبل هذا وذاك فإن ما حدث برمته من إنطاق سعد بن معاذ بالحكم الذى أَراده الله هو ما جاء به الوحي (جبريل):

* وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب (بنى قريظة) من صياصِيهم
(حصونهم) وقذف فى قلوبهم الرعب . فريقتا تَقْتَلُونَ وتأسرون فريقتا
* وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها . وكان الله على كل
شئ قديرأ (103) .



غزوة خيبر

لم يقم النبي (ﷺ) بالمدينة بعد عودته من الحُدَيْبِيَّة (حيث صلح وهدنة الحُدَيْبِيَّة مع أهل مكة سنة سبع هجرية) إلا خمس عشر ليلة أو شهر على قول آخر⁽¹⁰⁴⁾ ثم أمر الناس بالتجهيز لغزو خيبر على ألا يغزو معه إلا من شهد الحُدَيْبِيَّة إلا أن يكون غازيا متطوعا ليس له من الغنيمة - بإذن الله - شيء. وانطلق المسلمون في ألف وستمئة ومعهم مائة فارس وكلهم واثق بنصر الله . قطعوا مراحل الطريق ما بين خيبر والمدينة في ثلاثة أيام ما أحست بهم يهود خيبر حتى باتوا أمام حصونها . وأصبح الصباح وغدا عمال خيبر خارجين إلى مزارعهم فلما رأوا جيش المسلمين ولّوا الأدبار يتصايحون :

-هذا محمد والجيش معه .

وقال الرسول (ﷺ) حين سمع قولهم :

-خربت خيبر . إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وكان يهود خيبر يتوقعون بأن يغزوهم النبي (ﷺ) ولذا فقد نصح بعضهم أن يبادروا إلى تأليف تجمّع منهم يجمعهم ويهود وادي القرى وتيماء لغزو المسلمين في يثرب (المدينة) دون أن يعتمدوا في ذلك على بطون العرب والمشركين . وبعضا من اليهود ارتأى أن يدخلوا في حلف مع رسول الله (ﷺ) لعل ذلك يمحو ما ثبت من كراهيتهم في نفوس المسلمين والأنصار منهم خاصة بعد اشتراك حَيِّي بن أخطب (زعيم بني النضير) وجماعة من

اليهود معه فى تأليب العرب لاقتحام المدينة وأخذها عنوة فى غزوة الأحزاب (الخندق) وكانت اليهود على اتصال دائم بغطفان لموالاتهم.

وكانت موقعة خيبر من أكبر المواقع حيث كانت جموع اليهود المتمركزة فى خيبر من أقوى الطوائف الإسرائيلية بأسا وأوفرها مالا وأكثرها سلاحا . كما أن اليهود كانت لهم حصون منيعة فوق الصخور والجبال . وقف المسلمون أمام حصون خيبر متأهبين كاملي العدة . وأشار زعيم اليهود سلام بن مشكَم عليهم بدخول النساء والأطفال ومعهم الصبيان حصني (الوطيح والسالم) . والذخائر وضعوها فى حصن (ناعم) والمقاتلة وأهل الحرب دخلت حصن (نطاة) ودخل سلام معهم يحرضهم على الحرب . ودارت معارك شديدة حول حصن نطاة قُتل فيها سلام بن مشكَم زعيمهم فتولى القيادة الحارث بن أبى زينب . وخرج من الحصن يريد منازل المسلمين فدحره بنو الخزرج واضطروه للارتداد داخل الحصن . ضيق المسلمون الحصار على الحصون واليهود يستमितون فى الدفاع . وبعث الرسول (ﷺ) أبا بكر إلى حصن (ناعم) كي يفتح مقاتل ورجع دون أن يفتح الحصن . وبعث النبي (ﷺ) عمر بن الخطاب فى الغداة فكان كحظ أبى بكر . فانتدب النبي (ﷺ) علياً بن أبى طالب ودعا له وطالب منه عدم العودة حتى يفتح الله عليه . فلما دنا من الحصن خرج إليه اليهود فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل قائدهم الحارث بن أبى زينب وفتح الحصن بإذن الله . وتحول المسلمون إلى حصن (القموص) ففتحوه ومن بعده تم لهم فتح حصن (الصعب بن معاذ) حيث وجدوا فيه طعاماً كثيراً أفادهم فى متابعة القتال وحصار اليهود فى باقى حصونهم .

وفتحو حصن (الزبير) بعد قتال عنيف وحصار متواصل . ولما قطعوا الماء عن الحصن اضطر اليهود إلى الخروج من الحصن لمقاتلة المسلمين الذين شدوا عليهم حتى اضطروهم للفرار إلى حصن (أبي) و (البريء) ووقعت الحصون وفتحت واحداً بعد الآخر حتى لم يتبق سوى حصني (الوطيح والسالم) بمنطقة الكتيبة وكانا آخر حصنين منيعين لليهود . وباستمرار الحصار والقتال استولى اليأس على نفوس اليهود وطلبوا الصلح بعد ما غنم النبي (ﷺ) وأصحابه أموالهم الموجودة في حصون (الشق ونطاة والكتيبة) وطلبوا الصلح على أن يحقن النبي (ﷺ) دماءهم . وقبل الرسول الصلح وأبقاهم على أرضهم التي آلت له بحكم الفتح على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم .

ونلاحظ أن النبي (ﷺ) عامل يهود خيبر بغير ما عامل به بنى قينقاع وبنى النضير حين أجلاهم عن أرضهم . وبغير ما عامل به يهود بنى قريظة حين أعدم مقاتليهم لأنه آمن بسقوط خيبر وانهزامهم بأس اليهود وأنه لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك أبداً . كما أن بخيبر من الحقائق والمزارع والنخيل ما يحتاج إلى الأيدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام على زراعته ولما كان النبي (ﷺ) في حاجة إلى جيوشه للغزوات وللفتوحات (ومنها فتح مكة التي وعدّها الله إياه بعد الحديبية) فقد أثر الصلح مع ما تبقى من يهود خيبر الذين انكسروا واندحرت فلولهم وانكسرت شوكتهم . وبعث النبي (ﷺ) إلى أهل فدك من اليهود ليسلموا ويؤمنوا برسالته أو ليسلموا أموالهم . فتصالحوا على نصف أموالهم من غير قتال .

وكانت فدك خالصة للنبي (ﷺ) لأن المسلمين لم يقاتلوا فيها ولم يجلبوا عليها بخيل ولا جمال . أما غنائم خيبر فكانت للمسلمين لأنهم حاربوا وقاتلوا لاستخلاصها . وتجهز النبي (ﷺ) بعد ذلك للعودة إلى المدينة المنورة عن طريق (وادي القرى) فتجهز يهودها للقتال ولكنهم اضطروا إلى الإذعان والصلح كما فعلت خيبر . أما يهود (تيماء) فقبلوا الجزية من غير حرب ولا قتال .

وبذلك دالت شوكة اليهود ودانت كلها لسلطان النبي (ﷺ) والمسلمين . وانتهى ما كان لهم من قوة وبأس وسلطان ونفوذ في الجزيرة العربية وأصبحت الحدود الشمالية جهة الشام آمنة للمسلمين . ولم يفرض النبي (ﷺ) الجزية على يهود (البحرين) وإن ظلوا متمسكين بدين آبائهم . وصالح (بنى غازية) و (بنى عريض) على أن لهم الذمة وعليهم الجزية⁽¹⁰⁵⁾ . ودان اليهود في شتى الأنحاء لسلطان المسلمين وتضعضع وضعف مركزهم في بلاد العرب حتى اضطروا إلى الهجرة منها بعد أن كانوا بها أعزة .

وقد كان لواقعة وفعة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم زعيم اليهود الذي قُتل في غزوة خيبر أثراً في نفوس المسلمين حين أهدت النبي (ﷺ) شاةً مسمومة وبررت فعلتها بقولها :

-إن كان ملكا (من ملوك الأرض) استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر⁽¹⁰⁶⁾ .

(وفي قول آخر قالت زينب : إن كان كذابا استرحت منه وإن كان نبيا فسيخبر)⁽¹⁰⁷⁾ وأوحى إلى النبي (ﷺ) أن الشاة مسمومة فلم يطعمها .

وكانت تلك الفعلة سببا فى عدم ثقة المسلمين باليهود مهما حدث من معاهدات أو موثيق (حدث فى عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب أن أخرج يهود خيبر وفدك إلى الشام ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز ومن وراء ذلك من الشام) . وكان عمر قد بلغه أن النبی (ﷺ) قال فى مرضه الذي قبض فيه :

* لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان (108).

وكما سبق وبيننا كانت (فدك) بكاملها للرسول (ﷺ) خالصة وخاصة وكان يعزل منها نفقة أهله لعام ثم يجعل ما بقى يصرفه فى مصالح المسلمين والكراع (الخيل) والسلاح. فلما مات (ﷺ) اعتقدت فاطمة وأزواج النبي (ﷺ) - أو أكثرهن - أن هذه الأرض تكون موروثة عنه . ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله :

* نحن معشر الأنبياء لا نورث . ما تركناه فهو صدقة (109).

وذكرهم أبو بكر حين ولى الخلافة بذلك الحديث وقال لهم :

-أنا أعمل من كان يعمل رسول الله (ﷺ) والله لقراية رسول الله (ﷺ) أحب إلى أن أصل من قرابتى .

وكان رضى الله عنه فى ذلك منفذاً لما قاله النبي (ﷺ) ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله (ﷺ) وألا يخرج من مسلكه ولا عن سننه (110) .

وكان من السبايا في تلك الغزوة المظفرة (صفية بنت حيي بن أخطب)
زعيم بنى النضير (وكانت قد رحلت مع قومها من المدينة بعد غزوة بنى
النضير) وكانت زوجا لكنانة بن الربيع الذي قُتل في غزوة خيبر حين أنكر
معرفته بكنوز وأموال يهود خيبر حين سأله النبي (ﷺ) عنها . وقال له :
-إن وجدناها عندك أفنالك ؟

قال : نعم . وأقسم على عدم معرفته مكان الكنز .
وبعد البحث والتفتيش وجد الكنز بحوزته وكان يخفيه في خربة
(خرابة) ولما حفروها وجدوا الكنز بها⁽¹¹¹⁾ :

وإكراماً وإعزازاً لصفية ولمكانتها بين قومها أعتقها النبي (ﷺ) بعدما
أعلنت إسلامها . وصدق إيمانها واتخذها النبي (ﷺ) زوجاً له وأصبحت أمّاً
للمؤمنين . وكانت وفية له طوال حياته وبعد وفاته (ﷺ) . وكان نسبها يعود
إلى نبي الله (هارون بن عمران) أخي موسى (عليه السلام) وأمها برة بنت
سموئل⁽¹¹²⁾ . وكانت صفية قد تزوجت مرتين قبل خراب خيبر . تزوجت
أولاً من فارس قومها وشاعرها (سلام بن مشكم) ثم خلف عليها (كنانة بن
الربيع بن أبي الحقيق) صاحب حصن (القموص) أعز حصن في خيبر⁽¹¹³⁾ .

وعاد المسلمون آمنين بالمدينة المنورة ناعمين بفضل الله ورضوانه .
وعاد جعفر بن أبي طالب والمسلمون معه من الحبشة بالهدايا من (النجاشي)
ملك الحبشة وعادت معه (أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان بعد أن مات
زوجها عبد الله بن جحش الذي ذهب إلى الحبشة مسلماً وتتصر ومات على
ذلك .

« وقد يتناول مغرض ومجادل فيقول :

كيف يتأتى للنبي (ﷺ) أن يتزوج بابنة من قتل أبيها وهو الذي خان المسلمين وتآمر عليهم مع الأحزاب ويهود بنى قُرَيْظَةَ . أما كان على النبي (ﷺ) أن ينأى بنفسه عن ذلك وعن مصاهرة اليهود . أعداءه الألداء ؟ ألا يخشى غدر صفيّة؟ ورداً على ذلك نقول :

أخبرنا النبي (ﷺ) أن :

*الإسلام يجبُ ما قبله والتوبة تجبُ ما قبلها⁽¹¹⁵⁾ (أى تمحو ما قبلها) .

*ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى⁽¹¹⁶⁾ .

*قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفرَ لهم ما قد سَلَفَ⁽¹¹⁷⁾ .

وصفيّة (رضى الله عنها) لم تكن كافرة وإنما كانت من أهل الكتاب (يهودية قبل إسلامها) وهى كشأن أهل الكتاب تحل للمسلم أن يتزوجها وهى على دينها دون حرج كما شرع الله ذلك وبينه فى كتابه العزيز :

*اليوم أُحلُّ لكم الطيبات . وطعام الذين أوتوا الكتاب حلُّ لكم وطعامكم حلُّ لهم . والمحصنات من المؤمنات (المسلمات العفيفات) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (اليهود والنصارى) من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن (مهورهن) محصنين غير مسافحين (غير زناة) ولا متخذي أخدان (خليات) ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين⁽¹¹⁸⁾ .

وإسلام صفة الذي أعلنه بين يدي رسول الله (ﷺ) يجب عنها ما قد سلف ومضى . وكانت في حكم السبايا والجواري . ولكن بإعلان إسلامها فقد أصبحت من الحرائر فأعتقها النبي (ﷺ) وتزوجها . وكانت صفة من أشرف قومها فهي ابنة سيد بنى النضير (حُيَّ بن أخطب) واختيار النبي (ﷺ) لها زوجاً لنفسه وأماً للمؤمنين ليس وليد هوئاً أو متعة جسدية يسعى إليها . بل شأنها كشأن أزواج النبي (ﷺ) أمهات المؤمنين يتزوجهن الرسول (ﷺ) بوحي من الله ولحكمة ولتسريع . أما البحث عن متع الدنيا فلم يكن وارداً في فكر النبي (ﷺ) إطلاقاً حيث كان جل هم النبي (ﷺ) في حياته تبليغ دعوة الله جل شأنه إلى البشر أجمعين وتعليم شريعته لمن آمن به واهتدى برسالته (ﷺ):

* إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها . أو امرأة ينكحها (يتزوجها) فهجرته إلى ما هاجر إليه⁽¹¹⁹⁾ .

والنبي (ﷺ) هو الذي يوجهنا ويرشدنا ويعلمنا . فكيف يتجرأ قائل ويتهمه (ﷺ) بما يعن له من تطاول وتجاوز النبي منه براء . والنبي (ﷺ) هو إمام المتقين وهو الأسوة الحسنة وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف ولا يسعى إلى متاع الدنيا الزائل ولا إلى متعها وزينتها . فقد كان (ﷺ) كما وصفته عائشة:

* كان خلقه القرآن . وكان قرآناً يمشي على الأرض⁽¹²⁰⁾.

وكان النبي (ﷺ) منفذاً لأوامر ربه على نفسه أولاً قبل أن يطالب بها المسلمون . ومع إسلام صفية (رضى الله عنها) تكون صلتها بالماضي قد قطعت وانتهت. وأصبحت أمّاً للمؤمنين مع أزواج رسول الله (ﷺ) وقد امتدحهن الله جل شأنه في كتابه الكريم وكرمهن بالانتساب للنبي المعصوم (ﷺ) وشرّفهن ببيت النبوة :

* النبي أول بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم . وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا . كان ذلك في الكتاب مسطوراً⁽¹²¹⁾ .

* يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن ⁽¹²²⁾.

ويقول الله جل شأنه رافعا الحرج عن النبي (ﷺ) فيما شرعه له ويفرضه :

* ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له . سنة الله في الذين خلوا من قبل (من الرسل) وكان أمر الله قدراً مقدوراً⁽¹²³⁾ .

* يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن (مهورهن) وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك (من السبايا) وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك (إلى المدينة) وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستكحها (يتزوجها) خالصة لك من دون المؤمنين . قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم لكيلا يكون عليك حرج . وكان الله غفوراً رحيمًا ⁽¹²⁴⁾.

بعد انتهاء غزوة خيبر ورجوع جعفر بن أبي طالب من الحبشة محملاً بالهدايا من نجاشي الحبشة اغتبط النبي (ﷺ) وسر سروراً عظيماً لنعم الله عليه ونصره المبين وظل متشوقاً هو وأصحابه لأداء العمرة في العام التالي بعدما أُحصِرُوا (منعوا) من أدائها ذلك العام حيث تم توقيع معاهدة و صلح الحديبية مع أهل مكة ومن ضمن بنودها رجوع المسلمين دون أداء العمرة لعامهم على أن يأتوا في العام التالي دون سلاح لتأديتها . وراجت خرافات وأباطيل عن تلك الآونة من أن النبي (ﷺ) قد أصابه مساً من السحر بفعل (أُبيد) حيث ادعى المتخرسون أنه (ﷺ) كان يفعل الشيء دون وعى أو أنه لا يفعل الشيء ويحسب أنه قد فعله بسبب السحر الذي أصابه (افتراء وكذبا) . وكل تلك الهرطقات والخرافات ما هي إلا تخرصات وافتراءات روج لها المنافقون والمشركون والأعداء بغرض التشكيك في صدق مبلغ الرسالة (ﷺ) ووعيه لما يبلغه عن الله . وقد رد الله جل شأنه على كل ذلك ووصم من ادعى حدوث تلك الادعاءات بأنه ظالم لنفسه وعقله فضل بذلك الفكر المنحرف :

*والله يعصمك (يمنعك ويحميك) من الناس . إن الله لا يهدي القوم الكافرين (125) .

*وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً (126) .

*نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً *انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً (127) .

أى أن كل، من ادعى ذلك فهو ظالم لأن الله يعصم نبيه (ﷺ) ويحميه من
شرار الناس وشرورهم ويمنع عنه كيد الكائدين حتى يتم الله نوره ورسالته
ولو كره الكافرون. ولو كره المشركون .



وبعد تلك السلسلة الظافرة من الانتصارات على اليهود بواسطة عباد الله المخلصين والمؤمنين والموحدين وعلى رأسهم رسول الله (ﷺ) (عباداً لنا أولي بأس شديد) إيمانهم لا يتزعزع وعزمهم لا يلين ولا يفتر حماسهم . وصدقهم وإخلاصهم لدين الله الحنيف مشهود به . فإنهم قد جاسوا خلال ديار الكفر والبهتان والتآمر والكيد والتربص . دياراً أضحت مستباحة للمسلمين يفعلون بها ما يشاءون ويبيغون . بفضل الله الذي نصرهم على أعدائهم نصراً مؤزراً بالرعب الذي أنزله في قلوب أعدائهم وبجنده التي لا تقهر :

يقول النبي (ﷺ) :

* أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي . نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً . وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل . وأحللت لى الغنائم . وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة . وأعطيت الشفاعة (128) .

* وقذف فى قلوبهم الرعب . فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً (129)

فيلقى الله سبحانه الرعب في قلب أعدائه وأعداء الدين . وكان نصر الله لعباده المؤمنين المخلصين مؤزراً . وكان وعده سبحانه (مفعولا) فلا راد لقضائه وحكمه وأمره جل شأنه حتى يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون . ولو كره المشركون . وانتهى علو بنى إسرائيل وإفسادهم الأول في شتى أرجاء الجزيرة العربية . وسكنوا بعد إجلائهم بعيداً فى الشام ينتظرون موعدهم الثانى والأخير مع الله الذى قضى بذلك وكان أمره مفعولا . ومعلوم أن عمر بن الخطاب قد استكمل إجلائهم من الأرض المقدسة بفلسطين مع الفتح الإسلامى :

*وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً
كبيرا * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا
خلال الديار . وكان وعداً مفعولاً (130) .



الهوامش

- ¹ (سِفَرِ إِشْعِيَاءَ : 42 : 10 - 12
- ² (سِفَرِ إِشْعِيَاءَ : 42 : 17
- ³ (سِفَرِ التَّنْثِيَةِ : 33 : 2،1
- ⁴ (تفسير القرآن الكريم للقاسمي : والمسمى (بمحاسن التأويل) للعلامة
(محمد جمال الدين القاسمي) . المجلد (7) ص 93 .
إنجيل برنابا : المقدمة (للشيخ محمد رشيد رضا) ص 20 .
- ⁵ (إنجيل يوحنا : 14 : 26 ، 28 ، 29 ، 30
- ⁶ (إنجيل يوحنا : 15 : 26 ، 27 .
- ⁷ (إنجيل يوحنا : 16 : 7 - 15 .
- ⁸ (سورة الأنبياء : 107 .
- ⁹ (سورة سبأ : 28 .
- ¹⁰ (سورة إبراهيم : 4 .
- ¹¹ (سورة الشعراء : 192 - 199
- ¹² (سورة فصلت : 44
- ¹³ (سورة الزمر : 28 .
- ¹⁴ (سورة الشورى : 13
- ¹⁵ (سورة البقرة : 135
- ¹⁶ (سورة البقرة: 142
- ¹⁷ (سورة البقرة: 143

-
- 18 (سورة الحديد: 27
19 (سورة التوبة : 31
20 (سورة آل عمران : 19 .
21 (سورة البقرة : 255.
22 (سورة الزمر : 62 ، 63
23 (سورة الكهف : 26.
24 (سورة الإخلاص : 1 - 4
25 (سورة الشعراء : 77 - 81
26 (سورة آل عمران : 19
27 (سورة البقرة : 253
28 (سورة المائدة : 14
29 (سورة المائدة : 64.
30 (سورة آل عمران : 69 .
31 (سورة محمد : 17 .
32 (سورة إبراهيم : 27
33 (سورة آل عمران : 71 ، 72
34 (سورة البقرة : 40
35 (سورة البقرة: 47
36 (سورة البقرة : 41-43
37 (سورة البقرة : 63
38 (سورة البقرة: 83 ، 84
39 (سورة البقرة : 93
40 (سورة البقرة : 100

41 (سورة البقرة : 246

42 (سورة آل عمران : 75 ، 76 .

43 (سورة آل عمران : 183

44 (سورة آل عمران : 187 .

45 (سورة النساء : 54 ، 55

46 (سورة المائدة : 12 - 14

47 (سورة المائدة: 70

48 (سورة الأعراف : 168 ، 169

49 (سورة المائدة : 13

50 (سورة الجمعة : 2

51 (سورة آل عمران : 110

52 (سورة المائدة : 27

53 (سورة الفرقان : 23

54 (سورة النساء : 44 ، 45

55 (سورة البقرة : 109

56 (سورة النساء : 51

57 (سورة النساء : 54

58 (سورة المائدة : 68

59 (سورة البقرة : 135

60 (سورة المائدة : 18

61 (سورة آل عمران : 24

62 (سورة البقرة : 111

63 (سورة آل عمران : 26

-
- 64 (سورة آل عمران : 118 - 120)
- 65 (سورة النساء : 112)
- 66 (فقه السنة : (الشيخ سيد سابق) المجلد الثالث ص 71 .
- 67 (سورة البقرة : 105)
- 68 (سورة الإسراء : 5،4)
- 69 (سورة الإسراء : 2)
- 70 (سورة الإسراء : 3)
- 71 (سورة آل عمران : 181)
- 72 (سورة المائدة : 64)
- 73 (سورة الفرقان : 63 - 74)
- 74 (سورة الحج : 40)
- 75 (سورة الإسراء : 5)
- 76 (سورة يوسف : 21)
- 77 (سورة الروم : 47 .
- 78 (سورة غافر : 51)
- 79 (سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 8 - 10)
- سنن أبو داود : كتاب الخراج والإمارة والفيء . (أبو داود) باب كيف
- كان إخراج اليهود من المدينة جـ 3 ص 3001
- تفسير الطبري : (ابن جرير الطبري) جـ 3 ص 128 .
- دلائل النبوة : (البيهقي) جـ 3 ص 173 ، 174 عن طريق محمد ابن أبي
- محمد مولى زيد بن ثابت . عن ابن عباس .
- في ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2846

80) سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 9،8 (عن طريق عبد الله بن جعفر).

فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2846.
عيون الأثر : (ابن سيد الناس) جـ 2 ص 444 (عن طريق ابن إسحاق)

الرحيق المختوم : (صفى الرحمن المباركفورى) ص 256
81) سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 9 (عن طريق ابن إسحاق)
فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2846 ، 2847
تاريخ الطبرى : جـ 2 ص 49 (الطبرى)
الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ 2 ص 29
امتناع الأسماع : المقرئى ص 104
عيون الأثر : (ابن سيد الناس) جـ 2 ص 444 (من رواية ابن هشام
عن ابن إسحاق)

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 256 ، 257.

82) سورة الحشر : 15

83) فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2847

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 307 - 311

سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 157 وما بعدها

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ 2 ص 57

تفسير القرآن الكريم : (ابن كثير) جـ 4 ص 331

سنن أبى داود : كتاب الخراج والإمارة والفىء . (أبو داود) باب خبر

بنى النضير جـ 3 ص 3004 من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

84) سورة الأنفال : 58

- 85) السيرة النبوية : (ابن كثير) المجلد الثالث ص 146 (طبعة الحلبي) .
البخاري : كتاب المغازي جـ 7 ص 4031 (فتح الباري) من حديث ابن
عمر .
- سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 157 وما بعدها .
الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 308 - 310
- 86) السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3 ص 147 قال العوفي عن ابن عباس :
رواه البيهقي .
- الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 309 ، 310 .
- سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 159
- 87) سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 159
- السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3 ص 147 . قال ابن اسحاق .
- 88) في ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد السادس ص 3520
- الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 310
- سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 160
- 89) في ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد السادس ص 3520
- 90) سورة الحشر : 1 - 15 .
- 91) سورة الأنفال : 41
- 92) في ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2833 ، 2834
- الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 314
- البخاري : كتاب المغازي جـ 7 ص 453 .
- زاد المعاد : (ابن القيم جوزيه) جـ 3 ص 269 .
- سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 185
- 93) سيرة ابن هشام : المجلد الثاني جـ 3 ص 201 عن محمد بن إسحاق .

-
- دلائل النبوة : (البيهقي) ج 3 ص 445 ، 446
- صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ج 6 & 3030 (فتح الباري)
- صحيح مسلم : باب الجهاد مجلد 3 ج 18 ح 1362
- سنن أبو داود : ح 2636
- سنن الترمذي : ح 1675
- سنن ابن ماجه : ح 2833
- مسند الإمام أحمد : ج 1 ح 190 ، 113 & ج 2 ح 312 ، 314
- 94 (سورة الأحزاب : 9
- 95 (حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 346.
- سيرة ابن هشام : المجلد الثاني ج 3 ص 202
- مسند الإمام أحمد : ج 5 / 392 ، 393
- البداية والنهاية : (ابن كثير)
- تفسير الطبري : (ابن جرير الطبري) ج 21 ص 80 من حديث
- حذيفة بن اليمان .
- تفسير القرآن : (ابن كثير) ج 3 ص 47
- صحيح مسلم : كتاب الجهاد . باب غزوة الأحزاب ج 3 ص 99 ،
- 1414 عن طريق إبراهيم التيمي عن أبيه عن حذيفة عن طريق بلال
- العبسي عن حذيفة .
- وأخرجه الحاكم (ج 3 ص 31) والبزار في المجمع (ج 6 ص
- 136) .
- 96 (في ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2835
- سيرة ابن هشام : المجلد الثاني ج 3 ص 202

وفى تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير والحاكم ومسلم والبزار (انظر
(95))

97) أنبياء الله : (أحمد بهجت) ص 458.

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى ج 3 ص 202

وفى تفسير ابن كثير والطبرى والحاكم ومسلم والبزار .
(انظر 95)

98) سورة الأحزاب : 25

99) فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2847 .

100) الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 330

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى ج 3 ص 205

دلائل النبوة : (البيهقى) ج 4 ص 7 من حديث عبيد الله بن كعب وعائشة .

الحاكم ج 3 ص 34 ، 35

سيرة ابن اسحاق : ج 3 ص 230

زا د المعاد : (ابن القيم جوزية) ج 2 ص 72 - 74

101) فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2848

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 321

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى ج 3 ص 197 .

مسند الإمام أحمد : ج 6 ص 141 من طريق زيد عن محمد بن عمرو .

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) ج 3 ص 41

أسد الغابة : (ابن الأثير) ج 2 ص 373

الإصابة : (ابن حجر العسقلانى) ج 3 ص 88

عيون الأثر : (ابن سيد الناس) ج 2 ص 94 ، 95 من طريق ابن اسحاق .

تاريخ الطبري : (ابن جرير الطبري) ج 2 ص 95
المجمع : (الهيثمي) ج 6 ص 136 . رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة .

102 (في ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2848

سيرة ابن هشام : المجلد الثاني ج 3 ص 208 ، 209 .
الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 328
سيرة ابن إسحاق : (محمد ابن اسحاق) من طريق عاصم بن عمر بن قتادة .

البخاري : كتاب الجهاد ج 6 ح 3043 (فتح الباري) & كتاب مناقب الأنصار ج 7 ح 3804 (فتح الباري) من حديث أبي سعيد الخدري .
صحيح مسلم : كتاب الجهاد ج 3 ص 64 - 66 (ح 5215 ، 5216) من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة .

103 (سورة الأحزاب : 26 ، 27

104 (حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 393

سيرة ابن هشام : المجلد الثاني ج 3 ص 302
سيرة ابن اسحاق : (محمد ابن اسحاق) عن أنس بن مالك .

سنن النسائي : كتاب المواقيت (ج 1 ص 546)

الموطأ : (الإمام مالك) ج 2 ص 468 / 48

مسند الإمام أحمد : ج 3 ص 102 ، 64 ، 168 .

105 (حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 398

106 (حياة محمد : ص 398

- سيرة ابن هشام : ص 313
- الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 383
- 107 (السيرة النبوية : (ابن كثير) ج 3 ص 399 من طريق محمد ابن اسحاق .
- 108 (نفس المصدر السابق : ج 3 ص 413 ، 415
- البداية والنهاية : (ابن كثير) ج 4 ص 219 عن طريق عمر .
- الموطأ : (الإمام مالك) ج 2 ص 892 / 18 عن ابن شهاب & 45 -
- كتاب الجامع - حديث رقم 17 ، 18 ، 19 (طبعة مؤسسة التاريخ العربي) .
- مسند الإمام أحمد : ج 6 ص 275 (مطبعة الحلبي) عن عائشة .
- التمهيد : (ابن عبد الله) ج 6 ص 463
- المصنف : (عبد الرازق) ج 7 ح 7208 من حديث سعيد ابن المسيب .
- السنن الكبرى : (البيهقي) ج 9 ص 208 عن ابن شهاب .
- التلخيص : (ابن حجر) ج 4 ص 138 ،
- 109 (السيرة النبوية : (ابن كثير) ج 3 ص 385
- 110 (نفس المصدر السابق : ج 3 ص 385
- 111 (سيرة ابن هشام : المجلد الثاني ج 3 ص 312
- السيرة النبوية : (ابن كثير) ج 3 ص 374 .
- الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 381
- 112 (سيرة ابن هشام : ج 3 ص 344
- تاريخ الطبري : (ابن جرير الطبري) ج 3 ص 92
- الطبقات الكبرى : (ابن سعد) ج 2 ص 75
- نساء النبي : (د. عائشة عبد الرحمن) ص 191
- 113 (سيرة ابن هشام المجلد الثاني ج 3 ص 351 (طبعة دار الحديث)

- تاريخ الطبرى : ج 3 ص 95 ، 178 .
- الطبقات الكبرى : (ابن سعد) ج 2 ص 77 (باسم كنانة بن أبى الحقيق) .
- الاستيعاب : ج 4 ص 1871 (ابن عبد البر) .
- 114 (حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 401
- 115 (تفسير القرآن الكريم : (ابن كثير) المجلد الثانى ص 308
- 116 (سورة فاطر : 18
- 117 (سورة الأنفال : 38
- 118 (سورة المائدة : 5
- 119 (رياض الصالحين : (النووى) ص 5 عن عمر بن الخطاب متفق على صحته (البخارى ومسلم) .
- البخارى : 1- كتاب الوحي & 1- باب حدثنا الحميدى حديث (1)
- صحيح مسلم : 33 - كتاب الإمارة ح 155 (طبعة مؤسسة التاريخ العربى . بيروت) .
- ورواه أيضا أبو داود والترمذى والنسائى فى سننهم .
- 120 (تفسير القرآن الكريم : (ابن كثير) المجلد الرابع ص 402 .
- صحيح مسلم : 6 - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح 139 عن عائشة .
- 121 (سورة الأحزاب : 6
- 122 (سورة الأحزاب : 32
- 123 (سورة الأحزاب : 38
- 124 (سورة الأحزاب : 50
- 125 (سورة المائدة : 67
- 126 (سورة الفرقان : 8 ، 9

127 (سورة الإسراء : 47 ، 48

128 (البخارى : المجلد الأول جـ 1 ص 87 ، 88 (حاشية السندى) .

صحيح البخارى : 7 - كتاب التيمم & 1- باب قوله (فلم تجدوا ماءً فتيمموا) ، ح 231 (فتح البارى) عن جابر بن عبد الله .

صحيح مسلم : 5 - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح 3 (طبعة مؤسسة التاريخ العربى بيروت)

129 (سورة الأحزاب : 26

130 (البداية والنهاية : (ابن كثير) جـ 8 ص 108 .

131 (سورة الإسراء : 5،4

إِلْفَضْلِكُ الثَّامِنُ

وَعْدُ الْآخِرَةِ

مُحَمَّدٌ

بنظرة أخرى متأنية لآيتي الإسراء (5،4) نجد أن وعد الله النافذ والمقضي في بنى إسرائيل لم يحدد مكانا ولا زمانا للنفاز . وإنما قال عنه (في الأرض) فأى أرض هي المقصودة ؟ لم تحدد الآية الكريمة ذلك . والتحديد المكاني ليس شرطا لحدوث أمر الله المفعول . إنما الإفساد الذي واكب العلو والاستطالة هو الذي يستوجب ويستلزم وقوع التدمير والجوس خلال الديار (أي الطواف خلال ديار اليهود وبيوتهم للإغارة والقتل) وهو ما كان حادثا في غزوات الرسول (ﷺ) والمسلمين معه ضد بنى إسرائيل (غزوات بنى قَيْنِقَاع والنضير وقَرْيَظَة وَخَيْبَر) وتلك التجمعات اليهودية والأحياء والمدن كانت مراكز حشد لليهود ومراكز قوة وسيطرة وسُلطان وتأثير حيث أن باقى تجمعاتهم الأخرى في عالم الشتات في كل بقاع الأرض هي تجمعات ضعف وذلة لا قوة وعلو . سواء كان ذلك في الشام أو باقى آسيا أو أفريقيا أو أوروبا وكانت تلك التجمعات في عالم الشتات تجمعات مذلة وهوان تحت نير الحكم الرومانى ولم تكن أبداً تجمعات قوة أو علو يتبعه الإفساد المعنى في الآيات الكريمة من سورة الإسراء . والمكان الوحيد لتجمعات القوة في ذلك العصر هو في الجزيرة العربية وتحديداً في المدينة المنورة (يثرب) والتخوم المجاورة والقريبة منها في فُدك وتيماء ووادى القرى وَخَيْبَر . وتجمعات السيطرة والعلو والسطوة تلك هي التى استوجبت حكم الله فيهم بعد إفسادهم المتكرر في تلك المدن والتجمعات وكيدهم ونقضهم لعهودهم مع النبى (ﷺ) والمسلمين . وكانت أداة تنفيذ الوعد الإلهي الأول هي عباد الله المخلصين المؤمنين (عباداً لنا) صفتهم (أولي بأس شديد) أى ذوي قوة وبطش بالأعداء عند القتال . لا يهابون الموت أو يخشونه لأنهم

اشتروا الجنة من الله بأنفسهم وأموالهم . وصدقوا عهدهم مع الله ولم ينقضوه .
لأنهم دعاة لدين الله القويم ولأنهم لا يشركون به شيئاً ولا يخافون في الله لومة
لائم . صدقوا في إيمانهم وأخلصوا النوايا . تلك هي السجايا والصفات التي
تنطبق بجلاء على النبي (ﷺ) وصحبه الكرام الذين دانست لهم مشارق
الأرض ومغاربها :

* إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون في
سبيل الله . فيقتلون ويُقتلون . وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن .
ومن أوفى بعهده من الله (لا أحد) فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وذلك
هو الفوز العظيم * التائبون العابدون الحامدون السائحون (يتفكرون في خلق
السموات والأرض) الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر والحافظون لحدود الله . وبشر المؤمنين⁽¹⁾.

تلك هي صفاتهم وتلك هي عوامل التحديد وشروط الاختيار لأداة تنفيذ
وعد الله الأول . وهي نفسها الشروط المطلوبة في الرجال لتنفيذ وعد الله
الأخير والمقضي والمقدر في بني إسرائيل . لأنه إذا انتفت تلك الشروط
واختفت تلك الصفات ما تحقق وعد الله فيهم وحينئذ يستلزم نفاذ الأمر الإلهي
وجود آخرين تتوافر فيهم تلك الشروط ليتم الوعد :

* وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ⁽²⁾ .

* وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون⁽³⁾.

* يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه (أو نكص عن الجهاد) فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه . أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله واسع عليم⁽⁴⁾ .

◀ وقد يقول قائل : ولماذا بنى إسرائيل دون غيرهم من أصحاب الملل والديانات هم الذين استحقوا عذاب الله هكذا؟

وأرد فأقول : عليك بالرجوع إلى الفصلين الرابع والخامس من دراستنا هذه على وجه التحديد . ففيهما الجواب الشافى والرد القاطع .

◀ وقد يسأل آخر : ألا يستحق بنو إسرائيل رحمة الله ونور هدايته ليفلتوا من هذا المصير المحتوم والهلاك المبرم ؟

◀ وأرد قائلا (من كتاب الله وقرآنه الكريم الحكيم) :

* كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات (دلائل نبوته) والله لا يهدى القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون⁽⁵⁾ .

* قل أرأيتم إن كان (القرآن) من عند الله وكفرتم به . وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله (التوراة) فأمن واستكبرتم . إن الله لا يهدى القوم الظالمين⁽⁶⁾

والله جل علاه قد توعد الأمم والممالك المكذبة به وبرسله وكتبه بالهلاك والدمار إلى يوم القيامة مثل أقوام نوح وعاد وثمود وصالح ولوط

وشعيب وفرعون (طوفان - صيحة - حاصب - صاعقة - غرق - خسف)
لأن هذه هي سنة الله في خلقه . من آمن وعمل صالحا مكنه الله فى الأرض
وأيده ونصره على من هم دونه . ومن كذب وعصى وافترى على الله الكذب
وجحد بالرسل والرسالات استحق عذاب الله ونقمته وغضبه :

*وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً . كان
ذلك فى الكتاب مسطورا (مقدراً ومكتوباً) (7).

*فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة
(الاماء ولا حياة) وقصر مشيد (8).

*وكأين من قرية أهلكنا (أمهلت) لها وهى ظالمة ثم أخذناها (بالتدمير
والعذاب) وإلى المصير (9).

فالأمر إذن لم يختص ويستأثر ببنى إسرائيل دوناً عن باقى الأمم .
ولن يستثنى أيضاً عن باقى الأمم . لأن سنة الله ماضية فى خلقه الظالمين :

* ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم . إنما نملي لهم
ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين (10) .

ولأن الأمر لا مجاملة فيه ولا استثناء . وإمهال الله سبحانه وتعالى
ليس نسياً ولا سهواً ولا إهمالاً . وإنما هو إملاء لازدياد الظلم والمعاصى.
والعاقبة هى العذاب المهين فى الدنيا والآخرة . وذلك لأنهم تناولوا على الله
وعلى أنبيائه ورسله وحرّفوا وبدّلوا وزوّروا فاستحقوا العذاب والتكيد
والبطش والتدمير حيث أنهم :

*قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء⁽¹¹⁾ .

*وقالت اليهود يد الله مغلولة . غلَّتْ أيديهم ولعنوا بما قالوا⁽¹²⁾

* ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق.ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون⁽¹³⁾ .

وكلما بعث الله فيهم رسولا أُنبيأ كذبوه :

*لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا . كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم. فريقا كذبوا وفريقا يقتلون⁽¹⁴⁾

*وقالوا اتخذ الله ولدا . سبحانه⁽¹⁵⁾ .

* كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله . ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين⁽¹⁶⁾ .

والله جل شأنه توعدهم بوعد آخر للعذاب . وعيد مستمر إلى يوم القيامة جزاء استمرارهم فى تعنتهم وكفرهم وعنادهم وإفسادهم فى الأرض . هذا الوعيد أداة تنفيذه هم المؤمنون وغيرهم :

*وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب.إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم⁽¹⁷⁾ .

(وإذ تأذن) أى وإذ قضى الله أمره بعلمه وبحكمته (ليعثن عليهم) والسلام هنا تفيد التوكيد مع النون . وتفيد الاستقبال لا الماضي ولا الحال . أى أن الله تعالى قد تكفل ببعث أناسٍ وأقوامٍ وأمٍ على اليهود إلى يوم القيامة يذيقونهم العذاب والتكيل بهم (من يسومهم سوء العذاب) على فترات مختلفة من

الزمان (الاضطهادات والمذابح المختلفة في أوروبا وغيرها) هذا العذاب النافذ والسارى لن ينقطع ولن يتوقف إلى يوم القيامة . ينال منهم كلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا وبغوا في الأرض . تجيء الضربات عليهم من كل مكان ومن كل جانب واتجاه بيد أناس (مَنْ) أو قوى أو أمم لا يشترط فيها الإيمان فكلمة (مَنْ) تفيد التكرير لا التعريف . ولم يصفهم الله أنهم عبادٌ له موحدون ومسلمون (كما اشترط ذلك فى الوعد الأول والثاني) . وهؤلاء الذين يبطشون ببني إسرائيل سواء داخل مجتمعات (الشتات) أو فرادى لا يشترط كونهم من أمم معينة إنما هم من شتى الملل والنحل . ومن مختلف الأمم . قد يكون بينهم الموحدون والمؤمنون أو غير ذلك ممن يعتنق فكر معين أو منهج وعقيدة بشرية أو حتى من الملاحدة والعلمانيين . وقد كان ذلك جلياً في فترات اضطهادهم فى القرون الوسطى داخل أوروبا وآسيا وغيرها (حدث ذلك فى روسيا وبولندا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وأسبانيا بصورة جماعية وفى غيرها من الدول بصورة فردية) وأشهرها هو ما حدث فى ألمانيا النازية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية .

وهذا الوعيد المستمر بلا انقطاع إلى قيام الساعة هو الجزاء الوفاق لما فعلوه ويفعلونه .

* وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً . فبئس ما يشترون⁽¹⁸⁾ .

أخذ الله تعالى عليهم الميثاق بتبليغ الشريعة التى أنزلت عليهم وعدم كتمان ما فيها وتبينها للناس ولكنهم - اليهود - كعادتهم أهملوا الشريعة الحقّة واستمسكوا بالمظاهر فى أداء الطقوس وتركوا جوهر الشريعة . وتحاليلوا على أداء ما فرض عليهم لقاء ثمن قليل هو الهروب من التكاليفات والتبعات .

فأخذوا ما يحلو لهم ويروقههم وتركوا وأنكروا وبدلوا نصوص الشريعة حتى أصبحت كتبهم التى استبدلوها واكتتبوها بأيديهم (الأسفار والتلمود وغيره) هى التوراة فى نظرهم . وأخفوا ما نزل من عند الله فطمس الله عليهم وطبع على قلوبهم وأصبحوا هم الخاسرون فى الدنيا والآخرة (قبئس ما يشترون) نتيجة اتباع أهوائهم وابتداع شرائع تروق لهم . وكما هو معلوم فإن المشرّع هو الله وحده والحاكمية لله الواحد القهار . فلما فعلوا ذلك انتحلوا لأنفسهم صفة من صفات الخالق والإله عز وجل فاستحقوا عذاب الله وغضبه إلى يوم القيامة لأنهم مازالوا يبدلون ويحرفون ويشرعون من عند أنفسهم دون رادع أو رقيب من ضمائرهم التى ماتت من بعيد وإلى الأبد :

*سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة . ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب⁽¹⁹⁾ .

*أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا . ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون⁽²⁰⁾ .

وخزي الدنيا هو الذلة والصغار والمسكنة والمهانة والاحتقار . فهم منبوذون محتقرون بين كل شعوب الأرض . لا منزلة لهم ولا مكانة ولا احترام مهما بلغوا من الرقي العلمي والثقافي أو المادي والعسكري . الكل يتجنبهم ويتحاشاهم ويحذرهم . منبوذون بالسليقة وبالاكتساب من جراء ما فعلوا ويفعلون . وطبع الله على قلوبهم فأصبحوا قردة وخنازير لشعوب الأرض والأمم . وألقى - سبحانه - بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا (أي متكاتفين) وقلوبهم شتى متفرقة (متباغضة) . أما عذاب الآخرة فحدث ولا حرج . الله كفيل بهم وعليم بما يفعلون ويجازيهم

أشدّ الجزاء دون هواده أو رحمة . هم فى الدرك الأسفل من النار لنفاقهم
وقولهم الإثم وأكلهم السحت وإثارتهم الفتن بين الناس والشعوب والدول :

* كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله . ويسعون فى الأرض
فساداً والله لا يحب المفسدين(21).

لذلك ولأكثر من ذلك (انظر الفصلين الرابع والخامس)هم يستحقون ما
كتبه الله عليهم وقدره لهم دون أسف أو شفقة عليهم أو رحمة تأخذنا بهم :

* فلا تأس على القوم الفاسقين(22) .

* ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين(23) .

ولأن عقاب الله سريع وشديد وبأسه لا مرد له فهو واقع بهم إلى يوم
القيامة . ولأنه سبحانه - غفور رحيم فإنه يقبل توبة من اهتدى وأناب وسعى
إلى جنبه . ولكنهم أبداً ما سعوا للهدى والتوبة . بل ما فتأوا يصيبون الناس
بأذاهم ويصبون أحقادهم وكراهييتهم على كل الشعوب لا فرق بين مسلم
ونصراني أو حتى وثنى فى نظرهم . فهم يعتبرون العالم كله سبباً فيما آل
إليه حالهم وفى شقائهم وفى شتاتهم على مدار السنين والقرون . ويريدون
الانتقام من كل البشر ويتمنون هلاك العالم كله من حولهم ويبقون وحدهم
ليسكنوا الأرض فى الكون كله دون جوار .

ولا يغرننا تقربهم إلى الأفراد والشعوب والدول فهؤلاء جميعاً هم
مطيتهم إلى تحقيق ماتهدفوا إليه نفوسهم المريضة وقلوبهم الغلف وعقولهم
المنحرفة .

* * * * *

وعد الآخرة

* وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب (القرآن) لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار (عاثوا وأخذوا خيراتها) وكان وعداً مفعولاً * ثم رددنا لكم (لبني إسرائيل) الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (إعلما طاغيا وسلاحاً) * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . فإذا جاء وعد الآخرة (المرة الثانية والآخرة) ليسوعوا وجوهكم (ليخزوكم) وليدخلوا المسجد (يستبيحوا مقدساتكم) كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا (تدميرا) * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً (مهاداً ومستقراً)⁽²⁴⁾.

* وقلنا من بعده (بعد هلاك فرعون) لبني إسرائيل اسكنوا الأرض (كل الأرض) فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً (جميعاً . مختلطين) * وبالحق (القرآن) أنزلناه وبالحق (بالحقائق) نزل . وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً⁽²⁵⁾.

ويقص الله جل شأنه علينا أنه بعد هلاك فرعون وغرقه حال خروج بني إسرائيل من مصر ومعابنتهم لهلاكه هو وجيشه فإنه جل شأنه قدر لبني إسرائيل سكناً الأرض جميعاً بعدما تحقق وعيده لفرعون الذي كفر ولم يؤمن ووعد لبني إسرائيل بالنجاة من الأعداء والدخول إلى الأرض المقدسة التي وعدهم سبحانه إياها . وبعد تلك القرون الطويلة فإن وعد الله للمؤمنين

ووعيده لبني إسرائيل واقع لا محالة لأن الله على كل شيء قدير . وأمره لا يردّ كما سبق أمره في شأن فرعون ونجاة بني إسرائيل الذي لم يردّ رغم ما اتخذ فرعون من التدابير وامتلك العدة والعتاد والسلاح للقضاء على بني إسرائيل . ولكن لأن طبيعة الشعب الإسرائيلي هي التشكيك والتكذيب . وما كان لهم فهو محقق وواقع وما كان عليهم فهم يكذبون حدوثه ويشككون في تحقيقه فإله يؤكد أن أمره نافذ كما سبق وتحقق . والمسلمون يصدقون وعد الله دائما ويؤمنون بكل ما نزل من عند الله في قرآنه الكريم من الحقائق (وبالحق أنزلناه وبالحق أنزل) فبني إسرائيل سكنوا الأرض كل الأرض (وقلنا ممن بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) حسب أوامر الله وتقديره . في سيناء بعد الهروب والنجاة من فرعون وجيشه . ثم دخلوا الأرض المقدسة وعاشوا فيها ماشاء الله وقدر . ثم أفسدوا وانحرفوا وزاغوا فأزاع الله قلوبهم وسلط عليهم - سبحانه - من سامهم سوء العذاب فقتلوا منهم الكثير ودمروا مساكنهم ومعابدهم . المرة تلو المرة وكلما حدث علو تبعه إفساد كان التدمير من نصيبهم . ثم تشرّدوا وتشتّتوا في مختلف بقاع الأرض فسكنوها تحت إمرة وسيطرة شتى الشعوب والأمم (يهود - الشتات) وحاق بهم الذلّة والصغار حتى إذا قرب وجاء وعد الآخرة الوعد الثاني والأخير بالتدمير والهلاك جمعهم الله جل شأنه بقدرته من كل شتات الدنيا فجاءوا (لفيها) أي مختلطين يهوداً ومتهودين . اجتمعت الشراذم لتتشيء الدولة التي يحلمون بها والمجد والسؤدد الذي انتظروه قرونا طويلة يظنون أنه البعث الجديد لهم . وإعادة السطوة والعزّ الذي افتقدوه طويلا يظنون أنهم راجعون لبناء هيكلهم الثالث الذي يحلمون به كرمز للعزة والمجد . هم يظنون بأنفسهم ولأنفسهم خيرا . ولكن الله غالب على أمره ومحقق وعده . والكرّة التي ذكرها الله (ثم رددنا لكم الكرّة عليهم) والغلبة لبني إسرائيل على المسلمين هي كرّة قوة وسيطرة لليهود

وضعف للمسلمين . ضعف إيماني قبل أن يكون ضعف عسكري . ضعف إيماني سببه فتور الهمم وخور العزائم والتكالب على الدنيا والانسياق وراء الشهوات . فأمد الله بقدرته بنى إسرائيل بالمزيد من الأموال والبنين (وهما زينة الحياة الدنيا) ليتساوا مع المسلمين في ثرواتهم ويتكاثروا مثلهم في نسلهم ولكنهم سلكوا في مساعهم طرقا وأساليب غير مشروعة . فتكدست الثروات في أيديهم بالربا وتجارة المخدرات والرقيق وأكل السحت والرشوة . وتكاثروا في شتى بقاع الأرض (بلدان الشتات) واستعاضوا ما قُتل منهم بشتى الطرق (بالتبشير والتهود والتحول من الوثنية أو النصرانية إلى اليهودية) فأصبحوا أخلاطا . تحسبهم جميعاً (متكاتفين) ولكن قلوبهم شتى (متفرقة) . وتغلغلوا في شتى مراكز القوة وصنع القرار وبيوت المال والإعلام في العالم كله . وبتقدير ومشية الله أصبحوا أكثر أموالاً وبنيناً وسلاحاً (أكثر نفيراً) وأكثر جرأة ووقاحة في الحديث علانية والإفصاح عن نواياهم ومخططاتهم بعد أن كانوا يتهايمون بها سراً . وأصبحوا بمشيئة الله وتقديره يمتلكون أهم وسائل ومراكز الإعلام في العالم . وأكثر تأثيراً في قرارات الساسة والقادة على مستوى العالم . وأكثر قوة وسلاحاً . ورغم هذا لم تستكن نفوسهم أو تسترح بل يبحثون عن المزيد من القوة والسطوة والتحكم (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) فإن كان ذلك حسناً في نظرهم فهو لهم . وإن كان سوءاً فلهم أيضاً . لا ينتفع منهم أحد في كلتا الحالتين ولا يستفيد بقوتهم أحد . فهم جُبلوا ودرجوا على الأنانية وحب الذات والشح . النفع لهم وحدهم . والضرر لغيرهم ودونهم . وإن بدا منهم ما يخالف ذلك في الظاهر فهو تخييل وتمثيل على من يتعاملون معهم . فهم أبداً ما أحبوا الخير لغيرهم مهما عاونوهم أولئك الغير في سعيهم ومخططاتهم . لأن هدفهم الأكبر هو إملاء كلمتهم وزعامتهم على العالم منفردين . ثم ليفن بعد ذلك الجميع _

حتى من عاونوهم -وليبقوا هم وحدهم في هذا الكون الفسيح لأنهم ما برحوا يروجون لأفكارهم وتخرصاتهم أنهم شعب الله المختار . وأنهم أبناء الله وأحبائه . وأنهم الأجدر بالحياة :

***ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا (أيضا). يود أحدهم لو يُعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمر . والله بصير بما يعملون (26).**

هذا هو ماترسخ في عقولهم . وهذا هو مايطالبون به دون مواربة . تأخذهم العزة بالإثم فلا يفيقوا من أوهامهم بعيدة، المنال وأحلامهم غير المحققة بإذن الله . ولأنهم قد أتموا ما هو عليهم لتحقيق وعد الله الأخير . فلانص من التنفيذ ولا مهرب من الرضوخ والامثال مهما تحايلا وفعلوا :

***والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب(27) .**

***والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون(28).**

لقد أصبحت معظم الظروف مهياة لحدوث أمر الله المقدر في بنى إسرائيل . فقد أمدهم جل شأنه بالثروة والذرية والكثرة (وأمددناكم بأموال وبنين) وأصبح لهم الصوت العالي والمسموع في العالم مع القوة العسكرية التي تغريهم بذلك (أكثر نفيرا) مع سطوة المال والتغلغل في مراكز النفوذ الاقتصادي والسياسي والإعلامي في العالم . وبأموالهم يشترون الذمم والضمانر الخربة من القادة والساسة في العالم ليضمنوا صمت زئير الأسود . ويتلاعبون باقتصاد الأمم بالتدخل في أسواق المال والبورصات ليجعلوا المناوئين والمعارضين لهم تحت أقدامهم (بنوك التمويل وصناديق النقد العالمية) وظنوا أنهم بذلك أكبر من أن يحيق بهم عذاب الله ووعيده . ورغم

أن الملاذ والنجاة من عذاب الله هو اللجوء لجناحه بالتوبة والإنابة والاستغفار
فإنهم لن يفعلوا :

*وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا . فأنظر كيف كان عاقبة
المفسدين (29).

وهم لم يتعلموا أبداً من التجارب التي مروا بها . فهم يجحدون بنعم
الله وأمره ويتكبرون على الناس يظنون أنهم بمنأى عن وعد ووعد الله
وبطشه بهم . غرتهم في ذلك قوتهم التي أمدهم بها الله ليتم وعده . وسبحانه
قادر على أن يسلبها منهم في أى وقت شاء سبحانه وتعالى وإن شاء أبقاها
لتكون فتنة للذين آمنوا :

*وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا
وقذف في قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين .
فاعتبروا يا أولى الأبصار (30).

يظنون أن قوتهم المالية والإعلامية والعسكرية مانعتهم من الله
واهبها . ويعلنون : من أشد منا قوة ؟ قالوها ويرددونها كماقالتها قبلهم قوم
عاد :

*فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة
أو لم يروا أن الله الذي خالقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا
يجحدون (31) .

يظنون بأنفسهم ظن الجاهلية من الحماقة . ويمنعون عباد الله المسلمين
مساجد الله في الأرض المحتلة (في القدس وغيرها) وهم يعلمون جزاء
ذلك :

*ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم (32) .

والتوبة التي فرضها الله نجاةً وملاذاً لكل عاص ومذنب يهزأون بها .
تماما كما فعل (أبو لهب) حين تكبر واستكبر وجحد بآيات الله وسخر من النبي (ﷺ) حين دعاه إلى الله وأن يتوب إليه ويستغفره فأنكر نبوة محمد (ﷺ) ابن أخيه وهزأ منه حين دعاه إلى الإسلام والتصدق بوعده الله للمؤمنين ووعده للكافرين . وكذلك (إبليس) اللعين الذي استكبر وعصى الله حين أمره بالسجود لآدم تكريما وتشريفا لما خلق الله بيده . فأعلن العصيان والتمرد واستكبر على خالقه وابتدع سبباً للامتناع عن طاعته والامتناع عن التوبة والإنابة لله :

*قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك . قال أنا خير منه . خلقتني من نار وخلقته من طين (33) .

وكذلك أيضا حين ذهب (الوليد بن المغيرة) إلى رسول الله (ﷺ) ليحاجه في الدين الذي جاء به من عند الله . فلما بلغه استمع إليه وهو يقرأ القرآن فعاد إلى مشركى مكة ووجهه ممتقع مماسمعه وهو فصيح العرب الذي أعجزه ما سمعه من الآيات . فراجع قومه فيما حدث فقال :

لقد سمعت منه (أى النبي ﷺ) كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة . وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر . وإن أسفله لمغدق . وإنه ليعلوا ولا يُعلَى عليه . ومايقول هذا بشر (34) .

وبرغم هذا لم يسلم الوليد بن المغيرة ولم يتنازل عن الكبر الذى تمكن منه ولم يتب إلى الله وظل على عناده واستكباره وأنكر مقولته الأولى فى وصف كلام القرآن وعاد ليقول إنه لقول بشر . وأن شخصاً ماهو الذى أملاه على الرسول (ﷺ) فاستحق عقاب الله .

ومنطق (بنى إسرائيل) لا يختلف عن منطق قوم عاد أو منطق أبى لهب أو منطق إبليس أو منطق الوليد بن المغيرة . فالكفر والجحود بآيات الله وآلائه ونعمه هو الذى يطمس العقول ويطبع على القلوب . والاستكبار والاستعلاء على خلق الله هو الذى يوجب العقاب الإلهى . ولما كانت سنة الله فى خلقه لا تتبدل ولا تتغير فإن الجزاء يأتى من جنس العمل . فالإفساد والإضلال والاستكبار يستوجب العقاب . والدمار والهلاك خير جزاء للعلو والإفساد فى أرض الله :

* استكباراً فى الأرض ومكر السيىء (كيد السوء) . ولا يحق (يحيط وينزل) المكر السيىء إلا بأهله . فهل ينظرون إلا سنة الأولين (السابقين) . فلن تجد لسنة الله تبديلاً . ولن تجد لسنة الله تحويلاً . أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة . وما كان الله ليعجزه من شىء فى السماوات ولا فى الأرض . إنه كان عليماً قديراً⁽³⁵⁾ .

وعودة إلى سورة الإسراء والآيات التى تخبرنا بوعد الله ووعيده لبنى إسرائيل لتتبدل ما فيها من أحكام ونستخلص منها ملابسات الوعد الثانى والأخير حيث يقول جل شأنه :

* إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأنفسكم وَإِنَّ أَسَأْتُمْ فَلَهَا⁽³⁶⁾ .

أى إن آمنتم وصدقتم أن ما أنتم فيه وأصبحتم عليه من قوة مادية وبشرية (أموال وبنين) وصوت يصل ويؤثر فى أسماع العالم يعززه قوة السلاح ويؤيده بطش وعلو واستكبار (أكثر نفيرا) كل هذا هو من فضل الله عليكم . فإن أحسنتم فى حياتكم ولم تتكبروا ولم تطغوا ولم تجحدوا نعم الله عليكم . فسيكون مرد ذلك عليكم بالخير والنعم وأهمها الأمن والأمان والسلام والرحمة من الله . أما إن أسأتم بالكفر والجحود والطغيان فستكون العاقبة عليكم وبالاً وهلاكاً وتدميراً :

*فإذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا وجوهكم (ليخزوكم) وليدخلوا المسجد (المقدسات والحرمت) كما دخلوه أول مرة وليتبروا (ليدمروا) ماعلوا تتبيرا (37).

وستكون أداة تنفيذ الوعد الإلهى هى عباد الله المخلصين المؤمنين (كما حدث أول مرة) يذيقونكم سوء العذاب الذى ستظهر آثاره على مقدساتكم وحرمانكم ودياركم حيث يستيحيونها كما حدث من قبل . فسيكون - بإذن الله - السبى والتقتيل من نصيبكم . وكل ما يستولون عليه منكم غنيمة للمسلمين وفىء من الله سيزهدون فيه ويتركونه للدمار والهلاك لأن هدف عباد الله الذى وهبوا له أنفسهم وهبوا من أجله ملبيين نداء الله فيكم هو تدميركم والقضاء عليكم وعلى كل أثر لكم فلا تقوم لكم قائمة بعد ذلك أبداً ولا يكون لكم ذكراً وتعودوا إلى الشتات كما كنتم من قبل وستكون مدنكم أطلالاً تنعى ذكراكم :

*عسى ربكم أن يرحمكم . وإن عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً (مهاداً) (38) .

عسى ربكم أن يرحمكم إن كنتم تستحقون تلك الرحمة . وكيف تستحقونها وأنتم لم تتركوا نقيصة إلا وفعلتموها . ولم تخترعوا وتبتكروا جريمة إلا واركتبتموها . ولم تتفنوا في أذى إلا ومارستموه . فالرحمة فرض مستبعد عليكم ويكاد يكون مستحيلاً لأنكم لا تستحقونها . وبفرض خطأ ذلك الافتراض منا وكونكم عدتم إلى الله بالتوبة والإنابة . فإن رحمة الله واسعة . ولكنكم لن تفعلوا ذلك جحوداً واستكباراً ولذا فمصيركم في الدنيا هو التدمير والهلاك (وإن عدتم عدنا) أما في الآخرة فلا مصير إلا الجحيم حيث تكون لكم فراشا ومهاداً وغطاء مع أعدائكم الأقدمين . فرعون وهامان :

*إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج (يدخل) الجمل في سم الخياط (تقب الإبرة) وكذلك نجزي الظالمين (39) .

هذا هو أمر الله في بني إسرائيل الذي قضاه عليهم في القرآن الكريم . إفساد كبير يحدث مرتين . في المرة الأولى يبعث الله عليهم عبداً له أولي بأس شديد . مؤمنين وموحدين لا يخافون في الله لومة لائم . ولا يهابون الموت بل يطلبونه ثمناً للجنة التي تتشوق إليهم لتضمهم بين أرجائها الفسيحة ودرجاتها العلى . ومن صفاتهم البأس الشديد والصبر عند الحرب والصدق عند اللقاء يسعون إلى الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين فدانت لهم الدنيا وما فيها . جاسوا خلال ديار اليهود بعون الله وتوفيقه فدمروا حصونهم وقتلوا مقاتليهم وسبوا نساءهم . وغنموا أموالهم وأرضهم وأرضاً لم يطؤها من قبل وكان نصر الله عظيماً وفيء الله كبيراً . صدقوا ما عاهدوا الله عليه

من النفرة والجهاد فى سبيله تعالى . لم يتقاعسوا ولم يتباطأوا ، ثقتهم بنصر الله ووعدہ كبيرة وكانت المحرك الأول والدافع الأكبر للخروج جهاداً فى سبيل الله ولإعلاء كلمته . طاعةً وامتثالاً . حباً لله وفى الله . كانت صدورهم عارية إلا من الإيمان يلاقون أعدائهم بصبر وجأء وعزم وإقدام . بقوة وشجاعة . فتحقق وعد الله بهم وعلت راية الإسلام والإيمان بين أيديهم . ودانت لهم الأمم والممالك . وأذلوا أعداء الله والدين . بدأوا بمشركي مكة ثم الأحزاب واليهود . قهروا أعتى الأمم والامبراطوريات والممالك وكان عددهم أقل بكثير من قوات أعدائهم . وسلاحهم القليل كان بأيديهم أمضى من أسلحة الشرك والوثنية والإلحاد على كثرتها وتنوعها . كانت قوتهم وعظمتهم فى إيمانهم الذى ذلل لهم الصعاب وحقق لهم ماكان مستحيلاً .

﴿ قد يقول قائل أن ماذكر فى وعد أولاهما لم نلاحظ دخول المؤمنين المسجد ولا مقدسات اليهود (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) . ورداً على ذلك نقول :

فى حياة النبي (ﷺ) كما ذكرنا تم وعد الله الأول (وكان وعداً مفعولاً) حيث تم تدمير حصون بنى إسرائيل وسببهم واتخاذ أموالهم وممتلكاتهم وأراضيهم غنيمة للمسلمين . وتم كسر شوكتهم فى سلسلة متواصلة الحركات والمعارك بدءاً من غزوة بنى قينقاع ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة خيبر وفدك وتيماء ووادي القرى . وانتهت سطوتهم تماماً فى الجزيرة العربية ودالت دولتهم وسلطانهم فرحل أغلبهم إلى الشام وبقي القليل فى خيبر وغيرها تحت إمرة وسلطان وقهر المسلمين وكان النبي (ﷺ) قد صالحهم (وقت حصار حصنى الوطيح والسالم) على نصف أموالهم ونصف ثمار خيبر سنوياً مقابل عملهم بفلاحة الأرض ورعاية الزرع

والشجر المثمر . وكذلك فعل النبي (ﷺ) مع يهود فدك أما يهود تيماء فقد قبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال (مع نزع سلاحهم تماماً) وأوصى النبي (ﷺ) معاذ بن جبل بألا يفتن اليهود عن يهوديتهم ولم يفرض الجزية على يهود البحرين وإن ظلوا على يهوديتهم وصالح بنى غازية وبنى عريض على أن لهم الذمة (والحماية) وعليهم الجزية . وتضعض مركز اليهود في بلاد العرب حتى اضطروا إلى مهاجرة تلك البلاد وكانوا من قبل بها أعزة . وتم جلاؤهم في حياة الرسول (ﷺ) وبعد وفاته في عهد أبي بكر وعمر

(رضي الله عنه) حيث أجلى عمر بن الخطاب يهود خيبر إلى أذرعات وغيرها عام 20هـ وأجلى يهود نجران إلى الكوفة وقسم وادي القرى ونجران بين المسلمين (هؤلاء اليهود لم يكن لهم عهد مع النبي ﷺ) وفي عهد أبي بكر الصديق كانت فلسطين من نصيب عمرو بن العاص . أما في عهد عمر بن الخطاب فقد تم فتح جميع المدن الكبرى مثل نابلس واللد وعمواس وبيت جرين والمدن المحيطة ببيت المقدس ثم حاصروا القدس فتحصن أهلها بالقلعة وظلوا يقاتلون . وفي تلك الأثناء من الله على فيلق أبو عبيدة بن الجراح بفتح أقاليم الشام ثم انضم للقوات المسلمة حول بيت المقدس فخارت قوى أهلها وطلبوا الصلح على أن يتم مع الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه . ووصل الخليفة الراشد إلى بيت المقدس ودخلها . وعقد مع أهلها الصلح ودخل المسجد الأقصى ومضى نحو محراب داود وقرأ آية السجدة من سورة (ص) . ثم أتى كنيسة النصارى وظل يتجول هنا وهناك . وحضرته الصلاة وهو داخل الكنيسة فأقام الصلاة خارج ساحة الكنيسة في مكان أصبح الآن مسجداً يسمى (مسجد الصخرة) (40).

وسميت وثيقة الأمان مع أهلها بيت المقدس - (بالعهد العُمريّة) التي نصت في أحد بنودها على :

ولايسكن بإيلياء (القدس) معهم أحدٌ من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم (الرومانيين) والصوص .

ولم يجرؤ اليهود طوال حكم الخلفاء الراشدين على الإقامة في القدس . وهكذا كان الوعد الأول سلسلة متصلة ومتواصلة الحلقات من تدمير حصون ومعقل اليهود وكسر شوكتهم واستئصال شأفتهم ودحر سطوتهم التي ظنوا أنها مانعتهم من الله ومن المسلمين . وجاس المسلمين خلال ديار الزور والبهتان وديار الكيد للإسلام والمسلمين ودخلوا المسجد الأقصى (الأول أو القديم) أول مرة بعدما دخله النبي (ﷺ) في حادثة الإسراء . دخلوه مع الفتح العربي الإسلامي للشام ودمروا ماعلا من الحصون والقلاع واستباحوا حرّمات أعداء الله والدين .

ووعد الآخرة أيضا سيدخل المؤمنون الموحدون - بإذن الله - المسجد الأقصى كما دخله السلف الصالح آمنين مرفوعى الجباه وسيدمروا -بعون الله - ماسوف يلاقونه أمامهم من حصون وقلاع ويستبيحون - بفضل الله - كل الحرّمات والمقدسات اليهودية التي أحدثوا فيها من البدع والخرافات وأمور شُرْكية ووثنية بعيدة عما جاء به رسل بنى إسرائيل ونبي الله وخاتم المرسلين محمد (ﷺ) .



*لا تقوم الساعة حتي يقاتل المسلمون اليهود . فيقتلهم المسلمون . حتى يقول الحجر والشجر :يا مسلم . يا عبد الله . هذا يهودى خلفى فتعال اقتله . إلا الغرقد فهو من شجر اليهود.

وهذا الحديث رغم أنه مشهور لدى كافة المسلمين إلا أنه من أحاديث الإسرائيليات المدسوسة على السنة المطهرة والتي قصد بها تخاذل المسلمين وتواكلهم على أن يساعدهم الحجر والشجر . وفيم ؟ وعلام ؟ فى أن يدلهم على وجود يهودى خلفه . رغم أن اليهود مكانهم معروف لاجابة بنا إلى دليل أو معين يدلنا عليهم حتى نحاربهم .

وبنظرة متأنية ومتدبرة نجد أن الحجر والشجر فى الحديث المنسوب - زوراً - للنبي (ﷺ) لم يقوما بمساعدة النبي (ﷺ) نفسه ولا المسلمين فى معاركهم وحروبهم ضد اليهود وغيرهم . ففى غزوة الخندق (الأحزاب) كان الحجر عنيداً وصلداً لدرجة أجهدت النبي (ﷺ) عند محاولة تفتيته بمعوله حين أعترض مسار حفر الخندق حول المدينة المنورة لمنع دخول قوات الأحزاب (مشركى العرب واليهود من ورائهم) إلى المدينة المنورة للإجهاز على الجماعة المسلمة . والحجر هو الذى أدمى قدمي النبي (ﷺ) الشريفتين عندما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام حيث سلط الكفار الأطفال والسفهاء كى يؤذوا النبي (ﷺ) ويقذفونه بالحجارة حتى أكرهوه على مغادرة مدينة الطائف دون أن يستجيبوا لنداء العقل والروح . والشجر هو الذى يصنع منه الحراب والنبال . ولم يتكلم الشجر ولا الحجر عند محاربة المسلمين لليهود فى غزوة خيبر - وغيرها - ولم ينبها النبي (ﷺ) والمسلمين الأوائل (وهم الأولي منا بذلك . إن كان الأمر صحيحا) بأن هناك يهودى (أو أكثر) يختبئ خلف الجدر والحصون وأنه سيقذف

المسلمين بالحراب والنبال فيصيب بها من أصاب من الصحابة والمسلمين .
فيجرح بها من يجرح ويستشهد من يستشهد . وهذا الحديث المدسوس على
النبي (ﷺ) لايراد به خيراً للمسلمين رغم أن ظاهره يوحي بذلك . وإنما هي
دعوة مقصودة للتراخي والتكاسل والتواكل .

والله جل علاه لايريد من المسلمين ذلك بل يحثهم على اليقظة والحذر
والحيطة دائماً والاحتراس من أعدائهم :

*وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ترهبون به
عدو الله وعدوكم (41).

*ياأيها الذين آمنوا خذوا حذرکم . فانفروا ثبات (فرادى) أو انفروا
جميعاً (42).

ودعوة الله للمسلمين هي اليقظة والجدية والحذر والاستنفار للجهاد في
سبيله وسبيل إعلاء كلمة الحق والدين دون تكاسل أو تراخ أو تواكل مثلم
فعل بنى إسرائيل من قبل مع موسى (عليه السلام) حينما تعللوا - عند دعوتهم
للقتال ودخول الأرض المقدسة - بأسباب كثيرة أهمها تزعزع إيمانهم بالله .
وحبهم الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة . وخوفهم من الموت والأعداء . وإذا
كان هناك من هم أولى من مسلمي اليوم بمساعدة الحجر والشجر لكان النبي
(ﷺ) وصحبه الكرام هم أولى بذلك منا . يشهد لهم صدق إيمانهم وتقواهم لله
وطاعتهم والعمل بما جاء به الدين الحنيف حتى أن الله جل علاه مكنهم في
الأرض فدانت لهم الأمم والممالك شرقاً وغرباً . ونصرهم الله بالرعب مسيرة
شهر كماورد في الحديث الصحيح :

*أعطيت خمسا لم يُعْطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلي. نصرت بالرعب مسيرة شهر وجُعِلَتْ لِي الأرض مسجداً وطهوراً. وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل (مكانه). وأحلت لي الغنائم . وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة⁽⁴³⁾.

وبنو إسرائيل يدركون كل تلك الحقائق أكثر من المسلمين . ويدركون تماماً أن وعد الله حق . والوعد الأخير من الله آتٍ لامحالة ولا ريب فيه ولا شك . وكل ما يقومون به الآن - وقبل الآن - هو الفرقة بين المسلمين وتصدير الخوف إليهم وتشجيت مجهودهم فيما لا طائل منه . يحاولون تأجيل - أو منع - أمر الله دون أن يفكروا إطلاقاً في التوبة والرجوع إلى الله . يختارون الطريق الأصعب رغم أنه لا يؤدي إلا إلى لاشيء . ويتركون طريق الهدى والرشاد والاستقامة الذي فيه النجاة لهم . يتبعون أهوائهم ويتعقبون خطوات الشيطان فأصبحوا هم شياطين الإنس ولا يسلكون طريق الرحمن ليرحمهم . فقد جاءتهم الرسل والأنبياء والرسالات على مدار حياتهم وعهودهم فلم يؤمنوا حق الإيمان بالله والرسالات بل عمدوا إلى الاستعلاء والاستهزاء بكلمات الله وشريعته فحذفوا منها وغيروا وبدلوا وضلوا وأضلوا وفسدوا وأفسدوا بما يفوق الشيطان نفسه . ورغم هذه العلو المادي والمالي والعسكري فلم يهنأوا أو ينعموا بالأمن والأمان . فلا الثروات والأموال التي بحوزتهم وتتدفق عليهم (تبرعات وإعانات وابتزازات) تشبع نهمهم المتزايد للتملك والاستحواز . ولا السلاح الذي يكسونه داخل المعازل والحصون يعطيهم الأمن وراحة البال والاطمئنان على حياتهم . ولا الأرض التي اغتصبوها ترضى نهمهم المتزايد للتوسع على حساب الآخرين بل يسعون للتمكين بجيرانهم العزل من القوة والسلاح ويظنون أن كل أرض وطأوها هي أرض تخصهم يحق لهم ملكيتها . فأرض مصر التي عاشوا فيها قرون (منذ

دخول يوسف (عليه السلام) وأهله حتى خروجهم مع موسى (عليه السلام) وأرض فلسطين (كنعان) التي عاشوا فيها بضعة قرون وأرض بابل وآشور (العراق) التي آوتهم أيام السبي الآشوري والبابلي . كل تلك الأراضي التي آوتهم وعاشوا فيها فترات من حياتهم اعتبروها ملكاً لهم فأعلنوا : من النيل (بمصر) إلى الفرات (بالعراق) أرضك يا إسرائيل . يطلبون لأنفسهم الحياة وينكرونها على الآخرين . و(الآخرين) هم العرب عموماً والمسلمون تحديداً . عداؤهم للإسلام والمسلمين منذ بعثة النبي محمد (ﷺ) وتكليفه بالرسالة وإلى الآن عداًء مرده الأحقاد والغل والضغينة التي سكنت قلوبهم ونفوسهم أن كان آخر الأنبياء والمرسلين من نسل إسماعيل (عليه السلام) لا من نسل يعقوب (عليه السلام) كما تمنوا وانتظروا وكأنهم يقسمون رحمة الله :

* أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا⁽⁴⁴⁾.

فهذا هو أمر الله في ملكوته . هو وحده - سبحانه - المتحكم فيه والمهيمن عليه . ما شاء كان . وما لم يشأ لم يكن . فمن أطاع وصدق الرسل والرسالات كان بمنجاة من عذابه وبطشه جل علاه . ومن عصى وكذب فليس له إلا بطش الله وغضبه . والغيب الذي كشفه لنا الله سبحانه في سورة الإسراء وسورة الأعراف والأمر الذي قدره الله هو وحده - سبحانه - القادر على تحقيقه لا راد له وليس من دونه كاشف وهو الأمر المحقق - بإذن الله - سواء أبينا أم رضىنا . بنا أم بغيرنا (بهذا الجيل أو بغيره) فالله قادر على نفاذ ما وعد وتوعد وهو على كل شيء قدير :

*إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شيء قدراً(45)

والله حين ينبئنا بذلك الغيب لم يحدد له موعداً وتاريخاً محدداً وإنما وضع شروطاً وظروفاً يتم بموجبها التحقيق:

فقد أمد اليهود بأموال وبنين . وجعلهم أكثر نفيراً . أفسدوا في الأرض كثيراً بعد علوِّ واستطالة واستعلاء على كافة شعوب الأرض خصوصاً المسلمين منهم . ويتبقى شرط أخير الله أعلم بموعد وزمن حدوثه . ألا وهو ابتعاث عباد الله مؤمنين وموحدين وطائعين له . ولا يخافون لومة لائم في الحق ولا يهابون الموت . أولي بأس شديد . واثقين في نصره الله لهم . واثقين في وعده الذي قطعه سبحانه - على نفسه:

*ومن أوفى بعهده من الله(46).

*ومن أصدق من الله قيلاً(47).

بالطبع لأحد .

ولكن لماذا يشكك المشككون في وعد الله ووعيده والشواهد كثيرة على تحقيق وعد الله ووعيده . ففي التوراة والزبور والإنجيل الكثير من النبوءات وأخبار المستقبل التي تحققت وتحقق وفي القرآن الكريم العديد من النبوءات التي تحققت أيضاً وتحقق كل حين وآن . وعلى سبيل المثال قوله تعالى :

*ألم . *غلبت الروم *في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون *في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون *بنصر الله . ينصر من يشاء . وهو العزيز الرحيم *وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون(48).

وقد تحقق وعد الله ونصره للروم (الكتابيين) على الفرس (الوثنيين) .
فى تسع سنين (بضع سنين) بعدما كان الفرس (المجوس) هم المنتصرون على
الروم (وهم أهل كتاب من النصارى) .

وغير ذلك كثير من النبوءات التى يعلمنا بها العليم الخبير القادر على
كل شىء دون مسببات أو أسباب . فسبحانه هو رب الأسباب كلها . ووعدہ
دائماً وأبداً - هو الحق :
*ولا ينبئك مثل خبير⁽⁴⁹⁾ .

*والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽⁵⁰⁾



الهوامش

- ¹ (سورة التوبة : 11، 112
- ² (سورة محمد : 38
- ³ (سورة النور : 55
- ⁴ (سورة المائدة : 54
- ⁵ (سورة آل عمران : 86-88
- ⁶ (سورة الأحقاف : 10
- ⁷ (سورة الإسراء : 58
- ⁸ (سورة الحج : 45
- ⁹ (سورة الحج : 48
- ¹⁰ (سورة آل عمران : 178
- ¹¹ (سورة آل عمران : 181
- ¹² (سورة المائدة : 64
- ¹³ (سورة آل عمران : 112
- ¹⁴ (سورة المائدة : 70
- ¹⁵ (سورة البقرة : 116
- ¹⁶ (سورة المائدة : 64
- ¹⁷ (سورة الأعراف : 167
- ¹⁸ (سورة آل عمران : 187
- ¹⁹ (سورة البقرة : 211

-
- 20 (سورة البقرة : 85)
21 (سورة المائدة : 64)
22 (سورة المائدة : 26)
23 (سورة يوسف : 110)
24 (سورة الإسراء : 4-8)
25 (سورة الإسراء : 104 ، 105)
26 (سورة البقرة : 96)
27 (سورة الرعد : 41)
28 (سورة يوسف : 21)
29 (سورة النمل : 14)
30 (سورة الحشر : 2)
31 (سورة فصلت : 15)
32 (سورة البقرة : 114)
33 (سورة الأعراف : 12)
34 (تفسير القرآن الكريم : (القرطبي) المجلد العاشر تفسير سورة المدثر .
35 (سورة فاطر : 43 ، 44)
36 (سورة الإسراء : 7)
37 (سورة الإسراء : 7)
38 (سورة الإسراء : 8)
39 (سورة الأعراف : 40 ، 41)
40 (سيرة الفاروق : (شبلى النعماني) ص 121)
41 (سورة الأنفال : 60)
42 (سورة النساء : 71)

⁴³ (البخاري : المجلد الأول جـ 1 ص 87 ، 88) (بحاشية السندی).

جوامع الكلم : (صلاح الدين التّجاني) ص 130 ح (983) .

وورد الحديث برواية أخرى : عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) :

أُعْطِيتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي - وَلَا أَقُولُهُنَّ فَخْرًا - بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ . وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ . وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي . وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجَدًا وَطَهُورًا . وَأُعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ فَأَخَّرْتَهَا لِأُمَّتِي فَهِيَ لِمَنْ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا .

مسند الإمام أحمد : جـ 1 ص 301 طبعة الحلبي & حديث رقم 2742 (طبعة

المعارف)

وروى الحديث أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

رسول الله (ﷺ) :

لَقَدْ أُعْطِيتِ اللَّيْلَةَ خَمْسًا مَا أُعْطِيَهُنَّ اللَّهُ أَحَدٌ قَبْلِي . أَمَا أَنَا فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَةً . وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ . وَنُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالرَّعْبِ . وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَمَلِئْ مِنْهُ رَعْبًا . وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ أَكْلُهَا وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعْظَمُونَ أَكْلُهَا . كَانَ يَحْرِقُونَهَا . وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجَدًا وَطَهُورًا . أَيْنَمَا أَدْرَكْتَنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ . وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعْظَمُونَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ يَصْلُونَ فِي بَيْعِهِمْ وَكُنَائِسِهِمْ . وَالْخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ . قِيلَ لِيَ : سَلْ . فَإِنْ كُلُّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ . فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهِيَ لَكُمْ . وَلِمَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

(مروى في مسند الإمام أحمد جـ 2 ص 222) (طبعة الحلبي) والحديث

رقم 7068 (طبعة المعارف) .

وقال الحافظ ابن كثير : أسندهما جيد قوى .

وروى الإمام أحمد بمعناه عن أبي عمر وأبي موسى . وهو ثابت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله الأنصاري وذلك في صحيحه :
مسند الإمام أحمد : 8 - كتاب الصلاة & 56 - باب قول النبي (ﷺ) .
جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِداً وَطَهوراً .
البخاري : حديث رقم 231 .
صحيح مسلم : 5 - كتاب المساجد ومواضع الصلاة . حديث رقم 3
(طبعة مؤسسة التاريخ العربي - بيروت)
سنن الدارمي : 17 - كتاب السير & 28 - باب الغنيمة لا تحل لأحد
قبلنا ونصه :

عن أبي ذر (الغفاري) أن النبي (ﷺ) قال :
أُعْطِيتْ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي . بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ .
وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً . وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلِّ لِأَحَدٍ قَبْلِي .
وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ شَهراً يَرْعِبُ مِنْهُ الْعَدُوُّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ . وَقِيلَ لِي : سَلْ .
تَعْطُهُ . فَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ
لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً .

44 (سورة الزخرف : 32)

45 (سورة الطلاق : 3) .

46 (سورة التوبة : 111) .

47 (سورة النساء : 122) .

48 (سورة الروم : 1-6) .

49 (سورة فاطر : 14) .

50 (سورة يوسف : 21) .

الفصل التاسع

وبعد

كتاب الله و الادعاء بالحق

النارنجي و الديني

عن الحارث قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث .
فدخلت على (عليّ) فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا
في الأحاديث ؟ قال : وقد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما إني قد سمعت
رسول الله (ﷺ) يقول : ألا إنها تكون فتنة . قلت : ما المخرج منها يا
رسول الله ؟ قال : كتاب الله . فيه نبأ ما كان قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم
ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومن
ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم
وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهواء . ولا تلتبس به
الألسنه . ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلق (أى يعجز) على كثرة الرد .
ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنما
سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فأمنّا به) . من قال به صدق .
ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل . ومن دعا إليه هُدى إلى صراط
مستقيم (1) :

وفى رواية أخرى جاء فيها :

* عن الحارث قال : دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث . فدخلت على (علي) فقلت : ألا ترى أن أناسا يخوضون في الأحاديث في المسجد فقال : قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال . أما إنى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ستكون فتن . قلت : وما المخرج منها ؟ قال :

كتاب الله . فيه نبأ ما قبلكم . وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . هو الذي من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . فهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشيع منه العلماء . ولا يخلق عن كثرة الرد . ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا) . هو الذي من قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن عمل به أجر . ومن دعي إليه هدىً إلى صراط مستقيم (2) .

ويقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل :

• إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون * وأنه لهدى ورحمة للمؤمنين * إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم (3) .

هذا هو وصف كتاب الله الحكيم الذي اتخذته - في دراستنا هذه - حكماً عدلاً وهادياً لإحقاق الحق وإزهاق الباطل والأساطير والخرافات. اتخذته فرقانا وفيصلاً بين الآراء والأهواء . بين الحقائق والأباطيل . بين الصدق والكذب والادعاء . بين شهادة العدل والزور والبهتان والضلال .

آثرت أن يكون هذا هو منهجي ومرجعي الأخير لتصحيح الكثير من المفاهيم التي شاعت وتشيع بين الناس في كافة العصور والدهور وفي كافة البقاع والأصقاع . وحين أشرت إلى ذلك في بداية هذه الدراسة الموسوعية (منهج البحث) كنت أدرك أن كثيراً ممن قرأ ذلك سيتهمني بالغرور أو القصور أو بأنني أحاول تأويل كلمات الله - أعاذنا الله من ذلك - حسب هواي ومرادي للوصول إلى نتائج معينة أسعى إليها . والآن وبعد طرح كافة القضايا التاريخية والدينية المتعلقة ببني إسرائيل هل مازالت تلك الاتهامات تصمني وتعلق بي دون بينة أو دليل ؟ أم أن الحقيقة باتت الآن واضحة وساطعة لا يحجب ضياءها حائل . لن أركي نفسي بل أقول متواضعا أنني أعلم أن دراستي هذه ستجد من يعارض بعض ما جاء فيها من اجتهادات (هي الحقيقة بعينها) إما لمجرد حب الاعتراض أو استنكاراً لما جاء بها من الحقائق التي دمغت الكثير من الأباطيل وكشفت العديد من الترهات والخرافات الشائعة بين كثير من الناس .

ومعذرة إذا كانت نبرة كلماتي قد بدت ساخنة وشديدة وحادة في بعض المواقف لكنني - ويعلم الله ذلك - آثرت من البدء وحرصت أشد الحرص على أن تكون دراستي موضوعية إلى أبعد الحدود ومحيدة قدر الإمكان وبعيدة عن الإطئاب والسفسطة والتهويل والتهويل والتجني . حرصت أن أكون عادلاً ما وفقني الله إلى ذلك سبيلاً .

وتحامي على بني إسرائيل في بعض المواقف ليس تحاملاً وتجنياً على أتباع الدين اليهودي (وهم أهل كتاب وشريعة) وليس مقصوداً لذاته أو معنياً ومقصوداً به التجريح أو الاحتقار أو الاستعلاء دون مبرر . وإنما كان ذلك نابعا - وبصدق - من الأسى الذي يعتل بداخلي كلما جابهت أفراداً أو

مجتمعات تلغى أهم ما يتميز به الإنسان على سائر مخلوقات الله ألا وهو العقل والإدراك والفكر . العقل الذي يهدى ويضل صاحبه . يرفع ويخفض الشأن والمنزلة . العقل الذي لو تخلى عنه الإنسان للحظة أصبح يتصف بالحيوانية والبهيمية (أو البوهيمية) حيث يغلب الهوى وتطغى الغرائز . وبالعدا والاستكبار والغلو يصبح الفكر والإدراك والتوجهات كله معطوباً يناله الخلل . فالاستقامة على أمر ما منهاجه الفكر القويم الصائب . أما التخلي عن قيادة العقل والتنازل عنه للهوى فإن ذلك يفتح النوافذ والأبواب على مصراعيها لنزغ الشيطان وكيدته وإضلاله . فتضيع المبادئ والقيم . وتُهمل الشرائع وتنحدر السلوكيات حتى يصبح الإنسان دون منزلة الأنعام . وكما في الأفراد يحدث ذلك أيضاً في المجتمعات والأمم . فيقول قائل (منهم) لماذا يضطهذي الغير دونما سبب واضح . ولماذا يزدريني الآخرون هكذا . بينما لو أمعن الفكر قليلاً لوجد أن الأسباب كثيرة هي التي دعت لذلك ولكنها الغشاوة التي تعمى الأبصار وتذهب بالعقول هي التي تعتبر المسئولة عن ذلك الاضطهاد المزعوم .

وبنو إسرائيل - كغيرهم من البشر - فى كل العصور ليسوا مضطهدين لذاتهم دونما سبب وإنما الأسباب كثيرة (يرجى مراجعة الفصلين الرابع والخامس) . وهى أسباب جادة وواقعية وموضوعية لا افتراء ولا تجن فيها إطلاقاً . فما من شعب نال الاهتمام والرحمة والتوجيه من الله جل شأنه قدر ما نال هذا الشعب العاق والمتبطر على النعم والمتعطر على كافة الشعوب والأجناس :

*وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين (4).

ونحن البشر إذا ما أصابنا عقوق ممن هم دوننا (أبناء أو خدم مثلاً) فإن النفس تكون ساخطة غير راضية . والله المثل الأعلى . فقد منح بنى إسرائيل الكثير والكثير من النعم والآلاء . وكان مقابل ذلك كله الجحود والنكران والإعراض والكفر بدلا من الحمد والشكر والتسبيح . والله جل شأنه غنى عن عباده ومخلوقاته . بل نحن الفقراء إليه وإلى عطائه ورحمته ورضوانه جل علاه :

*يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله . والله هو الغنى الحميد(5).

ولايزيد شكر العبد وحمده لله فى ملكوت الله شيئا . ولا ينقص أيضا كفره وجحوده من ملكوت الله شيئا :

*إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر . وإن تشكروا يرضه لكم (6) .

وهو القادر سبحانه على إهلاكنا جميعا متى شاء وكيفما شاء . من أعرض عنه - سبحانه - فله سوء العاقبة والمنقلب . ومن أطاع واهتدى فله الدرجات العلى فى الدنيا والآخرة . ولأنه سبحانه كذلك فليس لنا إلا الزلفى إليه والامتثال لأوامره وشرائعه التي ما أنزلها لنا إلا لينصلح حالنا ويحسن مآلنا وتستقيم به الحياة والأمور . أما إذا تتكينا الطريق المستقيم الذي فيه خيرنا وصلاحنا وانتهجنا طريق الشر والغواية والضلال فإنه سبحانه :

* إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز (7) .

وهذا هو ما حدث بالضبط لكل الأمم السابقة التي أهلكها الله وأبادهـا واستبدلها بأمم أخرى . فأين هم الفراعين . وأين هم الآشوريون والبابليون والفرس والتتار والمغول وغيرهم . وأين هم أقوام عاد وهود وشعيب ولوط . لقد كان من الأحرى ببني إسرائيل أن يكونوا أول الطائعين لله جل شأنه لكثرة نعمه عليهم (انظر الفصل السادس) وتفضيله لهم على الأمم التي عاصرتهم . حتى أنهم ظنوا وروجوا وأشاعوا حتى صدقوا ما أشاعوه بأنهم مفضلون ومميزون على باقي البشر مهما فعلوا وأساعوا وأضلوا إلى يوم القيامة . واعتقدوا أن غضب الله عليهم غير وارد . وعقابه لهم غير محقق أو مستوجب . وكأن لديهم العهود والمواثيق من الله بذلك :

* وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده . أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (8) .

*ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات . وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون (9) .

* وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . تلك أمانيتهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (10) .

*وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (11) .

*قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يمتنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (12) .

وهذا هو منتهى عدل الله فيهم وفي غيرهم من الأمم. ولأنهم قد اغتروا كثيراً بأمانيتهم في الانتعاق من عذاب الله . فانه يحذرهم من فساد ذلك الاعتقاد .

* قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (13).

* إن وعد الله حق . فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (14) .

إن ما يفعلونه في كل زمان ومكان لا يستوجب الأسف عليهم لأنه :

* قل كل يعمل شاكلته . فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً (15).

وإذا ما نظرنا إلى ادعائهم بأن لهم (حق تاريخي) في أرض فلسطين فهذا الادعاء مردود عليه (يرجى مراجعة الفصول الأول والثاني والثالث والسادس) بأنه لو أخذنا بمنطقهم في ذلك في أن الأرض التي جابوها شرقاً وغرباً وأقاموا فيها بعض الوقت على مدار تاريخهم يستوجب ملكيتهم لتلك الأرض (العراق – سوريا – فلسطين – الأردن – مصر) مدعين أن ملكهم هو من النيل إلى الفرات . لو أخذنا وطبقنا هذا المنطق المغلوط فإن مصر على وجه التحديد ملكيتها – بناء على ذلك – تمتد من العراق شرقاً ومنطقة الشام بأكملها والسودان جنوباً حتى الحبشة وغرباً لحوالي ثلث ليبيا . لأن الامبراطورية المصرية القديمة أخضعت تلك البلدان والممالك لسيطرتها عشرات القرون (امبراطورية أحمر الأول وتحتسب الثالث وما قبلهم وما بعدهم) وأصبحت كل هذه الأراضي تابعة لمصر وتشكل أطراف وأجزاء الامبراطورية المصرية القديمة . وتلك السيطرة والهيمنة كانت لقرون تفوق إقامة بني إسرائيل بفلسطين . وإذا ما طبقنا نفس المنطق الإسرائيلي المغلوط

فإن الامبراطورية العربية الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها (من حدود الصين والهند شرقا إلى أسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا غربا . ومن حدود القوقاز شمالا حتى أواسط أفريقيا جنوبا) لقرون طويلة تنشر دين الله وحكمه العادل بين الشعوب بعدما حررت تلك البقاع المترامية من عبادة وسيطرة وحكم البشر إلى عبادة رب المخلوقات جميعها وشريعته السمحاء التي فاضت بالخير والرحمة والعدالة في كل تلك الأرجاء (لم تكن امبراطورية استعمارية أو استغلالية وإنما تحررية) وبالقياص فإنه يكون من حق العرب والمسلمين المناداة بعودة تلك الأصقاع والبلدان - كحق تاريخي - لهم فتعود الأندلس (أسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا) وكذلك دول الجوار حتى بحر قزوين والبحر الأسود وغيرها من بلدان آسيا وأفريقيا .

إن منطق بنى إسرائيل المغلوط هذا غير واقعي ولا يمكن الأخذ به لأن الألمان حينما حاولوا تطبيق هذا المبدأ واستولوا على دول الجوار (بولندا وغيرها) بحجة تبعيتها في وقت ما لألمانيا فما كان من باقي أوروبا والعالم إلا أن واجهوا التوسع الألماني وكانت الحرب العالمية الثانية بكل ما انتهت إليه من نتائج ومن إلقاء الأوضاع والحدود بين الدول على ما كانت عليه قبل تلك الحرب الضروس .

ومن الثابت المقرر في القانون الدولي أن ترك شعب لوطنه آلافاً سحيقة من السنين لا يمكن إلا أن يحرمه كل حق في المطالبة بالعودة إليه الآن . وفقهاء القانون الدولي يسخرون من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر . الأمر الذي يمكن أن يقلب صورة الدنيا رأساً على عقب بشكل ساخر وسخيف لا يمكن تصوره .

واليهود الآن حينما يحاولون إحياء الماضي بصورة دراماتيكية ساخرة وهزلية فإنهم يفعلون ذلك لا بحكم الحق الديني (الذي انتهى بغضب الله عليهم فأصبح الشتات مصيرهم) أو الحق التاريخي أو غيره وإنما لكونهم أداة تنفيذية (مرتزقة ومأجورة) سياسية وعسكرية لكل مخططات وأطروحات المشروع الاستعماري الغربي بكافة صوره القديمة والحديثة :

*وقطعناهم فى الأرض أمما⁽¹⁶⁾ .

أما لماذا تختار إسرائيل النموذج السحيق لها (أكثر من ألفين وتسعمائة عام) وهو نموذج مملكة داود وسليمان (عليه السلام) . فيرجع ذلك إلى عامل نفسي بحت . وليس عاملا تاريخيا أو دينيا . وهو أن مملكة داود وسليمان (عليه السلام) تشكل لبنى إسرائيل رمز الأمجاد والتمكين فى الأرض وتشيد الهيكل المقدس (الذي خربوه من قبل بكفرهم وانحلالهم قبل أن يهدمه الغزاة على مر التاريخ) . رمز الرخاء والثراء . رمز القوة المادية والعسكرية والاقتصادية وغيره . وهو الرمز الذى لم ولن يتكرر لبنى إسرائيل مهما سعوا لذلك . لماذا ؟ لأن التاريخ لكى يعيد نفسه لابد وأن تكون نفس الظروف المحيطة متماثلة فى كلتا الحالتين (قديما وحديثا) . وقبل هذا وذاك - وهو الأهم - لابد أن تكون معية الله معهم لنصرتهم ولتحقيق ما يحلمون به . ومعية الله كانت مع داود وسليمان تأييدا للدعوة والرسالة (التوراة والزبور) فكان التمكين فى الأرض . وتذليل العوامل التي أدت في النهاية إلى قيام المملكة الموحدة لبنى إسرائيل (يمكن مراجعة الفصل السادس) :

*قال (سليمان) رب اغفر لي وهب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي . إنك أنت الوهاب (17) .

وبدعوة نبي الله سليمان تلك واستجابة الله له تحقق له الملك الذي كان . والذي لن يتحقق لأحد من بعد سليمان مطلقاً بنص القرآن الكريم . إذن فكل ما يحدث وسيحدث هو الهراء بعينه وهو جموح الخيال وشططه الذي لن يتحقق منه شيئاً مهما فعلوا لأن دعوة الأنبياء مستجابة عند الله . ولأن الله لا يخلف وعده إطلاقاً . ولأن معيَّته جل شأنه مع عباده المؤمنين فقط . والله لا يستجيب إلا للتقاة فقط فأين هم . ومن هم الآن ؟ .

*ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله . والكافرون لهم عذاب شديد (18) .

* إنما يتقبل الله من المتقين (19) .

واليوم معية الله قد نبذت بنى إسرائيل من حسابها تماماً منذ آخر أنبيائهم إليهم وهو عيسى (عليه السلام) . ومع بعثة محمد (ﷺ) - آخر الأنبياء والمرسلين -

وإعراض اليهود عن تصديق رسالته الخاتمة حقداً وحسداً لكونه ليس من نسل يعقوب وداود . والتكذيب بدعوته إليهم أن يسلموا ويؤمنوا به وأن يتمسكوا بشريعتهم الحققة المنزلة على موسى (عليه السلام) . مع بعثة النبي (ﷺ) انتفت معية الله لبنى إسرائيل وانتهى تفضيله سبحانه لهم لكفرهم وعنادهم . وذكر الله جل شأنه في قرآنه الكريم أسباب ذلك وأسباب غضبه عليهم ولعنتهم في الدنيا والآخرة (انظر الفصول الرابع والخامس والسادس) ولم يعد هناك ما

يستوجب عفو الله عنهم . ولا استجد شيء في سلوكياتهم وإيمانهم يستدعي رحمة الله بهم . وإذا كان جل شأنه يملئ لهم الآن بالقوة المادية وغيرها فإن ذلك ليس حياً فيهم كما يقولون ويتصورون . ولا كرمأ منه - سبحانه - لأجلهم . وإنما كل ذلك لسببين هامين :

(1) ليزدادوا طغياناً وإثماً وعلواً وفساداً حتى يتم وعده للمؤمنين بالنصرة عليهم ووعدده لهم بالتدمير وتحقيق وعده الأخير (وعد الآخرة) وعد عزيز مقتدر :

*ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم (نمهل) خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين⁽²⁰⁾.

(2) ليكون ذلك بلاءً وابتلاءً لكافة شعوب الأرض المسلمين منهم على وجه الخصوص . لأن قرآنهم قد فضح اليهود وذكر كل شيء عنهم من صفات ومكائد ودسائس وعقائد فاسدة وجحود واستعلاء وطبائع منحرفة معوجة لا ولن تستقيم أبداً حتى قيام الساعة .

*ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم (نظـهـرـها)⁽²¹⁾.

*ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم . ولكن ليبلوا (ليختبر) بعضكم ببعض⁽²²⁾ :

هذه هي القضية بجلاء ووضوح دون التباس أو شك أو ادعاء .



حقيقة نزول المسيح (عليه السلام)

في حديث منسوب للنبي (ﷺ) يُروى عن أبي هريرة جاء فيه أن النبي (ﷺ) قال :

*والذي نفسي بيده . ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب . ويقتل الخنزير ويضع الجزية . ويفيض المال حتى لا يقبله أحد .
وفي رواية أخرى : ويقتل المسيح الدجال .

وفي نفس الموضوع تأتي روايات أخرى تردد كلاماً نحو هذا المعنى باختلاف في النص والنبي (ﷺ) براءً من هذه الأحاديث الإسرائيلية المزعومة التي تنسب إليه. وللرد على هذا الافتراء نقول :

(1) بالأفكار الواردة في هذا الحديث المزعوم يحدث هدم لأركان وأساسيات هامة في عقيدة المسلمين وثوابتها التي وردت في القرآن الكريم .

(2) أى أمور أو قضايا تخص عقيدة الإسلام لم يتركها القرآن الكريم وتحدث فيها إجمالاً وتفصيلاً وفي مواضع مختلفة دون أن تحال تلك القضايا والثوابت على السنة وحدها. واتخاذ حديث يُنسب للنبي (ﷺ) دون أن يكون له ما يقابله من النص القرآني (خصوصاً ما يمس العقيدة وأركانها وثوابتها) لم يرد فيه أية شواهد في السلف الصالح ولا في التابعين . لأن النبي (ﷺ) بكل عظمته ومكانته عند ربه وفي قلوب المسلمين لا يشرع من عنديات

نفسه لأن التشريع والحاكمية لله وحده . والنبي (ﷺ) كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين عنه :

* عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

فإن خلق نبي الله (ﷺ) كان القرآن (23) .

(3) في هذا الحديث والأحاديث - الإسرائيلية - المنسوبة للنبي (ﷺ) والتي تشير إلى نزول عيسى (عليه السلام) قبل قيام الساعة بأربعين عاما (أو خمسين عاما في رواية أخرى) هو محض افتراء على النبي (ﷺ) روج له أهل الكتاب من اليهود وأشاعوه وصدقته العامة من الناس دون سند من كتاب الله الحكيم ولا السنة المطهرة الصحيحة عن النبي (ﷺ) . فجميع الآيات التي وردت في علامات الساعة وقيامها لم تشر في قريب أو بعيد إلى نزول نبي بعينه في آخر الزمان . والغرض من دس هذا الحديث واضح لإيجاد مرجعية لآخر أنبياء بنى إسرائيل كي يؤمنوا به - كما يزعمون - قبل قيام الساعة والحساب فيكون موتهم على الإيمان بعدما كفروا به عند بعثته من قبل وتناولوا عليه بالقول والفعل وأيضا ليكون هناك - في نظرهم - تميزاً وتفضيلاً لنبي بعينه رغم رسالة آخر الأنبياء والمرسلين (القرآن) التي تنفي نزول أو بعث أنبياء آخرين بعد بعثة محمد (ﷺ) لكونه خاتم المرسلين والنبیین .

* ماكان محمد أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبیین . وكان الله بكل شيء عليماً (24).

(4) بالرجوع إلى (الفصل السادس) من دراستنا هذه والذي بيّنا فيه أن الله سبحانه وتعالى قبض روح عيسى (عليه السلام) قبل الرفع (شأنا ومنزلة) ليصبح مع الأنبياء والشهداء (أحياء عند ربهم يرزقون) وعن وفاته قلنا أن الله قد قبضه وأماته ميتة طبيعية حتى لا يقع بين أيدي أعدائه فيمتلوا به كما كانوا يخططون. فأنقذه الله منهم ثم توفاه لأجله الذي قدره ورفع مكانته وطهره من أيديهم الذنسة المخضبة بدماء الأنبياء الذين قتلوهم قبله :

* ومكروا (لقتله وصلبه) ومكر الله (بتدبيره ليفسد ما عزموا عليه) والله خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی ومطهرک من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون⁽²⁵⁾.

وكلمات الله واضحة دون لبس. حيث يقول جل شأنه (إني متوفيك) أولا ثم (ورافعك إلی) رفع تشريف وتكريم وعصمة ورفع منزلة (مثلما رفع إدريس (عليه السلام) (مكانا عليا)⁽²⁶⁾ ثم تأتي كلمة (ومطهرک من الذين كفروا) لتكون نتيجة لما سبق من الوفاة حتف أنفه (لا بالصلب والقتل) ورفع المنزلة والعصمة من أعدائه . أى أنه بذلك الذي حدث لعيسى (عليه السلام) يكون مطهراً ومعصوماً من أعدائه الكائدين له. والرفع للروح لا الجسد كما يحدث للمقربين في المنزلة والتشريف من الله وهم الأنبياء والشهداء والصديقون . وهذا التكريم من الله لأن عيسى (عليه السلام) هو آخر أنبياء بنى إسرائيل وأحد أولى العزم من الرسل .

(5) قد يتقعر قائل بأن كلمة الوفاة قد تعنى النوم . أى أن الله قد ألقى على عيسى (عليه السلام) النوم ثم رفع جسده وروحه إليه ليصبح حياً فى السماء . ولتحقق بعد ذلك صدق ادعائهم بعودة عيسى (عليه السلام) آخر الزمان . وللرد على ذلك نقول :

* قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (27) .

* الله يتوفى الأنفس حين موتها (28) .

٢

* ما المسيح بن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل (29) .

وكلمة (خَلَّتْ) تعنى مضت وانقضت وهلكت أى ماتت من قبله الرسل وتلك هى سنة الله فلا نبياً يخلد أبد الدهر .

ونفس الكلمة وردت فى حق النبي محمد (ﷺ) لتعنى فناء وموت كل الرسل من قبله ولأنه آخر الأنبياء والمرسلين فعليه يكون عيسى (عليه السلام) قد مات :

* وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (30) .

وكما نعلم فإن جميع الرسل قد ماتوا - كشأن جميع البشر - وآخرهم محمد (ﷺ) :

* وما جعلنا لبشرٍ من قبلك (يا محمد) الخلدَ أفإن مِتَ فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت . ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون (31) .

أي ليس هناك من البشر من يخلد حياً دون موت (من قبلك) فالإنشر
جميعاً يموتون .

ويخبرنا رب العزة تبارك وتعالى وعلام الغيوب بمشهد سيحدث يوم
القيامة على لسان عيسى (عليه السلام) فيقول :

* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم
شهيذاً (شاهداً ورقيباً) مادمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم
وأنت على كل شيء شهيد⁽³²⁾.

ومن الآيات السابقة نجد الدليل القطعي الذي تكرر في الآيات ليدل
على موت عيسى (عليه السلام) لا على بقائه حياً إلى ما قبل الساعة بأربعين أو
خمسين عاماً .

(6) تحديد موعد لقيام الساعة (أربعون أو خمسون عاماً من عودة نزول
المسيح كما يدعون) هو أمر مخالف للعقيدة . لأن الساعة وموعدها لا يعلمه
إلا الله . ومجرد تحديد حدث قبلها بزمان معين ينفي عنها أنها غيب يعلمه
الله وحده دون سائر المخلوقات . فعلم الساعة وموعدها أحد الغيبات
الخمس التي انفرد بها سبحانه وتعالى حيث يقول في ذلك :

* إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث (المطر) ويعلم ما في الأرحام
(وليس من في الأرحام) وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً (من الرزق) وما
تدرى نفس بأي أرض تموت (مكان وزمان الوفاة) . إن الله عليم خبير⁽³³⁾ .

*يسألك عن الساعة أيان مرساها (موعد حدوثها) قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها (يظهرها) إلا هو . ثقلت (عظم أمرها ودنا موعدها) في السماوات والأرض . لا تأتكم إلا بغتة (فجأة) يسألك (يا محمد) كأنك حفي عنها (عالم بها) قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽³⁴⁾.

ومن الآية الأخيرة نجد أن الله - سبحانه وتعالى ينفي علم النبي (ﷺ) بموعد القيامة وينسب علمها له جل شأنه . ثم يبين سبحانه أن الساعة تأتي بغتة (فجأة) دون دليل يسبقها بسنوات أو حتى بساعات ودون إنذار ينبئ وينبه بمجيئها وكل العلامات الأخرى التي ورد ذكرها في كتاب الله (في آيات أخرى) إنما ستتم في لمح البصر (دخان السماء - دابة من الأرض - تكلم الناس - انكدار النجوم - جمع الشمس والقمر - تكوير الشمس - تسيير الجبال - حشر الوحوش - انفطار السماء - وانشقاقها - اشتعال البحار - انتشار الكواكب - الزلزلة .. الخ) وذلك لقوله تعالى :

*ولله غيب السماوات والأرض . وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب . إن الله على كل شيء قدير⁽³⁵⁾.

(7) في الأحاديث المشار إليها يقولون أن المسيح (ﷺ) سيعود وينزل ليتم الشريعة ويحكم بالإسلام ويقم العدل والسلام .

وكل هذه الافتراءات جد مضحكة . فهل الشريعة الآن ناقصة لينزل المسيح (ﷺ) أو غيره من الرسل أو الأنبياء ليتموها . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يحاسبنا الله على شريعة لم تكتمل ودين لم يتم ؟ .

إن الحساب -حاشا لله - سيكون حينئذ جائراً وليس فيه عدل . فما ذنب البشر الذين عاشوا في زمن لم تتم فيه الشريعة والدين حتى يدخلوا النار . وإذا كان الذى سيجىء به المسيح (عليه السلام) بعد نزوله ثانية - كما يدعون - هو الإسلام فماذا يكون الذى جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ)؟ ألم يخبرنا الله من قبل أن الدين قد أتمه الله وأكمّله :

* اليوم يؤس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتي (الهداية والإيمان) ورضيت لكم الإسلام ديناً(36).

وهذا الدين الأخير هو نفسه بشرائه التي جاء بها إبراهيم (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) وجميع الأنبياء من قبل . لأن الدين والشريعة مصدرها واحد هو الله جل علاه :

* قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثر الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا (الشرع المذكور فى الآيات) لفى الصحف الأولى * (كتب ورسالات) إبراهيم وموسى (37) .

وآية سورة المائدة السابق ذكرها هي آخر ما نزل من القرآن الكريم والتي أقر الله فيها أن الدين أصبح كاملاً لا نقصان فيه (اليوم أكملت لكم دينكم) وأن الشريعة والهدى قد أتمه الله (وأتممت عليكم نعمتي) ورضى جل شأنه لعباده الإسلام منهاجاً ودستوراً وشريعة قائمة يُعمل بها إلى قيام الساعة دون إضافة أو حذف . ولأن الأمر كذلك فقد تكفل سبحانه بحفظ الشريعة كما أنزلها ولم يتركها للبشر يعبثون بها كما سبق وفعلوا في الشرائع والكتب السابقة حيث كان التحريف والتبديل والحذف والإضافة على

شرع الله . أما ولأن القرآن الكريم هو الرسالة الخاتمة والدين الباقي والمستمر إلى قيام الساعة فإنه جل شأنه حفظه من كل ذلك وتكفل بذلك وحده :

*إنا نحن نزلنا الذكر (القرآن) وإنا له لحافظون⁽³⁸⁾.

(8) أشار الله سبحانه وتعالى إلى أن محمداً (ﷺ) هو آخر الأنبياء والمرسلين إلى البشر حتى قيام الساعة ولذا جاءت رسالته لكافة البشر دون قوم بعينهم . حتى لا يدعى مدع بأنه غير ملزم بما جاء به الرسول (ﷺ) وحتى لا يتوهم واهم منحرف الفكر فيقول أن رسولا سوف يأتي بعد محمد (ﷺ) يبعث لأقوام ما قبل وقوع القيامة لينشر دين الله فيهم ويقيم شرائعه التي أغفلها كما يدعون - دين محمد (ﷺ) :

*ما كان محمد أباً (والد) أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليماً⁽³⁹⁾.

فكيف بعد هذا التبيان من الله بأن محمداً (ﷺ) هو آخر الأنبياء والمرسلين إلى البشر يدعى متخرص أن هناك نبيا سيأتي من بعده . ولو حدث ذلك افتراضا - ولن يحدث بالقطع - لكانت تلك الآية الكريمة هي من التحريفات أو الإضافات في القرآن الكريم . وهو أمر مردود عليه ومفروغ منه لأن الله - كما سبق وبيننا - هو الذي تكفل بحفظ قرآنه الكريم فلا يستطيع كائناً من كان أن يحذف أو يضيف أو يغير ما فيه من الآيات. ودليل آخر على أن محمداً (ﷺ) هو خاتم النبيين والمرسلين ولا نبياً بعده أن الله سبحانه وتعالى كان يرسل الرسل والأنبياء على فترات متتالية من الزمن لا تزيد على ستة قرون :

*ثم أرسلنا رسلنا تترى (متتابعين) (40)

بل كان جل شأنه يرسل بعضهم فى وجود أنبياء آخرين مثلما حدث من بعثة لوط (عليه السلام) فى زمن إبراهيم (عليه السلام) وإسحاق وابنه يعقوب (عليه السلام). ويوسف وأبيه يعقوب (عليه السلام) وسليمان وأبيه داود (عليه السلام) وعيسى فى وجود ابن خالته يحيى (عليه السلام). وقد مر حوالى 571 عام منذ بعثة عيسى (عليه السلام) آخر أنبياء بنى إسرائيل إلى بعثة محمد (ﷺ) آخر المرسلين. والآن مر أكثر من 1400 عام منذ وفاة النبى (ﷺ) ولم نسمع ولن نسمع ببعثة نبى آخر. ناهيك عن عودة نزول نبى أو رسول. لأنه بوفاة النبى محمد (ﷺ) انقطع الوحي من السماء لتمام الدين واكتمال الرسالة :

* وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون (41).

وليس المقصود أن الناس لا يعلمون ببعثة النبى (ﷺ) ولكن المعنى المقصود هو أن أكثر الناس لا يعتقدون أن بعثة النبى (ﷺ) هي للناس جميعا فى كل زمان ومكان لأنهم درجوا - قديما - على أن الله يرسل الرسل لأقوام بعينهم :

*وأرسلناك للناس (جميعا) رسولا . وكفى بالله شهيدا (42):

*وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (كلهم) (43).

(9) نحن في هذا المقام لا نطعن فى عيسى (عليه السلام) كنبى أرسله الله إلى قومه (بنى إسرائيل) وإنما نطعن ونتكر إعادته للحياة وإعادة بعثته برسالة ودين قبل يوم القيامة . يوم البعث والنشور لكل الخلائق ونحن لا نحط بذلك من منزلة

عيسى (عليه السلام) أو غيره من أنبياء الله وإنما - كما علمنا الله - لا نفرق بين رسل الله ولا نفضل بعضهم على بعض :

* لا نفرق بين أحدٍ منهم (من الرسل) ونحن له (لله) مسلمون⁽⁴⁴⁾.

(10) لو فرضنا جدلاً أن المسيح (عليه السلام) سينزل آخر الزمان كما يدعون وأن الضمير في كلمة (موته) تعود على إعادة نزول عيسى (عليه السلام) في السماء كما يدعون (ليمكث في قومه أربعين سنة - أو أكثر - حتى يؤمنوا به فإن مفهوم سورة النساء (159) حينئذ (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به) هو أن يؤمن به قومه (أهل الكتاب) قبل إعادة موته (أو حسب تصورهم موت عيسى الذي لم يتم في المرة الأولى بعد الرفع حياً) وعليه فإن ذلك يستلزم - طبقاً للدعاء الوارد - إيمان قومه جميعاً به. أى إحياء قومه الذين ماتوا حتى يؤمنوا بعيسى قبل موته (هو لا هم) . وفى هذه الحالة فإن الأمر يستلزم إحياء جميع أهل الكتاب قبل نزول عيسى ليؤمنوا به قبل موته (المفترض) . أى أن المدعين أوقعوا أنفسهم في إشكالية كبيرة تستلزم إعادة إحياء قوم عيسى (عليه السلام) (من أهل الكتاب) كلهم حتى يؤمنوا به قبل موته (المفترض حدوثه بعد النزول) وهذا هو الفرض المستحيل حدوثه لأن الله قد كتب الموت على جميع المخلوقات. والإحياء والبعث والنشور سيكون حتماً لهذه المخلوقات يوم القيامة فقط . أى بعد النفخ فى الصور (المرة الثانية) لا قبلها (المرة الأولى لإماتة جميع المخلوقات) أى أن استدلال المدعين باطلة من كل الوجوه . وكلمة (موته) تعنى موت أى من أهل الكتاب كما بينّا لاموت عيسى (عليه السلام) . (انظر الفصل السادس - وفاة عيسى ورفعه) . ولم يرد نص صريح بعودة نزول عيسى (عليه السلام) أو غيره لا فى القرآن الكريم ولا فى الإنجيل ولا حتى فى أى رسالة سماوية أخرى .

﴿ يضيف الكاتب الإسلامي (سيد صالح) ⁽⁴⁵⁾ على ما قلناه ما يلي :

أ- كيف يعود عيسى (ﷺ) وقد انتهى أجله وأدى رسالته أداءً كاملاً . ووفاه الله أجله وفاءً تاماً في الحياة الدنيا والمعروف أن سنة الله قد مضت بامتناع العودة لمن يتوفاهم الله . (إلا يوم البعث والنشور) .

ب- كيف نصدق أن نبيا يُبعث مرتين مرة قبل محمد (ﷺ) ومرة بعده . أى مرة لقومه خاصة ومرة للناس عامة .

ج- ما هو دور عيسى عند نزوله ثانية أهو دور الرسول الجديد أم دور المتمم لرسالة كانت ناقصة لهذا الإتمام (أى رسالة محمد (ﷺ) التي أخبرنا بتمام ما فيها واكتماله) .

د- لا أرى من سبب لتحديد اسم عيسى (ﷺ) في هذا الحديث إلا أنه دس من صنع المغرضين أصحاب الرغبة في وقوع الفتنة بين المسيحيين والمسلمين . وإن كانت هناك عودة حقاً فإن الأقرب للمنطق عودة إبراهيم (ﷺ) باعتباره الوالد العالم للأنبياء وعودته - إن تمت - تكون إرضاءً لليهود والنصارى والمسلمين أيضاً .

هـ- إذا كان الله تبارك وتعالى قد أخبر عيسى (ﷺ) وقومه بمجيء محمد (ﷺ) من بعده في الإنجيل فكيف يقدر لعيسى (ﷺ) مجيئاً معاداً ومكرراً دون أن يخبرنا عن هذا المجيء في القرآن الكريم . والله يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ⁽⁴⁶⁾ ويقول أيضاً (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ⁽⁴⁷⁾ .

و- إن المسيح الدجال ليس رجلاً واحداً أعوراً كما يقول حديث باطل. آخر وإنما هو كل ماسخ لجمال الحق وكل مبدل لشريعة الله وكل خارج على حدود ربه . ومثل هذا المسيح موجود في كل زمان ومكان .

ر- عن الخنزير والصليب الذي سيكسره عيسى (عليه السلام) نسأل : أى خنزير سيقتل ؟ خنزيراً واحداً (كرمز) أم كل الخنازير التي على وجه الأرض ؟ وهل سيحطم كل الصليبان ويغلق مصانع إنتاجها عالمياً . أم أنه سيكسر صليباً واحداً (كرمز) وليكن صليب البابوية فى روما مثلاً .

وبتساعل الكاتب بعد ذلك هل يعوزنا فى رد هذا الحديث من دليل أكثر مما فيه من تعارض مع القرآن الكريم . اللهم إن الحق الذي لا مراة فيه هو أن هذا الحديث باطل ورسول الله (ﷺ) برىء منه لأنه إسرائيلى الدس والصنع .

﴿ يتعرض الإمام الأكبر (محمود شلتوت) (48) لنفس القضية فيقول :

وردت إلى مشيخة الأزهر الجلية من حضرة عبد الكريم خان بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه :

هل عيسى (عليه السلام) حي أو ميت فى نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي ؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى ؟ وقد حول هذا السؤال إلينا فأجبنا بالفتوى التالية التي نشرتها مجلة (الرسالة) فى سنتها العاشرة بالعدد رقم 462:

أما بعد فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى (عليه السلام) فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور : آل عمران (52- 55) & النساء (157 ، 158) & المائدة (116 ، 117) .

أ- كلمة (توفى) قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر . وكلمة (توفيتنى) تعنى الإمامة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد (اللغة العربية) . ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى (عليه السلام) بعد نزوله من السماء بناءً على زعم من يرى أنه حي في السماء وأنه سينزل آخر الزمان . لأن الآية القرآنية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد (ﷺ) لا قوم عيسى (عليه السلام) .

ب- الروايات التي تفيد نزول عيسى (عليه السلام) بعد الدجال هي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها وقد نص على ذلك علماء الحديث . وهى فوق ذلك من رواية (وهب بن منبه) و (كعب الأحبار) وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام . وقد عرفت درجتهم في الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

ج- الحديث المروى عن (أبى هريرة) هو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات (الغيب) .

د- فسر (الألوسى) قوله تعالى (إني متوفيك) أى إني مستوفى أجلك ومميتك حتف أنفك (ميتة عادية طبيعية) لا أسلط عليك من يقتلك . وهو كناية عن عصمته من الأعداء .

وظاهر الرفع الذي يأتي بعد التوفية هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصاً ما جاء بعد الرفع (ومطهرك من الذين كفروا) مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم مثلما وردت صيغة الرفع في آيات كثيرة منها :

* في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه⁽⁴⁹⁾.

* نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم⁽⁵⁰⁾ .

* ورفعنا لك (يا محمد) ذكرك⁽⁵¹⁾.

* يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات⁽⁵²⁾ .

والله جل شأنه بهذه الإمامة خيب مكر أعدائه وأنقذه منهم بعزته وحكمته ورد كيدهم في نحورهم فلاهم قبضوا عليه ولا هم صلبوه ولا هم قتلوه .

هـ - إن من أنكر أن عيسى (عليه السلام) قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه فيها حي إلى الآن وأنه سينزل آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكراً لما ثبت بدليل قطعي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة . بل هو مسلم مؤمن . إذا مات - على ذلك - فهو من المؤمنين يصلّى عليه كما يصلّى على المؤمنين ويدفن في مقابر المؤمنين . ولا شية في إيمانه عند الله .

ك - نشر بعد ذلك الإمام الأكبر (محمود شلتوت) ردوداً على رسائل القراء الذين عارضوه فيما أفتى به وذلك في مجلة (الرسالة) الأعداد 514 ، 517 ، 518 ، 519 من السنة الحادية عشرة وخلاصة ردوده هي :

أ - عن وجاهة عيسى (عليه السلام) التي وردت في القرآن الكريم:

* إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (53).

المقصود من وجاهة عيسى (عليه السلام) في الدنيا هي الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات (الواضحة) . وكيف يكون وجيهاً – كزعم من قال بعودة نزول عيسى – في الدنيا من غادر الأرض وترك أهلها (باعتبار الزعم أن الوجاهة هي الجاه) .

ب- يزعم المعارضون لفتوى الشيخ (محمود أشلتوت) أن الآية من سورة النساء تقر بعودة عيسى (عليه السلام) لفهم خاطئ للمعنى :

* وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ (54) .

والمعنى واضح أن الضمير في (به) يعود على عيسى (عليه السلام) وفي (موته) يعود على كل واحد من أهل الكتاب . أي أنه مامن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن (قبل موته هو) بعيسى (عليه السلام) . والإخبار بإيمان أهل الكتاب على هذا الوجه لا يتوقف على حياة عيسى (عليه السلام) الآن ولا على نزوله في المستقبل . لأن المراد أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبي من البشر أرسله الله كسائر الأنبياء والمرسلين .

وقد رجح هذا الرأي الإمامان : (النووي) و (الزمخشري) وغيرهما . وقد قال (ابن حجر) في (فتح الباري) :

ورجح جماعة هذا الرأي بقراءة أبي بن كعب : (إلا ليؤمنن به قبل موتهم) أي أهل الكتاب .

وقال النووي : معنى الآية على هذا ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى (عليه السلام) كنبي وأنه عبد الله وابن أمته . ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة لقوله تعالى :

* وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار (55).

ويقول الشيخ (محمود شلتوت) معلقا على تلك الآراء أن النتيجة الحتمية لهذا كله أن الآية ليست ظاهرة فيما يقتضي نزول عيسى (عليه السلام) فضلا عن أن تكون قاطعة فيه .

ج- الآية الواردة في سورة الزخرف والتي تنص على :

* وإِنَّهٗ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون . هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (56) .

والرأي الراجح في تفسير ذلك أن عيسى (عليه السلام) عَلَّمَ للسَّاعَةِ . ودليل على إمكانية البعث والنشور بإحيائه للموتى بإذن الله أمام أعين قومه . كما أنه مولود بغير أب ولأن الله قد فعل هذا سبحانه فإنه قادر جل شأنه على البعث والنشور في يوم القيامة (الساعة) . والدليل على ذلك قوله تعالى (فلا تمترن بها) أى لا تشكوا في حدوث ذلك بعدما عاينتم وعلمتم كيفية إحياء الموتى . ويكون المعنى المقصود هو :

لا تشكوا في الساعة . فإن الله الذى قدر خلق عيسى (عليه السلام) من غير أب قادر على غير ذلك .

د- جاء في (شرح المقاصد) بعد أن قرر مؤلفها (السعد) أن جميع أحاديث أشراف الساعة أحاديث آحاد :

إن ماتدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها . فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظواهرها فله ذلك ومن أداه نظره إلى تأويلها فله ذلك شأن كل ظني في دلالاته .

ومما تقدم يتبن جلياً أنه ليس في الأحاديث التي أوردوها في شأن نزول عيسى (عليه السلام) آخر الزمان قطعية ما . لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالاتها .

هـ- إن الإجماع على تلك الأحاديث لا يعتبر من حيث هو إجماع . لأن المجمعين لا يعلمون الغيب . لأن الحسي المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه . فإن ورد به نص فهو ثابت به ولا احتياج إلى الإجماع وإن لم يرد به نص فلا مساع للاجتهاد فيه . وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التي تتحدث عن أشراف الساعة ومن بينها نزول عيسى (عليه السلام) إلى مبدأ قطعية النصوص وظيفتها في الورد والدلالة . وعلى فرض أن أشراف (علامات) الساعة مما يخضع للإجماع الذي اصطالحوا عليه نقول :

إن نزول عيسى (عليه السلام) قد استقر فيه الخلاف قديماً وحديثاً .

و- قال (ابن حزم) في كتابه (مراتب الإجماع) ما نصه :

واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد (ﷺ) ولا بعده أبداً .

وقد نص على ذلك أيضاً (القاضي عياض) في شرح (مسلم) و (السعد) في شرح (المقاصد) . وذلك قديماً .

ز- أما حديثاً فقد قرر ذلك كل من : الشيخ (محمد عبده) و السيد (محمد رشيد رضا) والأستاذ الأكبر الشيخ (المراغى).

فيقول الإمام الشيخ (محمد عبده) :

أن التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه هو الإمامة العادية . والرفع يكون بعده وهو رفع الروح . والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي وليس في الباب حديث متواتر .

ويقول السيد (محمد رشيد رضا) في رده على سؤال من (تونس) عن الموضوع :

جملة القول أنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى (عليه السلام) رفع بروحه وجسده إلى السماء حياً حياة دنيوية . وليس في القرآن نص صريح على نزوله من السماء . وإنما هي عقيدة أكثر النصارى . وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها في المسلمين .

ويقول الأستاذ الأكبر (الشيخ المراغى) :

ليس في القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى (عليه السلام) رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حي الآن بجسمه . والظاهر من الآيات أن الله تعالى توفاه وأماته ثم رفعه . والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله كما قال في إدريس:

*ورفعناه مكانا عليا (57) .

وهو بهذا توفاه الله وفاة عادية، ثم رفع درجاته عنده . فهو حي حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

ثم قال الشيخ المراغي أن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة . والعقيدة لا تُجَبَّ (لا تلغى) إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر . وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى (عليه السلام) حي بجسمه وبروحه . والذي يخالف في ذلك لا يُعدّ كافراً في نظر الشريعة الإسلامية .

ويشير الإمام الشيخ (محمود شلتوت) في نهاية رده على المعارضين على فتواه بالرجوع إلى كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) في فصل (طريق ثبوت العقيدة) .



الإسرائيليات ومعرفتة الموضع من الحديث

ذكر المحققون أموراً كلية يُعرف بها أن الحديث موضوع منه (58) :

- 1- مخالفته لظاهر القرآن .
 - 2- مخالفته للسنة المتواترة .
 - 3- مخالفته للإجماع القطعي .
 - 4- مخالفته للقواعد المقررة في الشريعة أو البرهان العقلي أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .
 - 5- اشتغال الحديث على مجازفات في الوعد والوعيد والثواب والعقاب .
 - 6- إذا كان مناقضاً لما جاءت به السنة الصريحة العملية .
 - 7- إذا كان باطلاً في نفسه أو ما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه .
 - 8- إذا كان لا يشبه كلام الأنبياء أو كان بكلام الأطباء (الحكماء) أشبه .
 - 9- إذا اشتمل على تواريخ الأيام المستقبلية (الغيب) .
 - 10- أن يكون سمجاً أو يُسخر منه أو يكون ركيكاً في معناه .
 - 11- أن تقوم الشواهد الصحيحة أو تجارب العلم الثابتة على بطلانه .
- وقال ابن قيم الجوزية (59) :

إن الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم . وينفر منه قلبه . وقال
إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم
أنه موضوع .

وقال (الربيع بن خيثم) (60) :

إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه . وظلمة كظلمة الليل تنكره (رواه الخطيب) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن (ابن مسعود) (61) :

إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله .

وعن (ابن جبير) (62) :

ما بلغني حديث على وجه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله .

وأخرج البيهقي بسنده عن (ابن عباس) (63) قال :

إذا حدثتكم بحديث عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه في الكتاب (أى القرآن) أو هو حسن فى أخلاق الناس فإنه كاذب .

وقال (عمر بن الخطاب) (64) :

-الحق أبليج (واضح) لا يخفى عن فطن .

-إن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في الضلالة . فافهموا ما توعظون به فإن الحريب من حرب في دينه (أى المسلوب) (65) .

12- الحديث الصحيح لا يمجّه الذوق السليم (مثل حديث الذبابة) ولا يخالف أغراض الإسلام العليا التي ترمى إلى سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة .

13- الأحاديث الموضوعة لا تحتاج إلا لفراسة المؤمن الذي تذوق طعم القرآن .

وللمزيد من الإيضاح يمكن مراجعة كتاب (تحذير الخواص) للسيوطي .

أما الحديث الصحيح الذي نطمئن له فهو :

1-الحديث الذي لا يخالف القرآن .

2-الحديث الذي يوافق القرآن في أحكامه وتشريعاته وتوجهاته وعقيدته .

* * * * *

فَرِيَّةُ سِحْرِ النَّبِيِّ (ﷺ)

يقول الإمام (محمد عبده) (66) :

إن الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم (ﷺ) فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت به . وعدم الاعتقاد بما ينفيه . وقد جاء بنفي السحر عنه (ﷺ) حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا . فإذن هو ليس بمسحور قطعا .

وأما الحديث - فعلى فرض صحته - هو حديث آحاد . والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد . وعصمة النبي (ﷺ) من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين . ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن . فإذا خولط النبي (ﷺ) في عقله - كما زعموا - جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه أو أن شيئا ينزل عليه (من القرآن) وهو لم ينزل عليه .

ما أضر المحب الجاهل وما أشد خطره على من يظن أنه يحبه ولو كان هؤلاء (المدعون) يقدرون الكتاب حق قدره ويعرفون من اللغة ما يكفي لعاقل أن يتكلم ما هذروا هذا الهذر ولا وسموا الإسلام بهذه الوصمة . لكن من تعود القول بالمحال لا يمكن الكلام معه بحال . نعوذ بالله من الخبال .

وقد نفى سحر النبي (ﷺ) كما يقولون بواسطة (ليبيد ابن الأعصم)
اليهودي العديد من العلماء ومنهم المفسر الفقيه (أبو بكر الجصاص) في كتابه
(أحكام القرآن) .

وقد رد الإمام (محمد عبده) كذلك أحاديث كثيرة في أمور اعتقاديته
وغير اعتقاديته كحديث الغرائق وحديث زينب بنت جحش وغيرهما مما لا
يتسع المجال لإيراد أقواله فيها هنا. ويقول (محمد رشيد رضا) (67) :

لا يجب العمل بأحاديث الآحاد إلا على من وثق بها رواية ودلالة
ولكن لا يجعل ذلك تشريعا عاما . وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد
وإنما يؤخذ بها في الأحكام الفرعية لأن العقائد دلائلها الأخبار المتواترة .
ولا يصح أن يقال في حق من رأى علة في رواية حديث فلم يصدقه بأنه
مكذب لحديث كذا . والأمة لم تتعبد إلا بخبر يغلب على الظن صدقه . ومن
القواعد الجلية المتفق عليها عند علماء الأصول : أن طروء الاحتمال في
المرفوع من وقائع الأحوال يكسوها ثوب الإجمال فيسقط به الاستدلال .

وبالبداهة أن اليهود قد افتروا على النبوة والرسالة والقرآن الكثير من
المفتريات وحاولوا وصم الرسول (ﷺ) بأنه ساحر ومجنون . ولما لم يجد
ذلك اتهموا الرسول (ﷺ) بأنه يفتري القرآن من عنده ولا يوجد تنزيل من
السماء بذلك :

* وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا
ظلما وزورا * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة
وأصيلا (68) .

* ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذين يلحدون إليه أعجمي
(غير عربي) وهذا (القرآن) لسان عربي مبين (69) .

قالوا أنه تعلم ما يقوله وينشره على الناس (أى القرآن) على يد غلام نصراني يقال له (جبر) وهو عبد لبعض بنى الحضرمي . وقيل أنه تعلم ذلك ونقله عن رجل يدعى (بلعام) . ورد الله تعالى عليهم بأن هذين الرجلين أعجمين غير متكلمين أو ناطقين باللغة العربية . والقرآن الكريم نزل بلسان عربي واضح وبيّن (لغة قريش العربية الفصحى) . ورد الله تعالى عليهم بأن النبي (ﷺ) كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة وأن ما ينقله للناس هو تنزيل من رب العالمين :

* وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . إذن لا رتاب المبطلون (70) .

ورغم أمية النبي الخاتم فقد كانت معجزته الباقية إلى يوم القيامة هي القرآن الكريم الذي أوحاه الله تعالى وأنزله عليه :

* قل نزله روح القدس (جبريل) من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين (71) .

ثم روج اليهود أن النبي (ﷺ) قد سحره كاهن يهودي يدعى (لبيد ابن الأعصم) ولذا - كما يدعون - فهو يهذى بكلمات غير مفهومة (يقصدون القرآن الكريم) وهي ليست بكلام البشر وليست من المؤلف بين العرب . فلا القرآن هذا بالشعر ولا بالنثر . ورد الله تعالى عليهم بأن من ردد تلك المقولة الباطلة فهو ظالم ظلماً بينا واضحاً لا جدال فيه . والقائل والمروج لذلك هو المختل عقلياً :

* نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى . إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً (72) .

* وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضّلوا فلا يستطيعون سبيلا (73) .

والادعاء اليهودي بسحر النبي (ﷺ) هو للانتقاص من مكانة النبي وقدرته على تبليغ الوحي كما أنزل . نوع من التشكيك ومحاولة لثيمة لهدم صرح الدين من الأساس بحيث يشك المسلمون فيما يقوله النبي (ﷺ) ويبلغه عن رب العزة . والقصة التي روجها اليهود - وكذلك المنافقون - تدّعي أن النبي (ﷺ) حين قدم عليه جعفر بن أبي طالب من الحبشة ومعه عدد من المسلمين كانوا قد هاجروا إليها قبل هجرة المسلمين والنبي (ﷺ) إلى المدينة . ولما قدموا إلى رسول الله (ﷺ) كان مخيماً في خيبر بعد فتحها . فقبل رسول الله (ﷺ) جعفر بين عينيه والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسرّ . بفتح خيبر أم بقدم جعفر (وفي رواية : والله ما أدرى بأيهما أفوح ؟ بفتح خيبر أم بقدم جعفر) (74) فأوعز اليهود للمنافقين أن يروجوا معهم أن النبي (ﷺ) قد أصابه مسٌّ من الجنون والسحر حتى أنه - كما يفترون بذلك - أصبح لا يدري فعل الشيء وقوله أفعله وقاله أم لا . ولكن الله جلّ علاه وعاصم أنبيائه وصمهم هم بالظلم البين لتقولهم على الرسول بذلك . وأن كل من يروج وينقل تلك الفرية ويرددها فهو الضال وهو الظالم فلا يهتدي أبداً لأنه بذلك يحاول النيل من قداسة الوحي الإلهي والتشكيك فيه .



فِرْيَةُ الدِّسْعِ المَرْهُونَةِ

وكما أشاع اليهود فِرْيَةَ سِحْرِ النَّبِيِّ (ﷺ) فقد أشاعوا فِرْيَةَ عَظِيمَةَ أُخْرَى وقالوا أنه (ﷺ) مات ودُرْعَهُ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِي نَظِيرِ صَاعٍ مِنَ الشَّعِيرِ يَسَاوِي حَفْنَةً مِنَ الدَّرَاهِمِ .

ولننظر بتمعن في مقصود تلك الفِرْيَةِ ومعناها . إنها تصم النبي (ﷺ) - حاشا لله - بالعوز والحاجة والفقر . وأنه لما رفض - هكذا يقصدون - أثرياء المسلمين من الصحابة أن يقرضوه ذهب ليقترض من يهودي . هكذا ببساطة يريدون إلصاق التهم بالرسول (ﷺ) وبالصحابة عليهم رضوان الله جميعا ونسوا أو تناسوا عمداً أن الله تعالى وهو الرزاق ذو القوة المتين لم يترك نبيه (ﷺ) هملاً ولا جعله يتسول - حاشا لله - من الصحابة وغيرهم . فما بالنا به يلجأ إلى يهودي ليقرضه . أليس في صحابته عثمان بن عفان وأبى بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أثرياء المسلمين من يقترض منهم إن كان فاعلاً .

وقد يقول متقول أنه (ﷺ) قد تخرج من أن يقترض منهم فكيف إذن وفيهم أصهاره (أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان) وكلهم شديداوا القرب والقربى منه (ﷺ) . وكيف يتركونه

ليقترض من يهودي وهم أصهاره وحواريوه وخلفاؤه الراشدون من بعده وقبل هذا وذاك كيف يتركه رب العزة تبارك وتعالى وهو القائل جل علاه :

* ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً (غافلاً) فهدى (بالقرآن والنبوة) ووجدك عائلاً (فقيراً) فأغنى (منح وأعطى بسخاء) (75) .

ألم يعطه الله من رزقه وأفاء عليه من الخيرات ما يغنيه عن السؤال وتلمس الحاجة عند الناس :

* ولسوف يعطيك ربك فترضى (76) .

ألم يمنحه الأنفال وغنائم الغزوات وأحلها له ولم تكن جلاً للأنبياء من قبله :

* يسألونك عن الأنفال (غنائم الغزوات) قل الأنفال لله والرسول (ﷺ) (77) .

أي أن الله جل شأنه وكل نبيه (ﷺ) حق التصرف في غنائم الغزوات يقسمها بينه وبين المسلمين المشاركين في تلك الغزوات كيفما يشاء وعلى المسلمين الطاعة والسمع والرضا بما قسمه لهم الرسول (ﷺ) . وفي طاعتهم تلك التقوى كل التقوى ودليل الإيمان بالله والرسول .

ثم أفاء الله على المؤمنين جميعاً بسبب طاعتهم وامتنالهم للأمر وعلى النبي (ﷺ) خاصة فجعل خمس الغنائم لله وللرسول ورد أربعة أخماس الغنائم للمسلمين تفضلاً منه جل شأنه :

* ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون ثولة بين الأغنياء منكم (78) .

*واعلموا أنما غنمتم من شيء فآن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان (فى بدر) والله على كل شيء قدير (79) .

أي أن غنائم كل غزوة يقسمها الرسول (ﷺ) (ومن بعده أولى الأمر والأئمة القائمون على شريعة الله المجاهدون فى سبيل الله⁽⁸⁰⁾) :

أربعة أخماس للمقاتلين الذين شاركوا فى القتال . والخمس يتصرف فيه رسول الله (ﷺ) على النحو التالي :

ذوو القربى : خمس (خمس الخمس الأصلي)
اليتامى : خمس (خمس الخمس الأصلي)
المساكين : خمس (خمس الخمس الأصلي)
ابن السبيل : خمس (خمس الخمس الأصلي)

وبالطبع هناك (خمس الخمس الأصلي) الأول للرسول (ﷺ) ولمن يره فى حاجة غير المذكورين سابقا (لله وللرسول) وأولئك الذين لم يحضروا قتالا لسبب أو لآخر (ذوو الأعداء الذين أذن لهم الرسول (ﷺ) - الشيوخ - النساء - الأطفال - أولو الضرر وذوو الحالات الخاصة من العجز البدني والصحي وغيره ..) .

ولنا أن نتخيل كم كانت تبلغ الأنفال وغنائم الغزوات . وكم كان نصيب النبي (ﷺ) وحده منها . هذا إذا علمنا أن السنوات العشر الأخيرة فى حياة النبي (ﷺ) كانت كلها سرايا و غزوات وفتوحات بدءا من غزوة بدر الكبرى (وما قبلها من السرايا) و انتهاءً بغزوة خيبر ثم تبوك .

ولنا أن نتذكر - على سبيل المثال - غنائم غزوة خيبر من الأموال وكنوز الذهب والفضة والحدائق والنخيل المثمر . وكانت - كما سبق وأشرنا في الفصل السابع - (فَدَك) خالصة للنبي (ﷺ) وحده لأن المسلمين لم يقاتلوا فيها ولم يوجفوا عليها (يهبّوا ويركبوا إليها) بخيل ولا ركاب (جَمال) بخلاف باقي غنائم خيبر فقد شارك فيها المسلمون بالقتال (وكان لهم أربعة أخماس الغنائم) . وظلت حدائق فَدَك المثمرة ونخيلها من نصيب النبي (ﷺ) تدر عليه دخلا بثمارها حتى لقي ربه .

وباقى الفِرية أن النبي (ﷺ) الذي يمتلك كل هذا فى حياته يرهن درعه مقابل صاع شعيرٍ اقترضه من يهودي ليطعم به أهل بيته وأمهات المؤمنين بعدما نال منهم الجوع والنصب !!.

والرواية كما يُستَم منها تتم عن توجه وفكر يهودي خبيث يرمى إلى مرام بعيدة تغيب عن أذهان الكثير من الناس الذين صدقوا - للأسف - تلك الفِرية حيث يفترض - كذبا - تبعاً لذلك أن النبي (ﷺ) قد رهن سلاحه الذي يجاهد به فى سبيل الله ويقا تل به أعداء الله والدين ومنهم اليهود . أى أن رسول الله (ﷺ) رهن وسلم سلاحه طواعية لعدوه نظير ماذا؟ نظير صاع من شعير لا يساوى دراهم معدودة لاتسمن ولا تغنى من جوع . فأى عاقل يصدق ذلك الافتراء ويروج لهذا البهتان والإفك ويردده كل حين ويكفر كل من ينكر هذا الحديث الإسرائيلي المدسوس على السنة المطهرة .

إن العداوة التقليدية والمستمرة من اليهود للنبي (ﷺ) وأتباعه قد ناقشناها فى مواضع مختلفة من دراستنا هذه ونرى أنه لا داعي لتكرارها .

فهل يعقل بعد ذلك أن نصدق أن النبي (ﷺ) قد تصرف هكذا من عنديات نفسه ومن هواه . وهو الذي أرسل إليه رب العزة تبارك وتعالى جبريل (عليه السلام) يدعو لمقاتلة يهود بنى قريظة وإخراجهم من المدينة مباشرة . بعد انتهاء غزوة الأحزاب حيث قال له :

*أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ . قال (ﷺ) : نعم .

قال (جبريل) : ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها . وهذا أوان رجوعى من طلب القوم . ثم قال (جبريل) : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قريظة (81) .

وكان النبي (ﷺ) وأصحابه قد فرغوا لتوهم ونجاهم الله القدير من الأحزاب الذين أحاطوا بالمدينة فى غزوة الخندق . ولما كان اليهود أهل مكر وخداع وخيانة فقد تألبوا على النبي (ﷺ) وعلى المسلمين واتفقوا مع الأحزاب ضد المسلمين ناقضين عهدهم مع النبي (ﷺ) وتحالفوا ضده . فكيف والأمر هكذا . والعداوة قديمة بين اليهود والنبي (ﷺ) منذ بعثته وتكليفه بالنبوة والرسالة الخاتمة التي كانوا يظنون أنها من نصيب معشر اليهود من نسل داود ويعقوب (عليه السلام) كيف كل هذا والادعاء والافتراء والبهتان بأن النبي (ﷺ) قد أسلم درعه ليهودي مقابل صاع من شعير . كيف يفرط إمام الأمة ومجاهدها الأكبر فى سلاحه ويسلمه طواعية لعدوه . وكيف يغيب عن النبي (ﷺ) - إن حدث - ما فعله اليهود معه ومع المسلمين بدءاً من تكذيبهم له ورفضهم الإذعان لدعوته لهم بالإسلام منذ الهجرة إلى المدينة وكيف يغيب عنه (ﷺ) ما فعله يهود بنى قينقاع ومن بعدهم يهود بنى النضير ثم يهود بنى قريظة ومن بعدهم يهود خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء

وغيرها . ولكن هل غاب عنا نحن - أيضا - ما فعله اليهود على مر تاريخهم بأنبيائهم ورسلمهم من بنى جلدتهم . ما فعلوه مع موسى (عليه السلام) حينما آذوه كثيراً فبرأه الله مما قالوا . وما فعلوه مع أنبيائهم حين كذبوهم وقتلوا منهم العديد . وما فعلوه مع آخر أنبيائهم عيسى (عليه السلام) حين اتهموا أمه مريم ابنة عمران الصديقة العفيفة الطاهرة حين اتهموها بالزنا وقالوا - افتراءً - أن عيسى (عليه السلام) هو ابن سفاح - حاشا لله - ثم عادوا فقالوا أنه ابن الله ثم قالوا أنه هو الله - حاشا لله - فى صورته البشرية . ثم أنكروا كل ذلك بعد حين وأرادوا به كيداً . أرادوا أن يقتلوه كما قتلوا أنبياءهم من قبل ولكن الله نجاه منهم ومن مكرهم وكيدهم . ومع نبينا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) حاولوا الكثير من التكذيب إلى الافتراء والبهتان وقول الزور عنه وعليه . وألصقوا به الأباطيل والاتهامات التي هو منها براء وحاولوا النيل من عصمته وصدقه فى تبليغ الرسالة كما أنزلها الله جل علاه . ولكن الله عصمه منهم ومن مشركي وكفار العرب :

*والله يعصمك من الناس . إن الله لا يهدى القوم الكافرين (82).

وهكذا نجد أن تلك الفرية التي حاولوا إلصاقها بالرسول الكريم (ﷺ) ليس لها أي أساس ولا دليل فى القرآن الكريم ولا فى السيرة المطهرة والسنة المطهرة لرسول الله (ﷺ) وإنما هي محض افتراء لتشويه صورته والنيل من عظمته والخط من سيرته وقدوته وهو الأسوة الحسنة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . وهى محاولة دنيئة من اليهود للكيد لنبى الإسلام (ﷺ) وللإسلام شأنها شأن المفتريات الأخرى (مثل قصة الغرانيق والسحر وغيرها) . كما فعل عتاة اليهود من المنافقين الذين أعلنوا إسلامهم ظاهرياً حتى يجدوا لأنفسهم موضع قدم فيكيدوا للإسلام وهم فى داخله بأحاديث

الإسرائيليات المدسوسة على السنة المطهرة بعدما تعذر عليهم الكيد وهم خارج حظيرته الوارفة التي شملت الجميع بالسماحة والرحمة . فهاهم ينسبون للنبي (ﷺ) الكثير من الأحاديث الكاذبة التي هو منها براء . وتساهل بعض المسلمين - بجهلهم وغفائهم - ورووا تلك الأحاديث المكنوبة والموضوعة وعملوا بها وصدقوا ما فيها دون تمحيص ودون الرجوع إلى كتاب الله والسنة المطهرة . وقالوا إنها - الإسرائيليات - أحاديث تحت على الفضائل وأنها أحاديث للترغيب والترهيب وأنه لا بأس من الأخذ بها .

وكان من وراء تلك الإسرائيليات والمكنوبات (دهاة وعتاة المنافقين من اليهود الذين دسوا السم في العسل كيداً في الإسلام وحقداً وحسداً للمسلمين أمثال :

- 1- كعب الأحبار (الذي كان وراء اغتيال عمر بن الخطاب) (كعب بن مانع الجُمَيْرِي من آل ذي رعين ويكنى أبا إسحاق) .
- 2- وهب بن منبه (فارسي الأصل) .
- 3- عبد الله بن سلام (أبو الحارث الإسرائيلي) .
- 4- عبد الله بن سبأ . (المعروف بابن السوداء - يهودياً من جُمَيْر) .

والنجاة لنا معشر المسلمين والموحدين من تلك الإسرائيليات بالتمسك بالقول الفصل . قول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

* وما أنزلنا عليك الكتاب (القرآن) إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (83) .

* وأنزلنا إليك الذكر (القرآن) لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (84) .

ويمكن معرفة الحديث الصحيح من الموضوع وأحاديث الإسرائيليات
كما سبق بيانه (يراجع ما تحت عنوان الإسرائيليات من هذا الفصل من
الكتاب)

* * * * *

شهد شاهدٌ من أهلها (*)

نشرت صحيفة (هاآرتس الاسرائيلية) بحثاً علمياً للبروفيسور (رائف هيرتزوج) أو زائيف هيرتزوج يقول فيه⁽⁸⁵⁾:

سادت أوساط البحاثة الإسرائيلية ثورة أو انقلاب حقيقي حدث خلال الأعوام العشرين الماضية من ناحية نظرهم إلى العهد القديم (التوراة والزبور) كمصدر تاريخي. حيث وضع للباحثين الآن أن شعب إسرائيل لم يقعد في مصر ولم يته في الصحراء ولم يحتل فلسطين في حملة عسكرية ولم يملكها لأسباط إسرائيل الإثني عشر. ومملكة داود وسليمان الموحدة لم تكن في الواقع إلا مملكة قبلية صغيرة في حين أنه جاء وصفها في التوراة على أنها دولة إقليمية عظمى. وثبت أن الديانة الإسرائيلية القديمة لم تعرف وحدانية الرب إلا في أواخر فترة الملوك وليس على جبل سيناء.

ويضيف (هيرتزوج):

بصفتي أنتمي للشعب اليهودي وتلميذاً في مدرسة التوراة أدرك عظم خيبة الأمل المتسببة عن الهوة بين آمال إثبات التوراة كمصدر تاريخي وبين الحقائق التي تُكتشف على الطبيعة.

وأنا أ لمس هذا الإدراك في بدني وأنا أنفحص وأدرس وأصحح شروحي واستنتاجاتي السابقة في مقابلة الشروح والنقد الجديدة المتعلقة بأعمال زملائي. وأقصد عرض تاريخ علم الآثار المتعلق بفلسطين أمامكم باختصار لكتي

(*) توجد صورة ضوئية للمقال في آخر الكتاب (الملاحق).

أؤكد مراحل الأزمة والانقلاب الذين وقعا خلال السنوات العشر الأخيرة .
وفى النهاية سأحاول توضيح أسباب عدم دخول الحقائق الواضحة إلى وعى
الجمهور العريض .

إن العالم كله سوف يرتعش عندما يطلع على هذه الحقائق المعروفة منذ
زمن لعلماء الآثار الذين نقّبوا فى فلسطين فضلا عن ذهول سكان إسرائيل .

(هذا ما نشرته جريدة الأهرام المصرية فى 2001/1/12) منقبولا عن
الصحيفة الإسرائيلية . وهذا ما توصل إليه علماء آثار إسرائيل فى فلسطين
يرّوجون له ويشيعونه من وجود حقوق تاريخية لبنى إسرائيل فى فلسطين -
وغيرها - مجرد وهم واختلاق . وشهد شاهد من أهلها بكذب ادعاءاتهم وأن
وجودهم الحالي بأرض فلسطين - بعد اغتصابها - هو مجرد صراع سياسي
بحث لا يمت للتاريخ أو الدين بصلة حقيقية باعتبار أن إسرائيل أداة فى يد
الامبريالية العالمية والاستعمار الغربى الذى لم يتوقف عن تغيير وتجميل
صورته وتطوير أسلوبه منذ قرون مضت للسيطرة على ثروات الشعوب
وللعبت بمقدرات الأمم والتحكم فى وطنية القرار واستقلاليته .

ولا يخفى على أحد أن التاريخ (الآثار) قد باح منذ طويل زمن بكذب
ادعاءات اليهود فى فلسطين . وأيضا الدين الذى بين أيديهم (العهد القديم
والجديد) والدين والرسالة الخاتمة (القرآن) قد أفاض شرحاً وتوضيحاً
وتفنيداً لكل ما رّوجوه ويرّوجون له فى كل زمان ومكان فى محاولات
مستميتة لطمس الحقائق وتزييف الوقائع والشواهد البديهية واليقينية .



الأرقام من أحاديث الدجل (*)

هذا هو النص الكامل لما نُشر بقلمى فى جريدة (السياسى المصرى) بتاريخ 2001/6/24 . تحت عنوان (الأرقام من أحاديث الدجل) : (فى تقديم للأستاذ / محمود الخولى الصحفى بالجريدة ⁽⁸⁶⁾)

وصلنا من الباحث الإسلامى الدكتور / حسن عوض رداً على ما نشرته (السياسى المصرى) فى أعدادها الأخيرة (أربعة أعداد متتالية) عن تحديد عام 2022 م موعداً لنهاية الكيان الإسرائيلى وفنائه من الوجود استدلالاً بالحسابات الرقمية لبعض الآيات التى تتحدث عن بنى إسرائيل فى سورتى الإسراء وسبأ وهو ما أشار إليه الداعية (أحمد الشيمى) ثم الاعتماد على مذهب هالى الذى يعتقد فيه اليهود ودوراته المختلفة فى التأكيد على نفس الموعد كنهاية لدولة إسرائيل وهو ما انتهى إليه الدكتور (عايد طه ناصف) مشيراً إلى أن مذهب هالى شهد أحداثاً دينية عظيمة بدءاً من ميلاد الأنبياء ومروراً بإسراء الرسول الكريم (ﷺ) وانتهاءً بخراب إسرائيل التى قامت عام 1948 م . وهو ما أكدته التوراة والإنجيل . وقد رفض الدكتور (حسن عوض) ما انتهى إليه الشيمى وعايد ومؤخراً الدكتور (أحمد أبو النور) فى الاعتماد على الأرقام وحسابات الجمل والاعتداد بها فى تحديد أمور مستقبلية . مشيراً إلى أن ذلك على حد قوله (أى قولى أنا) يُعد من قبيل

(*) توجد صورة ضوئية للمقال فى آخر الكتاب (الملاحق) .

الدجل والرجم بالغيب الذي يؤثر بالسلب على عقائد المسلمين فيما لو لم تقع هذه النبوءات عند حلول التاريخ المحدد لها .

و (السياسي المصري) تنشر رد الدكتور (حسن عوض) دون تعقيب :

القضية المثارة الآن عن موعد نهاية بنى إسرائيل (دولة إسرائيل وزوالها والقضاء على اليهود) قضية تنفّز إلى السطح كلما تطورت الأحداث في الأرض المحتلة أو حولها . وللأسف معظم الأعلام التي تناولتها - إن لم تكن كلها- حادت عن الحقيقة لسبب أو لآخر ولم تصل إلى كبد الحقيقة إلا من أطرافها التي يتمناها الناس تشوقاً إلى الخلاص من الصداق المزمّن الذي يسببه اليهود لشعوب الأرض كافة على مر السنين . والحيدة عن الحقيقة كانت لأسباب جوهرية لم يفتن إليها كل - أو أغلب - من تناول الموضوع متبعاً هواه دون تتبع الحقيقة بموضوعية وأسس المنهج العلمي السليم . والرؤية السليمة النابعة من تدبر آيات القرآن الكريم كما أنزلها الله .

وقبل عرض ملخص لتلك القضية أتناول ما نشرته الجريدة على مدى الأسابيع الماضية بتعليق أجده ضرورياً قبل الخوض في الموضوع :

فهناك محاذير ثلاثة لما رُوج له البعض - ومازالوا - من تناول القضية من جانبها الأسهل والمثير والسطحي - معذرة - والتبارى في إبراز الحجج والأسانيد لكل الاجتهادات في إطار (النبوءات) سواء ما جاء في أسفار العهد القديم أو آيات القرآن الحكيم تجاوزاً للحقيقة وتساقاً لها للوصول إلى نتائج أهم ما فيها الإثارة و (الفرقة) بشتى الطرق . وكل يدلى بدلوه

اجتهاداً أو نقلاً أو تأويلاً سواءً كان ذلك فاسداً أم صواباً . وتلك المحاذير الثلاثة هي :

أولاً: الرجم بالغيب :

والكل يعلم أن الغيب لله وحده :

* قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله (87) .
* أم عندهم الغيب فهم يكتبون (88) .

وأعنى فى هذا المقام أن الكل يدلى بدلوه ويختار آيات بعينها أو أسفاراً محددة ينتقى منها ما يروق له فيحذف بعض الكلمات ويتوقف عند بعض الحروف لهوى فى نفسه حتى يصل إلى رقم بعينه يكون له دليلاً وسنداً فى ادعائه ثم يبنى - تبعاً لذلك - النظريات والنتائج مباهاياً بما وصل إليه وناسباً السبق له أو لغيره .

وطريقة حساب الأرقام للحروف الهجائية العربية معروفة من قديم ولكن التناول والانتقاء والاختيار هو الذي يتطلب بعض الجهد والحق والمهارة والتجريب حتى يمكن الوصول إلى نتيجة بعينها . وكما نرى فالأمر لا تقنين فيه ولا تنظير ولا ضوابط تضبط إيقاع الاستخدام كي تصبح النتائج لا شبهة فيها للتأويل والمراوغة والانتقاء .

وعليه فإن الأمر برمته لا يعدو إلا أن يكون هزلاً - معذرة - لا جد فيه حيث لا ضابط ولا شروط للاستخدام والتطبيق ولا قوانين حاکمة تتحى الهواة وتترك الساحة للمحترفين والمتمرسين وحدهم .

ثانياً: التواكل:

وأعنى به أن المتلقي والممارس يركنا إلى النتائج الرقمية الملفقة - معذرة - بحسبها نظريات وقوانين واستنباطات لا يرقى إليها الشك أو الطعن لأن - فى تلك النظرية - كل حرف من حروف الهجاء العربية يساوى رقماً معيناً . وجمع تلك الأرقام المستنبطة تكون النتائج كما أرادها الممارس تجريباً وانتقاءً . وتكون النتيجة فى غاية الخطورة حيث يصدق الممارس نفسه ويقتنع المتلقي بالنتائج لسبب أو لآخر . ويصبح كل منهما على يقين بما وصل إليه من النتائج تكون شغله الشاغل فيرفض ما عداه ويصير الصراع بين الممارسين والمتلقين حسبما توصل كل منهم إلى نتائجها التي ينحاز إليها إن لم يقاتل من أجل نصرتها على كافة الاجتهادات الأخرى⁽⁸⁹⁾ ويتمادى فى استنباط الأسانيد والحجج والبراهين بما يؤيد دعواه وادعاءه . ولا يخفى على أحد أن الارتكان والتواكل إلى نتائج مرضية للنفس ومشبعة للهوى لها أثرها السيئ إن لم يكن المدمر نظراً لإحالة الأمر برمته إلى الغير فى تحقيق المراد وهو هنا الرجم بالغيب بناء على افتراضات واجتهادات لا أساس لها من الحقيقة .

ثالثاً: الإحباط المؤدى إلى الكفران:

وهو النتيجة الطبيعية والمنطقية لعدم تحقيق النتائج حسبما تم التوصل إليه بالاجتهادات الفاسدة . وبوضوح أكثر . ماذا لو بلغنا - إن شاء الله - العام الذي تم تحديده كتوقيت للحدث المرجو ثم لم يحدث شيء على الإطلاق . بالطبع سيكون الإحباط - وقتها - عظيماً . وهذا الإحباط قد ينتج عنه قنوط ويأس وكفر بكل النتائج والمجتهدين والنظرية الرقمية لحساب الحروف وكل

ذلك بالتأكيد سيكون متبوعاً بكفر الذين آمنوا بتلك النتائج وصدقوها . وشماتة الذين لم يؤمنوا والذين كانوا على شفا الهلاك (أي اليهود) تبعا لما تم الترويج له من قبل⁽⁹⁰⁾.

بعد هذه المقدمة يعن لى أن أطرح رؤيتي باختصار شديد فى نقاط واضحة بعد ما تبين أن الأخذ بالنبوءات الدينية واللجوء إلى الكهانة وفساد الاستدلال الحسابي وبالتالي فساد النتائج كلها لا تصب كبد الحقيقة .

وعودة إلى القضية المثارة الآن (قضية الأرقام والحسابات النبوءاتية) أقول أن كل تلك الحسابات ماهى إلا رجم بالغيب ودجل - معذرة - بات يمارسه المحترفون والهواة على السواء بلا ضابط أو رابط . فلا الحسابات تخضع لقواعد ثابتة معروفة ولا الاجتهادات تنطلق من أرضية شرعية واضحة المعالم بل كل شىء يخضع للتجريب حتى يصل الممارس (محترف أو هاو) إلى نتيجة ترضيه . وعلى هذا فحديث الأرقام من أحاديث الدجل والافتئات على النصوص الدينية وتحميلها بما ليس فيها للوصول إلى نتائج بعينها . ولو كانت هذه الطريقة شرعية وصحيحة ومجدية لاستخدمها الصحابة (عليهم رضوان الله) ومن قبلهم النبي محمد (ﷺ) الذي كان يتنزل عليه الوحي بالبيارات دون تحديد موعد للحدث . كما حدث ذلك وهو راجع إلى المدينة المنورة بعد صلح الحديبية جاءت البشارة بفتح مكة . متى يكون ذلك الله أعلم بموعده الفتح (تم فتح مكة بعد صلح الحديبية بعامين) ولم يعلمه النبي (ﷺ) فى حينه لا عن طريق الوحي ولا عن طريق حسابات الأرقام والحروف كما يفعل الناس الآن . وغير ذلك من الأحداث والمواقف كثير وحتى موضوع مذهب هالى ودوراته (الأوج والحضيض) التي أشار إليها الدكتور عايد ناصف فيما نشر بالعدد رقم 1344 من (السياسي المصري)

الصادر فى 3 يونيو 2001 م هو مجرد اجتهادات وافتراضات . فقد أشار عالم الطبيعة اليهودي (إيمانويل فلايكوفسكى) فى كتابه (عوالم فى تصادم)⁽⁹¹⁾ إلى معلومات أخرى تفيد أن المذنب المعنى بالأحداث الكونية التي واكبت خروج بنى إسرائيل من مصر وغيرها من الأحداث التوراتية هو المذنب (تيفون) أو التتين أو بالاس وهو المتسبب في انفلاق البحر أثناء واقعة خروج بنى إسرائيل من مصر (نتيجة تبادل شحنات كهربائية عالية الطاقة بين المذنب والأرض حينما اقترب المذنب من الأرض⁽⁹²⁾) . وفى موضع آخر من الكتاب المشار إليه قال (فلايكوفسكى) إن هذا المذنب ماهو إلا كوكب الزهرة قبل أن يصبح كوكباً ثابت المدار حول الشمس . ومن أسماء مذنب الزهرة⁽⁹³⁾ :

بالاس - أثينا - عنات - فينوس - عشتار - عشتارت - سخمت -
العرف - النجم المدخن - إيباج - تشاسكا - كوميت - ذو الشعر - بعل -
ذو القرن (عشتروت كارنيم) - تستريا - ربة الحكمة - فيشنو - جولا -
منيرفا . وغيرها من الأسماء التي تسمى بها كوكب الزهرة وهو ينتقل من
الحالة المذنبة إلى حالة الكوكب ثابت المدار حتى أصبح يُطلق عليه اسم نجم
الصباح ونجم المساء . وكان يُرمز للزهرة بالنجمة السداسية (نجمة داود)
⁽⁹⁴⁾ فى بابل وأحيانا كشكل خماسي (خاتم سليمان) وأحيانا كصليب فى بابل
والمكسيك .

ويعزو (فلايكوفسكى) بعض الظواهر والمعجزات الدينية القديمة لكل
من كوكب أو مذنب الزهرة ولكواكب أخرى منها جوبيتر أو زيوس
(المشتري)⁽⁹⁵⁾ وإيروس أو مارس (المريخ)⁽⁹⁶⁾ . ويسوق (فلايكوفسكى)
التواريخ من كافة المصادر القديمة (الألواح المسمارية فى بابل وآشور -

النقوش القديمة فى الصين والمكسيك - المزامير السومرية والبابلية - الأسفار التوراتية القديمة - الكتابات الصينية القديمة - كتب الأساطير وكتب الفولكلور القديمة لشعوب المكسيك والمايا والصين وغيرها (ويسوق الأدلة والبراهين لتأكيد افتراضاته ولم يرد فى كتابه مطلقا اسم مذهب هالى . وبين أن دورة مذهب الزهرة كانت اثنتين وخمسين عاما قبل أن يستقر المذهب (الزهرة) فى مداره حول الشمس ويصبح كوكبا معلوم المدار (*) .

وهكذا نجد فى كل حين من يعلن افتراضات معينة ويسوق الأدلة والبراهين على صحة تلك الافتراضات سواء من أسفار العهد القديم أو الجديد أو من النقوش والكتابات القديمة أو من الحفريات والآثار .

ومرة أخرى نؤكد أن قضية الأرقام ما هي إلا افتراضات جدلية تصل إلى حد الدجل البين الذي لا سند له من الشرع القويم . وكلها افتراضات يقصد بها الإلهاء عن الحقائق الثابتة فى آيات القرآن الكريم المنزل من عند الله للهداية والتقويم لسلوكيات البشر وعباداتهم . وإلا فما قول الذين يدعون بصدق الطرق الحسابية للحروف والآيات الدينية (توراة - زبور - إنجيل - قرآن) فيمن قال أن نهاية الكيان اليهودي سيكون عام 2022 م . ومن قال إنها فى عام آخر طبقاً للتخبط بين التقويم الميلادي والهجري فى الحسابات المشار إليها . وكلها افتراضات لا تدعو لشيء سوى التواكل والانتظار حتى الموعد المقترح . وذلك الأمر يذكرني بموقفين مشهورين :

* أشار الدكتور عايد ناصف فى مقاله المشار إليه (3 يونيو 2001 م) بالجريدة أن مذهب هالى دورته كل 72 عاماً ميلادية أو 76 عاماً قمرية .

أحدهما عن دجال (*) ذهب إلى أحد الملوك قائلاً له أنه يستطيع تعليم الحمار نطق الحروف والكلام في غضون ثلاثين عاماً على أن يعطيه الملك مبلغاً من المال نظير ذلك التحدي وإن لم يفعل يكن من حق الملك أن يعدمه . ووافق الملك (المغفل) . ولما سئل الرجل أما يخشى من الإعدام لأن الحمار لن يتكلم مطلقاً ولن يتعلم حروف النطق . قال الرجل الدجال المخادع قولته المشهورة : بعد ثلاثين عاماً سيكون أحداً قد توفي . إما الحمار وإما أنا وإما الملك .

والموقف الآخر من السيرة النبوية العطرة حيث سأل رجل النبي (ﷺ) : متى الساعة (أى القيامة ؟)

فكان رد النبي (ﷺ) المعلم للبشرية : وماذا أعددت لها ؟

وبعدما سبق إيضاحه أكرر وأقول أن حسابات الأرقام ما هي إلا رجم بالغيب ودجل لا أساس له من الشرع . حتى ولو كانت الآيات القرآنية هي السبيل للإثبات فيما ذهب إليه المجادل . ولو أن الأمر بهذه البساطة والتسطيح لوجدنا حلولاً لجميع مشاكلنا في الحاضر والمستقبل باتباع طريقة حساب الأرقام والحروف وأية طرق أخرى تستجد في المنظور الآتي. إن الطريق الوحيد لتفهم النصوص الدينية هو التدبر في مضمون ومفهوم الآيات كما كان يفعل الرعيل الصالح (الصحابة والتابعين) فدانت لهم مشارق الأرض ومغاربها .

وأعود وأؤكد أن تحقيق الوعد الأخير (وعد الآخرة) في بنى إسرائيل مرهون بالشروط التي وضعها الله سبحانه صاحب الوعد :

(*) يقال أن ذلك المشار إليه هو (جحا) .

أولاً: جمع الليف:

وقد تحقق بإنشاء دولة إسرائيل وإعلانها في عام 1948 م .

ثانياً: الإفساد في الأرض:

ونراه كل يوم وساعة .

ثالثاً: أكثر نفيراً:

وهو ما نلمسه وندركه في الوقت الحالي حيث الإعلام الطاغى والسيطرة الإعلامية لليهود وتسليحهم بأسلحة الدمار والبطش والطغيان والخروج . ويعلنون ذلك في كل مناسبة (من أشدّ منا قوة) تماماً كما قالتها قوم عاد من قبل . ولكنهم يعلمون :

*أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة⁽⁹⁷⁾.

رابعاً: عباداً لنا :

وهو الشرط الأخير الذي لم يتحقق بعد . فأين عباد الرحمن الذين يتقون في نصره الله ومعيته . أين عباد الله الذين يؤمنون بالله ويوحّدونه ولا يشركون به شيئاً . وأين أولئك الذين باعوا أنفسهم وأموالهم امتثالاً وجهاداً وإيماناً وتصديقاً . لا يخافون لومة لائم . لا يخشون أحداً إلا الله . ولم يقولوا :

* نخشى أن تصيبنا دائرة⁽⁹⁸⁾.

(أى نخشى أن يعود علينا الدهر بنوائبه ومصائبه وتتكالب علينا الأمم) ولم يتقاعسوا ولم يتخاذلوا منتظرين تحقيق وعد الله يأتيهم على طبق من ذهب دون أى جهد أو جهاد . هذا هو الشرط الأخير الباقي لتحقيق الوعد :

* وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون⁽⁹⁹⁾.

وحين يتحقق ذلك الشرط الوحيد الباقي سيدبر الله جل شأنه المعركة كما يريد لها سبحانه . وكما قضى بذلك أمره ووعدده . وكما سبق وأدار جل شأنه معركة بدر الكبرى وغيرها :

* والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽¹⁰⁰⁾.

د/حسن عوض

باحث إسلامي

* * * * *

إسرائيل طاعون العصر ودولته الإرهاب (*)

هذا هو عنوان مقالة الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود⁽¹⁰¹⁾ وبدأ مقاله بسؤال :

ماذا يريد اليهود بالضبط ؟

اقرعوا ماذا يقول البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون .

ثم استعرض الكاتب الكبير فقرات مطولة من كتابي (الطبعة الأولى)
و ذلك على حوالي أربعة أعمدة في جريدة الأهرام العدد الصادر في 23
يونيو عام 2001 م الصفحة الثالثة عشر (يوم السبت) ثم اختتم الفقرات
مشيراً إلى المصدر (كتاب دولة اسرائيل للدكتور حسن عوض). ثم اختتم
المقال بقوله :

إن ما يحدث سيكون عكس تصورهم . فالعدوان الإسرائيلي لن يحد
التجمع الإسلامي بل سوف يزيده . وميلاد القوة العسكرية الإسلامية
سيكون بسبب الحماسة الإسرائيلية وبسبب هذا الجهل الأوروبي. وسوف
يؤدي العدوان الإسرائيلي إلى عكس ما تصور المتآمرون الكبار فسوف
يجمع العرب والمسلمين رغم أنوفهم . وما سوف يحدث سوف يكون
بعكس ما تصورت إسرائيل وأعوانها. والمسلمون ليسوا تتار العصر القادم
ولا يشكلون جبهة معادية للحضارة . وهم ليسوا جبهة عنصرية مثل

(*) توجد صورة ضوئية للمقال في آخر الكتاب (الملاحق) .

اليهود . والمسلمون ليسوا ضد النهضة العقلانية الأوروبية . بل إن النهضة العقلانية الأوروبية ذاتها خرجت من جلاباب (ابن سينا) ومن فكر الإسلاميين القدامى . وعلوم الفلك وأسماء المجموعات النجمية التي دخلت القاموس الإنجليزي بأسمائها العربية مازالت إلى الآن تكتب بأسمائها العربية الأصلية . وهى تشهد جميعا بأن عصر العلم والعقلانية التي تعيشها أوروبا هي ميراث عربي .

لقد ظلموا الإسلام واتهموه بما ليس فيه . إن إسرائيل هي البلاء الحقيقي وهى التعصب وهى العنصرية وهى العمى الديني . إسرائيل هي طاعون العصر . ودولة الإرهاب . والدول الإسلامية قد أخذت التطعيم الكافي من كل ما يحدث من بلايا وأرزاء وسوف يكون لها قيامة من هذا النوم الطويل في القريب . ولكل فعل هناك رد فعل يأتى في أوانه . والمستقبل كوارث وألغام .

والمأزق الآن هو .. نكون أولا نكون .. كما في النهايات الدرامية . وللأسف لا يوجد وسط . فإما الموت أو الحياة بكل مخاطرها . وإذا لم أكن مخطئاً فإن الله أراد هذه المواجهة . فلا شيء يحدث في الكون دون علمه ودون إرادته . وأقول للأخوة العرب : إن الموت قادم بهذا السبب أو بدون . فلا تموتوا خزايا . ولن ينفع نفساً ما ادخرت . بل ما عملت . هبوا عباد الله إلى واجبك فإن العبء جسيم والوضع أليم . ولا شيء يساوى خزي يوم الحساب . ولن يضيف هذا الخزي يوماً واحداً إلى أعماركم . ولن تنقص الشجاعة دقيقة واحدة منها . إنما هي خطي كُتبت علينا وامتحان للقلوب والعزائم . والعاقبة خلود في الجنة أو خلود في النار . ولا يوجد وسط إما أن تلقى كتابك بيمينك أو تلقاه بشمالك . ولا نعرف

وسطاً بين الاثنين . إلا ما يقوله أهل الحشيش . ومدمنو البانجو عن (الشيمين
واليمال) بعد النفس العاشر والكركرة المتينة التي يغيب فيها العقل ويأخذ
إجازة من كل شيء .

الدكتور / مصطفى محمود



خرافة الألفية اليهودية

فى الأساطير أن التاريخ هو الذي منح الحضور الجديد لأسطورة قديمة . فليس الماضي إلا تجسيدا سابقا للمستقبل. وليس المستقبل إلا استعادة للماضي تقوم على تكرار النماذج الأولى ورفض للزمان الواقعي . هذا هو النسج الأسطوري للألفية وهو نسج أقدم بكثير من استعارات حاخامات وكتبة العهد القديم . وثمة ما يؤكد أن فكرة العود الأبدي والألفية كانت أبرز القواسم المشتركة بين الأساطير القديمة . فعند الفرس وبتأثيرات كلدانية نتعرف على سبوعية التاريخ الأسطوري وأطوارها التي ترتبط بهيمنة ألفية لكل كوكب⁽¹⁰²⁾.

وحسب مآثورات الأزتكَ دمر العالم ثلاث مرات ولا يزال بانتظار الرابعة وبين المرة والمرة ألف عام⁽¹⁰³⁾ . وحسب نظرية الاحتراق الدوري التي تعود إلى الرواقية وزينون فإن المبدأ الفاعل هو النار . وعندما تأتي السنة الكبرى يكون قد تم الاحتراق الشامل ثم تعود الدورة الكونية على نفس النسق وبالموجودات نفسها والأحداث نفسها وهكذا إلى غير نهاية⁽¹⁰⁴⁾ . ولقد تكررت هذه التصورات في التراث الجرمانى . وحسب المازدية فإن الله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع —حاشا لله — وعلى هذا الأساس سيدوم العالم ست مراحل زمانية لانهائية . سيتغلب فيها الشر و ينتصر على الأرض. وفى غضون المرحلة (الألف) السابعة سيتم تكبيل أمير الأبالسة بالأغلال وعندها ستشهد البشرية ألف عام من

الاستقرار. والعدالة المقيمة . وفى نهاية الألف (المرحلة) الثامنة سيخلق العالم خلقاً جديداً ليبقى خالداً أبداً الدهر⁽¹⁰⁵⁾.

ولعل الألفية الهندية أكثر التصورات البدائية تماسكا داخل منظومة الموروث الفلسفي الهندي في محصلته الاجتماعية البدائية العامة . وتتألف الدورة الكونية الكاملة (الماها يوجا) من أربعة عصور أو يوجات ذات مدد زمنية متفاوتة ويكون أطولها في بداية الدورة وأقصرها في ختام الدورة⁽¹⁰⁶⁾! ورغم أن فكرة المجيء اليهودية ترتبط بالأسر البابلي والته في سيناء . ودعوة الرب لشعبه واتحاده المقدس معه من خلال إعادة بناء الهيكل وقيام المسيح اليهودي من نسل داود . ورغم أن الحاخامات ظلوا يعيدون إنتاج هذا الوهم بين اليهود بين الحين والحين . إلا أن فكرة المجيء الألفية لم تحتل حيزها في الموروث اليهودي نفسه إلا مؤخراً وبصورة مغايرة للفكرة اليهودية نفسها . فلم يعد المخلص ملكاً يهودياً من نسل داود بل أصبحت إسرائيل بكاملها . ولكن كمقدمة لانبعاث المسيح المسيحي وليس المسيح اليهودي باعتبار أن المسيح (عيسى) (الصلوة) كان عبرانيا وسيكون كذلك دائما وأنه جاء وانتهى . ويقول أحد زعماء اليهود الخبثاء لحلفائه المسيحيين :

إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى فلنبداً أولاً بناء الهيكل وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سوياً⁽¹⁰⁷⁾.

وبالتزوير التاريخي الذي ساد أوروبا في فترة الإصلاح الكنسي البروتستانتي تسلل إلى العقل الأوروبي ما يسمى (بالحق التاريخي) لليهود في فلسطين ولم تعد فكرة المجيء المسيحية مرفوضة مسيحياً باعتبار أن

المسيح قد جاء وانتهى بل أصبحت البرجوازية بما فيها التي تدين بالكاثولوكية أقرب إلى الفهم البروتستانتي وداعية إلى مصالحة تاريخية بين العهدين القديم والجديد (جرى إعلان مجمع الفاتيكان الثاني تبرئة اليهود من صلب المسيح وذلك عام 1964م كما أعلنت الوثيقة الصادرة عام 1985م أن المسيح كان عبرانيا) وكان ذلك فى إطار صفقة وتسوية ايديولوجية بين المسيحية والحاخامات .

إن فكرة الألفية (فكرة المجيء الثانية) ليست فكرة دينية فى العهدين القديم والجديد وإنما هي حاجة معاصرة للرأسمالية الغربية والأوساط اليهودية الآفلة وهى تقوم على أن :

1- فلسطين والأردن هي أرض إسرائيل التاريخية.

2- مجيء المسيح وانبعائه لا يتم إلا بعد قيام إسرائيل وبناء الهيكل . ولذلك فالوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله وعدم مساعدة اليهود على استكمال السيطرة على فلسطين يعنى تأخير عودة المسيح ومجيئه .

ويشير إلى ذلك ما كتبه (ليلنتال) (108) :

إن كل من يعارض المطالب الصهيونية بأراضي دولة إسرائيل لا يكون يحارب إسرائيل فحسب بل المولى عز وجل والتاريخ أيضا .

3- يتم كل ذلك بعد قيام صراع عالمي مدمر تهزم في نهايته القوى المعادية في معركة (هرمجدون) بفلسطين على نحو ما جاء في رؤيا (يوحنا) :

*ثم بَوَّقَ الملاك السادس فسمعت صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبذب الذهب الذي أمام الله . قائلاً للملاك السادس الذي معه البوق فُكَّ الأربعة الملائكة المقيدون عند النهر العظيم الفرات . فانفك الأربعة الملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة لكي يقتلوا ثلث الناس . وعدد جيوش الفرسان مائتا ألف ألف وأنا سمعت عددهم . وهكذا رأيت الخيل في الرؤيا والجالسين عليها لهم دروع نارية وأسماء نجونية وكبريتية ورؤوس الخيل كورؤوس الأسود ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت . من هذه الثلاثة قُتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجية من أفواهها(109) .

*ثم بَوَّقَ الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين(110).

*وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله وحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزلة وبرد عظيم (أى مطر شديد) (111) .

*ثم تبعه ملاك آخر قائلاً سقطت . سقطت بابل المدينة العظيمة لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها(112).

وسيبكى وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون دخان حريقها . واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ويل . المدينة العظيمة بابل . المدينة القوية . لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك (113) .

*ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد . وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها . وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم . وسيمسح الله كل دموعهم من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت (114).

4- نزوح اليهود إلى فلسطين مرحلة يعقبها ارتداد اليهود إلى المسيحية حتى تُحقّق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان بفعل عودة المسيح المخلص من آخر الأيام ليحكم العالم هو والقديسون لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام . وحسب ما جاء في هذه الأسطورة والخرافة لن يتحقق الخلاص ولن يتم إلا باسترجاع اليهود لفلسطين ليتم تنصيرهم .

وقد ظهرت هذه العقيدة الألفية في كتب (الأبوكريفا) أي الكتب التي لا يعترف بها اليهود و (سفر دنيال) . ومع إن قضية نزول المسيح وملكه الألفي تثير إشكاليات متعددة ومعقدة في الفكر المسيحي والصهيوني (السياسي) إلا أن الصهيونية استطاعت أن تتجاوز هذه الإشكالات بتبسيط القضية وربط نزول المسيح بقيام إسرائيل ومجيء يهود التيه وتدمير العالم الإسلامي . فمسيح الصهيونية / الصليبية مسيح عنصري قبلي جدول أعماله يقوم بإقامة إسرائيل الكبرى والقضاء على الفلسطينيين وإبادتهم ونهب العالم العربي والسيطرة على ثرواته والقضاء على سكان الدلتا في مصر لتحويلها إلى مستعمرة إسرائيلية (115).

ويعتبر من أبرز مؤسسي دعاة الألفية في الولايات المتحدة على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين⁽¹¹⁶⁾:

- 1- جريس هالسيل في كتاب (الفكر التوراتي والحرب النووية):
- 2- وليم ميلر مؤسس (الأدفتست السبتيين) في القرن التاسع عشر.
- 3- مايك إيفانز صاحب محطة للبرامج الدينية .
- 4- بات روبرتسون صاحب محطة تليفزيون (س.بي.إن) ومحطة تليفزيونية تبشيرية في جنوب لبنان وبرنامج نادى الـ700.
- 5- جيمى سواجرت . صاحب برنامج تليفزيوني يعرض كل أحد.
- 6- جيم بيكر صاحب ثالث محطة تليفزيونية تبشيرية في أمريكا .
- 7- أورال روبرتس صاحب برنامج تليفزيوني تبشيري .
- 8- جيرى فولويل يعطى دروساً تبشيرية أسبوعية .
- 9- ريكس هميرد صاحب برنامج تليفزيوني
- 10- ريتشارد دى هان صاحب برنامج (يوم كشف النظام) التليفزيوني .
- 11- كيفين كوبلاند صاحب برنامج تليفزيوني ويرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية شيء واحد .

ويوجد أيضا في أمريكا 250 منظمة إنجيلية موالية لإسرائيل يبلغ عدد أتباعها 40 مليون بينها :

- مؤتمر القيادة الوطني المسيحية لإسرائيل - المؤتمر الوطني المسيحي
- الاتحاد الأمريكي من أجل سلامة أمريكا - تاف الكاندرائية الإنجيلية -
- الائتلاف الأمريكي من أجل القيم التقليدية - الصوت المسيحي - جماعة
- السفارة المسيحية الدولية في القدس .

وأُسفار العهد القديم (سفر إشعيا 11، 34، 43 & سفر زكريا : 9 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 & سفر المزامير : 83 وغيرها) نجد تشريع العنف ووصف التتكيل الذي يحل بالعراق والأردن وسوريا ومصر وفلسطين وغيرهم من المسلمين والعرب .

وكل ذلك تعصيذاً لخرافة الألفية التي حلت عام 2001 وأسطورتها المزعومة بسيادة اليهود للعالم وتدمير المسلمين لماذا؟! .. لأنهم أعداء طبيعيين لليهود يجب إفنائهم وإهلاكهم بشتى الطرق والصور حتى لو كان ذلك بنسج أسطورة أو خرافة أو قصة تنتهي بهلاك المسلمين جميعهم وبقاء اليهود وحدهم. هذا هو خيالهم وشططهم وهذا هو ما يسعون لتصديق وتحقيق ما تخيلوه وابتدعوه حقداً وكيداً وغيظاً من الأمة التي اختارها الله جل علاه لتخلف الشعب المختار - سابقا - في أن تكون الأمة الفضلى وخير أمة أخرجت للناس على مر الزمان والدهر لنبذ اليهود الدين والشرعية وإن كانوا يتظاهرون بتدينهم وأنهم محافظون على شريعتهم الموسوية وأنهم شعب الله وصفوة خلقه . وهذا التوجه اليهودي / الصهيوني يلقي بطبيعة الحال القبول والتعصيد والمساندة من كافة قوى الشر والبغي في العالم حتى أنهم صدقوا ماروجوا له من خرافات في محاولة فجّة ويائسة لإلهاء أنفسهم أولاً والمسلمين ثانياً عن الواجب المنوط بهم في دحر أعداء الله وتنفيذ قضاء الله فيهم بعدما تجمع اللبيف من الشتات وبعدها ارتفع صوت الباطل أكثر مما يجب وبعدهما ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله الذي قضى فيهم أمراً لا مفر منه ولا مهرب ولا طائل من محاولة التشويش عليه أو تعطيل حدوثه أو التشكيك في وقوعه . يظنون أنهم بترويج الخرافات والأساطير قادرون على طمس الحقائق البيّنة الجليّة . لكنه اليأس والرعب الذي يعتمل في صدورهم ويسيطر على مشاعرهم وأحاسيسهم فلا يجدون في النوم راحة ولا في اليقظة سُلوى

وأمن . ومن خوفهم تراهم يتخبطون بين التظاهر بقوتهم التي تفوق قوى من حولهم عتاداً وسلاحاً وبين الجأر بالشكوى حين تلم بهم نازلة بفعل مقاومة العزل من الفلسطينيين بصدورهم العارية إلا من الإيمان بحقهم في العيش كغيرهم وتحرير أرضهم المغتصبة . ومع كل عملية استشهادية يطيش صوابهم وتطير عقولهم وتتخلع أفئدتهم هلعاً وخوفاً فهم لا يدرون أين ومتى تأتي الضربة التالية . ولا من سيكون الضحية منهم في الأرض المحتلة أو الأرض التي يحاولون بسط سيطرتهم عليها كل حين وأن .

وبرغم ما لديهم من شتى الأسلحة فهم لا يأمنون على أنفسهم ولا على حياتهم ومعيشتهم . يعلمون ويدركون تماماً أنهم مغتصبون ومزورون ومدعون . وأنه لا حق لهم الآن في الأرض التي منحها الله لهم حينما كانوا أفضل الأمم في زمانهم ولأنهم بعصيانهم الله واعتدائهم على الشريعة التي أنزلها الله عليهم بالتحريف والتزوير وبقتلهم أنبياء الله ورسله إليهم وبكفرهم بآيات الله ورسالاته قد تنكبوا الطريق وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فاستحقوا لعنة الله عليهم وغضبه وقضى الله عليهم بالشتات في شتى بقاع الأرض جزاءً بما فعلوا ويفعلون:

* وقطعنا هم في الأرض أمماً . منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون * فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب (التوراة) يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى (شهوات الدنيا) ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عَرَضٌ مثله يأخذوه . ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه (من شريعة ودين) والدار الآخرة خير للذين يتقون . أفلا تعقلون * والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين (117).

هذا هو منهجهم في الحياة . اللهت وراء شهوات الدنيا من مال وغيره والاستكبار والاستعلاء والبغي والكفر بما أنزله الله من شريعة ودين رغم علمهم بأن ما جاءهم هو الحق من ربهم . ولكنه الكفر والتطاول على الأنبياء والرسالات والذات العلية . فاستحقوا اللعنة والغضب من الله خالقهم وبارئهم . وقضى الله فيهم أمراً هو واقع لا ريب فيه ولا راد له . وتطاولهم وبغيتهم إنما هو ابتلاء من الله لعباده المؤمنين وهو إملأ لهم (لليهود) حتى إذا أخذهم في الموعد الذي حدده جل شأنه ولا يعلمه إلا هو كان أخذه أخذ عزيز مقتدر ليكونوا - كسابقيهم من الطغاة - عبرة لغيرهم :

*ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم . إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً . ولهم عذاب مهين (118) .

ورغم هذا فهم يعملون بدأب على إثبات أن خرافاتهم وادعاءاتهم حقيفة فيستميلون قوى البغي والشر في العالم في صفهم بادعاء أنهم - اليهود - هم خط الدفاع الأول والأخير عن تلك القوى الامبريالية العالمية وأنهم لو سقطوا فستسقط حتماً دول الامبريالية العالمية الواحدة تلو الأخرى تحت طرقات المسلمين عدوهم المشترك . ولذا نجد كافة المساعدات تنهال على اليهود من مال وسلاح وتأييد سياسي واقتصادي وغيره في شتى المناسبات وكافة المحافل الدولية . وكلهم يظنون أنهم بذلك يحققون خرافة السيادة اليهودية على العالم في معركة وهمية ابتدعوها ووضعوا تفاصيلها في عقولهم السقيمة وحددوا موقعها في بلدة (مجدو) الفلسطينية لتكون المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود (هرمجدون) والتي يتخلص فيها اليهود ومعاونيهم من كافة المسلمين في شتى بقاع الأرض إلى الأبد وذلك قبل انتهاء السنة الحالية (بداية الألفية الجديدة 2001 م) . هكذا يتخيلون ويحلمون ويتناسون أن يد الله فوق

أيديهم وأن قضاء الله وقدره المقدور فيهم واقع لا محالة وأن الغلبة ستكون بإذن الله لعباده المؤمنين وصفوته من المسلمين الذين اختارهم جل شأنه على علم عنده وعلى موعد محقق منه في قرآنه الكريم :

* فإذا جاء وعد الآخرة (الوعد الأخير) ليسوعوا وجوهكم (ليخزوكم) وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا (يدمروا) ما علوا تتبيرا⁽¹¹⁹⁾ .

ووقتها ستكون نهاية قوى الشر والضلال والبغي والفساد في العالم ليسود الأمن والأمان والعدل والسلام كافة أرجاء العالم وتعود الحقوق لأصحابها وتندحر قوى الباطل :

* وقل جاء الحق وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقاً⁽¹²⁰⁾ .

* وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون⁽¹²¹⁾ .

سيعلمون حينئذ أن الله لا يخلف وعده . وأنه جل شأنه على كل شيء قدير وأنه يحيط بكل شيء علماً . وأن كلماته هي النافذة ووعدده للمؤمنين محقق لا ريب فيه . ووعيده فيمن كفر نافذ لا مرد له . وأن ما يدعيه اليهود دوماً من أنهم شعب الله المختار في كل زمان ومكان ما هو إلا خرافة كبيرة صدقوها واقنعوا بها الآخرين وأوهموهم بصدقها متباهين بقوتهم ومنعتهم ناسين أن الله الذي منحهم تلك القوة إنما هو تحقيق لوعده فيهم بأن يصبحوا في كثرة من المال والبنين وأكثر نفيراً حتى يغتروا بأنفسهم ثم إذا أخذهم بوعيده لهم لم يفلتهم . يأخذهم وهم في أوج قوتهم وجبروتهم وغرورهم فيظنون أن وعيد الله لهم غير محقق . فإذا ما جاء وعده الأخير بتدميرهم والقضاء عليهم على يد عباده المؤمنين المسلمين الطائعين الواثقين في نصرته

لهم كان يوماً شره مستطيراً ومحيطاً بمن شاقق الله ورسوله وبمن حاد الله
ودينه وشريعته وبمن ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

تلك هي خاتمته ونهايتهم التي أخبرنا الله بها في قرآنه الكريم وذلك
هو الوعد الحق من الواحد القهار الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في
السماء . وهذا هو القدر المقدور الذي قضاه وأبرمه العلي القدير :

إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء وإليه ترجعون⁽¹²²⁾.

• والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون⁽¹²³⁾.

* * * * *

الإسلام والأمبريالية العالمية

إن الأمبريالية العالمية وقوى الشر والقهر في عالمنا المعاصر تخص العرب خاصة والمسلمين عامة بالنصيب الأوفر من مخططاتهم وذلك لأسباب عديدة وبأساليب مختلفة منها :

1- ضرب الإسلام والمسلمين بكل وسيلة ممكنة ومحاولة القضاء على تطلعات شعوبها في العيش في سلام وأمان .

2- استغلال ثروات شعوب العالم الإسلامي بطريقة لإضعاف كياناتهم الاقتصادية وبنيتهم الاجتماعية بحيث تكون لقمة العيش هي أكبر هموم المسلمين بدلاً من إعلاء كلمة الحق والدين والجهاد في سبيل الله .

3- إفساد البنى الاقتصادية والمالية للشعوب الإسلامية وتوجيه عائد ثرواتهم إلى مشروعات تستنفذ كل مدخراتهم وفائض ثرواتهم لعقود طويلة دون أن يكون هناك عائد مجز لهذه المشروعات بعد تمامها .

4- اليهود والصهيونية العالمية هم جزء أصيل من الأمبريالية العالمية وأداتهم الهامة في تحقيق مخططاتهم على مستوى العالم الإسلامي والعربي على وجه التحديد .

5- توريط الدول والشعوب الإسلامية في نزاعات فيما بينها وأخرى داخلية (حروب أهلية وطائفية) لاستنزاف الجهد والمال والسلاح وأيضاً في نزاعات عقائدية (سنة وشيعة - شمال وجنوب-عرب وبربر.. الخ)

6- تحديد وتقييد تسليح الدول الإسلامية لإضعاف قوتها الدفاعية بالمقارنة بجيرانها وخصومها (إسرائيل أكبر مثال لذلك).

7- تكثيف الغزو الثقافي الغربي وعلمنة ثقافة الشعوب الإسلامية للقضاء على الهوية الإسلامية وعقيدة شعوبها .

8- تجويع ومحاصرة كل القوى الصاعدة والتحررية الإسلامية (ليبيا - السودان - العراق...) لتقليل مخاطر تنامي قوتها الاقتصادية أو غيرها بالقياس إلى الدول الموالية والعميلة .

9- فرض برامج وخطط العلمنة والإلحاد الديني والعقائدي لضمان وجود أجيال مسلمة إسماء لا حول لها ولا قوة في مجال الفكر والرقي الديني والاجتماعي والاقتصادي وغيرها . ولوأد روح الجهاد والاعتزاز بالتاريخ العربي والإسلامي ونسيان أو تشويه ذلك التاريخ التليد .

10- سرقة العقول النابهة وإغرائهم لهجر بلاد العرب والإسلام والانتفاع بهم في تطوير وتقديم مجتمعات الغرب وحده على حساب الشعوب الإسلامية .

11- تجنيد العملاء لبث أفكار الغرب المشرك في أوساط المجتمعات الإسلامية والتجسس المنتظم والمنظم على ما ينتويه المخلصين من أبناء الشعوب الإسلامية لرفعة شأن بلادهم .

12- ربط اقتصاديات الدول الإسلامية بالتبعية والهيمنة الغربية .

13- التخلص من معارضي الغرب بطرق مختلفة منها القتل أو الترويع أو الابتزاز أو الاستمالة . .

14- التخلّص من علماء المسلمين النابهيّين في فروع العلم المختلفة (وخاصة العلوم الذرية وغيرها) إذا لم يرضخوا للتهديدات الغربية (الدكتور المشدّ - الدكتور جمال حمدان - الدكتورة سميرة موسى).

15- الترويج للأفكار الهابطة والمشوشة عن الدين الإسلامي ووصم معتققيه من المجاهدين والإصلاحيين بالإرهاب ليكون الدين الإسلامي مجرد طقوس وشعائر كما فعل الغرب بشريعتهم :

*لودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء⁽¹²⁴⁾ .

16 - تمويل الأنشطة المشبوهة وتكريس تسطيح مفهوم الدين عند المسلمين وإلهاؤهم في احتفالات شُرُكية مختلفة مثل بدع الموالد (تستمر على مدار العام) والاحتفالات والأنشطة الصوفية وغيرها والترويج للمحافل الماسونية وأنشطة النوادي العلمانية والتجسسية مثل نوادي الروتاري والليونز وعبدّة الشيطان وغيرها .

17- فرض الآراء الغربية في المحافل الدولية . وتقنينها (مؤتمرات السكان مثلاً) تحت لواء الأمم المتحدة لتقويض النظم الاجتماعية والقيم الدينية تحت مسميات الحرية والمساواة وحقوق الإنسان لضمان ضعفة المسلمين وتخلفهم (تقنين وترويج الزواج العرفي والسري والإجهاض وحملات تحديد نسل المسلمين دون غيرهم والفوضى الجنسية تحت مسميات مختلفة مثل الحرية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والتحضر) .

18- فرض ما يسمى بالعولمة وهى في حقيقتها فرض الوصاية والانتداب الغربي (الأمريكي تحديداً) على دول العالم الثالث وخصوصا الدول

الإسلامية والعربية منها . فلا يتم شيء ذي بال في تلك الدول إلا بموافقة ومباركة واستفادة الغرب الامبريالي .

19- التدخل في الشؤون الداخلية للدول الإسلامية باسم حرية الرأي وحقوق الإنسان وكفالة ممارسة الشعائر للأقليات وترهيب رجال الفكر الوطني وكافة الشرفاء والمخلصين من الوطنيين .

20 - وأد كافة خطوات الوحدة والتجمع الإسلامي والعربي كيلا تقوم قائمة لدولة أو كيان وحدوي قومي أو ديني يكون حجر عثرة في طريق الهيمنة الغربية .

21- الوقيعة المستمرة بين الدول الإسلامية والعربية بل وداخل الكيان الواحد بادعاءات مختلفة كالتائفية و الأقليات أو الإرهاب وبث الشكوك بين المسلمين بعضهم البعض واختلاق تهديدات مستمرة من الجيران وتخويفهم المستمر عن طريق عملائهم من الأفراد والأمم (العراق ودول الجوار في الخليج، إيران والمد الإسلامي وتصدير الثورة .. الخ)

22- استنزاف ثروات الشعوب الإسلامية وإعادة تصديرها لهم في صورة منتجات تامة الصنع يحتكرون تصنيعها ويفرضونها بالأثمان التي ترضيهم .

23- جعل السوق الإسلامي سوقاً رائجة لتصريف منتجاتهم خصوصاً تلك التي تخضع للتجارب والاختبارات (الأدوية - المبيدات - التقاوي) .

24- إجراء التجارب على كافة الأسلحة المستحدثة في مناطق النزاعات التي يخلقونها داخل العالم الإسلامي فيستخدمونها ضد شعوبهم . لاختبار مدى فاعليتها ولتجنيب شعوبهم الآثار الناجمة عنها . (القذائف والذخائر المخصصة والألغام ضد الأفراد وغيرها) .

25- تدبير الانقلابات العسكرية ضد معارضيهم والتصفية الجسدية للأفراد المناوئين ومعاونة من يوالونهم للوصول إلى مراكز القرار والسلطة (في الانتخابات وغيرها) لضمان الهيمنة والتبعية .

26- استمالة ضعاف النفوس من القادة والساسة لتنفيذ سياساتهم أو على الأقل لضمان عدم وجود معارضة لهم ولأنشطتهم وتدخلاتهم المختلفة في كافة البلدان الإسلامية .

27- طمس الهوية الثقافية للشعوب الإسلامية ومحاولة مسخها بنشر ثقافتهم وأفكارهم وعاداتهم التي تخالف التوجه الإسلامي في كل شيء (الإباحية - الفوضوية - الموضوعة - التقاليع - التدخين - المخدرات - الأفكار الهدامة للجماعات الملحدة - السينما - الأغاني الخليعة .. الخ) .

28- نشر كافة الموبقات بين الشباب المسلم لهدم عقيدته وصحته (الجنس - المخدرات - التقاليع الإلحادية - ازدراء الأديان .. الخ)

29- إغراق الدول الإسلامية في الديون والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية كيلا تنهض ولا تقوم لها قائمة فتظل تعاني من التخلف والفقر والمرض والجوع .

30- وأد روح الجهاد وإعلاء كلمة الله في الكون بالتشكيك المتواصل في قدرة وقوة الدول الإسلامية مجتمعة وقدرة أعدائها وقوتهم وتسليحهم المتعاضم بهدف نفى وطمس - أو تأجيل - والتشكيك في وعد الله للأمة المسلمة بكونها أداة تنفيذ الوعد الإلهي المكتوب والمقدر على بنى إسرائيل بالتدمير وخلاص العالم من شرورهم وإفسادهم .

31- محاولة تحقيق خرافة الألفية بإطلاق يد إسرائيل ضد الفلسطينيين ووضع حجر أساس الهيكل المزعوم وإلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين عامة والعرب خاصة ومحاولة هدم المسجد الأقصى (حفر خنادق وعمل حفريات وهمية للبحث عن الهيكل تحت المسجد) .

32- إحياء ما يسمى بصراع الحضارات وتصادمها لمحو الهوية الإسلامية ومحاربة المسلمين تحت دعاوى مختلفة فى محاولة يائسة لمنع تحقيق وعد الله المقدر فيهم بالدمار لإراحة العالم من شرور اليهود .



جنود الله

كل ما سبق ذكره قليل من كثير . جلتى وواضح أو خفى مستور .
الهدف الأسمى لقوى الامبريالية العالمية هو الإيهام باستحالة تنفيذ وعد الله وقضائه فى بنى إسرائيل الذين هم الأداة التنفيذية لجميع مخططاتهم (انظر الفصل الثالث) أو محاولة إعاقة نهضة المسلمين والتفافهم حول حبل الله المتين والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ألا وهى القرآن الكريم . شريعة الله ورسالته إلى يوم الدين . الباقية مهما حاول الكائدون والأعداء والمعادون .

الأمر كله لا يعدو إلا أن يكون مسألة وقت فى يقيننا . ومنهج استقامه وإنابة واستمسك بتعاليم الله ودينه القويم وشريعته العصماء السحاء . وقت تفيق فيه القلوب الغافلة اللاهية المسلمة قيادها لأعدائها دون أن تدرك مغبة ذلك الخذلان . فى بادئ الأمر كانت الأمة الإسلامية هي التي تقوم بقيادة العالم كله (الدولة العربية الإسلامية) وبعد أن نال منها الفتور والوهن وضعت رقابها فى أيدي أعدائها واستسلمت لذلك المصير قرون عديدة منذ تحقيق وعد الله الأول على أيدي عباده المخلصين المؤمنين الأنقياء . محمد (ﷺ) وصحبه الكرام بإيمانهم واخلاصهم وصدقهم كانوا هم أصحاب ورجال الوعد الأول فمن ترى يكون رجال وعد الله الأخير ؟ .

ولنعلم أنه مع التخاذل والنكول فإن لله جنود السماوات والأرض :

*وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم. ثم لا يكونوا أمثالكم⁽¹²⁵⁾.

وقدرة الله لا يحدها شيء :

*وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات والأرض . إنه كان

عليماً قديراً⁽¹²⁶⁾ .

ولكن هناك من يتعلل بأسباب واهية ويلتمس لنفسه المعاذير والمخاوف

بأن الأمم سوف تتكالب علينا فيصيبنا منهم الأذى والبطش :

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم (بالنكول) يقولون نخشى أن

تصيبنا دائرة (تتكالب علينا الأمم وتأتينا النوائب) فعسى الله أن يأتي بالفتح

(النصر) أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين⁽¹²⁷⁾ .

وكل من يتخاذل ويولى الأذبار نتيجة وهم يراوده ويسيطر على مشاعره

فيصيبه بالإحباط والخوف (نخشى أنصيبنا دائرة) فيظن أن الأمم

ستتكالب على المسلمين وتأتينا نوائب الدهر ومصائبه وكنا في غنى عن

ذلك فاعلم أن هؤلاء هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض . ولم ترتق

نفوسهم إلى مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم من قبل الله . ولما كان

الأمر كله لله فإن الله يتكفل بنصر المؤمنين الذين صدقوا عهدهم مع الله

بالجهاد قولاً وعملاً . وصدقت نواياهم وأخلصوا دينهم لله . وحينئذ يصبح

أولئك المنافقون في ندم على ما أسروه وأخفوه في أنفسهم من أن الهزيمة

ستلحق بالمسلمين وحينئذ ترتفع كلمة الله فتكون هي العليا . وكلمة الذين

كفروا السفلى .

ولنعلم أن الله جنود فى السماوات والأرض يؤيد بها عباده المؤمنين
ويخزى بها الكافرين والمنافقين . وجنود الله هى:

1-الصيحة : وهو صوت أشد وأقوى من صوت الرعد المعروف (قوم
ثمود) .

2- الحاصب : أى الريح المحملة بحصى من سجيل وهى ريح صرصر
عاتية وشديدة (قوم عاد) .

3- الخسف : أى خسف الأرض وجعل عاليها سافلها (قارون) .

4- الإغراق : مثلما حدث لفرعون وملئه (فرعون) .

5-الطوفان : وهو أشد صور الإغراق (قوم نوح) .

6- الزلازل : وهى التى تدك كل ماعلى الأرض (قوم لوط).

7-الظلة : أى السحاب الذى يمطر ناراً (قوم شعيب) .

8-الخوف : ببث الخوف فى قلوب الأعداء (يهود بنى النضير) .

9- الرعب : ببث الخوف الشديد فى قلوب الأعداء فينهزموا قبل أن يقاتلوا
(يهود بنى قريظة ويهود خيبر) .

10- طير أبابيل : وهى طيور تحمل فى فمها حجارة محرقة ومهلكة
(أصحاب الفيل / أبرهه) .

11 - هذا بخلاف جنود الله الأخرى من الملائكة وغيرهم من الجنود التي لا ترى كالفيروسات والميكروبات التي تسبب الأمراض الفتاكة والأوبئة التي تحصد الأرواح حصداً. وجنود أخرى لا يعلمها إلا الله ولا ترى :

* فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً⁽¹²⁸⁾ .

وكل ذلك تمكين للمسلمين الطائعين وابتلاء للنفوس الصابرة المخلصة المستقيمة على أمر الله . فإن كان الصدق والإخلاص والإيمان يعمر القلوب فإن نصر الله لآت وعون الله لا ريب فيه ومعية الله حليف أصيل لعباد الله المؤمنين. لأن علم الله غير محدود القدرة. وبصره - جل شأنه - يدرك ويحيط بكل شيء. فالله بصير بعباده وعليم بإيمانهم وجند الله لاشك ستكون معهم تؤيدهم وتثبتهم. وإذا ما حدث النكول والارتداد والشك فإن الله قادر على استبدال أولئك الناس بآخرين يحبهم ويحبونه :

* يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه . أذلة على المؤمنين (رحماء بهم) أعزة على الكافرين (أشداء عليهم) . يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم⁽¹²⁹⁾ .

والنبي (ﷺ) يبين لنا أن ابتلاء الله للمؤمنين في المواقف المختلفة يتدرج حسب قوة الإيمان ودرجته . لماذا ؟:

* ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم . أولئك هم الخاسرون⁽¹³⁰⁾ .

* عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص قال : قلت : يا رسول الله
أى الناس أشد بلاءً ؟

قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يُبتلى الرجل حسب دينه (131) .

* عن العلاء بن المسيّب عن أبيه عن سعد قال :

سئل رسول الله (ﷺ) : أى الناس أشد بلاءً ؟

قال : الأنبياء . ثم الأمثل فالأمثل . يُبتلى الناس حسب دينهم . فمن ثخن دينه
(عظم) اشتد بلاؤه . ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه . وإن الرجل ليصيبه
البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه من خطيئة (132) .



تذكرة

عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال :

يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله : أمن قلة منا يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهة الموت⁽¹³³⁾.

وقد روى الحديث بعدة صيغ وكلها بذات المعنى . والحديث لا يحتاج لأى تعليق منا فهو واضح المعنى . وهو تحذير للمسلمين فى كل زمان ومكان ونصيحة من النبى (ﷺ) لنا .

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا)⁽¹³⁴⁾ :

*لن يضرؤكم (يا مسلمين) إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون⁽¹³⁵⁾ .

*ولا تهنوا ولا تحزنوا (لا تضعفوا عن الجهاد) وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين⁽¹³⁶⁾ .

*بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا (برهانا) ومأواهم النار . وبئس مئوى الظالمين⁽¹³⁷⁾ .

* إن ينصركم الله فلا غالب لكم . وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (138) .

* الذين قال لهم الناس (المنافقون) إن الناس (الأعداء) قد جمعوا لكم (من السلاح) فاخشوهم . فزادهم (ذلك) إيماناً (يقيناً) وقالوا حسْبنا الله ونعم الوكيل * فاتقوا الله من الله وفضل لم يمسسهم سوء . واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم (139) .

* يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا (ثابروا) ورابطوا (تأهبوا للجهاد) واتقوا الله لعلكم تفلحون (140) .

* ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً (141) .

* إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (142) .

* ولقد كتبنا في الزبور (كتاب داود) من بعد الذكر (التوراة) أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (143) .

* إن الله يدافع عن الذين آمنوا . إن الله لا يحب كل خوان كفور (144) .

* أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (145) .

* ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (146) .

* وكأين من قرية أهلكنا (أهلكت) لها وهي ظالمة . ثم أخذناها. وإلى المصير (147) .

* وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدوننى لايشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (148) .

* وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (149) .

* من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه (أجله) ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً * ليجزى الله الصادقين بصدقهم (150) .

* استكباراً فى الأرض ومكر (كيد) السيىء ولا يحيق (يحيط وينزل) المكر السيىء إلا بأهله . فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً . ولن تجد لسنة الله تحويلاً * أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة . وما كان الله ليعجزه من شيء فى السماوات ولا فى الأرض . إنه كان عليماً قديراً (151) .

* إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (152) .

* إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (القيامة) * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (153) .

* هو (الله) الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود) من ديارهم لأول الحشر (لإجلاتهم إلى الشام) . ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم

الرعب . يخبون ببوتهم بأيدىهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار⁽¹⁵⁴⁾ .

*لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون * لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر . بأسهم بينهم شديد (عداوة فيما بينهم) . تحسبهم جميعاً (متحدين ومترابطين) وقلوبهم شتى (متباغضة ومتباعدة) . ذلك بأنهم قوم لا يعقلون⁽¹⁵⁵⁾ .

*ألم تر كيف فعل ربك بعاد *إرم ذات العماد (الأعمدة) *التي لم يخلق مثلها في البلاد *وتمود الذين جابوا الصخر بالواد *وفرعون ذى الأوتاد *الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد *فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد⁽¹⁵⁶⁾ .

*ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل (خسران) * وأرسل عليهم طيراً أبابيل *ترميهم بحجارة من سجيل (مثل الجير الحي المحرق) *فجعلهم كعصف مأكول (مثل روث البهائم)⁽¹⁵⁷⁾ .

* * * * *

ومث كلمة ربك صدقاً وعدلاً

لا مبدل لكلماته⁽¹⁵⁸⁾

* * * * *

الهوامش

- ¹ (جامع الترمذى : 42 - كتاب ثواب القرآن باب ماجاء فى فضل القرآن .
- ² (سنن الدارمى : 23 - كتاب فضائل القرآن 1-باب فضل من قرأ القرآن .
- ³ (سورة النمل : 76- 78
- ⁴ (سورة المائدة : 20
- ⁵ (سورة فاطر : 15
- ⁶ (سورة الزمر : 7
- ⁷ (سورة فاطر : 16، 17
- ⁸ (سورة انفرة : 80 ، 81
- ⁹ (سورة آل عمران : 24
- ¹⁰ (سورة النقرة : 111
- ¹¹ (سورة المائدة : 18
- ¹² (سورة الجمعة : 6، 7
- ¹³ (سورة يونس : 69، 70
- ¹⁴ (سورة لقمان : 33
- ¹⁵ (سورة الإسراء : 84
- ¹⁶ (سورة الأعراف : 168
- ¹⁷ (سورة ص : 35
- ¹⁸ (سورة الشورى : 26
- ¹⁹ (سورة المائدة : 27

- 20 (سورة آل عمران : 178
- 21 (سورة محمد : 31
- 22 (سورة محمد : 4
- 23 (صحيح مسلم : 6- كتاب صلاة المسافرين وقصرها. ح 139 وهو حديث طويل يرويه سعد بن هشام عن ابن عامر وفيه يقول : بعد أن استأذن على عائشة قال : فقلت : يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ . أَنْبِئْنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ . قَالَتْ أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَتْ : فَإِنْ خُلُقَ نَبِيُّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنُ .
- 24 (سورة الأحزاب : 40
- 25 (سورة آل عمران : 54 ، 55
- 26 (سورة مريم : 57
- 27 (سورة السجدة : 11
- 28 (سورة الزمر : 42
- 29 (سورة المائدة : 75
- 30 (سورة آل عمران : 144
- 31 (سورة الأنبياء : 34 ، 35
- 32 (سورة المائدة : 117
- 33 (سورة لقمان : 34
- 34 (سورة الأعراف : 187
- 35 (سورة النحل : 77
- 36 (سورة المائدة : 3
- 37 (سورة الأعلى : 14-19
- 38 (سورة الحج : 9
- 39 (سورة الأحزاب : 40

-
- ⁴⁰ (سورة المؤمنون : 44
- ⁴¹ (سورة سبأ : 28
- ⁴² (سورة النساء : 79
- ⁴³ (سورة الأنبياء : 107
- ⁴⁴ (سورة البقرة : 136
- سورة آل عمران : 84
- ⁴⁵ (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية :
- (السيد صالح) جـ 2 ص 164 وما بعدها .
- ⁴⁶ (سورة الأنعام : 38
- ⁴⁷ (سورة النحل : 89
- ⁴⁸ (الفتاوى : الإمام الشيخ (محمود شلتوت) ص ٩٠ وما بعدها .
- تفسير المنار : السيد (محمد رشيد رضا) تفسير سورة آل عمران
- و النساء والمائدة .
- ⁴⁹ (سورة النور : ٦٦
- ⁵⁰ (سورة يوسف : 76
- ⁵¹ (سورة الشرح : 4
- ⁵² (سورة المجادلة : 11
- ⁵³ (سورة آل عمران : 45
- ⁵⁴ (سورة النساء : 159
- ⁵⁵ (سورة النساء : 18
- ⁵⁶ (سورة الزخرف : 61
- ⁵⁷ (سورة مريم : 57

- ⁵⁸ (أضواء على السنة المحمدية : الشيخ (محمود أبو رية) ص 113 ومابعدها (طبعة دار المعارف).
- ⁵⁹ (نفس المصدر السابق : ص 113 ، 114
- الجواب الكافي : ابن القيم الجوزية ص 37 ، 38
- تدريب الراوى : (السيوطى) ص 180 .
- تكوين السنة : (إبراهيم فوزى) ص 243
- تفسير المنار : (محمد رشيد رضا) .
- ⁶⁰ (أضواء على السنة المحمدية : (محمود أبو رية) ص 114
- ⁶¹ (نفس المصدر السابق : ص 114
- ⁶² (كتاب المرقاة : (ابن حاتم) ص 39
- ⁶³ (مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة : (السيوطى) ص 17
- ⁶⁴ (أضواء على السنة المحمدية : (محمود أبو رية) ص 116
- ⁶⁵ (عفرية عمر : (عاس محمود العقاد) ص 264
- ⁶⁶ (تفسير المنار : (محمد رشيد رضا) ص 183-186 من تفسير جزء عد
- ⁶⁷ (تفسير المنار : ج 27 ص 784
- ⁶⁸ (سورة الفرقان : 5،4
- ⁶⁹ (سورة النحل : 103
- ⁷⁰ (سورة العنكبوت : 48
- ⁷¹ (سورة النحل : 102
- ⁷² (سورة الإسراء : 47 ، 48
- ⁷³ (سورة الفرقان : 9،8
- ⁷⁴ (البرحق المختوم : (المباركفورى) ص 382
- السيرة النبوية : (ابن كثير) ج 3 ص 390

- المعجم الصغير : (الطبراني) جـ 1 ص 19
- زاد المعاد : (ابن القيم الجوزية) ج 2 ص 139
- 75 (سورة الضحى : 6-8
- 76 (سورة الضحى : 5
- 77 (سورة الأنفال : 1
- 78 (سورة الحشر : 7
- 79 (سورة الأنفال : 41
- 80 (فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الثالث ص 1519
- 81 (نفس المصدر السابق : المجلد الخامس ص 2848
- الرحيق المختوم : (المباركفوري) ص 326
- 82 (سورة المائدة : 67
- 83 (سورة النحل : 64
- 84 (سورة النحل : 44
- 85 (جريدة الأهرام المصرية : الأهرام العدد رقم (41679) السنة (126)
- الصادر يوم الجمعة الموافق 2001/1/12 . ص 10
- 86 (جريدة (السياسى المصرى) : دار التعاون العدد رقم (1347) السنة (26)
- الصادر يوم الأحد الموافق 2001/6/24 ص 6
- 87 (سورة النمل : 65
- 88 (سورة الطور : 41
- سورة القلم : 47
- 89 (ورد فى عدة أعداد من جريدة (السياسى المصرى) الصادرة عن دار
- التعاون أن نهاية إسرائيل تكون فى أعوام 2022 & 2023م
- (غالبية الآراء) وعام 2257م (د.م / مراد محمد الدش) .

وَعَامَ 3257 م (د. أحمد حجازي السقا) والذي قال أن الإفساد الأولي لبني إسرائيل كانت عام 1967م. وحرب أكتوبر سنة 1973 هي محاولة لرد الإفساد وعلوه . وأن الإفساد للمرة الثانية (ورد في سفر دانيال (الإصحاح : 12) سيكون بعد 1290 عاماً من الإفساد الأولي (أى في عام 3257 م) ونهاية إسرائيل ستكون 3302 م) .

90 (وهذا ما حدث أكثر من مرة حين تنبأت العديد من الجماعات الدينية والإلحادية بأن نهاية العالم ستكون يوم كذا من سنة كذا . ولما لم يحدث شيئاً من ذلك انتحرت أتباع تلك الجماعات فرادى وجماعات .

91 (عوالم فى تصادم : (إيمانويل فلايكوفسكى) ص 117 ، 136 ، 138 ، 268

92 (عوالم فى تصادم : (فلايكوفسكى) ص 128 ، 129 ، 140 .

93 نفس المصدر السابق : ص 242 ، 250 ، 257 ، 258 ، 264 ، 265 ، 267 ، 268 ، 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 273 ، 274 ، 275 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 ، 281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ، 286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 291 ، 292 ، 293 ، 294 ، 295 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ، 302 ، 303 ، 304 ، 305 ، 306 ، 307 ، 308 ، 309 ، 310 ، 311 ، 312 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320 ، 321 ، 322 ، 323 ، 324 ، 325 ، 326 ، 327 ، 328 ، 329 ، 330 ، 331 ، 332 ، 333 ، 334 ، 335 ، 336 ، 337 ، 338 ، 339 ، 340 ، 341 ، 342 ، 343 ، 344 ، 345 ، 346 ، 347 ، 348 ، 349 ، 350 ، 351 ، 352 ، 353 ، 354 ، 355 ، 356 ، 357 ، 358 ، 359 ، 360 ، 361 ، 362 ، 363 ، 364 ، 365 ، 366 ، 367 ، 368 ، 369 ، 370 ، 371 ، 372 ، 373 ، 374 ، 375 ، 376 ، 377 ، 378 ، 379 ، 380 ، 381 ، 382 ، 383 ، 384 ، 385 ، 386 ، 387 ، 388 ، 389 ، 390 ، 391 ، 392 ، 393 ، 394 ، 395 ، 396 ، 397 ، 398 ، 399 ، 400 ، 401 ، 402 ، 403 ، 404 ، 405 ، 406 ، 407 ، 408 ، 409 ، 410 ، 411 ، 412 ، 413 ، 414 ، 415 ، 416 ، 417 ، 418 ، 419 ، 420 ، 421 ، 422 ، 423 ، 424 ، 425 ، 426 ، 427 ، 428 ، 429 ، 430 ، 431 ، 432 ، 433 ، 434 ، 435 ، 436 ، 437 ، 438 ، 439 ، 440 ، 441 ، 442 ، 443 ، 444 ، 445 ، 446 ، 447 ، 448 ، 449 ، 450 ، 451 ، 452 ، 453 ، 454 ، 455 ، 456 ، 457 ، 458 ، 459 ، 460 ، 461 ، 462 ، 463 ، 464 ، 465 ، 466 ، 467 ، 468 ، 469 ، 470 ، 471 ، 472 ، 473 ، 474 ، 475 ، 476 ، 477 ، 478 ، 479 ، 480 ، 481 ، 482 ، 483 ، 484 ، 485 ، 486 ، 487 ، 488 ، 489 ، 490 ، 491 ، 492 ، 493 ، 494 ، 495 ، 496 ، 497 ، 498 ، 499 ، 500 ، 501 ، 502 ، 503 ، 504 ، 505 ، 506 ، 507 ، 508 ، 509 ، 510 ، 511 ، 512 ، 513 ، 514 ، 515 ، 516 ، 517 ، 518 ، 519 ، 520 ، 521 ، 522 ، 523 ، 524 ، 525 ، 526 ، 527 ، 528 ، 529 ، 530 ، 531 ، 532 ، 533 ، 534 ، 535 ، 536 ، 537 ، 538 ، 539 ، 540 ، 541 ، 542 ، 543 ، 544 ، 545 ، 546 ، 547 ، 548 ، 549 ، 550 ، 551 ، 552 ، 553 ، 554 ، 555 ، 556 ، 557 ، 558 ، 559 ، 560 ، 561 ، 562 ، 563 ، 564 ، 565 ، 566 ، 567 ، 568 ، 569 ، 570 ، 571 ، 572 ، 573 ، 574 ، 575 ، 576 ، 577 ، 578 ، 579 ، 580 ، 581 ، 582 ، 583 ، 584 ، 585 ، 586 ، 587 ، 588 ، 589 ، 590 ، 591 ، 592 ، 593 ، 594 ، 595 ، 596 ، 597 ، 598 ، 599 ، 600 ، 601 ، 602 ، 603 ، 604 ، 605 ، 606 ، 607 ، 608 ، 609 ، 610 ، 611 ، 612 ، 613 ، 614 ، 615 ، 616 ، 617 ، 618 ، 619 ، 620 ، 621 ، 622 ، 623 ، 624 ، 625 ، 626 ، 627 ، 628 ، 629 ، 630 ، 631 ، 632 ، 633 ، 634 ، 635 ، 636 ، 637 ، 638 ، 639 ، 640 ، 641 ، 642 ، 643 ، 644 ، 645 ، 646 ، 647 ، 648 ، 649 ، 650 ، 651 ، 652 ، 653 ، 654 ، 655 ، 656 ، 657 ، 658 ، 659 ، 660 ، 661 ، 662 ، 663 ، 664 ، 665 ، 666 ، 667 ، 668 ، 669 ، 670 ، 671 ، 672 ، 673 ، 674 ، 675 ، 676 ، 677 ، 678 ، 679 ، 680 ، 681 ، 682 ، 683 ، 684 ، 685 ، 686 ، 687 ، 688 ، 689 ، 690 ، 691 ، 692 ، 693 ، 694 ، 695 ، 696 ، 697 ، 698 ، 699 ، 700 ، 701 ، 702 ، 703 ، 704 ، 705 ، 706 ، 707 ، 708 ، 709 ، 710 ، 711 ، 712 ، 713 ، 714 ، 715 ، 716 ، 717 ، 718 ، 719 ، 720 ، 721 ، 722 ، 723 ، 724 ، 725 ، 726 ، 727 ، 728 ، 729 ، 730 ، 731 ، 732 ، 733 ، 734 ، 735 ، 736 ، 737 ، 738 ، 739 ، 740 ، 741 ، 742 ، 743 ، 744 ، 745 ، 746 ، 747 ، 748 ، 749 ، 750 ، 751 ، 752 ، 753 ، 754 ، 755 ، 756 ، 757 ، 758 ، 759 ، 760 ، 761 ، 762 ، 763 ، 764 ، 765 ، 766 ، 767 ، 768 ، 769 ، 770 ، 771 ، 772 ، 773 ، 774 ، 775 ، 776 ، 777 ، 778 ، 779 ، 780 ، 781 ، 782 ، 783 ، 784 ، 785 ، 786 ، 787 ، 788 ، 789 ، 790 ، 791 ، 792 ، 793 ، 794 ، 795 ، 796 ، 797 ، 798 ، 799 ، 800 ، 801 ، 802 ، 803 ، 804 ، 805 ، 806 ، 807 ، 808 ، 809 ، 810 ، 811 ، 812 ، 813 ، 814 ، 815 ، 816 ، 817 ، 818 ، 819 ، 820 ، 821 ، 822 ، 823 ، 824 ، 825 ، 826 ، 827 ، 828 ، 829 ، 830 ، 831 ، 832 ، 833 ، 834 ، 835 ، 836 ، 837 ، 838 ، 839 ، 840 ، 841 ، 842 ، 843 ، 844 ، 845 ، 846 ، 847 ، 848 ، 849 ، 850 ، 851 ، 852 ، 853 ، 854 ، 855 ، 856 ، 857 ، 858 ، 859 ، 860 ، 861 ، 862 ، 863 ، 864 ، 865 ، 866 ، 867 ، 868 ، 869 ، 870 ، 871 ، 872 ، 873 ، 874 ، 875 ، 876 ، 877 ، 878 ، 879 ، 880 ، 881 ، 882 ، 883 ، 884 ، 885 ، 886 ، 887 ، 888 ، 889 ، 890 ، 891 ، 892 ، 893 ، 894 ، 895 ، 896 ، 897 ، 898 ، 899 ، 900 ، 901 ، 902 ، 903 ، 904 ، 905 ، 906 ، 907 ، 908 ، 909 ، 910 ، 911 ، 912 ، 913 ، 914 ، 915 ، 916 ، 917 ، 918 ، 919 ، 920 ، 921 ، 922 ، 923 ، 924 ، 925 ، 926 ، 927 ، 928 ، 929 ، 930 ، 931 ، 932 ، 933 ، 934 ، 935 ، 936 ، 937 ، 938 ، 939 ، 940 ، 941 ، 942 ، 943 ، 944 ، 945 ، 946 ، 947 ، 948 ، 949 ، 950 ، 951 ، 952 ، 953 ، 954 ، 955 ، 956 ، 957 ، 958 ، 959 ، 960 ، 961 ، 962 ، 963 ، 964 ، 965 ، 966 ، 967 ، 968 ، 969 ، 970 ، 971 ، 972 ، 973 ، 974 ، 975 ، 976 ، 977 ، 978 ، 979 ، 980 ، 981 ، 982 ، 983 ، 984 ، 985 ، 986 ، 987 ، 988 ، 989 ، 990 ، 991 ، 992 ، 993 ، 994 ، 995 ، 996 ، 997 ، 998 ، 999 ، 1000

311 ، 310 ،

94 نفس المصدر السابق : ص 277

(نجمة داود) الهندسية هي شكل الذراع الذي صممه داود (الملك) للجنود كي يكون سهل الحركة وخفيف الوزن ويسمح بالرؤية والمراقبة من خلفه دون مشقة بخلاف الدروع الأخرى المصممة والثقيلة .

95 نفس المصدر السابق : جوبيتر / زيوس / المشتري : ص 269 - 271

96 نفس المصدر السابق : مارس / إيروس / المريخ : ص 356

97 سورة فصّلت : 15

98 سورة المائدة : 52

99 سورة البقرة : 40

100 سورة يوسف : 21

¹⁰¹ (جريدة الأهرام المصرية : العدد رقم (41837) الصادر فى يوم السبت

الموافق 23 / 6 / 2001 م ص 13

¹⁰² (أسطورة العودة : (مارسيا إلياد) ص 188

¹⁰³ (مظاهر الأسطورة : (مارسيا إلياد) ص58

¹⁰⁴ (أسطورة العودة : (مارسيا إلياد) ص184

¹⁰⁵ (نفس المصدر السابق : ص189

¹⁰⁶ (نفس المصدر السابق : ص 170 ، 171

¹⁰⁷ (المبشرون البروتستانت والنية القاتلة : (جريس هالسيل) منشور مترجم

على حلقات فى جريدة الشرق الأوسط الدولية .

قبل أن يهزم الأقصى : (عبد العزيز مصطفى) .

¹⁰⁸ (الخطوط الصهيونى : (ليلنتال) ص46

¹⁰⁹ (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى : 9 : 13 - 18

¹¹⁰ (نفس المصدر السابق : 11 : 15

¹¹¹ (نفس المصدر السابق : 11 : 19

¹¹² (نفس المصدر السابق : 14 : 8

¹¹³ (نفس المصدر السابق : 18 : 9 ، 10

¹¹⁴ (نفس المصدر السابق : 21 : 1-4

¹¹⁵ (إسرائيل والصهيونية : (جورج ماكاي) .

¹¹⁶ (دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص111-113

مجلة الكاتب الفلسطينى : (سعيد الشحات) عدد 26 / ص 26 سنة 1994

¹¹⁷ (سورة الأعراف : 168 - 170

¹¹⁸ (سورة آل عمران : 178

¹¹⁹ (سورة الإسراء : 7

- 120 (سورة الإسراء : 81
- 121 (سورة الشعراء: 227
- 122 (سورة يس : 82 ، 83
- 123 (سورة يوسف : 21
- 124 (سورة النساء : 89
- 125 (سورة محمد : 38
- 126 (سورة فاطر : 44
- 127 (سورة المائدة : 52
- 128 (سورة الأحزاب : 9
- 129 (سورة المائدة : 54
- 130 (سورة الأنفال : ٦٧
- 131 (جامع الترمذى : ٦٤ - كتاب الزهد - 57 باب الصبر على البلاء . عن سعد بن أبي وقاص .
- وروى فى سنن ابن ماجة و الحاكم أيضا .
- المرض والكفارات : (ابن أبى الدنيا) .
- 132 (صحيح ابن حبان : من رواية العلاء بن المسيب .
- 133 (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى : (ابن القيم الجوزية) ص 48 .
- مسند الأمام أحمد : (أحمد بن حنبل) . باب الزهد .
- وفى رواية أخرى قال رسول الله (ﷺ) :
- *يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها: فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل .
- ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم . وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن .
- فقال قائل : : يارسول الله وما الوهن ؟ . قال : حب الدنيا وكراهية الموت .

(هموم الأمة الإسلامية) : د. محمود حمدي زقزوق . ص 77 .
سنن أبي داود : كتاب الملاحم 5/ج 4 ص 483 (طبعة اسطنبول . اکتب
السنّة) مجلد (10) . أبو داود السجستاني .

134 (سورة المزمل : 19

135 (سورة آل عمران : 111

136 (سورة آل عمران : 139

137 (سورة آل عمران : 150 ، 151

138 (سورة آل عمران : 160

139 (سورة آل عمران : 173 ، 174

140 (سورة آل عمران : 200

141 (سورة النساء : 141

142 (سورة المائدة : 55 ، 56

143 (سورة الأنبياء : 105

144 (سورة الحج : 38

145 (سورة الحج : 39

146 (سورة الحج : 40

147 (سورة الحج : 48

148 (سورة النور : 55

149 (سورة الروم : 47

150 (سورة الأحزاب : 23 ، 24

151 (سورة فاطر : 43 ، 44

152 (سورة يس : 82 ، 83

153 (سورة غافر : 51 ، 52

154 (سورة الحشر : 2

155 (سورة الحشر: 13 ، 14

156 (سورة الفجر : 6 - 14

157 (سورة الفيل : 1-5

158 (سورة الأنعام: 115

المراجع

المراجع

- (1) القرآن الكريم .
- (2) تفسير القرآن الكريم (ابن كثير) اتحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي
مكتبة التراث الإسلامي & مكتبة الإرشاد .
حلب سوريا . سنة 1980م.
- (3) تفسير القرآن الكريم : (الطبري) أبو جعفر بن جرير الطبري المسمى بـ
(جامع التبري) - نقد - بيروت . لبنان .
- (4) تفسير القرآن الكريم : (التفسير) تسمى بـ (محاسن التأويل)
محمد حنبل بن نعيم تسمى . مؤسسة
التاريخ العربي . بيروت . لبنان سنة 1995
- (5) تفسير القرآن الكريم : (في ظلال القرآن) سيد قطب . دار الشروق
القاهرة . 1987 . الطبعة 13 .
- (6) تفسير القرآن الكريم : (القرطبي) المعروف بـ (الجامع لأحكام
القرآن) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري
القرطبي . دار الكتب المصرية . مصر .

- (7) تفسير القرآن الكريم : (المنار) محمد عبده & محمد رشيد رضا .
دار المنار . سنة 1373 هـ — . 1959 م . الطبعة
الرابعة (مطبعة حجازي) القاهرة . مصر . .
- (8) فتح الباري : ابن حجر أحمد العسقلاني . المطبعة السلفية .
الروضة . القاهرة . مصر (لشرح أحاديث
البخاري) .
- (9) صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري . دار
التراث . القاهرة .
- (10) البخاري (بحثه نسي) . دار الكتب العرسية &
دار التراث العربي . مطبعة الحلبي . القاهرة .
- (11) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . دار إحياء
التراث العربي & مؤسسة التاريخ العربي . بيروت
لبنان .
- (12) مسند الإمام أحمد : أحمد بن حنبل الشيباني . دار الفكر العربي &
مطبعة الحلبي & دار المعارف . القاهرة . مصر .
- (13) سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني .

- (14) موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس الأصبحي . دار الشعب . القاهرة . مصر .
- (15) جامع الترمذي : أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي . دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان .
- (16) سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني . طبعة اسطنبول . الكتب الستة .
- (17) السنن الكبرى : أبو بكر أحمد بن حسين علي (البیهقي) .
- (18) سنن الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بيزام ترمي . - ر إحياء نسبه النبوة .
- (19) صحيح ابن حبان : أبو حنيفة حبان بن الحسن .
- (20) سنن النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . (السنن الكبرى للنسائي) .
- (21) الطبقات الكبرى : محمد بن سعد الزهري البصري . دار صادر . بيروت لبنان .
- (22) مفتاح الجنة في (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبو الفضل . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
الاحتجاج بالسنة :

- (23) السيرة النبوية : الحافظ (بن كثير) . مطبعة الحلبي . القاهرة .
تحقيق د. مصطفى عبد الرحمن عبد الواحد .
القاهرة . مصر . سنة 1965 (أربعة مجلدات) .
- (24) السيرة النبوية : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (سيرة ابن هشام) دار الحديث . القاهرة سنة 1998م .
(2 مجلد + أجزاء) .
- (25) الرحيق المختوم : بحث في السيرة النبوية . صفى عبد الرحمن المباركفوري . دار الوفاء . المنصورة . مصر .
سنة ١٤١١هـ (طبعة ثانية) .
- (26) سيرة ابن إسحاق : محمد ابن إسحاق بن يسار المطلبي .
- (27) أضواء على السنة محمود أبو رية . دار المعارف . الطبعة الخامسة
المحمدية : سنة 1980م . القاهرة . مصر .
- (28) البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ابن كثير) مكتبة المعارف . بيروت لبنان .
- (29) تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد بن جرير (الطبري) دار المعارف القاهرة . مصر .

- (30) تاريخ الحافظ : ترجمة صدقة الدمشقي .
- (31) تاريخ ابن خلدون : (العبر وديوان المبتدأ والخبر) عبد الرحمن محمد بن خلدون . دار الطباعة الخديوية . بولاق القاهرة . مصر .
- (32) دلائل النبوة : أبو بكر أحمد بن حسين (البيهقي) . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- (33) تاريخ الطبري : تاريخ أبي جعفر الطبري .
- (34) الترغيب والترهيب : (الحافظ المنذرى) زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى . مكتبة الجمهورية العربية القاهرة مصر سنة 1969 م . (أربعة مجلدات) .
- (35) رياض الصالحين : أبو زكريا يحيى بن شرف (النووى) . دار الكتاب العربى . بيروت . لبنان سنة 1976 م .
- (36) حياة محمد : (محمد حسين هيكل) الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) سنة 2001 . القاهرة . مصر .

- (37) قصص الأنبياء : (ابن كثير) مجلدان . دار الكتب الحديثة .
القاهرة . مصر سنة 1978 .
- (38) قصص الأنبياء : (د. عبد الوهاب النجار) دار الجيل . الطبعة
الثانية . بيروت . لبنان .
- (39) أنبياء الله : (أحمد بهجت) دار الشروق . الطبعة الحادية
والعشرون . القاهرة . مصر . سنة 1995 .
- (40) جوامع الكلم : (من أحاديث سيد العرب والعجم) صلاح الدين
التجاني . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة
الأسرة) سنة 2000م . القاهرة . مصر .
- (41) فقه السنّة : (سيد سابق) دار الفكر . بيروت (ثلاثة
مجلدات) سنة 1977م . لبنان .
- (42) عيون الأثر : (ابن سيد الناس) محمد بن محمد بن أحمد أبو
الفتح .
- (43) الكامل فى التاريخ : (ابن الأثير) . طبعة بيروت . لبنان سنة 1983 .
أبو الحسن على بن محمد الجزرى الشيبانى (عز
الدين ابن الأثير) .

- (44) فتوح الشام : (الواقدي) محمد بن عمر بن واقد .
- (45) شذرات الذهب : (أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني) . دار الفكر العربي & دار المعارف . القاهرة . مصر .
- (46) عبقرية عمر : (عباس محمود العقاد) . دار المعارف . القاهرة . سنة 1979م .
- (47) نساء النبي : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة سنة 2000م) . القاهرة . مصر .
- (48) المعجم الصغير : حافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد (الطبراني) . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- (49) زاد المعاد : في هدي خير العباد (ابن القيم الجوزية) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر ابن أيوب . المطبعة المصرية .
- (50) مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن علي بن حسين بن علي (المسعودي) دار المعارف . بيروت . لبنان .

- (51) المرض والكفارات : (ابن أبى الدنيا) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبيد أبو بكر القرشى .
- (52) الإصـابة : (ابن حجر العسقلانى) أحمد بن على بن محمد العسقلانى .
- (53) أسد الغابة فى (عز الدين ابن الأثير) . أبو الحسن على بن معرفة الصحابة : محمد الجزرى الشيبانى .
- (54) المجمع : (الهيثمى) على ابن أبى بكر بن سليمان الهيثمى (أبو الحسن) .
- (55) التمهيد : (ابن عبد الله) .
- (56) المصنف : (عبد الرازق) مصنف عبد الرازق .
- (57) المرقاة : (ابن حاتم) .
- (58) المقاصد : (السعد) .
- (59) مراتب الإجماع : (ابن حزم) على بن أحمد بن سعيد بن حزم (أبو محمد الظاهرى) .

- (60) الفتاوى : (محمود شلتوت) دار الشروق الطبعة الثانية
عشرة سنة 1983 . القاهرة . مصر .
- (61) الأضواء القرآنية : (فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية) . السيد
صالح بكر . شركة مطابع محرم . الإسكندرية .
مصر . 1974 م .
- (62) سيرة الفاروق : شمس العلماء (شبلى النعمانى) . ترجمة جلال
السعيد الحفناوى . المجلس الأعلى للثقافة .
القاهرة . مصر سنة 2000 م .
- (63) الاستيعاب : أبو عمر يوسف بن محمد القرطبي المالكي (ابن
عبد البر) مكتبة نهضة مصر . القاهرة .
- (64) محاضرات فى (محمد أبو زهرة) دار الفكر العربى الطبعة
الثالثة سنة 1966م & دار الكتاب الحديث . الكويت .
النصرانية :
- (65) الكتاب المقدس : العهد القديم & العهد الجديد (الأسفار التوراتية &
الأنجيل الأربعة) دار الكتاب المقدس . القاهرة سنة
1986م .
- (66) إنجيل برنابا : ترجمة د. خليل سعادة ، تقديم / محمد رشيد رضا .
دار الفتح للإعلام العربى . القاهرة . مصر .

- (67) المختار من كتاب (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) .
 (الرد على النصارى) : اختارها عبيد الله بن حسان . نقلاً عن النسخة
 التيمورية بالقاهرة رقم 19 أدب (1315 هـ) منقولة
 عن نسخة كتبت في (403 هـ) بخط أبي القاسم
 عبد الله بن علي . مطبعة مشرف . طنطا . مصر .
- (68) الديانة اليهودية (إسرائيل شاحاك) دار سينا . القاهرة . سنة
 وموقفها من غير 1994م .
 اليهود :
- (69) اليهودية : (محمد بحر عبد المجيد) دار الكتاب العربي .
 القاهرة . مصر .
- (70) المرشد الأمين : (يوسف إبراهيم) مطوب .
- (71) الفكر الديني (د. حسن ظاظا) . معهد البحوث والدراسات
 الإسرائيلية . القاهرة . مصر سنة 1971 م .
- (72) التقريب : (الحافظ) .
- (73) المستدرک : (الحاكم) محمد بن عبد الله النيسابوري
 أبو عبد الله .

- (74) أعلام النبوة : (الماوردى) على بن محمد بن حبيب أبو الحسن مبارك بن فضالة .
- (75) تاريخ الحكماء : (ابن القفطى) .
- (76) نهاية الرتبة : (الشيرزى) .
- (77) اليهود فى مصر : (قاسم عبده) القاهرة .
- (78) النجوم الزاهرة فى (ابن تغرى بردى) جمال الدين أبو المحاسن ملوك مصر والقاهرة : الأتابكى . دار الكتب المصرية سنة 1930م .
- (79) تاريخ مصر (جمال الشيال) من الفتح إلى نهاية العصر الإسلامى : الفاطمى جادار المعارف . القاهرة . مصر سنة 1967م .
- (80) السلوك فى معرفة دول (المقرئى) . (السلوك) . طبعة سنة 1934م . الملوك : تحقيق محمد مصطفى زيادة . القاهرة .
- (81) صبح الأعشى فى (القلقشندى) . القاهرة . صناعة الإنشا:

- (82) العقد الفريد للملك السعيد : (ابن طلحة) القاهرة سنة 1306هـ
- (83) الأحكام السلطانية : (الماوردي) على بن محمد بن حبيب أبو الحسن مبارك بن فضالة .
- (84) أحكام أهل الذمة : (ابن القيم الجوزية) محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ! تحقيق صبحي الصالح . دمشق . سوريا . سنة 1961م .
- (85) المواعظ والاعتبار (الخطط) (المقرئ) . القاهرة . مصر . بذكر الخطط والآثار :
- (86) أهل الذمة : (قاسم عبد) . القاهرة سنة 1986م .
- (87) فتوح مصر وأخبارها : (ابن عبد الحكم) محمد ابن عبد الحكم . نشره هنري ماسية . القاهرة سنة 1914م .
- (88) الجوهر الثمين في سيرة (ابن دقماق) تحقيق محمد كمال الدين . عالم الملوك والسلطين : الكتب . القاهرة . سنة 1985م . مصر .
- (89) تاريخ وآثار مصر (منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي) (أحمد عبد الرازق) . القاهرة سنة 1993م . الإسلامية :

- (٩ ٠) الإسلام وأهل الذمة : (على حسن الخربوطلى) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة سنة 1969م.
- (٩ ١) اليهود . تاريخ (كامل سefان) . القاهرة سنة 1988م.
وعقيدة :
- (٩ 2) معاملة غير المسلمين : (معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية) .
(نريمان عبد الكريم أحمد) الهيئة المصرية العامة
للكتاب سنة 1996م .
- (٩ 3) مصر فى عصر (د. سيدة إسماعيل الكاشف) . القاهرة سنة ١٩٥٠م
الأخشيدين : مصر .
- (٩ 4) مصر فى عصر الدولة (حنّ الدين سرور) القاهرة سنة ١٩٦٠م . القاهرة .
الفاطمية :
- (٩ 5) مرآة الزمان وعبر (اليافعى) ج2 . طبعة حيدر آباد .
اليقظان :
- (٩ 6) افحام اليهود : (ابن يحيى المغربى السموأل) تحقيق محمد عبد
الله الشرقاوى . القاهرة سنة 1986م . مصر .

- (97) التأثير الإسلامي : (محمد جلال) . القاهرة .
- (98) دلالة الحائرين : (موسى بن ميمون) .
- (99) المجتمع المصري فى (من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى)
مصر الإسلامية : (هويدا عبد العظيم رمضان) الهيئة المصرية
العامة للكتاب . سنة 1994 .
- (100) نهاية الأرب فى فنون (النويرى) أبو القاسم النويرى .
الأدب :
- (101) العقيدة الدينية : (د. أنفت جلال) . القاهرة .
- (102) طبقات الأطباء : (ابن أبى أصيبعة) .
- (103) هداية الحيارى : (ابن قيم الجوزية) .
- (104) مركز المرأة فى الشريعة (السيد محمد عاشور) القاهرة سنة 1974م .
اليهودية : مصر .
- (105) المرأة وحقوقها : (سوزان السعيد) القاهرة . مصر .
- (106) عقود الزواج : (ليلى أبو المجد) القاهرة . مصر .

- (107) الأعياد والاحتفالات (جيلان عباس) القاهرة . مصر .
اليهودية:
- (108) الحياة الاقتصادية (نبيل عبد المجيد) القاهرة . مصر .
والاجتماعية لليهود:
- (109) الحياة الاقتصادية (عبلة حنفى) القاهرة . مصر .
والاجتماعية لليهود :
- (110) فتاوى رابى ديفيد : (ابن زمرة) ربي دافيد بن أبى زماره .
- (111) الأحكام الشرعية فى (ابن شمعون) حاي بن شمعون . مطبعة كوهين
الأحوال الشخصية وزرنتال . مصر سنة 1912م .
للإسرائيليين :
- (112) الأدب العبري القديم (د. ألفت جلال) مطبعة جامعة عين شمس .
والوسيط : القاهرة سنة 1978م . مصر .
- (113) تاريخ اليهودية (الجميل) .
القرائية :
- (114) نهر مصر : (بن شمعون) رابى رفائيل بن شمعون .

- (115) الضوء اللامع : الجزء الخامس .
- (116) القراءون والربانيون : (مراد فرج) القاهرة . مصر .
- (117) الشخصية اليهودية : (رشاد الشامي) .
- (118) الموسوعة العبرية Encyclopedia Judaica
Jerusalem القدس سنة 1978م .
الكبيرة:
- (119) مصادر وإيمان : (مان) .
- (120) مختارات أثرية : (بنسكر) .
- (121) القدس عبر التاريخ : (ميخائيل مكسى اسكندر) .
- (122) القدس الشريف : (د. محمد عمارة) القاهرة . مصر .
- (123) اليهود واليهودية : (د. عبد الجليل شلبي) . كتاب اليوم . دار
أخبار اليوم . القاهرة . سنة 1997 الطبعة الثانية .
- (124) تاريخ القدس : (عارف العارف باشا) دار المعارف . القاهرة
سنة 1951م .

- (125) القدس: (عبد الحميد الكاتب) دار الشروق (مكتبة الأسرة) القاهرة سنة 1998م . مصر .
- (126) الكنز المرصود فى (د. محمد عبد الله الشرقاوى) مكتبة الوعي فضائح التلمود : الإسلامي . القاهرة .
- (127) التلمود . تاريخه (ظفر الدين خان) دار النفائس . القاهرة . وتعاليمة :
- (128) تاريخ فلسطين القديم : (جى ألستروم) G. Ahlestrom .
- (129) انبعاث أمة : (ريتشارد كروسمان) .
- (130) رسالة في اللاهوت (باروخ سبينوزا) ترجمة د. حسن حنفي . نينه والسياسة : المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة سنة 1971م . مصر .
- (131) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) دار الكنوز الأدبية . بيروت . لبنان سنة 1997م .
- (132) اختيار التقاليد (داكوستا) سنة 1624م . الفريسية :

- (133) المفهوم المادي (إيرا هام ليون) دار الطليعة . بيروت . لبنان .
للمسألة اليهودية : سنة 1970 م . ترجمة / عماد نويهض .
- (134) أركيولوجيا فلسطين (هـ . ويبرت) H.Weippert .
قبل العصر الهليني :
- (135) التاريخ القديم للشعب (توماس . ل . طومسون) (ترجمة صالح على
سوداح . بيسان للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان
سنة 1995م (الطبعة الأصلية في هولندا سنة
1992 م) .
- (136) عروبة بيت المقدس : (د. إسحاق موسى الحسيني) مركز الأبحاث
بمنظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . لبنان .
- (137) القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) مطبوعات الهيئة العامة
لقصور الثقافة . القاهرة . مصر . سنة 2000م .
- (138) احذروا الصهيونية : (يوري إيفانوف) دار التقدم . موسكو سنة
1991م .
- (139) الدولة اليهودية : (تيودور هرتزل) .
- (140) التحرر الذاتي : (ليوبنسكي) .

- (141) الأُممية الشَّيوعية (ماهر الشريف) دار بن خلدون . القاهرة -
وفلسطين : مصر سنة 1980م.
- (142) بروتوكولات حكماء ترجمة / محمد خليفة التونسي . دار التراث .
صهيون : القاهرة . مصر .
- (143) اليد الخفية : (دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية)
(د. عبد الوهاب المسيري) الهيئة المصرية
العامة للكتاب (طبعة دار الشروق - مكتبة
الأسرة) القاهرة - مصر - سنة 2000 د .
- (144) سنة دخول القدس : الكتاب الثاني في سلسلة (رمانز آخر زمن)
(د. أحمد أبو النور) . دار وهدر تضاعف
القاهرة سنة 1997م . مصر .
- (145) قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) دار الريس . لندن إنجلترا . سنة
1991 م .
- (146) اختلاق إسرائيل القديمة (كيث وايتلام) عالم المعرفة . الكويت . سنة
(اسكات التاريخ 1999 م .
الفلسطيني) :

- (147) أسفار العهد القديم فى The Bible in History المجلس الأعلى للثقافة -
القاهرة . مصر سنة 2000 م ترجمة عبد الوهاب
الماضي (اختلاق) :
علوب مراجعة وتقديم د. محمد خليفة حسن .
- (148) اليهود فى تاريخ (د. جوستاف لوبون) . فصل من كتاب
الحضارات الأولى : (الحضارات الأولى سنة 1889م) ترجمة / عادل
زعيتى . مطبعة عيسى البابى^٢ (الحلبي) القاهرة
سنة 1970م .
- (149) كتاب الموتى برت إم . هرو . ترجمه عن الهيروغليفية :
الفرعوني:
(والسن بدج) إلى الإنجليزية وترجمه إلى
العربية (د. فيليب عطية) . عن بردية أنى
بالمتحف البريطاني . مكتبة مدبولي . القاهرة .
سنة 1988م .
- (150) موسوعة مصر (د. سليم حسن) ثمانية عشرة جزءاً . (مكتبة
الأسرة) . القاهرة سنة 2000م . الهيئة المصرية
العامة للكتاب . مصر .
- (151) حضارة مصر (فرانسوا دوما) ترجمة / ماهر جويجاتي .
الفرعونية : المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة سنة 1998م .

- (156) تاريخ نقد العهد (من أقدم العصور حتى العصر الحديث) الجزء الأول ((اللمان شازار) الرئيس الأسبق لإسرائيل . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . سنة 2001 م . مصر .
- (157) عصور في فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى) ترجمة د. رفعت السيد دار سينما للنشر . القاهرة . سنة 1995م . مصر .
- (158) عوائد في تصادم : (إيمانويل فلايكوفسكى) ترجمة د. رفعت السيد حياطة حور ثقافية . القاهرة . سنة 1999م .
- (159) تاريخ الحزر : (ريمونوف) . ماسنو سنة 1981م .
- (160) التاريخ العالمي لليهود : فصل عن (تحرير) تكتب (وحداس - شوب) . نشر بجامعة برستر . اسكتلندا . سنة 1954م .
- (161) القبيلة الثالثة عشرة (آرثر كينستر) ترجمة د. أحمد نجيب هاشم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة سنة 1991م . مصر .
- (162) اليهود أنثروبولوجياً : (د. جمال حمدان) الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) . القاهرة . سنة 1998م . مصر .

- (163) استراتيجية الاستعمار (د. جمال حمدان) كتف الهلال . القاهرة سنة 1999م . مصر .
والتحرير :
- (164) إسرائيل ركيزة (د. حسر ضابطا) مجمع البحوث الإسلامية .
الاستعمار بين تدهر سنة 1973م . مصر .
المسلمين :
- (165) اليهود في مصر (في ضوء وثائق أنجيزة) (د. محاسن الوقاد) .
المملوكة :
تهنة تحصرة العامة تكتاب . القاهرة سنة ٢٠٠٠ م . مصر .
- 166 تاريخ يهود مصر في (يعقوب ناسو وأحرور) ترجمة د.
حمدان . د. وعى وأحمد عبد النظيف حمدان . بغداد
ومر جعه . محمد خليفة حسن . السحر الأعلى
ثقافة . القاهرة سنة 2000م . مصر .
- (167) حضارة العرب : (د. جوستاف لوبون) ترجمة / عادل زعيتر .
الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)
القاهرة . سنة 2000م .
- (168) الكشف عن مكان (د. مراد محمد الدش) . مطبعة الفجر الكويتية .
عبور موسى : الكويت . سنة 1997م .

- (١٦٩) آرام دمشق وإسرائيل: (في التاريخ والتاريخ التوراتي) .(فرانس السواح) .
دار علاء الدين . دمشق . سوريا سنة 1995 م .
- (١٧٠) التوراة جاءت من (د. كمال الصليبي) . مؤسسة الأبحاث العربية .
جزيرة العرب : بيروت . لبنان . سنة 1985م .
- (١٧١) الحدث التوراتي (فرانس السواح) . دار علاء الدين . دمشق .
والشرق الأدنى القديم: سوريا . سنة 1993م .
- (١٧٢) أجناس أوروبا : (ريني) سنة 198٨م .
- (١٧٣) نعاليم أمينموبى : (تاتور قصص من حنمه) - حنمه عر
أهيري وعنفه (واتر دح) سنة ١٨٨٨م . عر دربية
مصرية فسمه د ربحها فبما س الأسرة الحنبية
والعشرين والثانية والعشرين .
- (١٧٤) إمتاع الأسماع : (المقريزى) .
- (١٧٥) جريدة الأهرام : العدد رقم (41675) السنة (126) الصادر فى يوم
الجمعة الموافق 12 / 1 / 2001م . القاهرة . مصر .
- (١٧٦) جريدة الأهرام : العدد رقم (41837) السنة (126) الصادر فى يوم
السبت الموافق 23 / 6 / 2001م . القاهرة . مصر .

- (177) جريدة الرأي : العدد الصادر في 9/2 / 1995م (كانتور) (الجريدة أردنية الصدور) عمان . الأردن .
- (178) جريدة السياسي دار التعاون . العدد رقم (1347) السنة (26) المصري : الصادر في يوم الأحد الموافق 2001/6/24م القاهرة . مصر .
- (179) جذور القضية (أميل توما) مركز الأبحاث الفلسطينية . بيروت . الفلسطينية : لبنان . سنة 1973م .
- (180) الدروب السرية : (جون & دافيد ليمخي) .
- (181) روما والقدس : (موسى هس) .
- (182) نداء اليهود : (هنري فنش) .
- (183) إظهار الحق : (رحمة الله الهندي) . القاهرة . مصر . سنة 1992 . (طبعة ثانية) .
- (184) إسرائيل القديمة : (ن. بي . ليمشي) نيلر بيتر ليمش . Early Israel
- (185) المسألة اليهودية : (كارل ماركس) .

- (186) كفاحي : (أدولف هتلر) .
- (187) · أركيولوجيا الاستيطان (فينكلشتاين) :
The Archaeology of the Israelite Settlement .
الإسرائيلي : .
- (188) قصة الحضارة : موسوعة (ول ديورانت) ترجمة محمد بدران
وآخرون . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(مكتبة الأسرة) القاهرة . مصر . سنة 2001 م .
- (189) أسطورة العودة : (مارسيا إلياد) وزارة الثقافة . دمشق . سوريا .
سنة 1990م .
- (190) مظاهر الأسطورة : (مارسيا إلياد) وزارة الثقافة . دمشق . سوريا
سنة 1990 .
- (191) المباشرون ————— الكاتبة الأمريكية (جريس هالسيل) مترجم
البروتستانت والنيّة ومنشور على حلقات بجريدة الشرق الأوسط
العربية (الدولية) . لندن . إنجلترا .
القائلة :
- (192) قبل أن يَهْدَمَ الأَقْصَى : (عبد العزيز مصطفى) دار التوزيع والنشر
الإسلامية . القاهرة . مصر .

- (193) الأخطبوط الصهيوني: (إيلنتال) دار العلم للملايين . بيروت . لبنان سنة 1979م.
- (194) إسرائيل والصهيونية : (جورج ماكاي) .
- (195) مجلة الكاتب (سعيد الشحات) . دمشق . سوريا عدد 26/26 .
الفاستيني: سنة 1994م.
- (196) الصهيونية غير (ريجينا الشريف) . عالم المعرفة . الكويت . سنة 1985م .
اليهودية :
- (197) الايديولوجيا (د. عبد الوهاب المسيري) عالم المعرفة .
الصهيونية : الكويت . سنة 1983م.
- (198) ملاحظات أساسية حول (نصر شمالي) مطبعة عكرمة . دمشق . سنة 1985م . سوريا .
المسألة اليهودية :
- (199) الجواب الكافي لمن (ابن قيم الجوزية) شمس الدين محمد عبد الله بن
سأل عن الدواء أيوب .
الشافعي :
- (200) تدوين السنة : (إبراهيم فوزي) . رياض الريس للكتب والنشر . لندن .
إنجلترا . سنة 1994م . (منشور باللغة العربية) .

(201) تدريب الراوى : (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى .

(202) هموم الأمة الإسلامية : (د. محمود حمدي زقزوق) مكتبة الأسرة .
الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة مصر
سنة 2001م.

* * * * *

الملاحق

إسرائيل.. طاعون

العصر ودولة الإرهاب



بقلم: د. مصطفى محمود

والنار.. وأموال المسيحيين مساحة لليهود كالأموال اللطيفة.

ومسموح لليهودى بنشئ الأسم عبر اليهودى

والله لا يفرح نبيا ليهودى يحفظ للاس ما له.. فاليهود هم أصحاب الحق فى كل شئ.

والرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب

وزعم أن التوراة تبلغ الألف صفحة إلا أنه لا ذكر فيها للبعث ولا الحساب ولا للأخرة.

وفى سلسل أرميا بنام الموتى نوما أديا ولا يستيقظون

وعن أشعسيا ٤٣ - ١٧. الموتى يضطجعون معا ولا يقومون.. فهم قد خمدوا ككتلة انططأت.

وفى المزمو ٦٠. يا رب نج نفسك خلصنى من أجل رحمتك لأنه ليس فى الموت ذكرك.. فى الهاوية من يحمذك؟

.. أى من يعينك بعد أن أصبحنا ترابا.. ومن يسبحك.. ومن يسجد لك؟ لقد أصبحنا عدما وطوانا

التسنيان

ولم تظهر فكرة البعث بعد الموت عند اليهود إلا بعد الأسر البابلى.

أما قبل ذلك فى سفر أيوب

«الإصحاح ١٤» تقبل التوراة.. الشجرة إن قطعت تعود فتنبث زرعاً

أما الرجل فيموت ويبنى ولا يبقى منه شئ.. النهر يجف والإنسان يضلمع ولا يقوم..

لقد شطب لليهود كل ما يخص بالأخرة من توراتهم وجعلوا الدنيا كل

همهم

وما جاء بعد السبى البابلى من ذكر

الأخرة وتعيمها كان أحلام السبائيا والعائدين المصنفين فى الأغلال.. ولكن

وهدم الكنيسة وهدم البابوية وهدم المسجد الأقصى.. وهدم مسج

الصخرة.. وهدم كنيسة القيامة من أهدأهم وأحلامهم

وكارل ماركس اليهودى بشيوعيته وماركسيته هدم

الكنيسة فى أوروبا الشرقية بالعمل ولكن ما لبثت أن قامت قيامتها من

حديد على يد ليخ هاروسا فى مولدا وحورياتشوف فى روسيا وسمهرو

القديس بولس فى الفاتيكان ولكن الهدم مستمر بوسائل أخرى كثيرة

ومتوقعة

والخطوة القادمة هى هدم الأقصى وبناء الهيكل والمذبح

وهم يحسبون الأرض فى فلسطين ويتزعمون الفلاح الفلسطينيين من أرضه

كما ينتزعون الحشائش الفاسدة.. ويحولون الثروة ويهدمون البيوت على

سكانها ويقتلون الأطفال والرضع والحوامل ويعيثون فى الأرض فساداً

تحت حماية كاملة ورعاية كاملة من الراعى الأمريكى.

ويعتد بهم يوش بنقل السفارة إلى القدس كمكافأة لهم رغم أنف النصارى

والمسلمين.. ورغم البشورول العربى والشروات العربية التى تتدفق من

الأراضى العربية على الراعى الأمريكى ورغم السوق العربية التى فتحت

أبوابها ونوافذها لكل وارد من الراعى الأمريكى.. ولكن السياسة الأمريكية

ما زالت عمياء تماماً عن الصقور العربية.. والصهيونية ما زالت هى

الحاكمة على كل قرار يخرج من البيت الأبيض.

وفى التلمود تعتبر روح اليهودى جزءاً من روح الله كما أن الإن جزء

من أبه.. وأى روح غير يهودية هى روح شيطانية.. والجنة عندهم هى جنة

الدنيا ولا يستحقها إلا اليهود أما باقى الشعوب فمأرام الجحيم بين الزفت

ماذا

يريد اليهود بالضبط؟
اقرأوا ماذا يقول البروتوكول

التاسع من بروتوكولات حكماء
صهيون.. إن لنا طموحا لا يجد

وشرها لا يشبع ونفلة لا ترحم
وبغضاء لا يدركها خيال.

نحن جيش خفى لا تترك وسائله بالطرق
المستقيمة فالمرأعة أسلوبنا والاستخفاء

طريقنا.. والماسونية التى نتبعها لا يفهمها
الخنازير الأغبياء من الأميين.. «البروتوكول

الحادى عشر».

ولكن نخرّب صناعة الأميين «غير اليهود»
نصنع المضاربات ونرفع اسعار الضرورات

الأولية وخامسات التصنيع ونحكم فى
البورصة ونشبع الفوضى بين العمال وننشر

المخدرات ونطارد كل نكاه أعمى «والمقصود
بالنكاه الأعمى كل نكاه عند غير اليهود»

وننشر الفتن والخزاعات والعداوات بين
الناس.. وعن طريق المحافل البريئة.. وهى

المحافل التى نسمع عنها الآن مثل «نوادى
الروتارى والليونز وشهود يهوه» نتحسس

ونستشعر ما يجرى فى قلوب الناس
وعقولهم.. وهى إذن ليست محافل بريئة.. بل

هى قنوات استتعار وعيون ميثوقة داخل كل
بلد.. ولا يدرك جمهور العميان وسائلنا لأنهم

غارقون فى ملذاتهم وشهواتهم..

وماذا يقال الآن وقد جاء بعد
الروتارى والليونز ما هو أسوأ

عسادة الشيطان روادى الحرية
والشجيرة وموسسات المسحر

والشيئة؟ «العساد بحر علبا
نسما حديدة وموسسات حديدة كل

يوم؟
والماسونية تحتفى لتعود تألف رحه

ورحه»

والماسون.. هم الماسونز الأحرار
وهمهم النهائي هو هدم العالم وإعادة

سائه على السياسة الصهيونية المثلى
ليهود اليهود العالم وهدم الأديان

هدهم فلا دين إلا دين موسى ولا
ناموس إلا ناموس موسى ولا كتاب إلا

التوراة والعين التى فى أعلى صورة
الهرم المطروح فى ظهر الدول الأمريكى

هى العين الماسونية التى لا تنام.. وعلى
الوجه الآخر للدول مكتوب باللغة

اللاتينية.. النظام العالى الجديد.
NÖVUS-ORDO-SECLORUM

والمعنى باختصار.. هو العوالة
بمصانها.. إن الأمور تجرى كما

يريدون حتى هذه اللحظة.. وهم قد
حققوا ما كانوا يخططون له من زمن

بعيد

والتوراة الأصلية يخفيها الأحرار
والخامسات ولا يعلم خفاياها

أسرارها غيرهم.. وشهود يهوه
كلمة مشتقة من اسم الله الأعظم «يو»

يتأديه العابد.. يا هو.. فى كتابهم
العهد القديم.

وهم فى نظر أنفسهم الأولى بهذا
الاسم وحدهم.. فالحه لهم وحدهم..

هكذا يتقدمون.

وأكثر الناس فى نظرم.. يهانم
وسوانم.. خلقت ليركبها وليركبها..

فهم «الجويم» غريب أى السوق والبهم
الذين خلقهم الله لهم ليسوسقوهم
ويستقلوهم وينصروا بهم.

البحث لا أصل

له ولا حقيقة في التوراة.. وأغلب الظن أن أيدي اليهود هي التي حرصت على محو كل ذكر للأخرة في التوراة حتى لا يذكر اليهودي ولا يشغل إلا ببناءه وحياتها واستلاكها

ونفس التزييف حدثت في كلام المسيحية عن القدس واتخاذها عاصمة أبدية لليهود واختلاق أصل تاريخي لهذه الملكية.. رغم أن اورشليم

وهو الاسم القديم للقدس هو اسم كنعاني فلسطيني.. وسليمان هو الذي تمسك بملكية القدس لتصفية خصومه

وهو الذي بنى فيها الهيكل.. ولم يظهر ملوك إسرائيل ومعهذا في حروبهم الداخلية أي احترام لهذا الهيكل بل كانوا ينهبونه مع كل غزو ومع كل

لنسحاب.. وموسى مات ولم تبق قدمه أرض فلسطين.. تلك التي تسمى حروبها أحلام الصهيونية.. وتدعى ملكيتها بملك إلهي.. فإين ذلك الصمت الإلهي؟ لقد حرم الرومان على اليهود

بخل القدس نهائياً وطردوهم من فلسطين وكان هذا هو التاريخ الذي انتهت فيه علاقة اليهود بفلسطين

سياسياً وسكانياً.. ويقدر عدد يهود الخروج بنحو أربعين ألفاً وقيمت شرائم قليلة في نابلس.. وفي بداية القرنين

التاسع عشر كان عدد اليهود في فلسطين كلها لا يزيد على عشرة آلاف وأورشليم همها سوخذ مصر ودمرها

تبنشوس وأحرقها الإمبراطور هيرابوس وبعد مدائح الأشروريين والنابلسيين والرومان لم يبق إلا قلة

مستعمعة خاصة تعيش بالتزلف والمكر والوسائل المائعة المشوية فقد انقضت لتعاصر المأصلة ولم يبق إلا

عناصر الحجب والمسكة والتسلل وأصبحت عاصمة يهود الشتات هي

سامي اليهود في أوروبا وأكثر تجمع لهم كان في فرانكفورت بألمانيا

وحادث الحصار الوسطي بالحروب الصليبية التي اشعلت نار الاضطهاد الديني ضد اليهود في أوروبا كلها

وفي أواخر القرن الرابع عشر احتفى يهود فرنسا وتقوقع يهود إيطاليا

وتعرض يهود ألمانيا للإبادة وبدأت حصرة الأمواج اليهودية من ألمانيا

وأسبانيا وجميع شعاب أوروبا إلى أمريكا هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة وكندا أكثر من مليون يهودي

وصار هذا التجمع أكبر تجمع يهودي في العالم

وكل أحقاد هذا التجمع اليهودي بدأت تصب جام سخطها وانتقامها على العرب وعلى المسلمين من خلال

الصهيونية وتخطيها لإقامة إسرائيل الكبرى على انقاض فلسطين العربية بدعوة أنهم الأحق بالأرض.. وأنهم قديم موسى الأولى بترانه.

وكان على عرب فلسطين أن ينفعوا ثمن ما جرى لليهود من طرد وإذلال وإبادة بطول العالم وعرضه.

وإسرائيل الآن التي تتغف من اليهود الاشتكاز للقادمين من ألمانيا واليهود السفارديم للقادمين من أسبانيا ومن شرق أوروبا يتعمدها كل حوالي ١٢ مليوناً هم بالفعل أوروبيين سلفاً أو

لربون أكثر منهم ساميون وصلتهم العرقية مطوعة تماماً بالأصول السامية

التورانية التي يدعونها فهم ليسوا من بني إسرائيل ولا من قوم موسى بل هم

أخلاق من الشعوب السلافية والشعوب الآرية وقلها شعوب الخنزير في روسيا

ومنطقة بحر قزوين.. وايسوا ساميين ولا هم من قوم موسى بل هم شرائم

ووليا وأخلاق من جميع الأمم وبهذا الحسا لا هوية لهم سوى الابتزاز

والاغتصاب والسطو على المال والأرض بالمساندة الأمريكية القاهرة والسكوت

الأوروبي الرب وهذا التقليد الأوروبي والمساندة الأمريكية والسكوت العرسي

والبريطاني وقرى الاستعمار القديم تخفى كلها حقيقة باطنة هي الحوف من

بقطة إسلامية تقب الموازين مما دعا كل الجبهات المعادية للإسلام إلى

التفكير في منطقة مواجهة تكون جاهزة.. لتصد هذا الموج الإسلامي

الغامر المحتمل.. وفي تصور الكل أن إسرائيل هي المرشحة لهذا الدور فهي

التي يمكن أن تقف في وجه هذا التيار وهي التي يمكن أن تصده.. وهي التي

وجب دعمها لتقوم بهذا الدور التاريخي.. واستتباع أصحابنا في غير

محله فلا يوجد متار إسلامي قائم ولا يوجد نام لقوة السلاح الإسلامي

في أي مكان وإنما هو تمام لوعى الإسلامي فقط وصحوة فكرة لا

أكثر وفي صموة سوف يرداد بحدود

العلم الإسرائيلي ولي شهيم بوحده مل سوف تنضم بعدها أكثر فاشم

كتاب دولة إسرائيل للكنسور حسر

عومر

أر ما بصمت سيكون عشر

تصوهم مالعنوا الإسرائيلي لى

يحط التشمع الإسلامي مل ساف

يريد وميبلاد القنوه المسكوب

الإسلامية سيكون نسب الحمامة

الإسرائيلية وسبب هذا الحبل

الأوروبي

وسوف يزدى العدوا الإسرائيلي

إلى عكس ما تصور المتشاورين الكبار

مسوف يحجم العرب والمسلمين رغم

أموهم

وما سوف يحدث سوف يكرر

عكس ما تصورت إسرائيل وأعوها

والمسلمون ليسوا تثار العصر القادم

ولا يتشكل جبهة معادية للحصارة

وهم ليسوا حصة عصرية مثل

اليهود

والمسلمون ليسوا ضد البهجة

العقلانية الأوروبية بل إن البهجة

العقلانية الأوروبية ذاتها خرجت من

حلباب ابن سينا ومن فكر الإسلاميين

القدامى

وعلم الفلك وأسماء المجموعات

النجمية التي دخلت القاموس

الانجليزي بأسمائها العربية ما زالت

إلى الآن تكتب بأسمائها العربية

الأصلية.. وهي تشهد جميعها بأن

عصر العلم.. والعقلانية التي تعيشها

أوروبا هي ميراث عربي.

لقد ظلموا الإسلام.. واتهموه بما

ليس فيه..

إن إسرائيل هي البلاء الحقيقي..

وهي التعصب.. وهي العنصرية.. وهي

العلم الديني.

إسرائيل هي طاعن العصر.. ودولة الإزهاط.

والقول الإسلامية قد أخذت التطعيم الكافى من كل صا يحدث من بلاء

وأرياء وسوف يكون لها قيامه من هذا الندم الطويل في القريب.. ولكن فعل

هناك رد فسهل يأتي في أوانه.. والمستقبل كوارث والغام.

والمزق الآن هو.. تكون أو لا تكون.. كما في النهايات الدرامية.. وللأسف.

لا يوجد وسط.. فإما الموت أو الحياة بكل مخاطرها

ولذا لم أكن متخطيا فإن الله أراد هذه المواجهة.. فلا شئ يحدث في

الكون دين علمه بدون إرادته. وأقول للأخوة العرب.. إن الموت

قائم بهذا السبب أو بدونه.. فلا تموتوا خزائيا.. وإن ينفذ نفسا ما أخرت.. بل

ما علمت. ميوأ عباد الله إلى واجبك.. فإن

العبي جسيم والوضع اليوم ولا شئ يساوى خنزى يوم

الخصاب. وإن يضيف هذا الخنزى يوما واحدا

إلى أعماركم ولن تنقص الشجاعة حقيقة واحدة منها.. إنما هي خطي

كتبت علينا. واستحسن للقلوب والعزائم والعاقبة خلود في الحنة أو

خلود في النار ولا يوجد وسط

إما أن تتلقى كتاب ميميك أو تلقاه

مشناك

ولا يعرف وسطا بين الاثنين

إلا ما يقوله أهل الحشيش ومدسو

النسر عن الشمعير واليهال.. بعد

النفس العانس والكركرة المنينة

التي يعيب فيها العقل ويأخذ بإحارة

من كل شئ.



بريشة : سهير الكيلاني

لوحة إسرائيل.. أكنوزية

793

باحث إسلامي يعلق على نهاية إسرائيل ٢٠٢٢

وصلنا من الباحث الإسلامي الدكتور
حسن موسى ربا على ما نصحه محسبي
المصري في لعدما الأخيرة (الربيع لعدما
متتالية) عن تحديد عام ٢٠٢٢ موعدا لنهاية
الكيان الإسرائيلي ونفقه من الوجود
استدلالا بالمعاصيات القرينة لبعض الآيات
التي تتحدث عن بني إسرائيل في سور
الأنعام وسبا وهو ما أشار إليه القلمية لعدما
الشهيم، ثم اعتمده على منقذ على الذي

الأرقام من أحاديث الدجل



د حسن موسى

وشماعة الذين لم يؤمنوا والذين كانوا
على شفا الهلاك تبعاً لما تم الترويج له
من قبل.
بعد هذه المقدمة يعن لي أن أطرح
رؤيتي بلختصار شديد في نقاط
واضحة بعدما تبين أن الأخذ
بالنبوءات الدينية واللجوء إلى الكهانة
وفساد الاستدلال الحسابي وبالتالي
فساد النتائج - كلها لا تصب كيد الحقيقة،
وعودة إلى القضية المشارة أن
(قضية الأرقام والمعاصيات
التيروماتية) أقول إن كل تلك
الحسابات ما هي إلا رجم بالغيب
ودجل - معذرة - يمارسه المحقرئون
والهواة على السواء بلا ضابط أو
رابط. فلا الحسابات تخضع لقواعد ثابتة

الذي يتطلب بعض الجهد والخلق والبهارة والتجريب
حتى يمكن الوصول إلى نتيجة معينة.
وكما نرى فالأمر لا يقتن في ولا تضيق ولا ضوابط
تستطع إيقاع الاستدلال كي تصبح النتائج لا شبهة
فيها كالتويل والقرينة والاعتقاد وفيه لفي الأمر يرت
لا يعمد إلا أن يكون مزفاً - معذرة - ٢ حجة فيه حيث
لا ضابط ولا شروط للاستخدام والتطبيق ولا قنوتين
حكمة حتى القوة وقدره القسما قصصهم
والقصص وحدثهم
شبهه القواكل والحي به في الخلق والشمس بركة
إبر القناك القرينة القفلة - معذرة - محسبي، فخر يرب
والقوس والشماعات لا ير في إقرا القفلة أو القصر لا ر
في تلك المعربة - كل حرف من حروف القفلة المعربة
بما يولي ولها محبة ومحبته في ذلك الأمر لعدما استسحقه بكون
القناك كما أرحها اصمار مصرية وألعدا - معذرة - بكون
السبحا في شعبة المعزولة حيث يسمي اصمار معذ
ويقتن الخلق المعقل لعدما لو لأمر ومعذ - كل
معما على بلقي بما توصل إليه من النتائج تكون شدة
قشلق فيبرفص ما عداه ويصير الصراع بين
الممارسين وللثقتن حسما توصل كل منهم إلى نتيجته
التي ينحاز إليها إن لم يقاتل من أجل مصرتها على كافة
الاحتجانات الأخرى ويتمادي في استنطاق الأسانيد
والحجج والبراهين بما يؤيد دعواه وادعاه. ولا يخفى
على أحد أن الارتكان والقنواكل إلى نتائج مرضية للنفس
ومشعبة للهوى لها أثرها السيئ إن لم يكن المدمر نظراً
لأحالة الأمر برمته إلى الغير في تحقيق المراد وهو هنا
الرجم بالغيب بناء على المفراضات واجتهادات لا أساس
لها من الحقيقة.

الأحباط المؤدى إلى الكفران: وهو النتيجة الطبيعية
والمنطقية لعدم تحقق النتائج حسما تم التوصل إليه
باجتهادات فاسدة. وبوضوح أكثر مانا لو بلغنا - إن
شاء الله - العام الذي تم تحديده كقوتيت للحد المبرج
ثم لم يحدث شيء على الإطلاق. بالطبع سيكون
الأحباط - وقتها - عظيماً. وهذا الأحباط قد ينتج عنه
قنوط وياس وكفر بكل النتائج والمجتهدين والنظرية
الرقمية لحساب الحروف. وكل تلك بالتأكيد سيكون
متجوعاً بكفر الذين آمنوا بتلك النتائج وصندقوها.

القضية المثارة الآن عن موعد نهاية بني إسرائيل
(دولة إسرائيل ونزولها والقضاء على اليهود) قضية
تعلقن إلى السطح كما تطورت الأحداث في الأرض
تلتن أن حوله. وللاضحة معذرة القناك التي تتوالتنا -
إلى أن يركي كما - حدثت في الحقيقة لعدما لو لأمر ولم
نصل إلى كيد الحقيقة إلا من لقرها التي تحتنا
التي تتوالتنا إلى الخلاص من الضماح للدر من الذي
سببه اليهود لضموب الأرض كفا في عر القسبي
والقضية عر الحقيقة كفا لاسباب جوهرة لم معز
الرجم - كل رخص - من شعور لم صرح مبيحا عر
مور شميم الحقيقة بمصر حبة لسمج الحربي القسبي
والقضية القسبية القسبية من شير ليد القنواكل القسبي
كك لقرها كفا

والمر عر من طمس تلك القضية لاقول ما طهره
المعربة هي مدو الأسانيد لاسباب سطيل لعدما
حسوبي في القوس في الموضع
فهذه صحاحير ثلاثة لما روج له القسبي - معذرة -
من شمول القضية من حاشيا الأسانيد والظهور والشمس
- معذرة - والقنواكل في إبرار الحجج والأسانيد لكل
الاحتجانات في إطار (النبوءات) سواء ما جاء في أسفار
العهد القديم أو آيات القنواكل الحكيم تجاوزاً للحقيقة
وتسلق لها للوصول إلى نتائج لعدما ما فيها الإثارة و
(الفرقة) مشتى الطريق وكل يذلي يذله اجتهداً أو
تقلاً أو تلوياً سواء كان ذلك قسماً أم صواباً - تلك
للخائير هي
أولاً الرجم بالغيب والكل يعلم أن الغيب لله وحده
قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله
(النمل ٦٥)

أم عندهم الغيب لهم يكتبون (الطور: ١٦، القلم: ١٧).
واعنى في هذا المقام أن الكل يذلي يذله ويختار آيات
يعينها أو أسفاراً معددة ينتقى منها ما يروق له ليحذف
بعض الكلمات ويتوقف عند بعض الحروف لهوى في
نفسه عندما يصل إلى رقم يعينه يكون له دليلاً وسنداً
في ادعائه. ثم يبنى - تبعاً لذلك - النظريات والنتائج
مبامياً بما وصل إليه ونسباً السبق له أو لغيره.
وعريقة حساب الأرقام للحروف الهجائية العربية
معروفة من قديم ولكن القنواكل والاعتقاد والاختيار هو

عوض ما انتهى إليه التلميح وعلمه ومخرأ
للكنوز أحمد أبو النور في الاعتماد على
الأرقام وحسابات الجمل والاحتداد بها في
تحميد أسود مستقبلية مفسراً إلى أن ذلك
على حد قوله يعد من قبيل الجهل والرجم
بالهيب الذي يؤثر بالسلب على عقله
للمسلمين فيما لو لم تقع هذه التنبؤات عند
حلول التاريخ المحدد لها. وبالسيلاسي المصري
تنتشر رد الدكتور حسن عوض دون تعقيب

يمتد فيه اليهود وفوراته المختلفة في التأكيد
على نفس الموضع كنهية لدولة إسرائيل وهو
ما انتهى إليه الدكتور عليم طه ناصف (في
الحد قبل للتلميح) مفسراً إلى أن منبى على
شهد لعمدة) ببنية عظيمة. بلما من ميلاد
الأنبياء ومروراً بمعراج الرسول الكريم
صلى الله عليه وسلم، وانتهى بخرب
إسرائيل التي قامت عام ١٩٤٨ وهو ما اكتم
التوراة والأنجيل. وقد رفض الدكتور حسن

ويبدو فلا يكو فسكى بعض الظواهر والمميزات
التي قد تكون من كوابل أو خدع الزهرة والتكلم
المصري بها جديدهم لو زيوس (التشوير) واليهود
ومارس (الفريج) ويسوق فلا يكو فسكى التواريخ من
كلها الفسيفساء القديمة (١٩٧٢) أراج للمسلمية في ميل
وتشوير - القشوش القديمة في الحسير والمكسيك -
التشوير السومرية والبابلية الأسفار التوراتية القديمة -
الكتابات المصرية القديمة - كتب الأساطير وكتب
التفويص القديمة لشعوب المكسيك والمايا والصين
وغيرها. ويسوق الآلة والمراجع لتأكيد اقتراحاته
ونم يره في كتابه حقلها اسم مست على وأى موره
منبى الزهرة كانت التلميح وحسبى هذا ليس لي يستمر
للمس الزهرة في مدار حوز الشمس وبصبح برك
محرم مصر

وخط رده في كل من من مصر مصر مصر
ويسوق الآلة والمراجع على صحة تلك الأرقام
سواء من مصدر العهد القديم أو الحديث أو من الظواهر
والكتابات القديمة أو من الظواهر والأثر
وغيره أخرى يؤكد أن لفظة الأرقام ما هي إلا مخرصة
جداً تملأ في حد القول الجني قد لا يسهل من
قشره القديم - وظها قد اختلفت بفسد بها الإلهاء عن
الحد فكل التلميح في ليات القشوش القديمة المفسر من حد
الله لنهية والتفويص لسلوكيات البشر وعماهم وإلا
فما قول قديم يدعى بصدق الطرق العصبية
للمحرف والآيات الدينية (نوراة - اسميل - روبر -
قرن) فيمن قال أن نهاية الكيان اليهودي سيكون عام
٢٠٢٢ م ومن قال أنها في عام آخر طبقاً للتخمين بين
التفويص الميلادى والهجرة في الحسابات المشار إليها
وكلاهما المتراضات لا تدعو لشى سوى التواكل والانتظار
حتى الموعود للقتل. وذلك الأمر يذكرني بموقلين
مشهورين. أحدهما من دجال ذهب إلى أحد الملوك قتلأ
له أنه يستطيع تعليم الحمار نطق بالحروف والكلام في
غضون ثلاثين عاماً على أن يعطيه الملك مبلغاً من المال
نظير ذلك التحدى وإن لم يفعل يكن من حق الملك أن
يعلمه - ووافق الملك (المغفل) ولما سئل الرجل أن
يخشى من الأعدام لأن الحمار لن يتكلم مطلقاً وإن
يتعلم جروف النطق قال الرجل الدجال المخادع قوله
الشهيرة بعد ثلاثين عاماً سيكون أحدنا قد توفى - إما
الحمار وإما أنا وأما الملك - والموقف الآخر من السيرة
النبيه المعطرة حيث سأل رجل النبي (صلى الله عليه
وسلم): متى الساعة (القيامة) ؟ فكان رد النبي (صلى
الله عليه وسلم) المعلم للبشرية وماذا أعدت لها؟ وبعد
ما سبق إيضاحه أكرر وأقول أن حسابات الأرقام ما
هى إلا رجم بالغيب وسجل لا أساس له من الشرع حتى
ولو كانت الآيات القرآنية هي السبيل للإتيان فيما ذهب
إليه الجادل. ولو أن الأمر بهذه البساطة والتسطيع
لوجدنا حلولاً لجميع مشاكلنا في الحاضر والمستقبل

معروفا ولا الإجهادات تتكفل من ارمية شرمية
والسما للمعلم بل كى - يخفض التلميح حتى
يصل للمسلم (مصرف أو عاو) إلى تنبؤة ترمية
على هذا صيت الأرقام من الحكيم البشر والاحتداد
على المصوم الدينية وتحملها بآل ليس فيها
الوصول إلى شتى يعبها ولو كانت هذه الطريقة
شرعية وصحيحة وجيدة لاستخدمها الصالحة ومن
قيلهم النبي (ص) الذي كان ينفذ عليه الوحى
بالتبشير دون تحديد موعد للحدث كما حدث ذلك
وهو رجع إلى التلميح تنبؤة بعد صلح الحديبية عام
الفتنة عند مكة مرسى كى الله لهم يوم الفتح
(ثم بعد صلح الحديبية بعام)

وبعد قصة قسرى مصر في حجة لا من حريو فوجى
ولا من حريو حصار الأرقام والمصروف شد. دخل
المر ٢٠٢٢ وهو رده الأرقام رده عليم
وهو رده الأرقام رده عليم وهو رده الأرقام
والصغير الأرقام رده عليم وهو رده الأرقام
مصر رده الأرقام رده عليم وهو رده الأرقام
في ٢٠٢٢ وهو رده الأرقام رده عليم وهو رده الأرقام
والمر رده الأرقام رده عليم وهو رده الأرقام

(إيميلوى فلا يكو فسكى) في كتابه)
محصول في فوجى و (مراقم في
نصام) إلى مطومات أخرى تلميح إلى
النسب المسمى بالأحداث الكونية التي
واكبت خروج إسرائيل من مصر
وغيرها من الأحداث التوراتية. المذهب
(تيلسون) أو التشن أو بالاس وهو
التسبي في انغلاق البحر أثناء واقعة
خروج بني إسرائيل من مصر.
نتيجة تبادل شحنات كهربائية عالية
الطاقة بين المذهب وبين الأرض حيثما
التمسب للمذهب من الأرض) وفي
موضوع آخر من الكتاب المشار إليه
قال «فلا يكو فسكى» إن هذا المذهب ما
هو إلا كوكب الزهرة قبل أن يصبح
كوكبا ثابت المدار حول الشمس. ومن
لسماء مذهب الزهرة بالاس أثينا وعنا ودينوس
وعشتار وعشتار وسخت والعرف والنجم المذنب
وابياج وتشاسكا وكوميت وذو الشعر وبيل وذو
القرن (عشتروت-كارنيم) وتستريا وربة الحكمة
وفيشنو وجولا وبكرها وغيرها من الأسماء التي
تسمى بها كوكب الزهرة وهو ينتقل من الحالة المذبذبة
إلى حالة الكوكب ثابت المدار حتى أصبح يطلق عليه
اسم نجم الصباح ونجم المساء وكان يرمز للزهرة
بالنجمة السادسة (نجمة دارد) في بابل وأحياناً
كشكل خماسي (خاتم سليمان) وأحياناً كصليب في
بابل والمكسيك.

وفيما يلي توزيع أعضاء الجماعات اليهودية في العالم في الوقت الحاضر حسب احصائيات ١٩٩٢ .

الأمريكتان .

١ - الشمالية

الدولة -	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
كندا	٢٧.٧٥٥.٠٠٠	٣٥٦.٠٠٠	١٢.٨
الولايات المتحدة	٢٥٧.٨٤٠.٠٠٠	٥.٦٢٠.٠٠٠	٢١.٨
المجموع	٢٨٥.٥٩٥.٠٠٠	٥.٩٧٦.٠٠٠	٢٠.٩

(٣)

٢ - الوسطى

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
الاستير البولندية	١١٥.٠٠٠	٤.٠٠٠	٢.٣
سما	٢.٥٦٣.٠٠٠	٥.٠٠٠	٢
مونتوريكو	٣.٦٢٦.٠٠٠	١٥.٠٠٠	٠.٤
جامايكا	٢.٤٩٥.٠٠٠	٣.٠٠٠	٠.١
جرر الباما	٢٦٨.٠٠٠	٣.٠٠٠	١.١
حواتيما	١٠.٠٢٩.٠٠٠	٨.٠٠٠	٠.١
الدومينكان	٧.٦٢١.٠٠٠	١.٠٠٠	-
فيرجن ايلاند	١٠٧.٠٠٠	٣.٠٠٠	٢.٨
كوبا	١٠.٧٠٩.٠٠٠	٧.٠٠٠	٠.١
كوستاريكا	٣.٢٧٠.٠٠٠	٢.٠٠٠	٠.٦
المكسيك	٨٩.٩٩٨.٠٠٠	٤٠.٠٠٠	٠.٤
بلاد أخرى	٢٥.٣٣٠.٠٠٠	٣.٠٠٠	-
المجموع	١٥٦.٣٨٩.٠٠٠	٥١.٧.٠٠٠	٠.٣

(٢)

٣ - الجنوبية:

نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
٦,٣	٢١١,٠٠٠	٣٣,٤٨٧,٠٠٠	الارجنتين
٠,١	٩٠٠	١١,٣١٠,٠٠٠	إكوادور
٧,٦	٢٣,٨٠٠	٣,١٤٩,٠٠٠	أوروغواي
٠,٢	٩٠٠	٤,٦٤٣,٠٠٠	باراجواي
٠,٦	١٠٠,٠٠٠	١٥٦,٥٧٨,٠٠٠	البرازيل
٠,١	٧٠٠	٧,٧٠٥,٠٠٠	بوليفيا
٠,١	٣,٠٠٠	٢٢,٩١٣,٠٠٠	بيرو
٠,٤	٢٠٠	٤٤٦,٠٠٠	سورينام
١,١	١٥,٠٠٠	١٣,٨١٣,٠٠٠	شيلي
١,٠	٢٠,٠٠٠	٢٠,٦١٨,٠٠٠	فنزويلا
٠,٢	٦,٥٠٠	٣٣,٩٨٥,٠٠٠	كولومبيا
١,٢	٣٨٣,٠٠٠	٣,٨٦٤,٠٠٠	المجموع
٨,٥٣	٦,٤٩٦,٠٠٠	١٥٠,٦٣١,٠٠٠	المجموع الكلي للأمريكيين

استراليا ونيوزيلاندا

نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
٥,٠	٩٠,٠٠٠	١٧,٨٤٣,٠٠٠	استراليا
١,٣	٤,٥٠٠	٣,٤٨٧,٠٠٠	نيوزيلاندا
-	١٠٠	٦,٦١٧,٠٠٠	بلاد أخرى
٣,٤	٩٤,٦٠٠	٢٧,٩٤٧,٠٠٠	المجموع

(هـ)

آسيا.

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
إسرائيل	٥.١٩٥.٩٠٠	٤.٢٤٢.٥٠٠	٨١٦.٥

الدول الآسيوية في الاتحاد السوفيتي «سابقا»

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
أذربيجان	١٠٠٠	٣١	٣.١
بيلاروس	٢٠٠	٣	١.٥
جورجيا	٢٠٠	١١٠	٥٥
كازاخستان	١٠٠	١٠٠	١٠٠
قزاقستان	١٠٠	١٠٠	١٠٠
قرغيزيا	١٠٠	١٠٠	١٠٠
المجموع	٦٩.٣٠٠.٠٠٠	١.٩.٦٠٠	١.٦

(٥)

بلاد آسيوية أخرى :

نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
٠,٣	١٦,٠٠٠	٦٣,١٨٠,٠٠٠	إيران
-	٢٠٠	٥٦,٨٦٨,٠٠٠	تايلاند
٠,١	٣٠٠	٢,٧٩٨,٠٠٠	سنغافورة
٠,١	١,٢٠٠	١٣,٧٦٢,٠٠٠	سوريا
-	٢٠٠	١٩,٩١٨,٠٠٠	العراق
-	١٠٠	٦٦,٥٤٣,٠٠٠	الفلبين
-	١٠٠	٤٤ ٥٠٨ ٠٠٠	كوريا الحسنة
-	٤ ٥٠٠	٨٩٦ ٥٦٦	الهند
٢	١ ٠٠	٥ ٨٤٥ ٠٠٠	هونغ كونج
-	١,٠٠٠	١٢٤ ٩٥٩ ٠٠٠	اليابان
٠,١	١,٦٠٠	١٣,٩٧٧ ٠٠٠	اليمن
-	٣٠٠	١,٩١٨ ٥٠٦ ١٠٠	بلاد أخرى
-	٢٦,٥٠٠	٣,٢٢٦,٤٣١ ١٠٠	المجموع
١,٣	٤,٢٧٨ ٦٠٠	٣,٣٠٠,٩٢٧ ٠٠٠	المجموع الكلي للبلاد الآسيوية

(هـ)

أفريقيا:

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
إثيوبيا	٥٤,٦٢٨,٠٠٠	١,٥٠٠	-
تونس	٨,٥٧٩,٠٠٠	٢,٠٠٠	٠,٢
الجزائر	١٩,٥٩٠,٠٠٠	٣٠٠	-
جنوب أفريقيا	٤٠,٧٧٤,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٢,٥
زائير	٤١,١٦٦,٠٠٠	٤٠٠	-
زامبيا	٨,٨٨٥,٠٠٠	٣٠٠	-
زيمبابوي	١٠,٨٩٨,٠٠٠	١,٠٠٠	٠,١
مصر	٥٦,٠٦٠,٠٠٠	٢٠٠	-
بلاد أخرى	٤٢٧,٩٩٠,٠٠٠	٣٠٠	-
المجموع	٦٦,٨٥٧,٠٠٠	١٠٦,٧٠٠	١,٦

(٩)

أوروبا
الجماعة الأوروبية

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
إسبانيا	٣٩,١٥٣,٠٠٠	١٢	٠,٣
ألمانيا	٨٠,٦٠٦,٠٠٠	٥,٠٠٠	٠,٦
أيرلندا	٢,٤٨١,٠٠٠	١,٨٠٠	٠,٥
إيطاليا	٥٧,٨٢٦,٠٠٠	٣١,٠٠٠	٠,٥
البرتغال	٩,٨٧٠,٠٠٠	٣٠٠	-
بلجيكا	١٠,٠١٠,٠٠٠	٢١,٨٠٠	٢,٢
الدنمارك	٥,١٦٩,٠٠٠	٦,٤٠٠	١,٢
فرنسا	٥٧,٣٧٩,٠٠٠	٥٣٠,٠٠٠	٩,٢
لكسمبورج	٣٨٠,٠٠٠	٦٠٠	١,٦
المملكة المتحدة	٥٨,٠٣٩,٠٠٠	٢٩٨,٠٠٠	٥,١
هولندا	١٥,٣٧٠,٠٠٠	٢٥,٦٠٠	١,٧
اليونان	١٠,٢٠٨,٠٠٠	٤,٨٠٠	٠,٥
المجموع	٣٤٧,٢٩١,٠٠٠	٩٩٢,٣٠٠	٢,٩

(١٠)

باقى دول أوروبا العربية

نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
١٩,٤	٦٠٠	٢١,٠٠٠	جبل طارق
١,٧	١٥,٠٠٠	٨,٦٩٢,٠٠٠	السويد
٢,٨	١٩,٠٠٠	٦,٨٦٢,٠٠٠	سويسرا
٠,٣	١,٣٠٠	٥,٠٢٠,٠٠٠	فنلندا
٠,٢	١,٠٠٠	٤,٣١٠,٠٠٠	النرويج
٠,٩	٧,٠٠٠	٧,٨٠٥,٠٠٠	النمسا
٠,١	١	٠,٠١	بلاد أخرى
١,٣	٤٤	٣٣,٤٩٠	المجموع

الدول الأوروبية فى الاتحاد السوفييتى - سابقا -

نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
٢,١	٣,٤٠٠	١,٦٠٠,٠٠٠	إستونيا
٥,٣	٢٧٦,٠٠٠	٥١,٩٠٠,٠٠٠	أوكرانيا
٢,٨	٤١٥,٠٠٠	١٤٩,٠٠٠,٠٠٠	روسيا
٤,٥	٤٦,٠٠٠	١٠,٢٠٠,٠٠٠	روسيا البيضاء
٥,٢	١٢,٥٠٠	٢,٦٠٠,٠٠٠	لاتفيا
١,٧	٦,٥٠٠	٣,٨٠٠,٠٠٠	ليتوانيا
٤,٤	١٩,٤٠٠	٤,٤٠٠,٠٠٠	مولدافيا
٣,٥	٧٧٩,٨٠٠	٢٢٣,٦٠٠,٠٠٠	المجموع

(٤)

أوروبا الشرقية :

نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
٠,٢	١,٩٠٠	٨ ٩٢٦,٠٠٠	بلغاريا
٠,١	٣٠٠	٤ ٠٠٠ ٠٠٠	البوسنة والهرسل
٠,١	٣,٦٠٠	٣٨,٥١٨٠٠	بولندا
٠,٣	١٩,٥٠٠	٥٩,٥٧٧,٠٠٠	تركيا بما في ذلك مناطق لاسيقية
:	٢ ٨	٣	---
:	٠	٢٢ ٣,	---
:	٢ ٨	٥ ٣	سودان
:		٢	سوفيا
٠,٣	١ ٤	٤ ٤	كرواتيا
٥,٣	٥٦ ٠٠٠	١٠٠,٤٩٣ ٠٠٠	المجر
٠,٢	١ ٧٠٠	٦٩ ٨٠٠ ٠ ٠	يوغوسلافيا
٠,٦	١٠٨,١٠٠	١٧٦,٦٩١,٠٠٠	المجموع
٢,٥	١,٩٢٤,٢٠٠	٧٨١,٤٣٧,٠٠٠	المجموع الكلي لأوروبا

(ط)



وفيما يلي جدول بعدد المهاجرين ونسبهم المئوية - حسب
 الموسوعة اليهودية - بين عامي ١٨٨١ و ١٩٤٨ .

السنة	عدد المهاجرين ١٩١٨-١٩١٩	السنة	عدد المهاجرين ١٩١٩-١٨٨١	جهة الهجرة
١٠	٠	٩٠	٢٠	بولندا - مجده
١١	٠	٨٠	١٠	مصر
١٢	٠	٧٠	١٣	لاروسير
١٣	٠	٦٠	١٤	معية أمريكا
١٤	١٠	٥٠	١٥	اللاتينية
١٥	٢٥ . . .	٤٠	٤٣ . . .	جنوب أفريقيا
١٦	٤٨٥ . . .	٣٠	٧٠ . . .	فلسطين
١٧	١٢٥ . . .	٢٠	١٥ . . .	بلاد أخرى

(٢)

وفيما يلي جدول الهجرات اليهودية منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام

١٩٩٣

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوروبا	أمريكا	غير معروف
١٩٠٢-١٨٨٢	٢٠.٠٠٠-٢٠.٠٠٠					
١٩١٤-١٩٠٤	٤٠.٠٠٠-٢٥.٠٠٠					
١٩١٨-١٩١٩	٤٨٢.٨٥٧	٤٠.٨٩٥	٤.٠٤١	٣٧٧.٣٨١	٧.٧٥٤	٥٢.٧٨٦
١٩٢٣-١٩١٩	٢٥.١٨٢	١.١٨١	٢٣٠	٢٧.٨٧٢	٦٧٨	٥.٢٢٢
١٩٣١-١٩٢٤	٨١.٦١٣	٩.١٨٢	٦٣١	٦٦.٩١٧	٢.٢٤١	٢.٦٥٢
١٩٣٨-١٩٣٢	١٩٧.٢٣٥	١٦.١٧٢	١.٢١٢	١٧١.١٧٣	٤.٥٨٩	٢.٩٨٩
١٩٤٥-١٩٣٩	٨١.٨٠٨	١٣.١١٦	١.٠٧٢	٦٢.٩٦٨	١.٠٨	٤.٥٤٤
١٩٤٨-١-٤٦	٥٦.٤٦٧	١.١٤٤	٩.٦	٤٨.٤٥١	١٣٨	٥.٨٢٨
١٩٤٨	١٠.١.٨٣٨	٤.٧٣٩	٨.١٩٢	٧٦.٥٥٤	٤٦٨	١١.٨٦٥
١٩٤٩	٢٣٩.٩٥٤	٢١.٦٥٣	٣٩.٢١٥	١٣١.٩٣٣	١.٤٢٢	٥.٢٠٣
١٩٥٠	١٧.٥٣٣	١٢.٥٦٥	٣٧.١٦٣	٨١.١٩٥	١.٩٥٤	٣.٦٨٢
١٩٥١	١٦٥.٢٦٩	١.٣.٣٩٦	٢٠.٣٨٢	٤٥.٠٠٤	١.٢٨٦	٣.١٤١
١٩٥٢	٢٤.٦١٠	٦.٨٦٢	١٠.٢٨٦	٦.٢٣٢	٩٥٠	٢٧٥
١٩٥٣	١١.٥٧٥	٣.٠١٤	٥.١٠٣	٢.١٤٧	٩٣٠	٣٨٢
١٩٥٤	١٨.٤٩١	٣.٣٥٢	١٢.٥٠٩	١.٣٦٩	١.٠٩١	١٦٥
١٩٥٥	٣٧.٥٢٨	١.٤٣٢	٢٢.٨١٥	٢.٦٥	١.١٥٥	٦١
١٩٥٦	٥٦.٣٢٠	٣.١٣٩	٤٥.٢٨٤	٦.٧٣٩	١.٠٦٧	١٠.١
١٩٥٧	٧٢.٦٣٤	٤.٢٣٠	٢٥.٧٤٧	٣٩.٨١٢	١.٤١٠	١.٤٣٥
١٩٥٨	٢٧.٢٠٠	٧.٩٢١	٤.١١٣	١٢.٦١٥	١.٣٢٠	٢٤١
١٩٥٩	٢٣.٠٠٠	٣.٥٤٤	٤.٤٢٩	١٤.٧٣١	١.١٤٧	١٣٧
١٩٦٠	٢٤.٠٠٠	١.٧٨٢	٥.٣٧٩	١٦.١٦٩	١.١٥٨	٢٠٤
١٩٦١	٤٧.٧٣٥	٤.١٤٩	٨.٠٤٨	٢٢.٣٧٥	١.٩٦٩	١٩٤
١٩٦٢	٦١.٥٣٣	٥.٣٥٥	٤١.٨١٦١	١١.٨٥٢	٢.١٨٧	٢٥٠
١٩٦٣	٦٤.٤٨٩	٤.٩٦٤	٢٨.٦٧٢	١٤.٢١٢	٦.٤٩٧	١٤٣
١٩٦٤	٥٥.٠٣٦	٥.٠٥٧	١٧.٢٤٠	٢٨.١٢٤	٤.٨٨	٣٢٧

(ج)

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوروبا	أمريكا	غير معروف
١٩٦٥	٢١.١١٥	٥ ٢٢٢	٨.٥٣٥	١٢.٨٧٩	٢.٠٩٦	٢٨٢
١٩٦٦	١٥.٩٥٧	٢.١٣٧	٢.٠٢٤	٧.٤٣٥	٢.١٢٢	٢٢٩
١٩٦٧	١١٤.٤٦٩	١.٩٨٧	٦.٢٦٨	٤.٢٩٥	٦.٧٧١	١٤٨
١٩٦٨	٢٠.٧٠٣	٤.٦٧١	٧.٥٦٧	٦.٠٢٩	٢.٢٧٥	١٦١
١٩٦٩	٢٨.١١١	٧.٠١٨	٥.٩٢٦	١٥ ٢٣٦	٩.٦٠١	٢٣٠
١٩٧٠	٢٦ ٧٥٠	٦ ٩٠٤	٣ ٧٨٥	١٤ ٤٣٤	١١ ٤٠٥	٢٢٢
١٩٧١	٤١ ٩٣٠	٥ ٧٧٨	٢.٣٥٤	٢٠ ٨٨٨	١٢.٨٨٥	٢٥
١٩٧٢	٥٥.٨٨٨	٣ ١٤٣	٢.٧٦٦	٢٩ ١٤٥	١٠ ٨١٤	٢٠
١٩٧٣	٥٤.٨٨٦	٢ ٠٢٥	٢.٨٣٩	٤٠.٤٩٢	٩.٥٢٢	٨
١٩٧٤	٣١ ٩٨١	١ ١٥٩	١.٢١٦	٢٣ ١٢٦	٦.٤٣٩	٢١
١٩٧٥	٢٠ ٠٣٨	٩٣٧	٦٨٩	١٣ ٤١٧	٤.٩٨٩	٦
١٩٧٦	١٩ ٧٥٤	١ ١٣٥	٦٥٧	١٣ ١٣٧	٥.٧٧٤	١١
١٩٧٧	٢٠ ٤٣٩	٩ ٥	١ ٦٢	١٢ ٦٦	٦ ٢٠١	٤٠
١٩٧٨	٢٦ ٢٩٤	٠ ٧٣٦	١ ٦٥٣	١٦ ٥٤٩	٦ ٢٠٥	١٢١
١٩٧٩	٢٠ ٢٢٢	٨٠	١ ٣	٢٢ ٤١١	٦ ٠٢١	٢٥٦
١٩٨٠	٢٠ ٢٢٤	٢ ٢٠٢	٢ ٢٠٢	٠ ٩٢	٤ ٣٥	٥٥
١٩٨١	٢ ٥٩٩	٢١٥	١ ٠	٥ ٩٠١	٤ ٢١٣	٦٢
١٩٨٢	١٣ ٧٢٣	٩٥١	١ ٥٥٥	٦ ١٦٨	٥ ٠ ٣	٤٦
١٩٨٣	٦ ٩٠٦	٨٤٤	٣ ٠٩٤	٦ ١٥٤	٦ ٧٥٨	٥٦
١٩٨٤	١٩ ٩٨١	٧٠٠	٨ ٨٨٥	٥ ٤٨٥	٤ ٨١٦	٣٥
١٩٨٥	١٠ ٦٤٢	٦٠٧	٢ ٣١٨	٣ ٩٦٤	٢ ٧٣٩	١٤
١٩٨٦	٩ ٥٠٥	١ ١٨٣	٩٨٢	٢.٦٧٥	٢ ٦٣٤	٢١
١٩٨٧	١٢ ٩٦٥	١.٨٨٨	١.٢٠٥	٦.٠٤٤	٢.٨١٢	١٦
١٩٨٨	٢٤.٠٥٠	١.٧٠٠	١.٢٣٤	٦.٠١٢	٢.٩٦٩	١٩
١٩٨٩	٢٤.٠٥٠	١.٨٥	١.٨٦١	١٦.٧٦٦	٤.١٤٧	٩١

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوروبا	أمريكا	غير معروف
١٩٩٠	١٩٩.٥١٦	٩٤٠	٤.٤٧٢	١٨٩.٦٥٠	٤.٢١٥	١٣٩
١٩٩١	١٧٦.١٠٠	٦٢٢	١.٢٥١	١٥٢.١٤٢	٢.٠٢٣	٦٢
١٩٩٢	٧٧.٠٥٧	٨٩١	٤.٠٧٥	٦٨.٩٦٢	٢.٠٠٦	١٢٣
١٩٩٣	٧٦.٨٠٥	١.٧٢٨	١.٤٣١	٧٠.٢١٥	٢.٢٨٢	٤٨

(حـ)

الاجمالي	لشركه الاخرى	فلسطين	جزيرة البرقية	في الارضين التي لا تملكها	لشركه	اليونان	الارجنتين	كندا	الولايات المتحدة	السنة
٢٢١,١٠٠	٢,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٤,٠٠٠	١,٠٠٠	-	٥٠٠	٢,٠٠٠	١,١٠٠	٢٠,٠٠٠	١٨٨٨-١٨٩٠
٧٦٤,٥٠٠	٤,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	١٢,٠٠٠	١,٠٠٠	-	١,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	١٠,٥٠٠	١٧٥,٠٠٠	١٩٠٠-١٨٨١
١,٦٠٢,٤٤١	١٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٢١,٣٧٧	٢,٠٠٠	-	٨٠,٧٥٠	٨٧,٦١٤	٩٥,٢٠٠	١,٢٤٦,١٠٠	١٩١٤-١٩٠١
٨٩,٣١٠	٥,٠٠٠	١٥,٠٠٠	٩٠٧	٥,٠٠٠	١,٠٠٠	٢,٠٠٠	٢,٥٠٢	١٠,٤٥٠	٧٦,٤٥٠	١٩٢٠-١٩١٥
٤٢٦,٩٣٠	١٠,٠٠٠	٦٠,٧٦٥	٤,٦٣٠	٧,٠٠٠	٢,٠٠٠	٧,١٣٩	٢٩,٧١٣	١٤,٤٠٠	٢٨٠,٢٨٢	١٩٢٥-١٩٢١
١٧٢,٩٠٨	١٠,٠٠٠	١٥,١٧٩	١٠,٠٤٤	١٠,٠٠٠	٦,٣٧٠	٢٢,٢٩٦	٢٢,٧٢١	١٥,٢٠٠	٥٤,٩٨٨	١٩٢٠-١٩٢٦
٢٣٨,٢٥٠	٢٠,٠٠٠	١٤٧,٥١٢	٤,٥٠٧	١٥,٠٠٠	٢,١٨٠	١٢,٠٧٥	١٢,٧٠٠	٤,٢٠٠	١٧,٩٨٦	١٩٢٥-١٩٣١
٢٦٩,٥٩٥	٦٠,٠٠٠	٧٥,٥١٠	٥,٣٠٠	١٥,٠٠٠	٧,٦٧٧	١٠,٠٠٠	١٤,٧٨٩	٩٠٠	٧٩,٨١٩	١٩٢٩-١٩٣١
١٣٢,٣٥٤	١٠,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٦,٠٠٠	٤,٥٠٠	٨٠٠	٧٠,٩٥٤	١٩٢٢-١٩٢٠
٢,٩١٢,٢٨٨	١٣١,٠٠٠	٢٧٨,٩٥٦	٦٠,١٦٥	٥٩,٠٠٠	٢٢,٢٢٧	٧١,٣٦٠	٢٢٢,٥٤٠	٢٢٢,١٥٠	٢,٨٠,١٨٠	المجموع

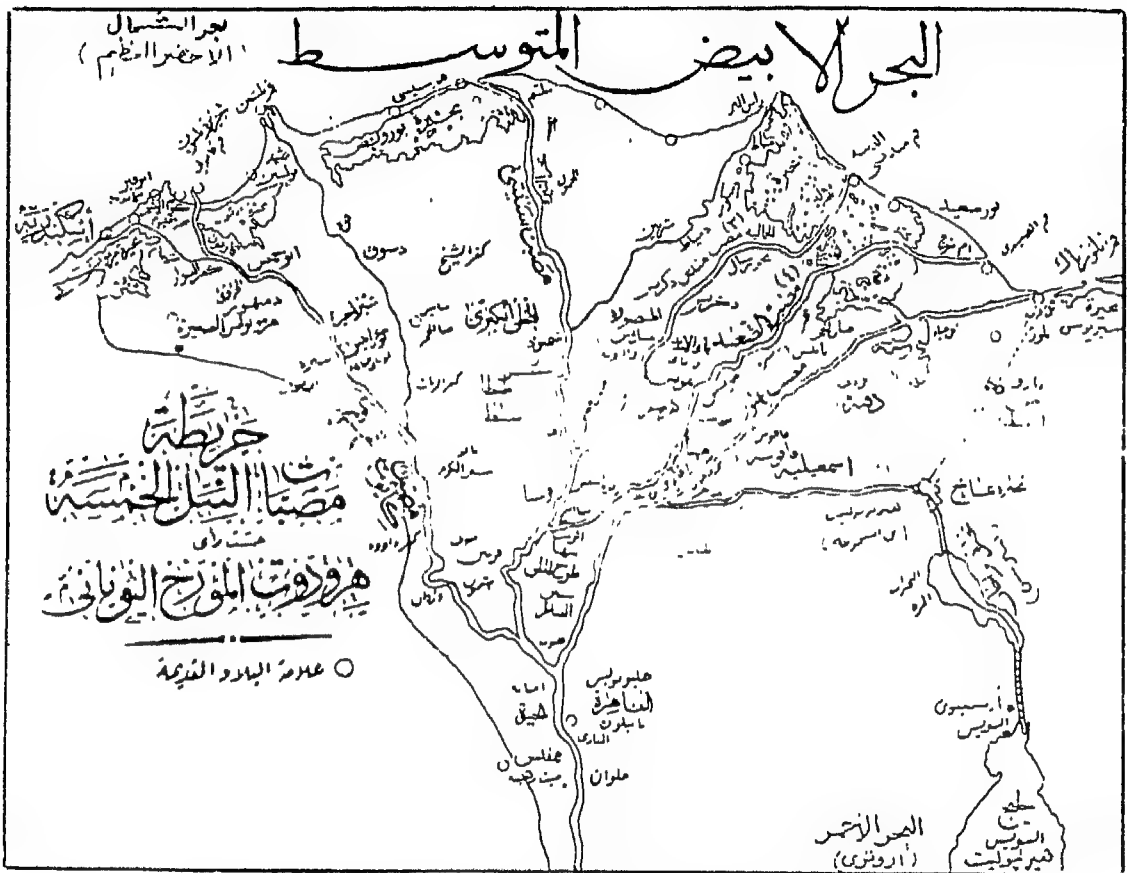
(٥)

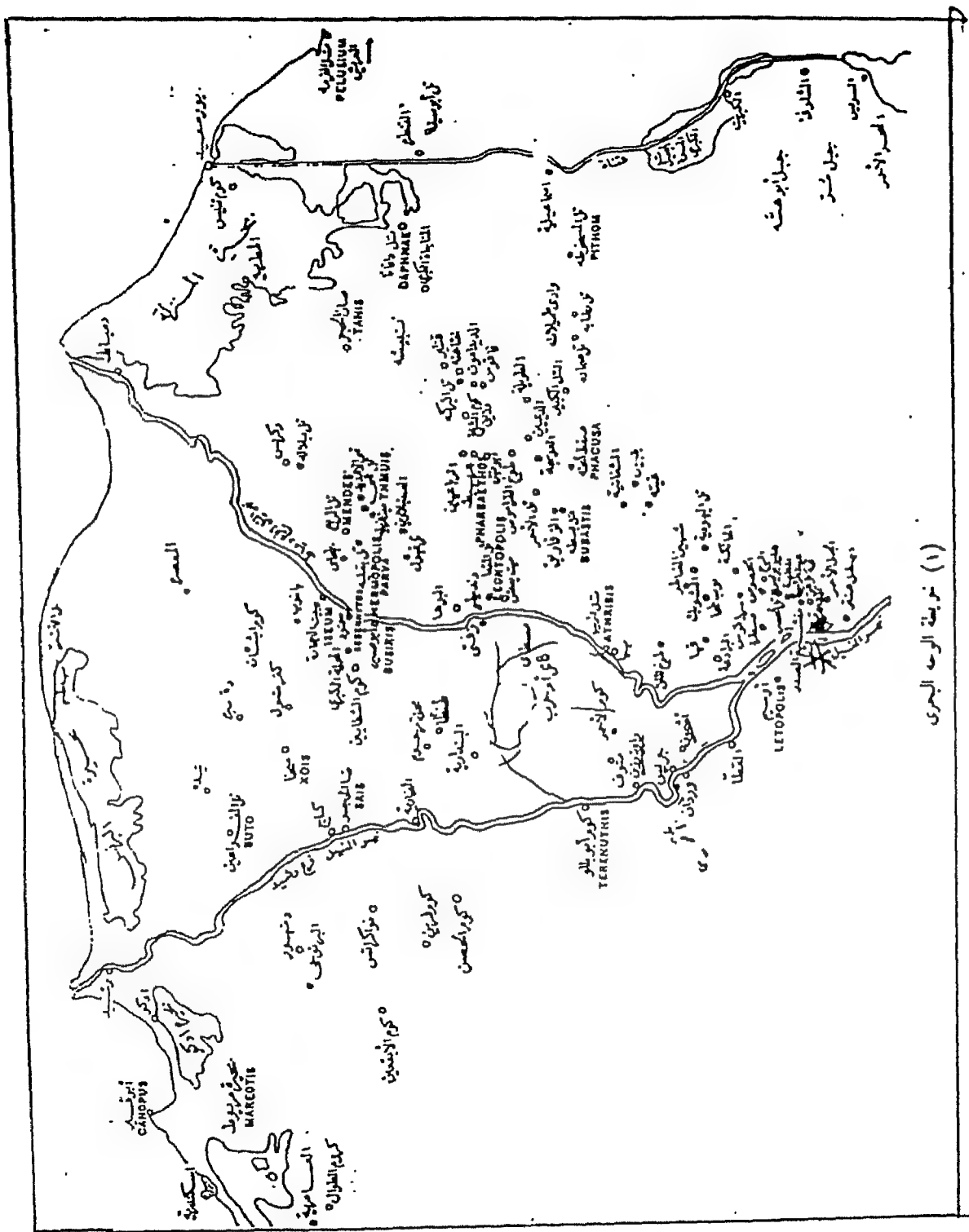
عدد المهاجرين اليهود إلى كل من الولايات المتحدة وفلسطين في
الفترة ١٩١٥ - مايو ١٩٤٨.

السنة	الولايات المتحدة	فلسطين	السنة	الولايات المتحدة	فلسطين
١٩١٥	٢٦.٤٩٧	-	١٩٣٢	٣.٧٥٥	١٢.٥٥٣
١٩١٦	١٥.١٠٨	-	١٩٣٣	٢.٣٧٢	٢٧.٣٣٧
١٩١٧	١٧.٣٤٢	-	١٩٣٤	٤.١٣٤	٤٥.٢٦٧
١٩١٨	٢.٦٧٢	-	١٩٣٥	٤.٨٣٧	٦٦.٤٧٢
١٩١٩	٣.٠٥٥	١.٨٠٦	١٩٣٦	٦.٢٥٢	٢٩.٥٩٥
١٩٢٠	١٤.٢٩٢	٨.٢٢٣	١٩٣٧	١١.٣٥٢	١٠.٦٢٩
١٩٢١	١١٩.٠٣٦	٨.٢٩٤	١٩٣٨	١٩.٧٣٦	١٤.٦٧٥
١٩٢٢	٥٣.٥٢٤	٨.٦٨٥	١٩٣٩	٤٣.٤٥٠	٣١.١٩٥
١٩٢٣	٤٩.٧١٩	٨.١٧٥	١٩٤٠	٣٦.٩٤٥	١٠.٦٤٣
١٩٢٤	٤٩.٩٨٩	١٣.٨٩٢	١٩٤١	٢٣.٧٣٧	٤.٥٩٢
١٩٢٥	١٠.٢٩٢	٣٤.٣٨٦	١٩٤٢	١٠.٦٠٨	٤.٢٠٦
١٩٢٦	١٠.٣٦٧	١٣.٨٨٥	١٩٤٣	٤.٧٠٥	١٠.٠٦٣
١٩٢٧	١١.٤٨٣	٣.٣٤	١٩٤٤	٥.٥٥٣	
١٩٢٨	١٠.٦٣٩	٢.١٧٨	١٩٤٥	٥.٣٥٩	
١٩٢٩	١٢.٤٧٩	٥.٢٤٩	١٩٤٦	١٠.٠٠٠	
١٩٣٠	١١.٥٢٦	٤.٩٤٤	١٩٤٧	٢٢.٩٨	
١٩٣١	٥.٦٩٢	٤.٠٧٥	١٩٤٨	١٢.١٦٥	

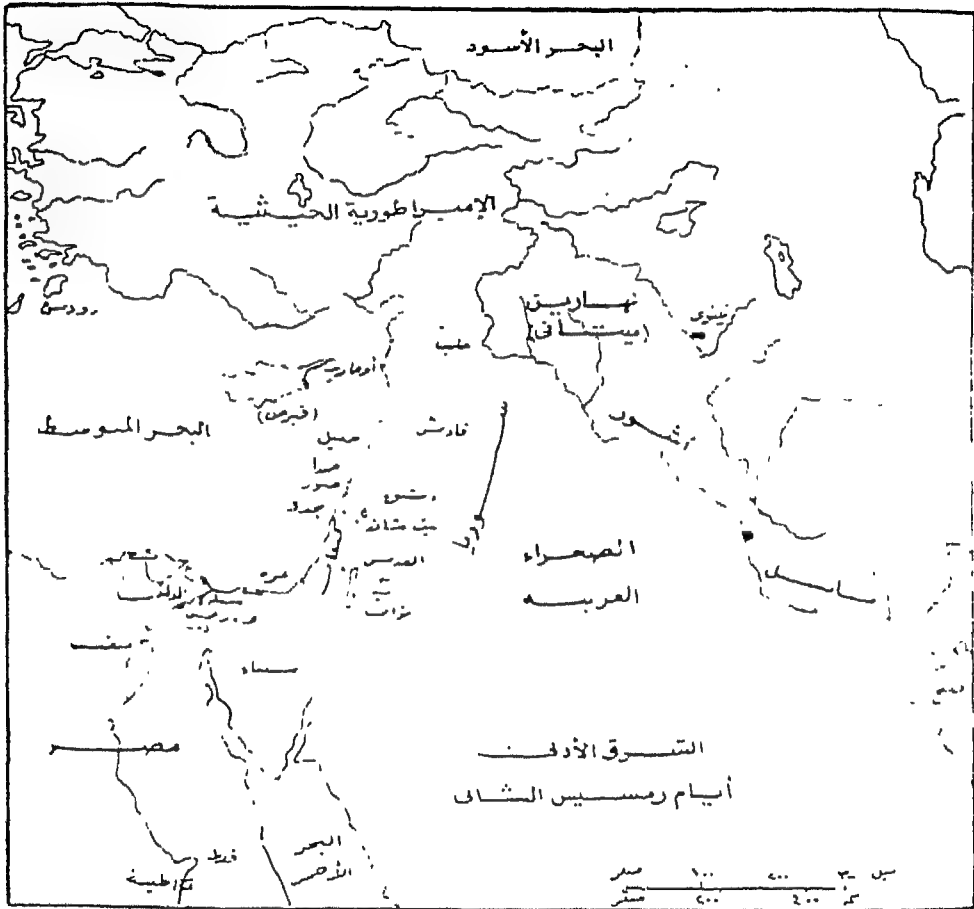
سنة	عددهم في فلسطين	نسبتهم لليهود العالم
١٨٨٢	٢٤,٠٠٠	% ٠,٣
١٩٠٠	٥٠,٠٠٠	% ٠,٥
١٩٢٥	١٢٢,٠٠٠	% ٠,٨
١٩٤٠	٤٦٧,٠٠٠	% ٢,٨
١٩٤٨/١٠/٥	٦٥٠,٠٠٠	% ٥,٧
١٩٥١	١,٤٠٤,٠٠٠	% ١٢,٢
١٩٦٥	٢,٢٩٩,٠٠٠	% ١٧,١
١٩٧٥	٢,٩٥٩,٠٠٠	% ٢٠,٩
١٩٨٠	٣,٢٨٢,٧٠٠	% ٢٥
١٩٨٥	٣,٥١٠,٠٠٠	% ٢٧

(هـ)

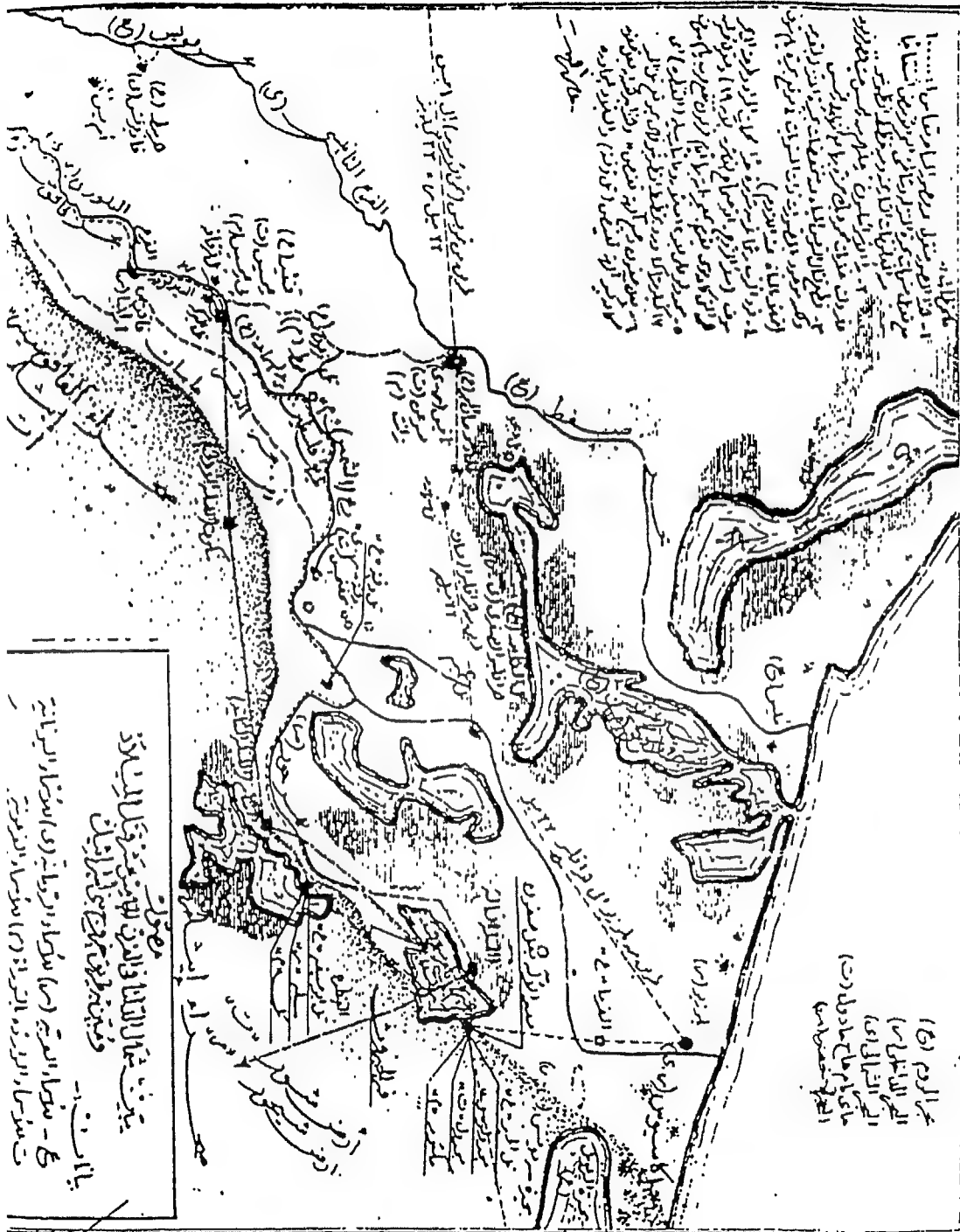


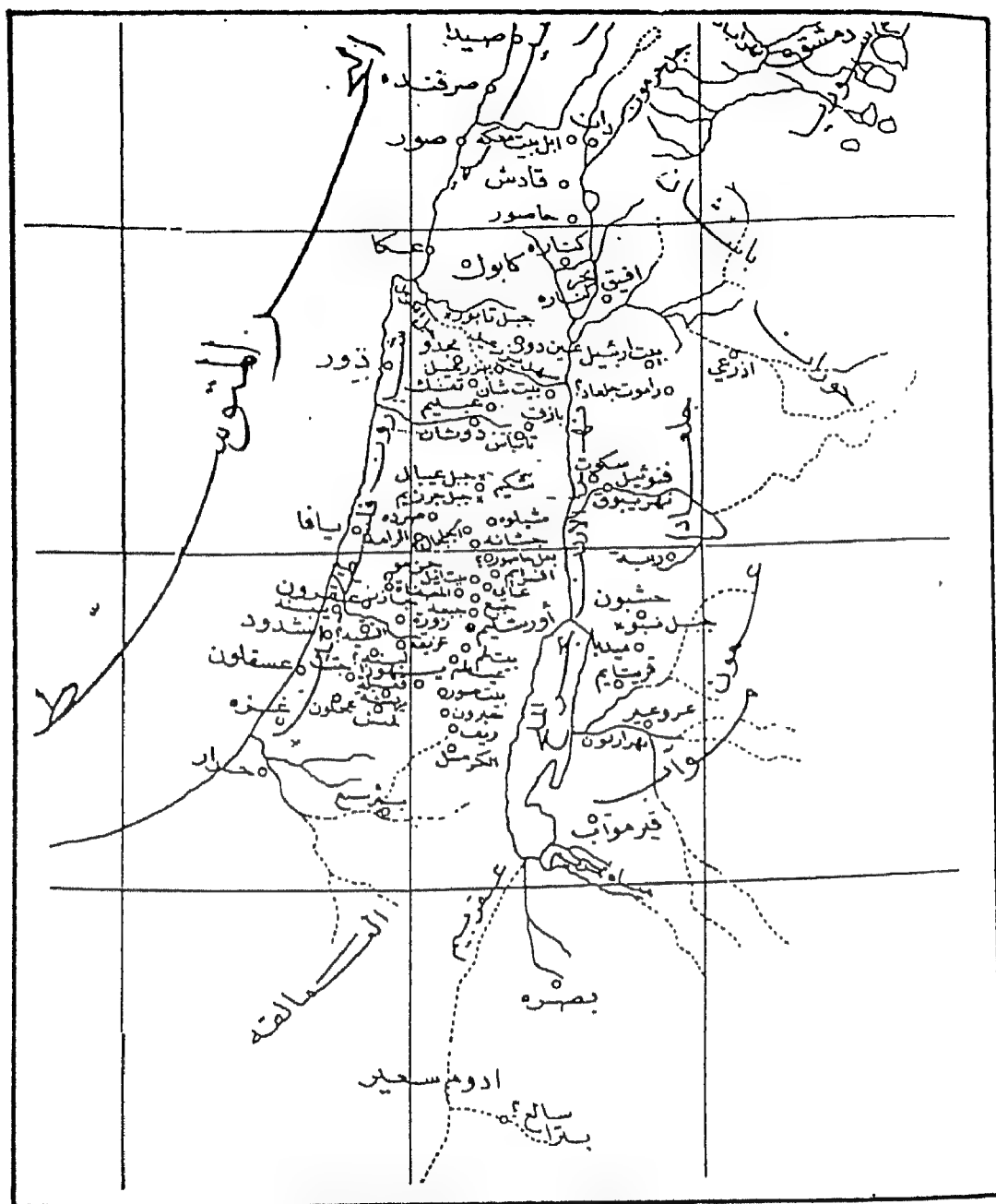


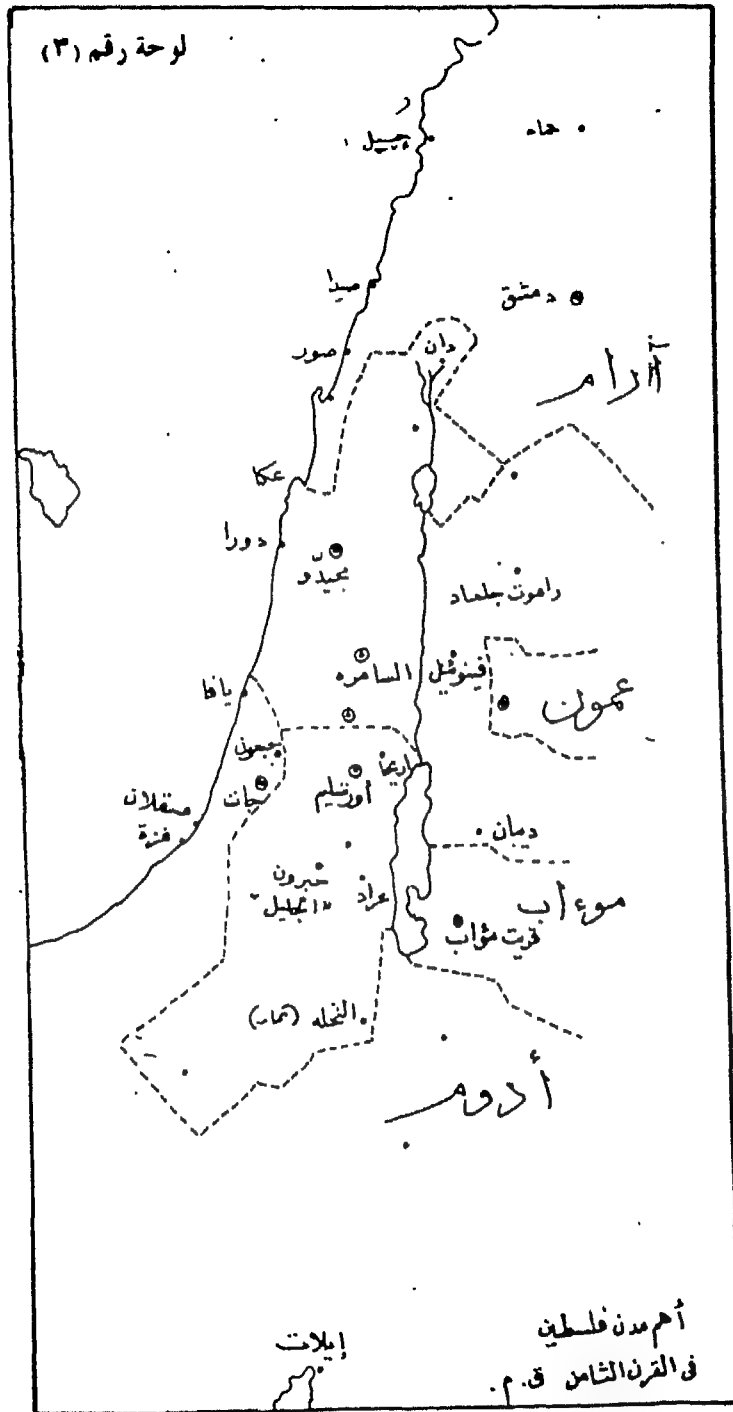
(١) خريطة الوجه البحري

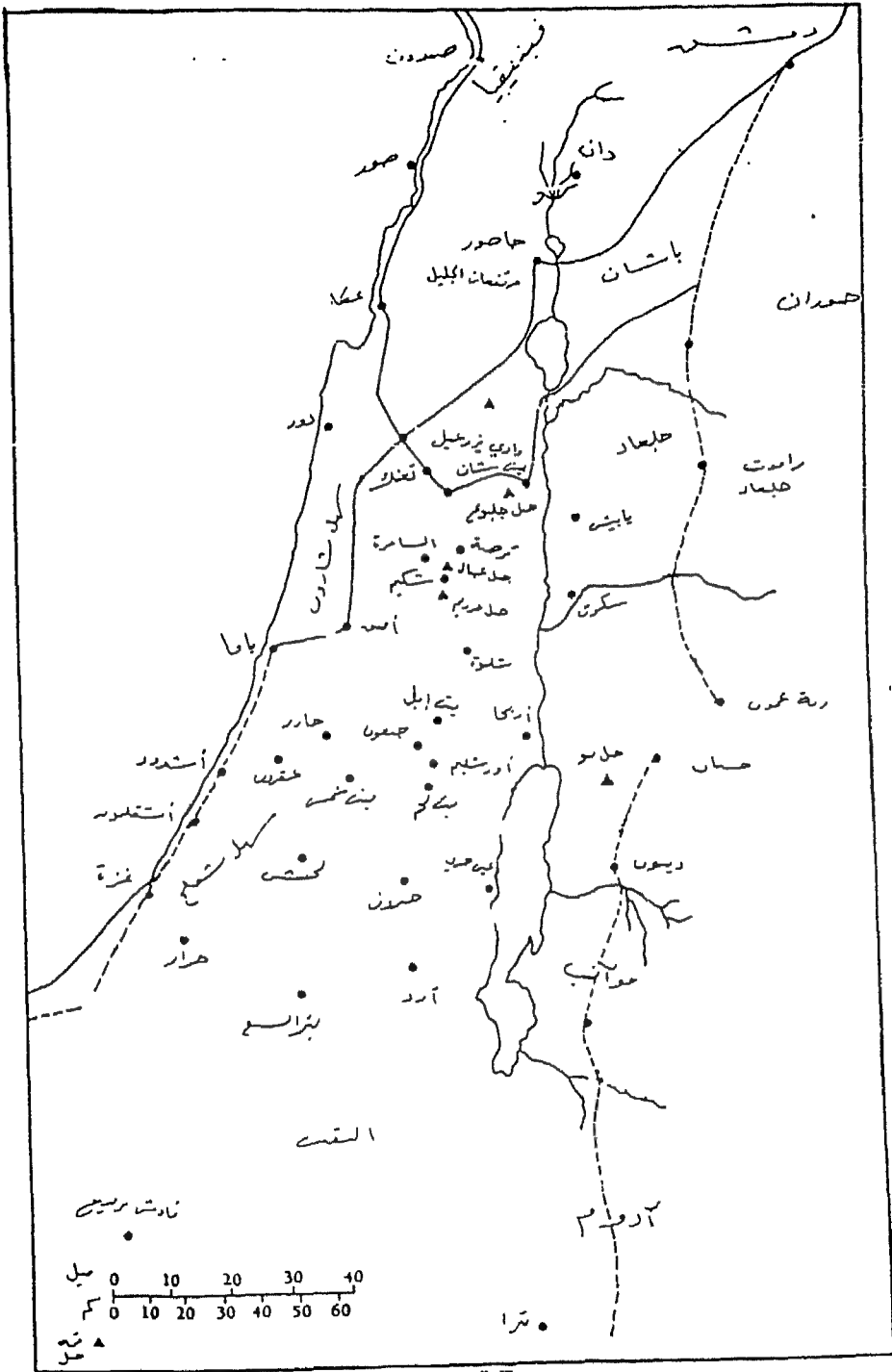


الشرق الأدنى أيام رمسيس الثاني

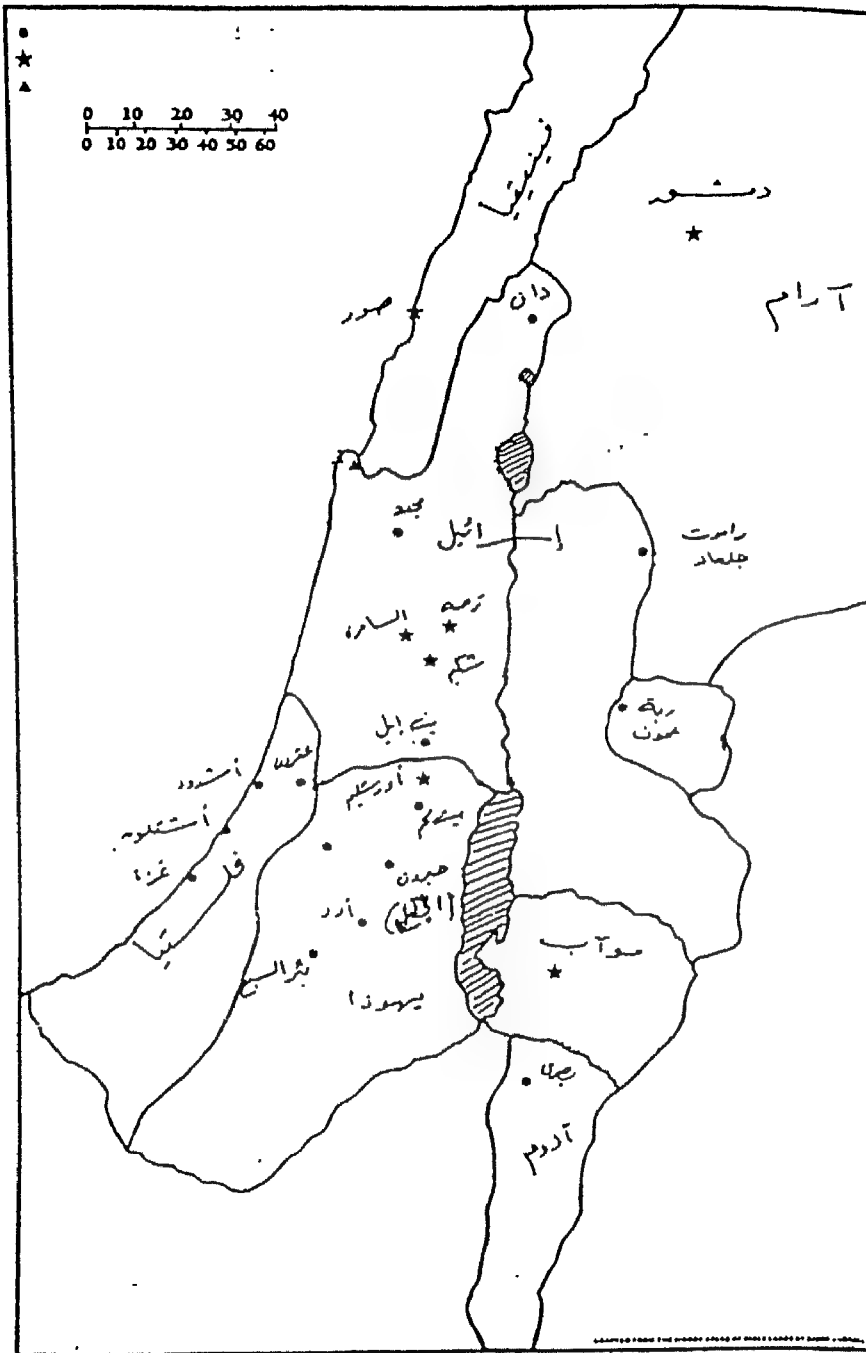
[illegible]



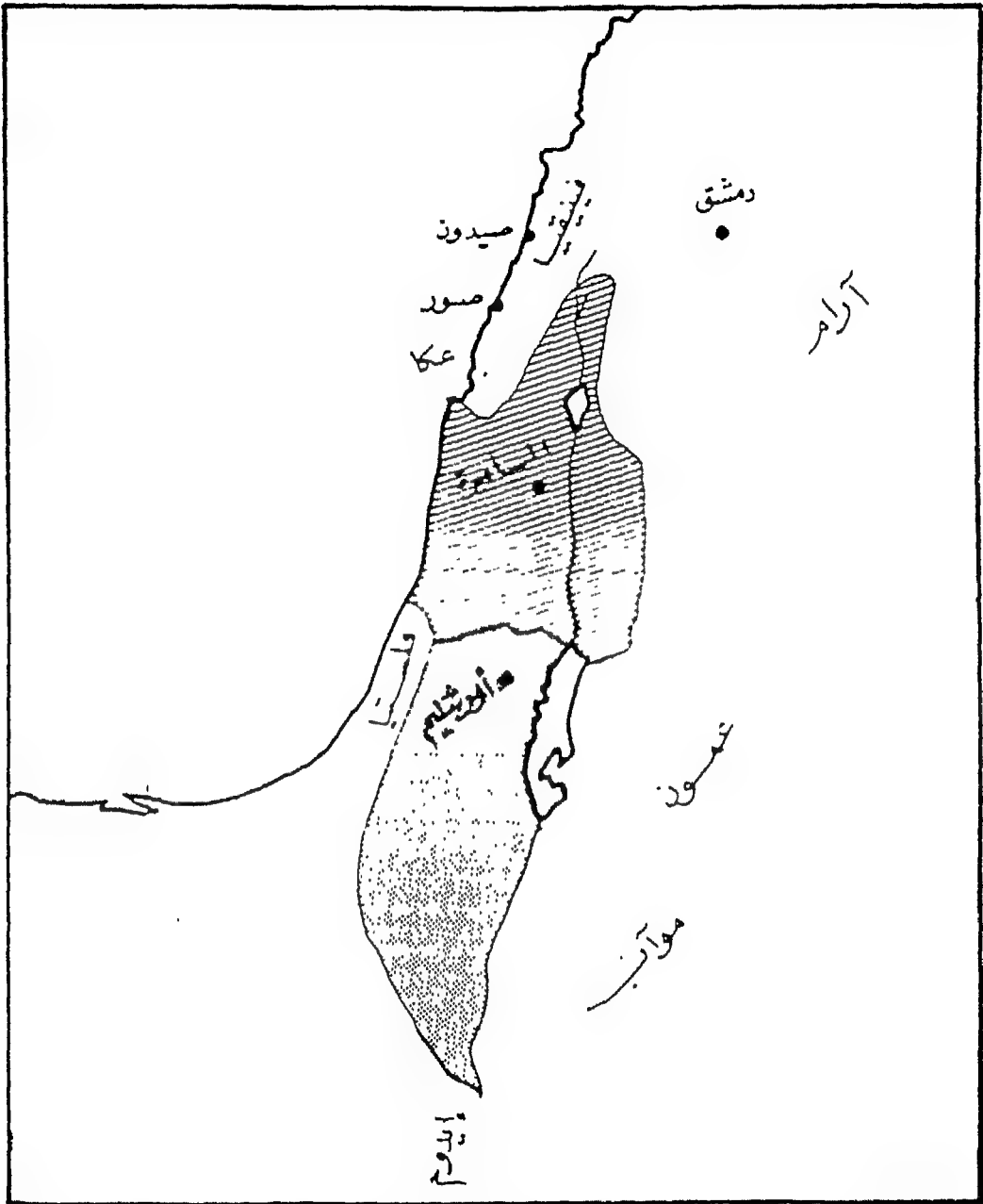




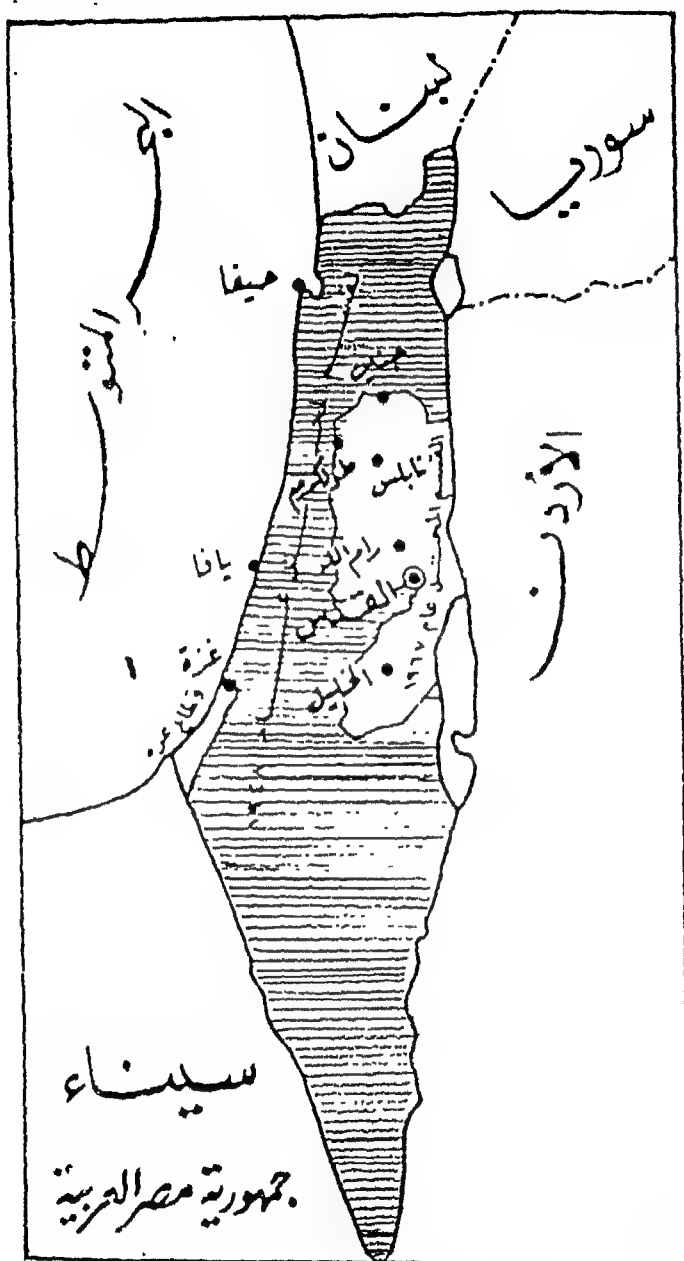
٢ - فلسطين في عصر الحديدي



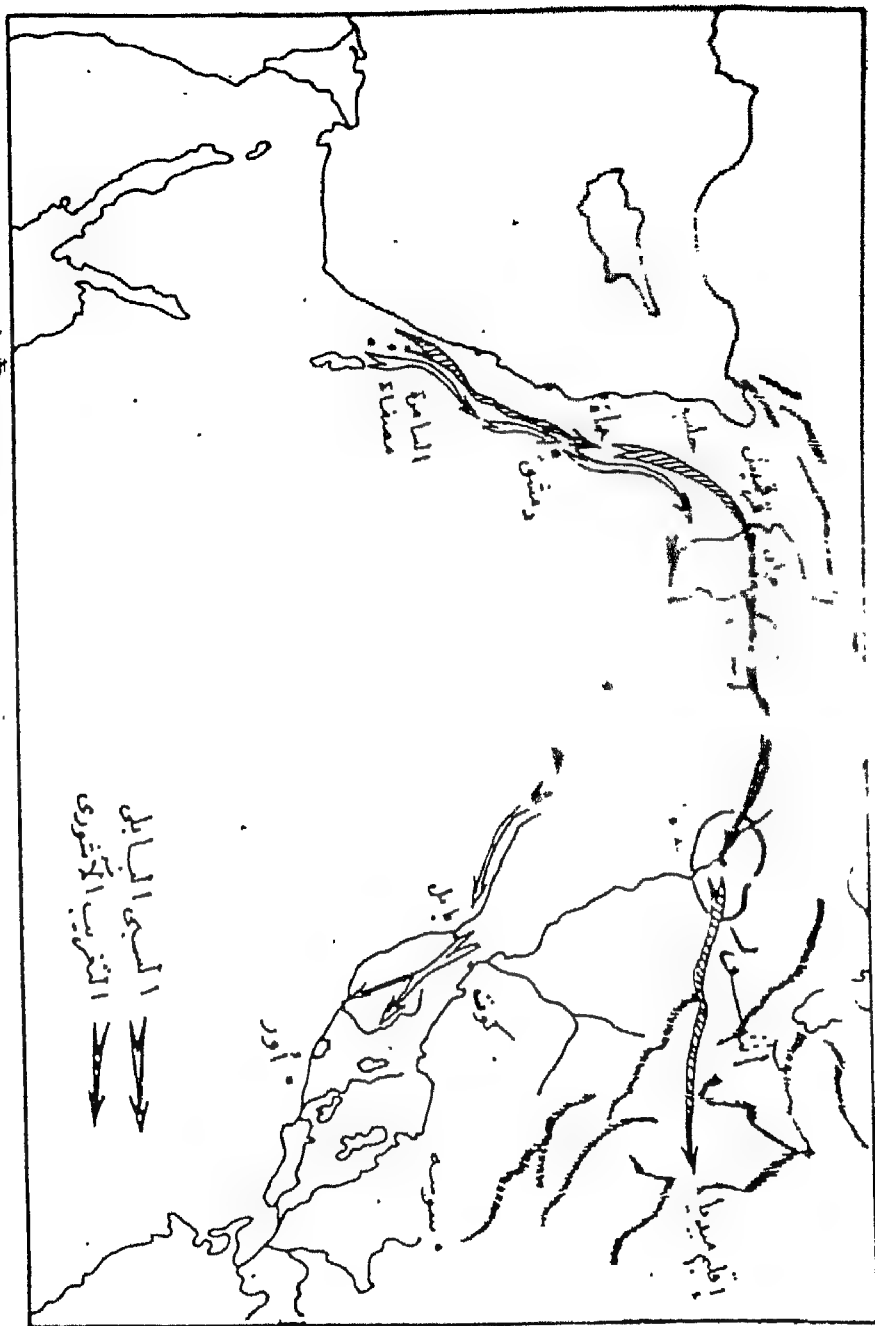
٤- مساحة كل من اسرائيل ويهوذا بعد المد التوسعي خارج المناطق الهضبية (وفق الرواية التوراتية)



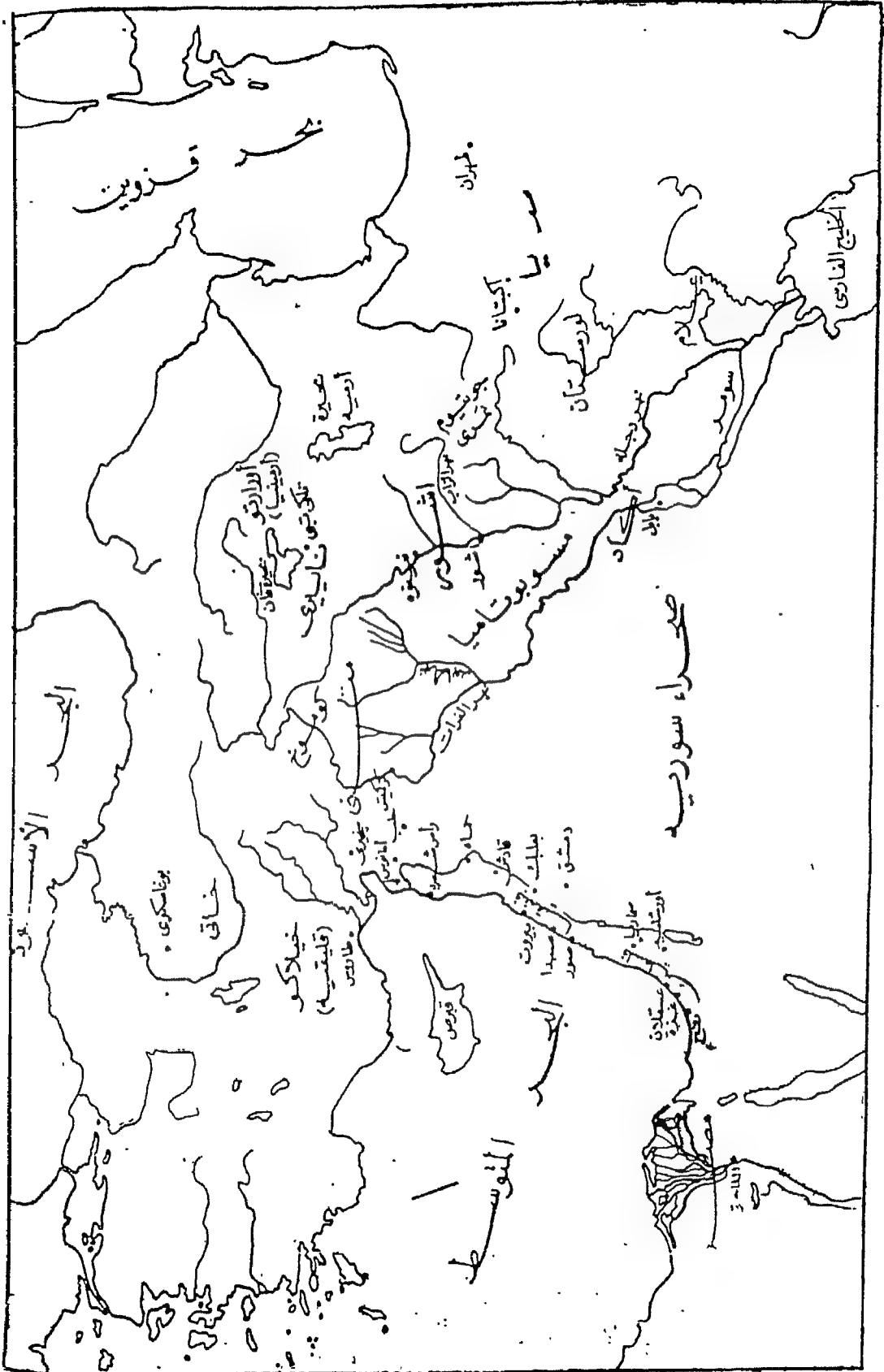
الخارطة رقم (٢) - مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا. (الموحدة)

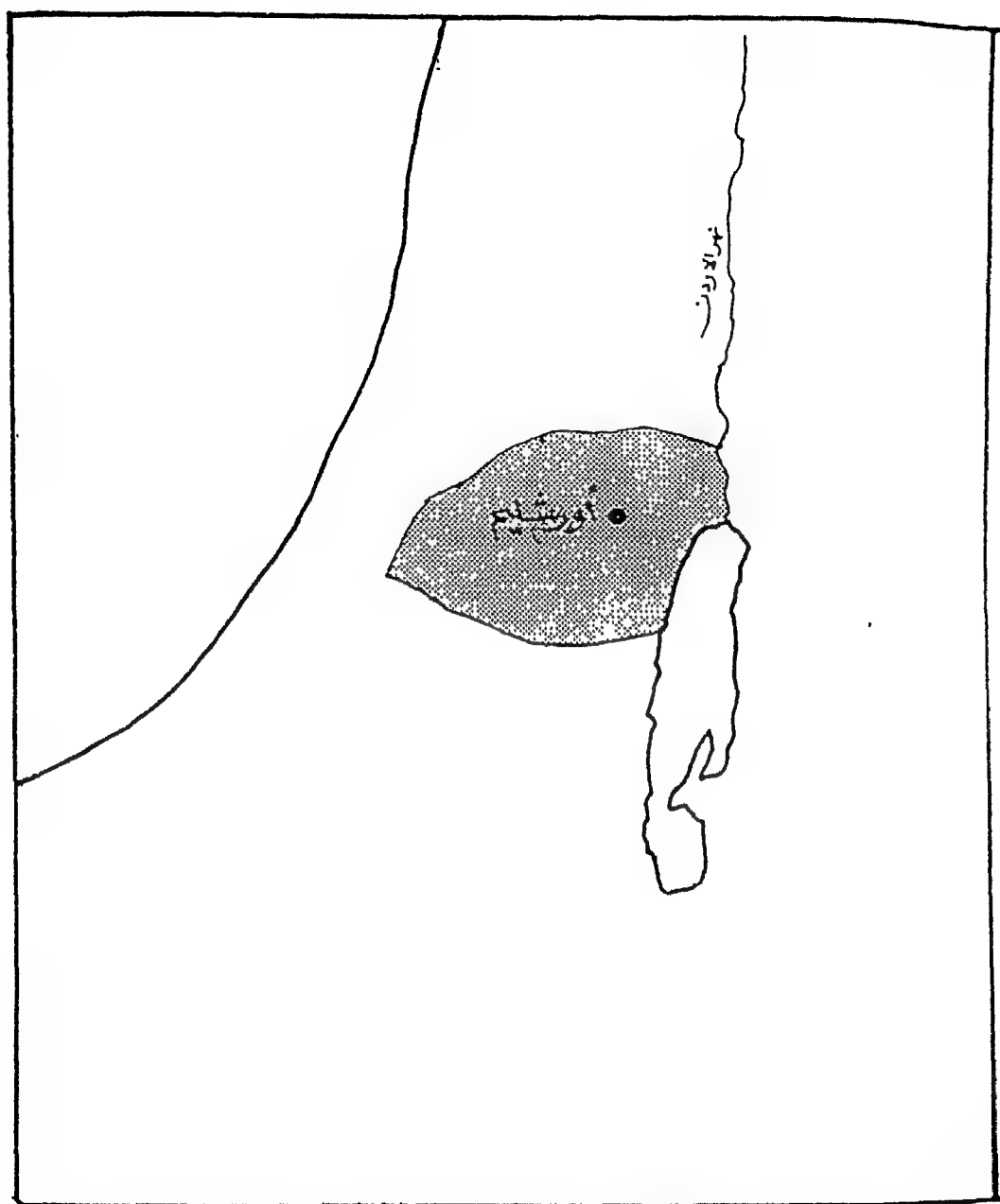


التفسير لكثرة ي ملكة اسرائيل . ٧٢٢ . م . و سبي البابلي لملكة يهوذا وساطة النبي

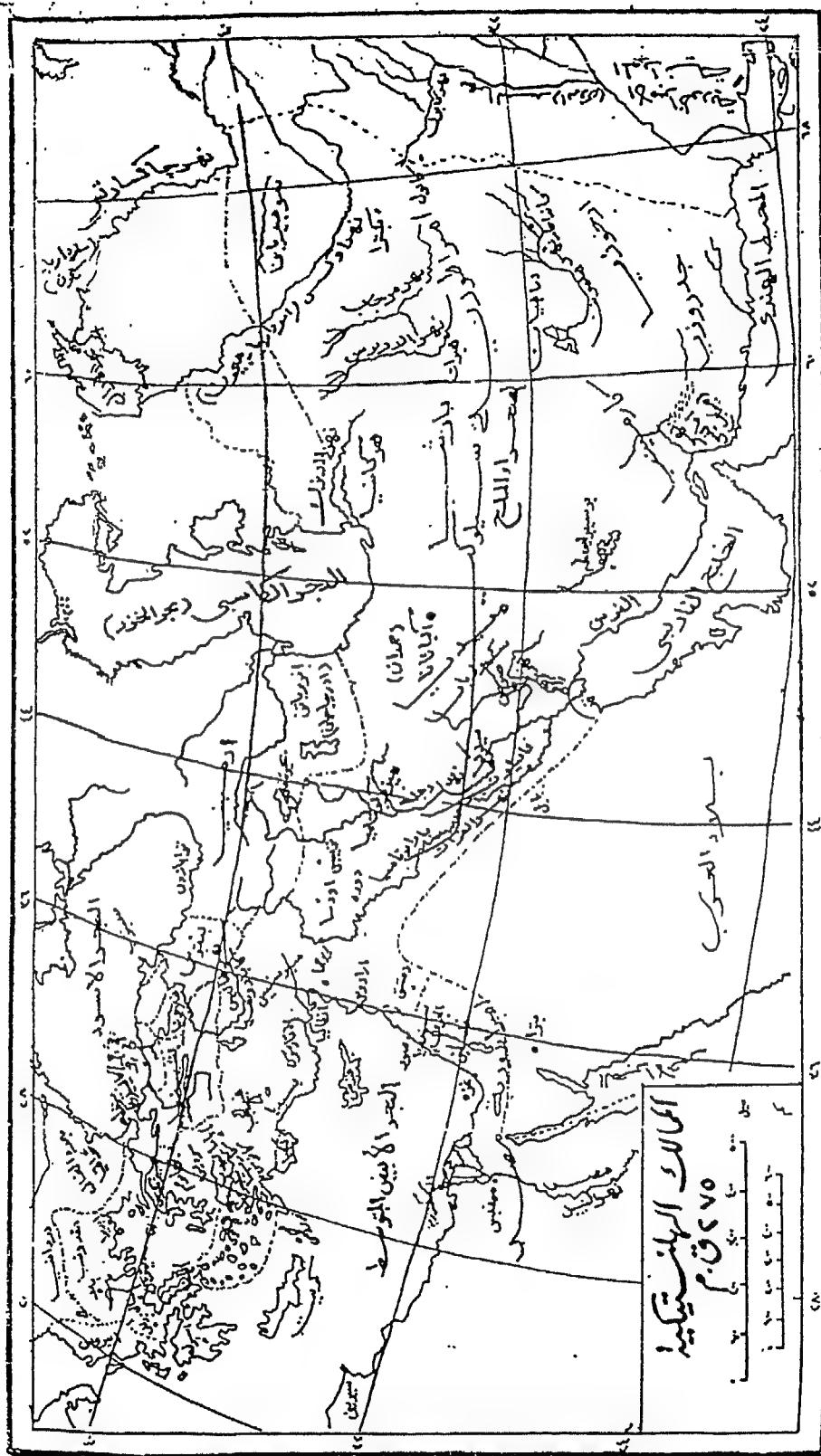


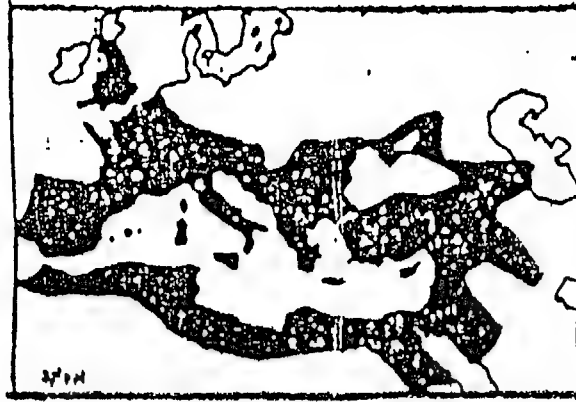
خريطة الامبراطورية الاشورية



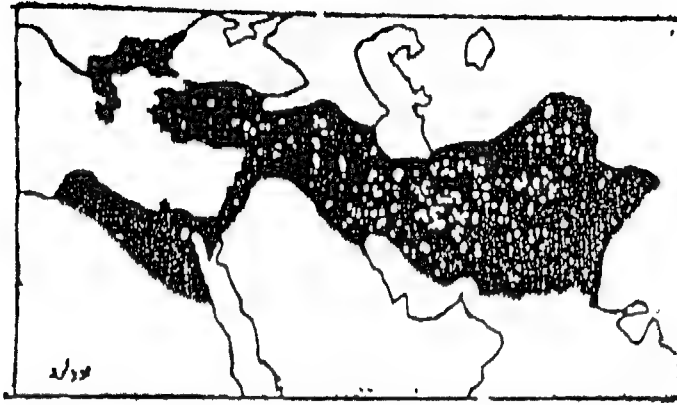


الخارطة رقم (٣) - رقعة يهوذا بعد المسيح

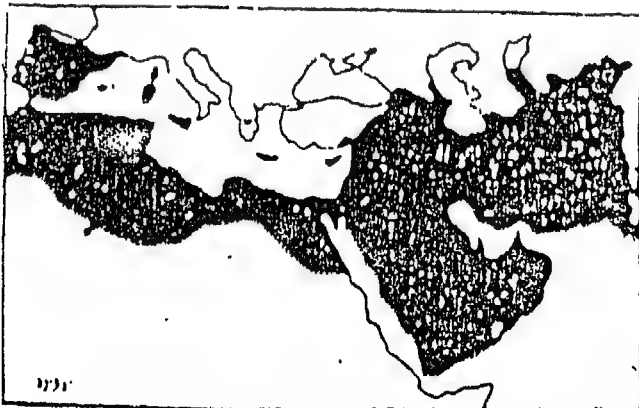




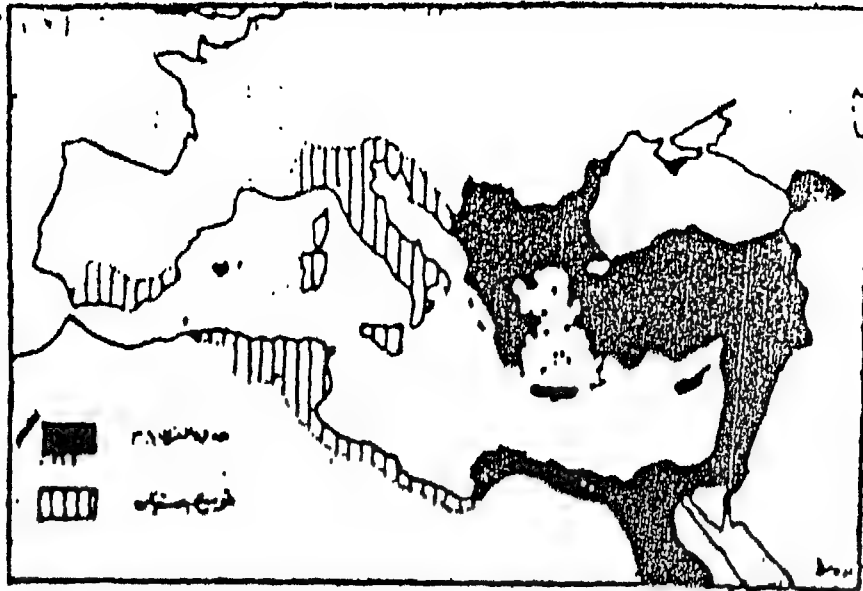
شكل (٢) الامبراطورية الرومانية



شكل (٣)
امبراطورية الاسكندر



شكل (٥) الدولة العربية
الاسلامية : قوة برمائية
اخضعت قوى البر والبحر



شكـل (٤)
الامبراطورية الرومانية
الشرقية (بيزنطة)



شكـل (٧) الامبراطورية العثمانية

الفهرس

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
5	اهداا
6	شكر واجب
7	تقديم الطبعة الأولى
11	تقديم الطبعة الثانية
	الفصل الأول
15	مؤسسة دينية / تاريخية
17	تجريبية
19	مفهوم الدين والشريعة
34	اليهودية دين ودنيا
97	هوامش الفصل الأول
	الفصل الثاني
105	مؤسسة تاريخية / دينية
105	تجريبية

109	مصر القديمة
204	اليهود من الفتح الإسلامي إلى العصر العثماني
236	الانثروبولوجيا - الشتات - الاستراتيجية
269	هوامش الفصل الثاني
	الْفَصْلُ الثَّالِثُ
285	المؤامرة ^٢
300	هوامش الفصل الثالث
	الْفَصْلُ الرَّابِعُ
303	السمية - الصفات
305	التسمية
309	الصفات
314	هوامش الفصل الرابع
	الْفَصْلُ الْخَامِسُ
317	العقاب الإلهي
323	هوامش الفصل الخامس
	الْفَصْلُ السَّادِسُ
325	قطار المسيرة وتصحيح المفاهيم
327	تَهْنِئَةٌ

334	إبراهيم (عليه السلام)
337	إسحاق (عليه السلام)
339	يعقوب (إسرائيل) (عليه السلام)
342	يوسف (عليه السلام)
344	موسى (عليه السلام) وهارون
412	جماعة من أنبياء بنى إسرائيل
416	إلياس (عليه السلام)
417	اليسع (عليه السلام)
418	ذو الكفل (عليه السلام)
419	داود (عليه السلام)
428	سليمان (عليه السلام)
460	عزير (عليه السلام)
462	زكريا ويحيى (عليه السلام)
467	عيسى بن مريم (عليه السلام)
526	هوامش الفصل السادس
	الْقَصَصُ السَّابِعُ
549	وعد أولهما

551	تَمْجِيدُ
574	وعد أولاهما
582	خبر يهود بنى قينقاع
585	غزوة بنى النضير
591	غزوة بنى قريظة
599	غزوة خيبر
612	هوامش الفصل السابع
	الْفَصْلُ الثَّامِنُ
625	وعد الآخرة
627	تَمْجِيدُ
636	وعد الآخرة
655	هوامش الفصل الثامن
	الْفَصْلُ الثَّاسِعُ
659	وبعد
661	كتاب الله والادعاء بالحق التاريخي والديني
672	حقيقة نزول المسيح (عليه السلام)
691	الإسرائيليات ومعرفة الموضوع من الحديث
695	فرية سحر النبي (صلى الله عليه وسلم)

699	فريّة الدرع المرهونة
708	شهد شاهد من أهلها
710	الأرقام من أحاديث الدجل
720	إسرائيل طاعون العصر ودولة الإرهاب.
723	خرافة الألفية اليهودية
734	الإسلام والامبريالية العالمية
740	جنود الله
745	تذكرة
749	هوامش الفصل التاسع
759	المراجع
789	الملاحق



صدر للمؤلف

- 1994 رحلة ورحيل (مجموعة قصصية)
1994 ألوان الطيف (مجموعة قصصية)
2000 قسمتين (شعر)
2000 خليك بعيد
2000 شاورلى عليه
2000 بعد الربيع
2000 غسق (رواية)
2000 القدس بتنادى (شعر)
2000 بداية ونهاية دولة إسرائيل ط1
2002 الحروف المقطعة فى سور القرآن الكريم
(المعنى والمغزى)
2002 الحقيقة والادعاء فى المسألة الإسرائيلية
2002 بداية ونهاية دولة إسرائيل ط2
2002 الفياجرا وأخواتها بين العلم والدين

رقم الإيداع 4395 / 2002
الترقيم الدولي : 977-17-0424-9

دار هاجر للنصوير والطباعة
بنتها المنطقة الصناعية - مساكن الرملة
ت : 013260046

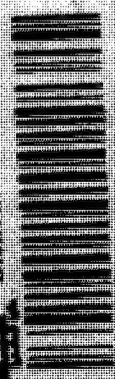
بداية ونهاية

دولة إسرائيل

رؤية تاريخية ودينية

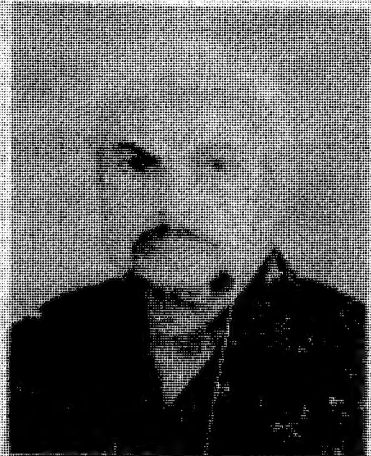
عوض

Bibliotheca Alexandrina



0393295

الشمس ٣٥ جنيها



إلى كل باحث ..

في مسألة

بنى إسرائيل

ليطمئن قلبه !

د / حسن عوض